



جوليتي كليۃ البنات بجامعة عين شمس

القسم الادبي
العدد الخامس عشر

١٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المجلد (١٥)

(القمم العربي)

١ - ٣٩	ازمة المصطلح في النقد القصص	١ - د. عبد الرحيم محمد عبد الرحيم
٢ - ١٠٩	ذون التوت، إمام التصوف المصري	٢ - د. كوكب عامر
٣ - ١١٠	في عصره	٣ - د. كوكب عامر
٤ - ١٤٨	مفرقة الله والطريق إليها	٤ - د. محبات امام احد الشرايبي
٥ - ١٤٩	التخطيط العمراني والتنمية	٥ - د. حسن البنداري
٦ - ١٤٩	السياحية لحافظات القناة حتى ٢٠٠٠	٦ - د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
٧ - ١٤٩	تكوين النهر الثمري عند	٧ - د. عزة محمد بدوي الغنم
٨ - ١٤٩	حصارم القرطاجني	٨ - د. مجدي عبد الحميد محمد
٩ - ١٤٩	مصريين اعلان الضم وفرض الحماية	
١٠ - ١٤٩	على ضوء الوثائق البريطانية	
١١ - ١٤٩	أدب الناشئة القصص وعلوم المستقبل	
١٢ - ١٤٩	الزراعة المحمية في جمهورية مصر العربية	
١٣ - ١٤٩	مع التطبيق على محافظة القليوبية	

أزمة المصطلح

فى

النقد القصوى

د. عبد الرحيم محمد عبد الرحيم
مدرس اللغة العربية وآدابها
بجامعة قناة السويس

اللغة التى يستعملها الناس فى حياتهم اليومية غير قادرة على التعبير عن المدلولات العلمية والفكرية ، بسبب دقة هذه المدلولات وكثرتها - فهى تفوق الالفاظ المستعملة فى أية لغة حية - ويسبب طبيعة اللفظ اللغوى العام الذى يكتسب دلالاته خلال التجارب الحية لمستعمليه ، مما يجعل دلالة هذا اللفظ غير خالصة من الظلال العاطفية التى تستدعى عند النطق به أو عند سماعه ، هذه الظلال أو المعانى الجانبية أو " الدلالة الهامشية " كما يسميها علماء اللغة ليست متحدة لدى جميع الناس بل هى خاضعة للتجارب الذاتية لكل فرد . من ثم أصبحت هذه الدلالات الهامشية مصدرا من مصادر الغموض والخط والفساد اذا هى استخدمت فى مجال العلوم والافكار ، مثلما كان الشأن عند السوفسطائيين حينما استخدموا هذه الدلالات الهامشية فى هدم حقائق العلم والأخلاق .

واللفظ اللغوى لا تتضح دلالاته الا خلال السياق الأسلوبى الذى يدرج فيه فليس كل لفظ لغوى يحمل وحدة دلالية ثابتة مستقلة تستدعى عند النطق به فى كل موطن يساق فيه ، وإنما تتلون دلالة الألفاظ بألوان الكلمات المجاورة لها فى

العبارة ، وربما تتغير الدلالة تغيرا تاما نتيجة لتغيير النظام الأسلوبى للجمل المستعمله ، فقد يستخدم اللفظ استخداما مجازيا أو كنائيا أو غير ذلك ، بناء على هذا يمكن القول بأن الدلالة اللغوية هي - فى المقام الأول - دلالة تراكيب أسلوبية وليست دلالة ألفاظ أو وحدات صوتية مستقلة .

واللفظ اللغوى يتعدد بيئات الناطقين به وتختلف اتجاهاتهم وميولهم ، مما يجعل بعضهم ينطقه بلهجة تختلف عن لهجات الآخرين ، أو يشرك معه لفظا آخر فى حمل الدلالة التى يؤيدها ، أو يحمله أكثر من دلالة فينشأ عن ذلك ما يعرف فى اللغة بالترادف والاشتراك اللفظى وغير ذلك من الظواهر اللغوية التى تؤدى الى غموض الدلالة .

بعد هذا يصح القول بأن اللفظ اللغوى من وجهة النظر العلمية وعما ، قضاى يزخر بالدلالات وبالألوان والروائح ، يصلح لنقل الابداع الوجدانى العاطفى أكثر من ملائمته لنقل المخترعات العلمية ومبتكرات الفكر ، من ثم لجأ أبناء كل فرع من فروع العلم الى استخدام رموز خاصة بهم تعبر عما فى اذهانهم من مضامين علمية أو فكرية تعبيرا دقيقا محددًا وتوصلها توصيلا دقيقا الى القارئ أو المستمع يتسم بالموضوعية دون زيادة أو نقصان ، وهذا ما يعرف باللغة الاصطلاحية أو المصطلحات .

والمصطلح هو: " وحدة لغوية " أو "عبرة" لها دلالة لغوية أصلية ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبرة تحمل تسمية اصطلاحية خاصة محددة فى ميدان معين ، لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغوية الأصلية والتسمية الاصطلاحية الجديدة . ولم تشترط بعض التعريفات التى حددت معنى الاصطلاح أن يكون المصطلح "وحدة" أو "عبرة" بل اكتفت بالقول بأنه "شئ" أو "رمز مما يدل على أن أصحاب هذه التعريفات كانوا يعدون الرموز الرياضية والهندسية وأمثالها من قبيل المصطلحات . لكن الاجماع يكاد ينعقد - وبخاصة فى مجال النقد الأدبى الذى نعالجه هذا البحث - على أن المصطلح : وحدة لغوية ذالة أو "عبرة" .

ولكل مصطلح شكل "Form of a term" ومفهوم "Concept" وميدان "Subject field" ، أما الشكل فهو اللفظ أو الالفاظ اللغوية التى تحمل المفهوم وقد يكون هذا الشكل كلمة فيسمى المصطلح بسيطا وقد يكون مكونا من كلمتين أو أكثر فيسمى حينئذ مصطلحا مركبا . والمفهوم هو الصورة الذهنية التى يشير اليها المصطلح سواء أكانت صورة لمدلول حسي أو عقلي ، ويشترط فى المفهوم الاصطلاحي أن يكون محددا واضح المعالم ، وأن تكون دلالة الشكل الاصطلاحي عليه دلالة اشارة عرفية تشبه دلالة الاسم على مساه ، وان كانت الدلالة الاصطلاحية تفترق عن التسمية فى

أنها لاتشير الى ذوات باعياتها وانما تشير الى مجموعة من السمات الدلالية التي تحدد مجموعة الشروط والمفاتيح التي ينطبق عليها المصطلح.

وميدان أى مصطلح هو مجال النشاط الذى يستخدم فيه ويختلف مفهوم المصطلح الواحد باختلاف الميادين التى يستعمل فيها .

على أن القيمة الحقيقية لأى مصطلح لاتتحقق الا بشرطين : أحدهما : التوحد ، وثانيهما : الشيوع ، وأعنى بالتوحد : أن يكون لكل مفهوم اصطلاحى شكل خاص به لا يشركه فيه سواه وأن يكون لكل شكل اصطلاحى مفهوم واحد لا يتعداه ، أما اذا أصيبت اللغة الاصطلاحية بالترادف أو تعدد الدلالة فانها تفسد .

وأعنى بالشيوع : انتشار المصطلح ودورانه فى ميدان استعماله ، لأن المصطلح لغة للتواصل بين الشمتغلين به فى ميدان خاص ، ومتى فقد هذا الشرط أصبح ذاتيا لقيمة له .

وبالبحث عن مصطلحات النقد القصوى فى الوطن العربى يجد انها لم تحظ بعناية الهيئات العلمية المعنية بدراسة المصطلحات العربية ووضعها وتوحيدها ، بل ركزت هذه الهيئات كل اهتمامها على المصطلحات العلمية فى مجال الطبيعىات والرياضيات والطب والهندسة والكيمياء ، والاحياء والبيولوجيا

حتى الأعمال الفردية القليلة التي عنت بالمصطلحات القصصية لم تعن بها بوصفها مجالا مستقلا عن مجال النقد الادبي بوجه عام ، لهذا لانجد في الساحة الأدبية معجما لمصطلحات النقد القصص ولا أعلم أن هناك كتابا أو بحثا توفر على معالجة هذا الميدان ، بل ان النقد الأدبي عامة نصيبه قليل من أمثال هذه الجهود . وأبرز هذه الجهود الفردية التي تناولت مصطلحات النقد الأدبي هي مقالات نشرت في مجلات ، أو فصول ضمن كتب النقد الأدبي أو فقرات وردت في ثنايا الحديث عن النقد . أو معاجم للمصطلح الأجنبي أو قوائم مثل: ١ - مقالة للدكتور محمود الربيعي بعنوان " أزمة المصطلح الأدبية " أشار فيها الى اضطراب المصطلح الادبي في مجال النقد القصص وذاتيته وعدم وجود القواميس التي تحصر المصطلحات الأدبية .

٢ - مقالة للدكتور عبد الحميد ابراهيم بعنوان " قضية المصطلح الأدبي " أشار فيها الى كتاب " معجم مصطلحات الأدب " الذي كتبه الدكتور/ مجدى وهبه وعاب فيه منهجه الذى سار عليه فى تعريف المصطلحات ، ذلك لأن مجدى وهبه كما يقول الدكتور عبد الحميد ابراهيم: ^١ "يورد لكل مصطلح مرادفه الانجليزى والفرنسى ثم يوضح مضمون هذا المصطلح كما هو فى هاتين اللغتين فواء كتابه شبه بالترجمة وهو ملئ بالشواهد الانجليزية

والفرنسية ذو إشارات غريبة على القارئ العربي مما جعله قاموساً اجنبياً مكتوباً بالعربية ، ثم يهتم الدكتور عبد الحميد إبراهيم مقالته بقوله : " ان كتابة قاموس باللغة العربية عن المصطلحات الأدبية أمر لم يمسس أوانه بعد " .

٢ - الفصل الثانى من كتاب " المدخل فى النقد الأدبى " لنجيب فايق اندراوس ويعالج فيه مشاكل تخص النقد الأدبى عند اليونان والرومان ثم يفسر مضامين مصطلحين نقديين هما : " القيم " و " الذوق " .

٤ - فقرات من الفصول الذى خصه سيد قطب للقصة والأقصوصة فى كتابه " النقد الأدبى أصوله ومناهجه وحاول فيه تحديد مفهوم القصة والأقصوصة .

٥ - " معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب " لمجدى وهبه وهو معجم يتناول عددا كبيرا من المصطلحات الأدبية لكنه ينتهج منهاجاً غريباً كما قال عنه الدكتور عبد الحميد إبراهيم سواء أكان هذا المنهج فى اختيار المادة الاصطلاحية او فى تفسير المصطلحات .

٦ - دليل الناقد الأدبى للدكتور نبيل راتب وهو كتاب حاول فيه صاحبه تفسير ثلاثه وعشرين مصطلحاً ادبياً لا يخص النقد القمصى منها سوى ستة مصطلحات هي :

"رواية"، "رواية بوليسية"، "رواية علمية"، "رواية قوطية"، "قصة قصيرة"، "ملحة" ومن الملاحظ أنه يحرص على اثبات الترجمة الانجليزية لكل مصطلح وأنه يأتى بمصطلح "الرواية القوطية" ولاوجود لها فى الأدب العربى وأنه يحرص - عند تقديمه للمصطلح - أن يثبت تاريخ النوع الذى يتحدث عنه فى الغرب أولا ولايتحدث عنه فى الوطن العربى الا فى ذيل حديثه .

٧ - قائمة بالمصطلحات النقدية فى مجال الشعر فى ذيل كتاب " فى نقد الشعر" لمجمود الربيعى وهى قائمة تضم مجموعة من المصطلحات الانجليزية المترجمة الى العربية - فى مجال الشعر - .

٨ - قائمة فى ذيل كتاب " علم المسرح " الذى ترجمه درينى خشه وهو يكفى بالترجمة فحسب .

٩ - قائمة فى ذيل كتاب " الملهاة بين المسرحية والقصة " ترجمة ادوار حليم مراجعة درينى خشه وهو قائمة بالمصطلحات الاجنبية وترجمة لها .

١٠ - قائمة فى كتاب " عالم القصة " للدكتور على شلى نقل فيه ترجمة لشرح احد عشر مصطلحا قصصيا بأقلام كتاب اجانب .

١١ - قائمة فى آخر كتاب "عالم تيمور القصص" لفتى اليبارى -حاول فيه شرح مفهوم "الرواية" و "القصة" و "المكايمة"

ثم ينقل بعد ذلك تعريفات فورستر لبعض المفاهيم
الاصلاحية .

١٢ - قائمة في ذيل كتاب " المدخل في النقد الأدبي " لنجيب

فايق اندرواوس بمصطلحات انجليزية ترجمها الى العربية .

١٣ - ماورد في حولية الجامعة التونسية من ص ١٢٥ حتى

ص ١٢٩ تحت عنوان "معجم لمصطلحات النقد الحديث

" السنة الخامسة عشرة .

١٤ - ماورد في كتاب "قصص الحب العربية " لعبد عبد الحميد

ابراهيم من تعريف للكلمات "القصة" ، "سمر" ، "خرافة" ،

حكاية .

- ٤ -

فالمصطلحات القصصية اذن لم تحدد مفاهيمها تحديدا

نظريا في معاجم يمكن أن يرجع اليها المختصون عند الحاجة ،

بل أصبح التعرف عليها واستخدامها أمرا ذاتيا بعالجه كل

ناقد حسبما يرى ، فالناقد احيانا يشرح مفهوم المصطلحات

التي يستخدمها في دراسته على ضوء معرفته بالمصطلحات

العربية .

واحيانا يكفى بربط المصطلح العربي بالمصطلح الاجنبي

كأن يكفى بوضع الأصل الفرنسي أو الانجليزي بجوار المصطلح

العربي المقترح .

واحيانا ترى الناقد يستخدم المصطلح حسبما يعن له ،

واضعا اياه في مواضع يفهم منها أنه يقصد مفاهيم يمكن

التكهن بها من خلال الدلالة اللغوية للفظ الاصطلاحي ، وحيثما

رابعاً نرى الناقد يستخدم اللغة الأدبية في وصف الظواهر الفنية في العمل الأدبي وبهذا فإن المفهوم الذي يمكن الإشارة إليه بكلمه واحدة يظل الناقد يوحى به عن طريق المجاز حيناً والتشبيه حيناً آخر وضرب الأمثلة مينا ثانياً ولايفك عن الحديث عنه حتى يتحقق ان القارئ قد فهم أو ليس من فهم مايعنيه؛ وقد يجمع باحث واحد بين هذه الطرق الأربع في كتاب واحد .

من أجل ذلك تشابهت لغة النقد واللغة العامه وأصبحت لغة النقد القصص في الوطن العربي بالغموض والخلط وفقـدت أكثر المصطلحات القصصية أهم ما تتميز به المصطلحات عموماً من التحديد والشوع والاستقرار بدا ذلك جلياً في مجموعة من الظواهر الشائعة في الكتب النقدية ، وأبرز هذه الظواهر:-

١ - تعدد الاشكال الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد

وذلك مثل مصطلح " Technique " الانجليزي فأنه عندما يستخدم في الدراسات العربية يطلق الباحثون عليه مجموعة من الاسماء .

فالدكتور على الراعي (ص ٢٧ دراسات في الرواية المصرية) و د. محمود الربيعي (ص ١٢٢ قراءة الرواية) و د. احمد كمال زكي (فصول ص ٧٧ ديسمبر سنة ١٩٨٢

و د. فاطمه موسى (ص ٢٨ بين أدبيين) و د. انجيل

بطرس سمعان (ص ١٩٢ بين الروائي والرواية) ومؤيد

الظلال من العراق (ص ١٠ الواقعية الاجتماعية فـي

الرواية العراقية) يطلقون على هذا المصطلح لفظ " تكنيك "

بينما يطلق عليه كل من محمود امين العالم (ص ٢٨) ،
٢٩ ثلاثيه الرفض والهزيمة) ود. سيد النساج ص ٢٢٣
تطور القصة القصيرة في مصر) ود. سيزا قاسم (ص ٢١) ،
٢٦ ، ٢٩ بناء الرواية) وفاضل تامر من العراق -
(الأعلام نيسان سنة ١٩٨٦) كلمة "تقنيات" وفي موضع
آخر - يجمع الدكتور سيد النساج بين كلمتي " التقنية " و
"التكنيك" للدلالة على المصطلح السابق نفسه فيقول
عنه (ص ٢٥٥ تطور القصة القصيرة في مصر) "التقنية
التكنيكية" ، كما يعبر شجاع العاني ومؤيد الطلال
العراقيان عن المفهوم نفسه بعبارة " التقنية الفنية "
(ص ١٢٩ الأعلام نيسان سنة ١٩٨٦) ، (ص ٢٧ الواقعية
الاجتماعية في القصة العراقية) أما الاستاذ صفوت
عزيز فيتترجم كلمة Technique السابقة بعبارة
الاسلوب الفني في التنفيذ (ص ٤٦ الترجمة العربية
لكتاب الرواية الانجليزية) ويترجمها حيناً آخر
(في ص ٢٥ من المرجع السابق نفسه) بعبارة " فنية
التطبيق " ، والسعيد الورقي يطلق عليها " الحيل
الفنية " (ص ٤٩ اتجاهات الرواية العربية) ، ومؤيد
الطلال يطلق عليها " الصنعة الفنية " (ص ١٤ الواقعية
الاجتماعية) بالاضافة الى تعبيره السابقين :
" التقنية الفنية " و "التكنيك" ، والدكتور عبـد

المحسن طه بدر (ص ١٦١ تطور الرواية العربية فى مصر)
 وحسين عيد فى مجلة ابداع (مارس سنة ١٩٨٤ ص ٢٢)
 يطلقان على ذات المفهوم عبارة " معالجات فنية " .
 وفى موضع آخر يطلق عليه عبد المحسن طه بدر (ص ١٩٩)
 تطور الرواية العربية " اسلوب المعالجة " وفى موضع ثالث
 (ص ١١٢ ، ص ٢٠٠ تطور الرواية العربية) يطلق عليه
 " الطريقة الفنية " واليك امثلة أخرى على تعدد الاشكال
 الاصطلاحية الدالة على مفهوم واحد :

١ - مصطلح Fantasy يعبر عنه فى العربية

بالمصطلحات الاتية :-

= " فانتازيا " يوسف الشارونى ص ١٠ " القصة القصيرة "

= " الانغراق فى الخيال " كمال عباد ص ١٢٨ ص ١٣٠

" أركان القصة "

= " الرؤيا " صفوت عزيز ص ٧٠ " الرواية "

الانجليزية

= " الوهم " د. يوسف نورعوض " الطيب صالح فى

منظور النقد البنائى "

= " العنصر السحرى "

- علوط محمد " المفسر "
 الاقلام عدد ١١ ، ١٢
 سنة ١٩٨٦

= " العنصر الخرافى "

Short story - ب -

= "القصة القصيرة" فؤاد دواره " فى الرواية المصرية "

= "القصص" يوسف نجم ص ٢٧٧ ، القصة فى الادب العربى الحديث "

= "قصة صغيرة" العقاد الرسالة يونية سنة ١٩٤٢

= "رواية صغيرة" اطلق هذا المصطلح (حمادى حماد) سنة ١٩١٠ راجع ص ٦٨ سيد النسيج "تطور فن القصة القصيرة فى مصر"

= "رواية" راجع ص ٥٧ سيد النسيج " تطور فن القصة القصيرة فى مصر "

= "قصة" محمد جبريل ص ٤٠٩ (مصر فى قصص كتابها المعاصرين)

= "القصص الطويلة" د. حلمى بدير ص ٩٠ مجلة فصول ديسمبر سنة ١٩٨٢

= "قصة قصيرة طويلة" يحى حقى خطوات فى النقد

= "الرواية الصغيرة او القصة القصيرة الطويلة"

محمود امين العالم ص ٢١ ثلاثية الرفض والهزيمة

= "القصص الصغيرة المطولة" ص ١١٢ يحى حقى " خطوات فى النقد "

Fable - ج -

= "حكاية" سيزا احمد قاسم ص ٢٩ "بناء الرواية"

= "أحدوئه" سيزا قاسم ص ٢٤ مجلة فصول ديسمبر

سنة ١٩٨٢

= خرافة يوسف الشارونى ص ١٢ ، ص ٢١ " القصة القصيرة "

= " قصة " صفوت عزيز ص ٤٨ " الرواية الانجليزية "

٢ - تعدد المفاهيم الاصطلاحية التى يحملها الشكل الاصطلاحى الواحد . وذلك مثل النماذج التالية :

١ - مصطلح " قصة "

فان كمال عياد فى ترجمته لكتاب Aspects of the NOVEL لفورستر يجعل كلمة " قصة " فى مقابل اللفظ الانجليزى " NOVEL " وذلك فى ترجمته للعنوان ثم يترجم كلمة Story بكلمة " قصة " ص ١٨٠ وهو فى الكتاب نفسه ص ٢٢ ، ص ٢٩ ، ص ٥١ يترجم كلمة Story بكلمة " حكاية " وفى ص ١٤ ، ص ١٩ يترجم مصطلح " fiction " بكلمة " القصص " على الرغم من ان فورستر نفسه فى كتابه السابق يوضح الفرق بين مفهومى المصطلحين Novel و Story فيعرف الاول بأنه العمود الفقرى للرواية ، وهو قصص الحوادث حسب ترتيبها الزمنى ، وهى العامل المشترك بين الروايات ، ويفسر الثانى عن طريق نقله لتعريف ام ابيل شيغالسكى الذى يقول فيه : " قصة خياليه نثرية ذات

ذات اتساع معين".

وصفوت عزيز في ترجمته لكتاب the English novel

إليان وات يجعل كلمة "قصة" في مقابل كلمة

Story ص ٥ ، وفي مقابل كلمة TALE
P.13

ص ١٨ ، وفي مقابل كلمة fable ص ٤٨ ، وفي
P.26

مقابل كلمة "Fable" ص ٤٨ ، كما انه يجعل كلمة

"قصص" في مقابل الكلمة الانجليزية Narratives

ص ١٨ : على الرغم من أنه يترجم كلمة Narrative

نفسها ص ٢١٤ بكلمة "حكاية"
213

ويجعل كلمة "قصص" ايضا في مقابل كلمة

EPISODES ص ٢٠٧ هذه نماذج من أعمال
P.208

الذين ترجموا المصطلح ، أما النقاد الذين

استخدموه أو تمدوا لتعريفه فلم يكونوا أحسن

حالا .

فيوسف نجم في كتابه "القصة في الأدب العربي

الحديث" لا يفرق بين مصطلحي القصة والرواية ،

ويوسف الشاروني يقول عن "القصة" ص ٧ من كتاب

"القصة القصيرة" : "القصة هي كل فن قولي درامي

أي يقوم على اساس احداث تكشف عن صراع يحتمل

ان يقع بحيث يهب للمتلقى في النهاية متعة

جمالية " وصبرى حافظ يقول ص ٢٠ فصول ديسمبـر

سنة ١٩٨٢ : * مصطلح القصة يغطي كل شيء
النشاط القصصى * والدكتور يوسف نوفل يخرج من
الموقف بلباقة عندما يجمع بين لفظي القصة
والرواية فى عنوان احد كتبه دون أن يفرق بين
المصطلحين على الرغم من أن الاعمال التى يتناولها
فى كتابه هذا من نمط واحد اطلق عليه كثير من
الباحثين لفظ "رواية" وقليل منهم اطلق لفظ
"قصة".

اما فتحى الابيارى فى ص ٣٢٩ "عالم تيممور
القصص" ان القصة نوع اكبر فى الحجم من الأقصوصة
وأصغر من الرواية .

هذا بالاضافة الى ان ناقدنا فى مجلة البيان
"يناير ١٩١٩" ومحمد جبريل ص ٤٠٩ فى كتابه
"مصر فى قصص كتابها المعاصرين" يطلقان بكلمة
"قصة" على ما يطلق عليه كثير من النقاد عبارة :
القصة القصيرة Short Story ، وأن الدكتور
عز الدين اسماعيل يطلق كلمة "قصة" للدلالة
على ما يطلق عليه كثير من النقاد لفظ "رواية"
NOVEL اما سيد قطب فيقول : أما الأقصوصة
فهى شئ آخر غير القصة فليست الأقصوصة قصة
قصيرة وتسميتها هكذا Short story قد
توجد شيئا من اللبس ولعله اولى ان نصلح

في اللغة العربية على تسمية القصة "رواية"
لتبعد ما بين اللفظين من الاشتباه "ص ٨٢" النقد
الادبي أصوله ومناهجه".

ب - مصطلح "حكاية"

= تعرفه نبيلة ابراهيم ص ١٢ فصول مارس سنة
١٩٨٢ بانه " نص متكامل له بداية ونهاية
ويحتوى على حوار متبادل بين موقفين متعارضين
وتجعله مطابقا لمصطلح " Tale الانجليزي
= وتعرفه سيزا احمد قاسم (ص ٢٩ بنا " الرواية
بانه " التسلسل المطلق لوقوع الأحداث وفـسـق
التسلسل الزمني " وتجعله مطابقا لمصطلح
" Fable "

= ويجعله كمال عياد مساويا لما أطلق عليه
فورستير مصطلح Story وعرفه بانه " قصص
الحوادث حسب ترتيبها الزمني"

ج - "رواية"

= يطلق العقاد كلمة رواية على مسرحية قمبيز
لأحمد شوقي " رواية قمبيز" وكذلك يطلق محرر
مجلة الهلال الكلمة نفسها على مسرحية
عطيل لشكسبير ص ٥٩٩ يونية سنة ١٩١٢ .

= والدكتور محمد غلاب ص ٣ (الحركة الروائية

في أوروبا) يجعلها مرادفة لكلمة "ROMAN"
الفرنسية أي أنه يدخل في مفهومها كل القصص
الخرافية والواقعية وقصص البطولة وغيرها .
: والدكتور عر الدين اسماعيل (ص ١٧٢) الأدب

وفلونه) يجعلها مرادفة لكلمة "Romance"
الانجليزية من حيث كبر حجمها وارتباطها
بالنزعة الرومانتيكية والفرار من الواقع
والاغراق في الخيال . وهو يجعلها اكبر الأنواع
القصصية من حيث الحجم تليها القصة ثم القصة
القصيرة ثم الاقصوة .

= كان الكتاب في بداية القرن العشرين
يطلقون كلمة "رواية" على القصص الطويلة
والقصيرة "راجع ص ٥٧ سيد النساچ تطوّر فن القصة
القصيرة في مصر، ويبدو هذا الاختلاف الذي استقر
في أذهان النقاد حول مفهومي المصطلحيين
السابقين "قصة" و "رواية" من خلال اختلافهم
حول نشأة فن القصة وفن الرواية في الأدب
العربي ، فقد انقسموا حول هذه القضية إلى
فريقين . فريق يرى أن فن القصة والرواية
من الفنون العريقة في الأدب العربي وفريق
آخر يرى أنهما من الفنون الغربية التي دخلت

ساحة الادب العربى حديثا ولم يكن للعرب عهد
بهما من قبل . هذا الاختلاف فى حقيقته لم يكن الا
اختلافا حول ما يقصده كل فريق من مصطلحى
"رواية" و"قصة" ذلك لان الفريق الثانى الذى ينكر
وجود قصة أو رواية فى الادب العربى القديم
لا يختلف مع الفريق الاول فى ان الادب العربى القديم
زاخر بالأحاديث والحكايات الدينية والأسطورية
والتاريخية والفلسفية ، لكن هذا الفريق الثانى
لا يطلق على هذه الاشكال مصطلح "قصة" أو "رواية"
بل يطلق عليها مصطلحات أخرى مثل "سيرة" أو "خبر"
أو "حكاية" أو تميز ذلك من المفاهيم .

د - ومن الامثلة التى يبدو فيها تعدد المفاهيم
الاصطلاحية التى يحملها شكل اصطلاح واحد
ان نقاشا حادا احتدم مؤخرا بين المشاركين فى
احد المهرجانات الأدبية عندما اطلق احد
المتحدثين كلمة "أسطورة" على بعض الأقايص
القرآنية ، ولم يرض ذلك بعض الحاضرين ،
فاحتجوا على وصفه للقصة القرآنية بهذه المفسة
ولم يكن هو يقصد من المصطلح ما أخذوه به وانما
كان يفهم من لفظ الأسطورة غير ما يفهمون .

٣ - ميوعه المفاهيم الاصطلاحية ، أى عدم وجود الحدود التى
تميز كل مصطلح تمييزا قاطعا . ولا يبدو هذا المظهر
بوضوح الا فى الدراسات التطبيقية ، وذلك مثل التميع الذى
أصاب مصطلح الواقعية وتداخل مفهومه مع مفهوم
"الطبيعية" وتداخله ايضا مع مفاهيم أخرى .
ويشير الدكتور محمد مندور فى كتابه "الأدب ومذاهبه"
ص ٨٢ "الى هذا الاضطراب الذى أصاب ذلك المصطلح فى
أذهان النقاد العرب خاصة ، فهو يرى انه من خلال
متابعته لأعمال هؤلاء النقاد ظهر له أنهم يقصدون
منه حيناً ذلك الأدب الذى يسجل الواقع المعيش ولا يعنى
بالتهاويل الخيالية وهو بهذا يقابل عندهم الأدب الرومانسى
وحيناً آخر يقصدون منه ذلك الأدب الذى يسجل الحياة
الشعبية ويشرح مشاكل النعامة وهو بذلك يقابل ادب الخاصة
أو ادب الأبراج العاجية أو الأدب الارستقراطى ، وحيناً
ثالثاً يقصدون منه الأدب الموضوعى ويجعلونه بذلك مقابلاً
للادب الذاتى أو النفس .
ومثل هذا الخلط يحدث ايضا بين مفهومى "المضمون" و
"الموضوع" وقد أشار الى هذا محمود أمين العالم ص ٢٣
فى كتابه "ثلاثيه الرفض والهزيمة" بقوله : وما أكثر
الخلط بين المضمون والموضوع فى أغلب الدراسات الأدبية
والكتابات النقدية "

والذى يتتبع الدراسات العربية التطبيقية فى مجال
القصة يلاحظ وجود كثير من الأمثلة التى تبرهن على شيوع
هذه الظاهرة .

فكثير من النقاد لا يفرقون بين مصطلحى "الصدفة" و"القدر"
فالدكتور عبد المحسن طه فى كتابه "تطور الرواية
العربية الحديثة فى مصر" يطلق احدهما حيناً والآخر
حيناً آخر او يذكرهما معا ص ١٥٢ للدلالة على ظاهرة
واحدة وهى عدم ترابط الاحداث ترابطا حتميا او سببيا ،
أما الاستاذ يوسف الشاروتى فى كتابه " القصة القصيرة
ص ١١ " فيعرف "الصدفة" تعريفاً مشابهاً للتعريف السابق
حيث يقول : والصدفة فى العمل الفنى معناها عدم وجود
المبرر او عدم التمهيد لما سيقع " بينما يقول عنها
محمود امين العالم خلال تحليله لرواية "كفاح طيبة"
لنجيب محفوظ ص ٢٠ " تأملات فى عالم نجيب محفوظ" والصدفة
عنده ليست غير المتوقع وانما هى الضرورى وهو الحدث
الذى لم يدبره الانسان الفرد ولكن فرضته الحتمية الكونية
او القدرية او الاجتماعية أو الفلسفية "ثم يفسر "القدر"
تفسيرا مشابهاً ص ٢٠ وحيانا يجعل الصدفة أداة من
أدوات القدر ، وحيناً ثالثاً يربط بين الصدفة والحتمية
العامة وبين القدر والأللهيات او يجمع بين مفهوم القدر
ومفهوم القضا .

وأكثر النقاد كذلك لا يجعلون في أبحاثهم حدودا فاصلة بين مفاهيم الرواية والقصة الطويلة والقصة القصيرة والاقصوصة والقصة وغيرها ، فمصطلح "قصة خيالية" يطلقه صالح حماد في كتابه أحسن القصص سنة ١٩١٠ ويجعله في مقابل القصة القصص التي لم تكن تاريخا لاحداث وقعت بالفعل .

وصفوت عزيز في ترجمته لكتاب " الرواية الانجليزية " يجعله ترجمة لمصطلح fiction الانجليزى حينما وترجمة لمصطلح Romance الانجليزى حينما آخر .

٤ - ذاتية المفاهيم الاصطلاحية :

ازاء هذه الضبابية التي أصيب بها المصطلح القصص راح بعض الباحثين يستهدى تجاربه الخاصة في فهم المصطلحات ، وأطلقت الدلالات الهامشية برأسها وأصبح المصطلح الواحد يشع بالايحاءات الخاصة عند أناس ويخلو منها عند آخرين . فاذا نظرنا - مثلا - الى مصطلح الاحداث " الذي يطلق عليه النقاد العرب عددا من المترادفات مثل : " الحوادث " و " الأفعال " و " الوقائع " و " الأفعال " و " الحوادث الوهمية " و " التمثيل " و " المواقف " للدلالة على ما يبدر من الشخصيات القصصية من أعمال ، دون تحديد أو توجيه لهذه الدلالة . حتى في المواقف التي تتطلب ذلك ،

فاننا نلاحظ مثلا ان صفوت عزيز في ترجمته لكتاب " الرواية الانجليزية " يطلق كلمة " أحداث "

أو حوادث " دون تفريق بينهما للدلالة على مفهوم
الكلمات الانجليزية التالية :

[$\frac{٤١}{p.48}$ Action], [$\frac{١٦٥}{p.262}$, $\frac{٢٤}{p.31}$ Incidents]
[$\frac{١٩١}{p.192}$ Events], [$\frac{٢٩}{p.36}$ Accidents]
[$\frac{٢٠٧}{p.207}$ Episodic], [$\frac{١٩١}{p.192}$ Occurrences]

ويستخدمها عبد المعسن طه بدر للدلالة على الاعمال
التي يقوم بها الاشخاص داخل الرواية وخارجها
على الرغم من ذلك نجد الاستاذ عبد الرحمن فهمي في
مقال له بمجلة فصول ص ٤٦ مارس ١٩٨٢ يفرق بين
استعمال كلمتي " الأحداث " و " الحوادث " بقوله " ولكن
هناك نوعين من الاعمال ، أولهما : هذه الاعمال التي
لاتربط بينها اسباب منطقية اي لاينبع احدها من
الأخر كما تنبع النتيجة من السبب أو المعلول من العلة ،
ولنصطلح على تسميتها " حوادث " ومفردها حادثة "
وثانيهما هي الأعمال التي تربط بينها علاقة العلية ،
ولنصطلح على تسميتها احداثا ومفردها " حدث " ثم يعقب
على هذا في الهامش بقوله ان هذا التفريق لاوجود له
خارج هذا المقال " من جانب آخر نجد الدكتورة نبيلة
ابراهيم ص ١٤ في العدد نفسه من مجلة "فصول" تجعل
كلمتي " الأحداث " و " الحوادث " ذاتي مدلول واحد

وتجعل كلمة "الأفعال" ذات مدلول آخر. فالأعمال التى
توظف لخدمة الحكاية تطلق عليها "أفعالا" والأعمال
التي لاتصلح للتوظيف تطلق عليها "أحداثا" أو "حوادث".
ومن النماذج التى تبرهن على ذاتية المفاهيم
الاصطلاحية أيضا مصطلح القصة القصيرة "Short Story"
فإن الجدل الذى دار بين النقاد حول هذا المصطلح
كان حول أفضلية استعمال عبارة "القصة القصيرة"
أو عبارة الأقصوصة لكن فتحى الابيارى فى كتابه "عالم
تيمور القصص" ينهج نهجا آخر اذ يستخدم عبارة
"القصة القصيرة" للدلالة على هذا الشكل فى الأدب
الاجنبية بينما يستخدم كلمة "أقصوصة" للدلالة على
الشكل نفسه فى الأدب العربى . ويلتزم بذلك فى كل
كتابه .

بعد كل هذا يمكن القول بان اللغة الاصطلاحية فى مجال
النقد القصصى فى الوطن العربى لاتتميز بالدقة والتوحد
والشيوخ ، بل هى قريبة من اللغة التى يستخدمها
الناس فى حياتهم العامة من حيث ترادف الفاظها وتعدد
المدلولات التى يحملها اللفظ الاصطلاحى الواحد وذاتيتها
مما أدى الى غموض دلالات هذه اللغة وتمييعها .
ولاشك ان هذا كان نتيجة لمجموعة من الاسباب التى
يتعلق بعضها بالظروف العامة التى يعيشها الوطن العربى
وبعضها الآخر بظروف خاصة بمجال النقد القصصى ذاته .

من هذه الاسباب :

- ١ - ان الباحث فى المدلولات الاصطلاحية الخاصة بميدان النقد القمصى فى الوطن العربى يفاجأ بان معظم هذه المدلولات غربية الأصل وأنها ترتبط بحركة الفكر الاوروبى وتسير حسب تطوره العام ، فمن بين خمسمائة مصطلح اخرجتها من اكثر من مائة كتاب من كتب النقد القمصى فى الأدب العربى لم أعثر فيها الا على حوالى ثلاثين مصطلحا تحمل مضامين عربية الأصل .
- وذلك مثل مصطلحات " النادرة " و" القمصى " و" السيرة " و" المقامة " و" الشكل " و" المضمون " و" الحديث " و" المفارقة " و" الطرفة " و" السمر " و" المغازى " و" الحوار " .. وغيرها .
- ومن الملفت للنظر ان معظم هذه المصطلحات مصطلحات عربية قديمة وان ما استحدث من مضامين نقدية قمصية فى الساحة العربية فى العصر الحديث لا يعدو بضع تسميات محلية لا يرقى كثير منها الى درجة الاصطلاح العام وذلك مثل " جيل الستينيات " و" جيل السبعينات " و" المدرسة الحديثة " فى مصر ، و" الرواية البعثية " فى العراق ، و" الرواية الحربية " فى الجزائر .
- على ان بعض المصطلحات العربية القديمة التى بقيت حتى اليوم لا يتطلى بالتحديد والوضوح ، اذ أين الحد الذى يفصل بين " النادرة " و" الطرفة " و" السمر " و" الأحداث " الخ . وبعضها الآخر اصابه التحريف نتيجة لأن

المصطلح العربى القديم عندما استعمل فى العصر الحاضر
حمل دلالة غريبة الاصل بالاضافة الى دلالة القديمة
وذلك مثل مصطلحات :

"الشكل" و "الراوى" و "المضمون" و "المفارقة" و "الهجاء"
فكل من هذه المصطلحات له دالتان احدهما تقليدية
والاخرى حديثة وافدة . والمضامين النقدية العربية
الاصلية التى لم يصبها هذا الداء أصابها داء آخر
وهو التعبير عنها بلفظ اخر مع وجود اللفظ الأصلى
مما نشأ عنه تعدد الألفاظ الدالة على مدلول واحد
وذلك مثل حديث الانسان الى نفسه فى الأدب ، فقد كان
النقاد يطلقون على هذه الظاهرة لفظ " التجريد "
ثم اصبح اللفظ الشائع الذى يدل عليها الان منقولا من
الفرنسية "متولوج" او مترجما "حديث النفس" على الرغم
من انزواء اللفظ العربى الاول داخل الكتب التقليدية
فى مجال الشعر .

هذه التبعية التى يعيشها الفكر العربى فى مجال النقد
القمصى كانت من أبرز الاسباب التى أدت الى اضطراب
المصطلح فى هذا المجال . ذلك لأن المصطلحات فى الوطن
العربى لم تنشأ نشأة طبيعية تلائم حاجة الابداع
الأبى للادباء العرب ، بل ان كثيرا من المفاهيم
النقدية التى ادخلت الى الساحة العربية جاءت

جاهزة قبل أن تنشأ الاعمال الأدبية التي تنطبق عليها ،
مما جعل قضية المصقلح في الوطن العربي تبدو قضية
ترجمة وتعريب في المحل الاول . والدليل على ذلك أن
النقاد الذين حرصوا على تحديد مايقصدونه ———
المصطلحات التي يستخدمونها وجعلوا لها ثبوتا في ثنايا
كتبهم — أو في ذيلها — اكتفى أكثرهم بوضع المقابل
الاجنبى ازا ، مايقترحه . من الفاظ عربية مثلما فعل
مصمود الربيعى في كتابه " نقد الشعر " ودرينى خشبة فى
كتابيه " علم المسرحية " وفى " الملهاة بين المسرحية
والقصة " ونجيب فايق اندراوس فى كتابه " المدخل
فى النقد الأدبى " وفسر الباقون مصطلحاتهم تفسيراً مستقى
من المراجع الغربية . والذين لم يفسروا المصطلحات
الوافدة اطلقوها على ظواهر عربية لاتنطبق عليها
فارتبط مدلولها بها ايضا ، لكن النقاد العرب لسم
يترجموا عن لغة واحدة ولم ينتهجوا منهجا واحدا فى
الترجمة فجاءت مصطلحاتهم كما رأينا فالمصطلح الواحد
قد يكون ذا مفهومين احدهما انجليزى والآخر فرنسى ،
له شكل منقول وآخر معرب وثالث يترجم المدلول الاصطلاحي
الاجنبى ورابع يترجم المدلول اللغوى بالاضافة الى
المدلول الاصطلاحي ، وانظر مثلا الى تعدد هذه الاشكال
الاصطلاحية التي أطلقها النقاد على مايسمى فى الفرنسية

"Monologue" وفي الانجليزية Soliloquy إذ

يطلقون عليه الكلمات الآتية :

منولوج - مناجاة - مألقة - حديث النفس - المــــــــــــــــــــــــــــــــوار
الذاتي - حوارات باطنية . فالأول نقل المصطلح الفرنسي
كما هو والثاني والثالث حاولا ترجمة المدلول الاصطلاحي ،
والرابع والخامس والسادس حاولوا ترجمة المدلــــــــــــــــــــــــــــــــول
الاصطلاحي والمدلول اللغوي معا فجاءت عباراتهم مكونة
من مقطعين كالمصطلحين السابقين الانجليزي والفرنسي ،
واصبح المصطلح له مفهوم غريب وعدة مفاهيم عربية .

٢ - ومن الاسباب التي زادت من اضطراب المصطلح القصــــــــــــــــــــــــــــــــص
في الوطن العربي تعدد البيئات الثقافية وطلاقة الحدود
المصنوعة بين الأقطار العربية ، ففي العراق والاردن ومصر
والسودان تسود الثقافة الانجليزية وفي سوريا ولبنان
والمغرب العربي تسود الثقافة الفرنسية ، وفي كــــــــــــــــــــــــــــــــل
قطر عربي تتعدد الثقافة السائدة حسب الاتجاه السياسي
السائد . مما جعل المصطلحات في المغرب العربي وفي
لبنان وسوريا تتخذ اتجاهها فرنسا ، وفي مــــــــــــــــــــــــــــــــر
والسودان والعراق تتخذ اتجاهها انجليزية . وفي كل
قطر يجتهد النقاد اجتهدا فرديا لنقل المفاهيم
الغربية فبعضهم ينقل وبعضهم يترجم وبعضهم يعرب ،
وكل ناقد يختار الكلمات العربية التي يحس هو أنها

تحمل دلالات المصطلح الاصلى فكثرت العبارات الدالّة
على مصطلح واحد وتعددت المفاهيم المؤداه بعبارة
واحدة "فالمقالة القصصية" عند ناقد فى مصر (ص ٥٢
د. سيد النساخ فى القصة القصيرة) يطلق عليها ناقد
من العراق (ص ٦٨ فاضل تامر الأعلام نيسان سنة ١٩٨٦)
لفظ مقاصات " وقصة المنولوج عند يوسف الشارونى
(ص ٢٦ القصة القصيرة) هى عند شجاع العانى من العراق
(ص ٢٢ الأعلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦) قصة تيار
النوعى " وهى عند مؤيد الطلال من العراق ايضا " قصة
الجدار الأصم " (ص ٨٤ مؤيد الطلال الواقعية الاجتماعية
فى القصة العراقية) . وسيزا قاسم تنقل كلمة *Motif*
الى العربية كما هى "موتيف" وتجمعها على موتيفات
أما رضا كحالة فى " الألفاظ المعربة الموضوعة " فيترجمها
بكلمة " الصيغة " ثم يأتى عباس العوينى من العراق
"الأعلام ص ١٤٢ عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦" فيجعل كلمة
" الصيغة " ترجمة لكلمة *Tenue* وسيزا قاسم فى مصر
تطلق كلمة " الثغرة " على الفترات الزمنية التى
يتركها الكاتب بين أجزاء روايته اعتمادا على تخیل
القارئ لها (ص ٣٥ ، ٢٦ ، ٥٤ ، ٦٤ بنا ، الرواية)
بينما يطلق محسن الموسوى على المصطلح نفسه كلمة
"الطفرة" (ص ٣٨ عصر الرواية) فى العراق .

وفى مصر يطلق محمود امين العالم عبارة " السرد
التقريرى المباشر " ص ٢٧ ثلاثية الرقص والهزيمة) بينما
يطلق شجاع العانى من العراق على المصطلح نفسه السرد
الافقى التقليدى) ص ٢٠ (الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦)
فى الوقت نفسه يطلق عليه علوط محمد من المغرب لفظ
" المكى الكرنولوجى " ص ٢١٨ الاقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦ .

٢ - ومن الأسباب التى أدت الى اضطراب مصطلحات النقد
القصى تلك الطريقة التى سار عليها تطور هــــــــ
المصطلحات فى الوطن العربى .
فقد ظهرت منذ بداية النهضة الأدبية الحديثة فى الوطن
العربى أشكال جديدة من القمص الغربى المترجم
أو المقتبس ، وبعث التراث القصى العربى من جديد
على صفحات المجلات والكتب ، وكتب كليون من الأدباء
والصحفيين قصصا يقلدون فيها القمص المترجم أو القصص
الموروثة ، فوجد النقاد انفسهم فى حاجة الى لغة وتصف
هذا الانتاج وتقومه . فاجتهد كل ناقد أو أديب اجتهدا
ذاتيا حسب ثقافته ورؤيته فمنهم من نقب عن المصطلح
العربى القديم ومنهم من عرب المصطلح الاجنبى ومنهم
من وصف مايريده بعبارة لغوية عامة ، فالمويللى الأب
مثلا يوتر لفظ " حديث " للدلالة على ماكتبه تحت
عنوان " حديث موسى بن عصام " وجاء ابنه بعده فاطلق

على قصته لفظ "حديث" ايضا ، ولفظ حديث من الكلمات
القرآنية الدالة على القمص ، وحافظ ابراهيم يقتضار
كلمة "ليالى" وبعض الكتاب الاخرين يطلقون كلمات
" القصة " و " الرواية " و " المسامرات " (راجع ص ٥١٢
المقتطف سنة ١٨٨٢) وكلها الفاظ عربية تدل على أشكال
قصصية متنوعة كالقصة الطويلة والقصة القصيرة ،
والمسرحيات وكتب السمر .

اما الشيخ محمد عبده فيطلق كلمة "رومانيات" على
هذا المدلول وهي كلمة معربة عن الفرنسية (راجع
يوسف نجم ص ٨٧ القصة فى الأدب العربى الحديث)
والمصطلحات التى استخدمها الأدباء والنقاد فى هذه
الفترة المبكرة كانت قليلة العدد تلائم الحركة
النقدية المتواضعة حينئذ . ومعظمها كان يعبر عن
الأنواع القصصية كالقصة الاجتماعية الاخلاقية والقصة التاريخية والقصص

الحبية ، أو يعبر عن المحتويات البارزة فى القصة
كالشخصيات والسرد والمعادنات تعبيراً عاماً غير محدد .
فكلمة رواية كانت تطلق على القصة الطويلة والقصيرة
وعلى المسرحية والتاريخ وكذلك كلمة " قصة " وكلمة
" رومانيات " ولم تكن هناك حدود فاصلة بين الدلالات
اللغوية للمصطلح والدلالة الاصطلاحية ولم يكن المصطلح
محدداً بل كان يؤدى معنى عاماً فاذا رغب احد النقاد

فى تحديد مدلوله أضاف اليه مجموعة من التوابع كأن
يقول " رواية تياترية " أو " رواية تمثيلية "
للدلالة على المسرحية (الضياء ١٥ ابريل ١٨٩٩) أو
رواية أدبية " أو " رواية حبية " (ص ١٢٥ المقتطف
السنة الثامنة سنة ١٨٨٢) أو غير ذلك .
ثم اخذت المفاهيم القصصية فى التطور والحركة حتى وصلت
الى ماهى عليه اليوم لكن هذه المفاهيم اتخذت شكلا
خاصا فى تطورها صبغ الحركة الاصطلاحية بطابع خاص ،
ذلك لأنها لم تتخذ شكل النمو الطبيعى الذى تتفرع فيه
المفاهيم الأصلية الى مفاهيم فرعية تكون اعم منها أو
أخص أو أكثر تحميلا أو تحديدا ، حسبما تتطلبه الحاجة
وحسب تطور الحركة الفكرية العامة فى الوطن العربى ،
وانما اتخذت شكل الدفعات السريعة الوافدة من الغرب ،
كل دفعة تأتى معها بمجموعة من المفاهيم التى تعدل
من المفاهيم التى كانت سائدة أو تمل محلها أو
تفسرها تفسيرا جديدا ، ولم يرهق المترجمون والنقل
أنفسهم فى تلمس اشكال امطلاصة جديدة ترتبط بالاشكـال
السابقة برباط منطقى يعطيها سمة الاستمرار والاتصال ،
بل استخدموا كثير من الالفاظ التى كانت ومازالـت
تستعمل للدلالة على مفاهيم نقدية مما جعل اللفظ
الواحد يحمل اكثر من مدلول . وذلك مثل مصطلح " القصة

الخيالية " الذى استخدمه حمدى حماد سنة ١٩١٠ (راجع ص ٦٦ سيد النساج - تطور القصة القصيرة فى مصر) ليجعله شكلا مضادا للقصة التى بمعنى العبر " أى التى تقص ما حدث من وقائع بالفعل . وظل هذا المصطلح يودى هذا المفهوم الى جوار مصطلحات اخرى .

وبعد فترة من الزمن وقد من الغرب تفسير جديد جعل القصة انواعا منها الواقعى ومنها غير الواقعى ، فالقصة الواقعية الطويلة التى يطلق عليها كلمة *NOVEL* ، أطلق عليها بعض النقاد كلمة " رواية " والقصة التى يطلق عليها كلمة *fiction* أطلق عليها هؤلاء النقاد كلمة " قصة خيالية " .

ثم جاء تيار البنائية بمصطلحاته فاستخدم نقلا عن المصطلحات البنائية عبارة " القصة الخيالية " استخدما خاصا لأنهم نقلوا تقسيم "توما شفيسكى" للقصة الى " مبنى حكاى " و " متن حكاى " ، وجعلوا عبارة " القصة الخيالية " شكلا اصطلاحيا يعبر عن مدلول هذا المبنى الحكائى " أو ما يقارب الحكاية المتخيلة داخل القصة (راجع ص ١٧ شجاع العائى الأقلام عدد ١١ ، ١٢/ ١٩٨٦) وهكذا أصبح اللفظ الواحد يحمل ثلاثة مدلولات ظلت كلها مستعملة بسبب قصر الفترة الزمنية التى جرى فيها هذا التغيير .

ومن الامثلة أيضا عبارة "تمثيلية" فقد كانت في أواخر القرن الماضي تطلق مقرونة بلفظ "رواية" للدلالة على المسرحية ، يقولون "رواية تمثيلية" راجع الضياء ، أبريل سنة ١٨٩٩ ، ثم تطور لفظ رواية وأصبح يدل على القصة النثرية عامة ثم على "القصة الواقعية الطويلة" فحسب ، وأصبح لفظ تمثيلية يدل على ما يطلق عليه الآن مسرحية ثم انفرد لفظ تمثيلية بعد ظهور الاذاعة للدلالة على الشكل القصصى التمثيلى الاذاعى ثم جاء تيار البنائية فجعل لفظ "تمثيلية" يحمل معنى جديدا ارتبط بما أسماه الشكليون الروس بـ "السرد المشهدى" وذلك بأن يدع الراوى الشخصيات تتكلم ويقتصر عمله هو على التعليق الذى يعلق به على الحوار أى أن عمل الراوى يقتصر فى التمثيلية على الاشارات المتصلة بالمشهد (راجع ص ١٢ شجاع العانى الأقلام عدد ١١ ، ١٢ سنة ١٩٨٦)

ومن الامثلة أيضا - عبارة "القصة الصغيرة" التى أطلقها العقاد على الأقصوصة او القصة القصيرة *short story* ثم جاء البنائيون فجعلوا عبارة "القصة الصغيرة مرادفا لما سموه "الأرصاد" وهو قصة صغيرة داخل القصة النرجسية (راج ص ١٢٩ ، ١٣٠ شجاع العانى الأقلام نيسان سنة ١٩٨٦) وهناك امثلة كثيرة من الأشكال

الاصطلاحية التى كانت تستخدم للتعبير عن مفهوم او اكثر
ثم جاء نقلة الخمسينيات او نقلة السبعينيات فحملوها
مفاهيم جديدة مثل "الوصف" و "السرد" و "الراوي" و
"المتلقى" وغيرها .

ومما شارك فى اضطراب المصطلحات القومية وتعدد
دلالاتها ان اكثر هذه المصطلحات ليست خاصة
بالنقد القصصى بل هى مقترضة من ميادين اخرى مثل
الأشكال الأدبية عامة وذلك مثل مصطلحى "الشخصية"
و "الوعى" المقترضين من "علم النفس" ومثل مصطلح
"القدر" و "الصدفة" المقترضين من الفلسفة ومصطلح
"الحبكة" و "الذروة" المقترضين من النقد المسرحى
ومصطلحات الشكل والمضمون " و "الأسلوب" التى تشمل
النقد الأدبى بعامة .

كل هذه الأسباب بالاضافة الى ولع بعض النقاد باستخدام
الاساليب الادبية البيانية فى لغة النقد ادى الى
ماأشرنا اليه سابقا من اصابة المصطلحات القومية
بالاضطراب والغموض . ولامخرج من هذه الأزمة التى
تعانيها لغة النقد القصصى فى الوطن العربى الا
بالجهود التى تعمل على توحيد هذه المصطلحات وتنظيمها
بأسلوب علمى يتمشى مع التقدم الذى أحرزته دراسات
المصطلحات وتبويبها وتحديد مفاهيمها ، وهذا ما نطمح
فى انجازه ان شاء الله .

أهم المصادر والمراجع

- ١ - د. إبراهيم انيس "دلالة الالفاظ" ط الانجلو المصرية
سنة ١٩٨٠.
- ٢ - ادوار طليم (ترجمة) "الملهات فى المسرحية والقصة"
" تأليف ج. يوتس مراجعة درينى خشبة ط الـدار
المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥ .
- ٣ - د. انجيل بطرس سمان "بين الروائى والرواية" ط.
الانجلو المصرية سنة ١٩٧٢ .
- ٤ - درينى خشبة (ترجمة) "عالم المسردية" تأليف ألدس
نيكول مراجعة على فهمى ط . مكتبة الآداب د.ت .
- ٥ - السعيد الورقى "اتجاهات الرواية العربية المعاصرة"
ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ .
- ٦ - سيد قطب "النقد الأدبى أصوله ومناهجه" ط دار الشروق
سنة ١٩٨٢ .
- ٧ - د. سيد النساج "تطور فن القصة القصيرة فى مصر"
ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ .
- ٨ - د. سيزا احمد قاسم "بناؤ الرواية" ط الهيئة المصرية
العامة للكتاب سنة ١٩٨٤ .
- ٩ - صفوت عزيز (ترجمة) "الرواية الانجليزية" تأليف والتر
الين مراجعة د. مرسى سعد الدين ط الهيئة المصرية
العامة للكتاب الالف كتاب الثانى رقم ٨ سنة ١٩٨٦ .

- ١٠ - د. عبد المحسن طه بدر "تطور الرواية العربية الحديثة في مصر" ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ .
- ١١ - د. عز الدين اسماعيل "الأدب وفنونه" ط دار النشر المصرية سنة ١٩٥٥ .
- ١٢ - د. على الراعى "دراسات في الرواية المصرية" الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ .
- ١٣ - د. على شلش "في عالم القصة" ط دار الشعب سنة ١٩٧٨ .
- ١٤ - على بن محمد بن على الشريف الجرجاني "التعريفات" ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- ١٥ - على القاسمى "مقدمة في علم المصطلح" الموسوعة المصغرة رقم ١٦٩ سنة ١٩٨٥ وزارة الثقافة والاعلام بالعراق .
- ١٦ - عمر رضا كحالة "الالفاظ المعربة والموضوعة الواردة في العشر الثالثة ١٩٤٦ - ١٩٥٥ مطبوعات المجمع العربى سنة ١٩٦٢ .
- ١٧ - فاروق خورشيد "في الرواية العربية - عصر التجميع" مطبوعات الجمعية الادبية المصرية" د.ت
- ١٨ - ف. فاطمة موسى "بين أدبين" ط الانجلو المصرية ١٩٦٥ .
- ١٩ - فتمى الابيارى "عالم تيمور القصص" ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

- ٢٠ - فؤادة دواره " فى الرواية المصرية " ط دار الكاتب العربى ١٩٦٨ .
- ٢١ - كمال عياد ترجمة " اركان القصة " - " فورستر " الأليف كتاب رقم ٢٠٦ سنة ١٩٦٠ ط دار الكرنك .
- ٢٢ - د. مجدى وهبة " معجم المصطلحات العربية فى اللغة والادب " ط دار المعارف .
- ٢٣ - محمد جبريل " مصر فى قمص كتابها المعاصرين " ط الهيئة المصرية العامة للكتاب " سنة ١٩٧٢ .
- ٢٤ - د. محمد رشاد الحمزاوى " المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها " ط دار الغرب الاسلامى بيروت ط أولى ١٩٨٦ .
- ٢٥ - محمد غلاب " الحركة الروائية فى أوروبا " سلسلة كتب ثقافية رقم ٤٩ مايو سنة ١٩٦٠ .
- ٢٦ - د. محمد مندور " الأدب ومذاهبه " ط دار نهضة مصر .
- ٢٧ - محمود امين العالم " تأملات فى عالم نجيب محفوظ " ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ .
- ٢٨ - محمود امين العالم " ثلاثية الرفض والهزيمة ط دار المستقبل العربى سنة ١٩٨٥ .
- ٢٩ - محمود تيمور " دراسات فى القصة والمسرح " ط وزارة التربية والتعليم د.ت .
- ٣٠ - د. محمد الربيعى " قراءة الرواية " ط دار المعارف سنة ١٩٧٤ .
- ٣١ - مؤيد الطلال " الواقعية الاجتماعية النقدية فى القصة العراقية " ط دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢ .

- ٤٤ - مجلة اللسان العربى .
- ٤٥ - المقتطف منذ ١٨٧٦م حتى ١٨٨٩ .
- ٤٦ - الهلال منذ انشائها حتى سنة ١٩٣٧ .
- ٤٧ - الرسالة سنة ١٩٤١م .
- ٤٨ - الضياء سنة ١٨٩٩م .
- ٤٩ - البيان يناير سنة ١٩١٩ .
- ٥٠ - فصول : المجلد الثانى العدد الثانى ، المجلد
الثانى العدد الرابع .
- ٥١ - الاقلام عدد سنة ١٩٨٦ ، العددان ١١ ، ١٢ تشريـــــــــــــــــح
الثانى ، كانون الأول سنة ١٩٨٦م العدد العاشر
السنة العشرون سنة ١٩٨٥ ، السنة الحادية والعشرون
كانون الثانى سنة ١٩٨٦ ، العدد الرابع نيســــــــــــــــان
سنة ١٩٨٦م .
- ٥٢ - ابداع (الابداع الروائى عدد خاص يناير سنة ١٩٨٥)
(مارس ١٩٨٤) (يناير سنة ١٩٨٦) .
- ٥٣ - الكاتب . اكتوبر سنة ١٩٧٦ .
- ٥٤ - عالم الفكر المجلد السابع عشر العدد الاول سنة ١٩٨٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذو النون إمام التصوف المصرى فى عصره

تمهيد : يعد ذو النون المصرى من أئمة التصوف الكبار فى القرن الثالث الهجرى وهذا يتضح بجلالة من كتب التراجم والطبقات ^(١) التى تناولت سيرته والتى تجتمع

(١) التراجم التى كتبت عن ذو النون

الكلباوى : المتوفى ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م . التعرف لمذهب أهل التصوف تحقيق :
د . عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور ص ٢٨ القاهرة ١٩٦٠م - ابوطالب
المكى المتوفى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٧ م . قوت القلوب . القاهرة ١٣٥١ هـ -
١٩٣٢ م - عبدالرحمن السلمى المتوفى ٤١٢ هـ / ١٠٢٣ م ص ٨ القاهرة ١٩٤٥
القشبرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ / ١١٧٦ م . الرسالة تحقيق -
د . عبدالحليم محمود ومحمود الشريف ج ١ ص ٦٧ - الغزالى المتوفى سنة
٥٠٥ هـ / ١١١١م احياء علوم الدين ج ٤ جاء به أقوال متفرقة فى مذهب
ذو النون الصوفى تحقيق د . بدوى طبانه القاهرة ١٣٣٤ هـ - محيى الدين بن
عربى المتوفى ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى
مخطوط برأى أحمد الثالث (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٠ ورقة توجد منه نسخة مصورة
بمعهد المخطوطات - القاهرة تحمل رقم ٤٢١ تاريخ - وقد قمت بتصويره
والاحتفاظ به وقد جاء به تفصيلات عن سيرة ذى النور ومذهبه الصوفى ومكانه
فى عصره - أبوبكر السيوطى المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م - السر المكنون فى
مناقب ذى النون مخطوط مكون من ٩٦ ورقة - مكتبة باريس ٢٠٤٣ بعنوان
المكنون فى مناقب ذى النون - فجد (٤٤٤١) - كشتريبتى (٤٨٦٥) - ضمن
مجموعة الأوراق من ١ : ٧٨ . نسخ عام عام ١١١٤ هـ - لم استطع الحصول
عليه نظرا لوجوده فى مكتبات خارج القطر .

- قمة العباس بن حمزه النيسابورى المتوفى ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م مع ذى النون
المصرى . قد أملاه ذو النون على العباس بن حمزه ويرويه ابى بكر أحمد بن
الحسن البيهقى المتوفى ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م توجد منه نسخة بمكتبة ليبىزج
بألمانيا الشرقية تحمل رقم ٧٨٥ / ٤ (من ٥٩ ب - ٧١ ب) ولم يتيسر لى
الاطلاع عليه نظراً لعدم امكانية تصويرها لوجودها خارج القطر - مقام ذى النون
بين الملوك فى كتاب (مكارم الأخلاق مجهول المؤلف يوجد بمكتبة البنغال
مخطوط فى خمس ورقات . ولم اتمكن من الاطلاع عليه . عبد الوهاب الشعرانى
المتوفى فى ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م الطبقات الكبرى ج ١ تحقيق عبدالقادر احمد
عطا القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م - عبدالرؤوف المناوى - الكواكب الدرية فى

على أنه كان صوفيا كاملا متمتعا بمكانة مرموقة بين معاصريه من العلماء
والمؤلفين في العالم الاسلامي عامة وفي مصر خاصة . فقد كان له دوره الرائد في
إرساء أسس التصوف السني النظري ، وتوضيح معالم الطريق إلى الله ورسم معالمه
وآدابه . فله حديث طريف عن النفس الإنسانية ومجاهداتها عن طريق الرياضيات
العملية كالذكر والسماع والعزلة والخلو والحج والصمت وغيرها .

= في مناقب السادة الصوفيقي ٢٣٢ القاهرة سنة ١٩٢٨ الزركلي الأعلام ص ٨٨
الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م - ابن العماد الحنبلي . شذرات
الذهب ص ١٧ مكتبة القدس القاهرة سنة ١٣٥٠ م اسماعيل البغدادي : هدية
العارفين ص ٢٤٩ استانبول سنة ١٩٥١ م ابن النديم الفهرست ص ٥١٧ ابونعيم
الأصبهاني حلية الأولياء ج ٩ عشرة صفحات متفرقة - ابن خلكان وفيات الاعيان
ج ١ ص ١٢٦ البستاني دائرة المعارف ج ٨ ص ١٤٥ بيروت - الخطيب
تاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٢ - التهذيب لبن عساكر ج ٥ ص ٢٧١ - القفطي :
تاريخ الحكماء ص ١٨٥ - ابن حجر : لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٧ - اليافعي
مرآة الجنان ج ٢ ص ١٢٩ - فؤاد سزكين - تاريخ التراث العربي ج ٢ ص ٤٤٤
نقله إلى العربية د . فهمي أبو الفضل و د . محمد حجازي - الهجویری
كشف المحجوب - ترجمة نيكلسون ص ١٠٠ - جلال الدين الرومي المثنوى -
ترجمة س . أ . ولسون ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٨ لندن ١٩١٠

Carl Berockelmen: Geschichte Der Arabischen Littera-
ture. I. 353.

Louis Massignon: Essai Sur les Origines Du Lexique
technique de la mystique musulmane, Paris 1922.

نيكلسون : الصوفية في الإسلام - القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م ترجمة نورالدين
شريبه . نيكلسون في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٣٩ القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م

والرياضيات الروحية والتحقيق بمقامات السلوك الصوفى كالتوبة والصدق والإخلاص والرضا والمحاسبة والمراقبة • والزهد واليقين • والخوف والرجاء وغيرها من المقامات والأحوال كالأنس والفناء وغيرها والتي كان له السبق فى تناولها بالتحليل والتفصيل مبينا أن المتحقق بها تصفو نفسه وتتطهر سريرته وتسمو أخلاقه وينتهي قلبه لتلقى المعرفة الذوقية الشهودية •

ولا ريب أن القارئ لمذهب ذى النون الصوفى يستطيع أن يلمس بوضوح الجهد الذى ساهم به فى جعل التصوف الإسلامى مذهباً تربوياً يهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها تربية دينية معمقة لتزكية جانب الخير فيها وتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى يغلب فيها الخير وتتبدل صفاتها الذميمة بصفات حميدة وحتى تهذب أخلاقه وترق مشاعره ويصفو قلبه وتطمئن نفسه ويتأدب بآداب الشرع ويصير صوفياً كاملاً متحققاً بالكمال الأخلاقى متقرباً إلى الله محباً له مطيعاً لأوامره شاكراً نعمه رافياً بقضائه مخلاً فى عبادته • متوكلاً عليه • ذاكراً له متوجهاً إليه وحده زاهداً فيما سواه متهيئاً للاتصال الروحى به والمثول فى حضرته متلقى المعارف التى يفيضها على قلبه من لدنه تعالى دون واسطة من حس أو عقل •

وقد أوضح ذو النون طريقين للمعرفة بالله التى آفاض الحديث عنها مبيناً مناهجها وأدواتها ودرجاتها وطرق المجاهدة والرياضات التى يأخذ بها الصوفى نفسه حتى تضعف بشريته وتقوى روحانيته ويسير اهلاً لتقبل المعرفة الذوقية عن الله وهذا الطريق يكون عن تعمد وإرادة من السالكين • أما الطريق الثانى فهو طريق الإهمتين أو المجذوبين الذى يصفىهم ربهم ويكشف لهم عن وجوده ابتداءً فيطلعهم على معرفته تعالى دون تعمد منهم ولا إجتهد ثم بعد أن يتحققوا بمعرفة الله تعالى يأخذون أنفسهم بالمجاهدات والرياضات لتهذيبها ليكونوا اهلاً لتلك المعرفة وهذا ما سيأتى الحديث عن تفصيلاً فى تناولنا للمعرفة عند شيخنا المصرى •

والدارس لمذهب ذي النون الموف وتظريته في المعرفة والمحبة والزهد يتبين أنه
أضاف الكثير إلى أقوال زهاد القرنين الأوليين للهجرة كالحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ /
٢٢١ م ورابعة العدوية سلطنة العشق الإلهي المتوفاة سنة ١٨٥ هـ / ٨٠١ م ومعروف الكرخي
المتوفى سنة ٢٠٠ هـ / ٨١١ م وغيرهم من الزهاد الأوائل الذين وردت أقوالهم في كتب الطبقات
الموفية كالرسالة القشيرية واللمع للطوسي وغيرها . وكانت رابعة العدوية قد مهدت طريق
المحبة بما تغنت به في مذهبها في الحب الإلهي شهرا ونثرا مما أفاد منه من جاء بعدها
وتأثر به ذو النون وغيره من الموفية .

(١) ويقول نيكلسون والمرحوم الدكتور محمد محطفي حلمي^(٢) أنه ظهر عند ذي النون
الخصائص التيوزوفية للتصوف في صورتها الأولى . أما فؤاد سزكين فيقول " يقوم اتجـلـه
الأساسي في التصوف على الغنومية Gnosticism^(٤) ولكنه ظل في إطار أهل السنة ، وأنه
تعرض بسبب آرائه الموفية لهجوم المالكية وهجوم المؤرخ عبد الله بن عبد الحكم كما هاجمته
المعتزلة لقوله بقدم القرآن^(٥) .

(١) نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٣٩

(٢) د . محمد محطفي حلمي : الحياة الروحية في الإسلام ص ١٠٤ .

(٣) التصوف التيوزوفي هو التصوف الإشراقي الذي يدور المذهب الرئيسي فيه على اتحاد
العبد بالرب .

(٤) الغنوص Gnosis في أساسه معرفة أشياء دينية تسمو على مستوى عامة المؤمنين
أو على مستوى العقيدة الرسمية والغنومية مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين
ويقوم على أساس فكرة الصادر ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض ويشمل على طائفة
المضمون بها على غير أهلها وفيه تلتقي الأفكار القبلية بالأفلاطونية الحديثة وبعض
التعاليم الشرقية كالمزدكية والمانوية . وكان له أثره في التفكير الفلسفي في المسيحية
والإسلام انظر د . ابراهيم مذكور المعجم الفلسفي ص ١٢٣ .

(٤) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٥) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٠٤ .

وقد يكون ما حملهم على هذا القول ما جاء على لسان ذى النون من عبارات قليلة استطاعوا ان يستشفوا منها ذلك مثل قوله : " معاشر العارف كمعارشة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقاً باخلاق الله " ^(١) ففي هذه العبارة يذهب ذو النون الى ان العارف بالله حسن العشرة لأنه يتخلق باخلاق الله ولذا فهو يتشبه به تعالى في تحمله وصبره على الناس والصفح عنهم على قدر إمكانه . وصوفينا يعرف تماماً ان القياس بين العارف والله تعالى مع الفارق الشديد . فالله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا مثيل . غير أن تلك العبارات ، التي لا يجب على من يسمعها أخذها على ظاهرها ، إعتبرها من كتبوا عن ذى النون صورة أولى للخطوف التيزوفى الذى ظهر بوضوح لدى البطانى المتوفى سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٥ م) والذى كان معاصراً لذى النون وكان على صلة به . وهو صاحب نظرية الغناء التى أدت إلى القول بنظرية الاتحاد .

ولما كان صوفينا أول من تكلم علانية فى التعاليم الصوفية ^(٢) كما كان أول من فسّر إشارات الصوفية وتكلم فى الطريق ^(٣) وقال عنه إبو المحاسن ^(٤) أنه أول من تكلم فى مصر فى الأحوال ومقامات أهل الولاية . وكان أهل مصر فى زمانهم لم يكن لهم بمثل ما إشتغل به من

(١) محبى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى - مخطوط بمعهـد المخطوطات يحمل رقم ٤٢١ تاريخ ل ٤١ .

(٢) ورد فى كتاب نفحات الأنس وفى الكتاب الثانى من مثنوى جلال الدين الرومى قصة طويلة تشير الى الشكوك التى ولدها مذهب ذى النون وكيف كان ينظر اليه على أنه مجنون

(٣) نفحات الأنس ص ٢٦ وما بعدها - دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٤١٩ مقاله د . محمد محطفى حلمى عن ذى النون .

(٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٥٣ .

علوم الصوفية سابق عهد أو كانوا - على حد تعبير المرحوم الدكتور مصطفى حلمي - عيسى أقل تقدير عند أول عهدهم بمثله ، الامر الذي ترتب عليه أن ثاروا عليه ونسبوه الى الزندقة .

ويذكر السيوطي أن أهل مصر قد أنكروا على ذى النون وقالوا أنه أحدث علما لم تتكلم فيه الصحابة ، هذا بالإضافة الى أن بعض فقهاء مصر فى ذلك الوقت ، واهل الحديث بحفة عامة وفقهاء أخميم بلدته بصفة خاصة قد تعصبوا ضده ^(١) وكان ذو النون على خلاف معهم بسبب هجومه عليهم فهو يرى أن أهل الفقه والحديث لولا أن دخل عليهم نقص لكانوا أفضل الناس وهذا النقص الذى أشار إليه يتمثل فى أنه يرى أن هؤلاء العلماء يخضعون للمخلوقين دون الخالق ويدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق ^(٢) وربما يرجع تعصب أهل الفقه والحديث ضد شيخنا الى غيرتهم منه ومن مكانته العلمية بين علماء عصره مما جعلهم ينسبون اليه الكفر والزندقة مثل أواليزيد البسطاني (المتوفى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٢ م) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٢ هـ / ٨٤٣ م) ومحيى الدين ابن عربى (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) وغيرهم . فهو فى عداد الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة وهذا ما سيتضح لنا بجلء عند عرض مذهبه الصوفى فهو يحرص دائما على تأكيد ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ، وقد شهد له الخليفة المتوكل العباسى بذلك عندما التقى به ببغداد .

والحقيقة أن الالتزام بالكتاب والسنة هى سمه التصوف المصرى على مر التاريخ الإسلامى وقد كان لحذهب ذى النون الصوفى تأثير واضح فيمن عاصره من الصوفيه وفيمن جاء بعده منهم . فقد تأثر به سهل ابن عبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٤ م) وابو

(١) يذكر د . مصطفى حلمي فى دائرة المعارف ج ٤ ص ٤١٩ أن فقهاء اخميم ركبوا مركبا ذاهبين إلى سلطان مصر ليشهدوا بكفر ذى النون فانقلب بهم الزورق والناس ينظرون أنظر أيضا المناوى - الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) الشعرانى الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٩ .

تراب النخشي (المتوفى ٢٤٥ هـ / ٨٥٦ م) وأبو عبد الله بن الجلاء الذي كان من أكابر مشايخ الشام وصحبه وهو بغدادى الأصل وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز (المتوفى عام ٢٧٧ هـ / ٨٨٨ م) وهو من أصحاب ذى النون أيضا إحق بن ابراهيم السرخسى (المتوفى ٢٩١ هـ / ٨٠٢ م) والذى روى بعض أقوال ذى النون وأبو يعقوب يوسف بن الحسين السمراسى (المتوفى ٣٠٤ هـ / ٩١٥ م) وقد صحب ذى النون وكذلك كان لأصحاب ذى النون أيضا تأثيراً عليه فى حياته وفى مذهبه (١) . كما يظهر تأثير ذى النون لدى الجنيد البغدادي (المتوفى سنة ٢٩٧ هـ / ٣٠٨ م) والغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) وغيرهم من الموفية اللاحقين عليه ويقول السلمي أن الكل أخذ عنه وتأثر به .

سيرته وممنفاته :

- ١ - إسمه : جاء بكتب التراجم أن إسمه ثوبان بن ابراهيم (٢) وقيل الفيض بن احمد (٣)
- ٢ - لقبه : يلقب بذى النون (*) المصرى (٤) وقيل أنه سمى ذو النون لأنه أخرج طفلاً كان تماحاً فى النيل كان قد ابتلعه فلما رأى فزع أمه عليه طلب من النيل إخراجه التماسح وشق بطنه وأخرج الطفل سليماً فسمى بذى النون تشبهاً ببيدنا يونس عليه السلام عليه السلام الذى سمى بذى النون لقمته المعروفة مع الحوت فقد كان لموفينا قمة مع التماسح تشبه قمة يونس مع الحوت .

٣ - كنيته : يكنى أبو الفيض .

- (١) أنظر وفيات الأعيان لابن خليكاف ج ١ ص ٢٨١ .
- (٢) أنظر كتب التراجم السابقة ص ١ و ٢ من هذا البحث .
- (٣) محيى الدين بن عربى : الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى ورقة ٤ .
- (*) هناك من يطلق عليه أسم ذو النون مثل إسماعيل بن الطاهر بن عبد الرحمن بن ذى النون وهو من قبائل هواره ورأس سلفه من الدولة المارونية وكانت رياسته فى شتيرة ثم تغلب على حمن افلنتين ارمان . فتنة الاموية هناك سنة ٤٠٩ هـ - أنظر دائرة المعارف للبستاي ج ٨ ص ١٤٥ .
- (٤) أنظر كتب التراجم السابقة .

٤ - تاريخ مولده : تكرم أستاذنا الدكتور المرحوم محمد مصطفى حلمى فى تعليقه على مادة
 ذى النون بدائرة المعارف الإسلامية ^(١) وأشار الى أنه لا يكاد يذكر أحد من المؤرخين
 والمترجمين شيئا عن التاريخ الذى كان فيه مولد ذلك الصوفى . كما ذكر أن السيوطى فى
 ترجمته لحياة ذى النون ذكر أن عمره قد قارب التسعين ^(٢) واستطاع أن يستخلص من معرفة
 تاريخ وفاته ٢٤٥ هـ أنه ولد حوالى سنة ١٥٥ هـ . غير أنى وقعت على تاريخ مولده مذكورا فى
 " تاريخ التراث العربى " لفؤاد سزكين الذى قال أنه ولد سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٧ م ^(٣)

٥ - بيئته الخاصة :

ولد ذى النون من أبوين نوبيين فى قرية أخميم فى صعيد مصر وكان أبوه مولى لاسحق بن
 محمد الانصارى القرشى وله ثلاثة أخوة ذكور هم : ذو الكفل . وعبد البارى . وعبد الخالق .
 وكان ذو النون نحيفا تعلوه حمرة وكانت له لحيه ليست بيضاء الشعر . أولع منذ صغره
 بطلب العلم وحفظ القرآن كما درس الفقه والحديث والفلسفة والكيمياء القديمة والطب
 وكان ذو النون شاعرا ومحدثا وكان شقران العابد أستاذا له وشيخه فى الطريق . كما كان
 استاذًا آخرًا يدعى إسراقيـل . وقد ذكر ذلك السراجى الطوسى فى كتابه اللمع وله استاذه
 تدعى فاطمة النياپورية سيأتى الحديث عنها بعد .

وقد ألم النون بكل أنواع العلوم والمعرفة التى سادت فى عصره . وجاء فى دائرة المعارف
 أنه كان مالحا زاهدا عابدا ومن أولياء الله المشهورين واحد أصحاب الطرق وأكملها فى
 زمانه وكان متفردا فى العلم والورع والأدب والحكمة والفصاحة وكان صاحب كرامات .

(١) د . محمد مصطفى حلمى : تعليق على مادة ذى النون - دائرة المعارف الإسلامية

ج ٤ ص ٤١١ .

(٢) ج ٤ ص ٤١١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤١٢ . وانظر السيوطى - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) ذكر هذا التاريخ أيضا د . أسامه كامل حسن فى رسالته عن ذى النون المصرى وتوصفه

ص ٢ - رسالة ماجستير تحت اشراف الدكتور ابوالفا التفازانى .

وكان ذو النون مولعا بالأولياء والمشايخ وكانت لهم بهم صلات قوية ومن أصحابه محمد به على الحافظ الصوفى والذى التقى به فى الاسكندرية وابو عبد الله بن الجلاء الذى قال عن ذى النون : " لقيت ست مائة شيخ مالقيت فيهم مائة أربعة : ذو النون ، وأبى تراب النخسى وأبى عبيد اليرى و أبى " (أبى والده)^(١) . ومن أصحابه أيضا يوسف بن الحسن شيخ اليرى وأبى سعيد الخراط من أهل بغداد المتوفى سنة ٢٧٧ هـ / ٨٨٨ م ومحمد بن طهيل التستوى (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٦ م) وغيرهم .

وتد ترك ذى النون قريته الى القاهرة التى تشير اليها كتب التراجم باسم (مصر) وكانت تسمى (البسطاط) وقد روى عبد الرؤوف المناوى سبب تركه لقريته فى " الكواكب الدرية " قائلا : " إن ذا النون سمع ذات يوم من أيام إقامته باخميم صوت لهو ودفاف . فقال : ما هذا ؟ قيل : عرس . ثم سمع بجانبه بكاء وصياحا . فقال : ما هذا ؟ قيل فلان مات . قال أعطى هؤلاء فما شكروا وابتلى هؤلاء فما صبروا . الله على إن بيت بهذا البلد فخرج فورا الى مصر فقطنها^(٢) .

وهذا التصرف منه يدل دلالة واضحة على أنه كان انسانا متزنا متدينا فى شبابه بحكم نشأته فى بيت صالح وبيئة اسلامية . غير أنه لم يكن متجها لسلوك طريق الصوفية حتى ينشأ أن اجتنبه الله واطلعه على معرفته سبحانه معرفة قلبيه ذوقيه . فكان ذلك دافعا قويا له لسلوك طريق القوم . فبدأ بالتوبة وجاهد نفسه حتى صار صوفيا كاملا . قال تعالى : الله يجتنبى إليه من يشاء . ويهذى اليه من ينيب " (س الشورى آية ١٢) فالطريق الصوفى إما أن يبدأ بمجاهدة النفس والتحقيق بالرياضات الروحية وامتناع الرياضات العملية حتى تسمو

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ١١٤ . ماقله للدكتور مصطفى حلمى عن ذى النون .

(٢) ج ١ ص ٢٢٢ .

النفس ويمضى القلب ويتحقق السالك بالكمال الأخلاقى ويميل الى التحقق بالمعرفة الذوقية القلبية . وهذا هو الطريق الصاعد . واما أن يبدأ بالمعرفة فيجذبه الله ويطلعه على معرفه ذاته العلية من لدنه تعالى دون تعمد منهم أو اكتساب أو اجتهاد ثم بعد ذلك يسلك طريق المجاهدة وينير من سلوكه ويتحقق بالمقامات والاحوال الصوفية . وهذا هو الطريق الهابط (١)

ويروى شيخنا قمة توبته قائلا : " خرجت من محر إلى بعض القرى فتمت في الطريق . ثم انتبهت وفتحت عيني فإذا انا بقنبرة (أى طائر) عمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة ، وفى إحداهما سمم وبالأخرى ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه . فقلت حبيبى !! تبت . ولزمت الباب إلى أن قبلنى " (٢)

فبعد أن رأى ذى النون بعينى رأسه هذا المشهد الذى أطلعه عليه الله كى يجتبيه عرف ربه حق المعرفة وتحقق باليقين الكامل وامتلأ قلبه بنور المعرفة الذوقية اليقينية . وبذلك يكون قد سلك الطريق الهابط الذى يبدأ بالمعرفة الالهية ثم ينتهى بالمجاهدة ومنذ تلك اللحظة صار ذو النون فى الطريق الصوفى وسلوكه كما سبق أن ذكرنا على يد شيخه شقران العابد ويقول ذو النون : " كنت شابا صاحب لهو ولعب ثم أنى تبت وتركت ذلك كله " (٣) وهو

يعنى باللهو واللعب قياما على حياة الزهد والتعب الذى عاشها بعد ذلك كما ذكر محيى الدين بن عربى فى الكوكب الدرى، أن له أستاذة تدعى فاطمة النيسابورية (المتوفاة سنة ٢٢٣ هـ / ٨٢٤ م) التى قال عنها ذو النون : أنها ولية من أولياء الله وهى أستاذتى وقد تكلمت فى المدق والاخلاص والاحسان وقال لها ذو النون عظيمى فقالت له الزم المدق وجاهد

(١) د. د. التفزازانى - ابن عطاء الله السكندرى وتصفه ط ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) محيى الدين بن عربى : الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى ل ١٠

(٣) المرجع السابق نفس اللوحة .

نفسك في أفعالك " وكان قد التقى بها في مكة المكرمة وأخذ عنها وتكلم معها في مقامات أهل الولاية ^(١) . ولا شك أن ذي النون قد تعلم منها وأستفاد حتى أنه قال عنها " وهى أستاذتى " .

ويروى محيى الدين ابن عربى ان صوفينا كان أول من تكلم فى طريقة الصوفية وبرع وسما على المجتهدين فى العبادة ففتح عليه الله فى المعرفة . وظهر عنه فى العلم ما لم تبلغه أفهام أهل وقته فسموه زنديقا . وبعثوا به الى أمير المؤمنين المتوكل العباسى وكان ذلك سنة أربع وأربعين ومائتين ^(٢) .

وقال عنه أبو الفلاح بن العماد ^(٣) : " كان له فصحة وحكمة وشعر وهو أول من تكلم فى مصر فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فانكر عليه فقهاء المالكية ، وعبد الله بن الحكم - وهو كما جاء فى كتاب (تاريخ التراث العربى) ^(٤) مؤرخا - ووشوا به الى المتوكل الذى اتهمه بالزندقة فاستحضره من مصر الى بغداد مقيدا . كما هاجمته المعتزلة لقوله ^(٥) بقدّم القرآن

قال ذو النون يروى هذه الحادثة : " لما حُملت الى بغداد رُمى بى مقيدا على باب السلطان فمرت بى امرأة زمنة (أى عجوز) قبل دخولى فقالت لى : إذا دخلت على المتوكل لاتهابه ولا تراه فوقك . ولا تحتج لنفسك ، محقا كنت ، أو متهما . لأنك إذا هبته سلطه الله عليك . وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالا . فإن كنت بريئا ، فادع الله ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك اليها ^(٦) وقد فعل ذو النون ما نصحت به العجوز .

(١) ل ١٢٢ ظ - ١٢٣ و .

(٢) محيى الدين بن عربى : الكوكب الدرى ل ١٢٣ .

(٣) شذرات الذهب ص ١٧ .

(٤) فؤاد سزكين ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٦) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى ل ١٢٢ .

ثم يروى ذو النون ما حدث منه بين الخليفة المتوكل قائلًا : " وعندما أدخلوني سلمت على الخليفة فقال لي : ماتقول فيما قيل فيك ؟ فسكت وقال وزيره : هو عندى حقيق بما قيل فيه . ثم قال لي (أى الخليفة) لم لاتكلم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، اذا قلت لا . أكذبت المسلمين فيما قالوا . وان قلت نعم كذبت على نفسى بشئ لا يعلمه الله تعالى منسى . فافعل ماترى ، اننى غير منتصر لنفسى ، فقال أمير المؤمنين : هذا رجل بريء مما قيل فيه (١)

وقد طلب الخليفة من ذى النون ان يعظه فقال له : " يا أمير المؤمنين ، رجل يعلم ان الله خلقه وخلق الجنة من أجله ان طاعه وخلق النار من أجله ان عصاه ، لا يكون على مثل ماروميت به من البدعة ، ولا مثل ما أنتم عليه من الغفلة " ، فخلى عنه وبكى وصار المتوكل يحبه منذ ذلك التاريخ ويقدره ويقول عنه : اذا ذكر اهل الورع فحى هلا بذى النون (٢) .
وله كراماته الكثيرة التى تروىها كتب التراجم والطبقات :

روى ابن جعفر صديق ذى النون قال : " كنت عند ذى النون الممصرى فتذكرنا حديث طاعة الاشياء لاولياء . فقال ذو النون " من الطاعة ان اقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ، ثم يرجع الى مكانه فيفعل ، فقال : فدار السرير فى اربع زوايا البيت وعاد الى مكانه وكان هناك شاب أخذ يبكى حتى مات فى وقته " (٣) .

وروى ان تقاتل اثنان احدهما من اولياء السلطان والآخر من الرعية . فعدا الذى من الرعية عليه ، فكسر ثنته ، فتعلق الجندى بالرجل وقال : بينى وبينك الامير فجازوا بذى النون فقبل لهم اصعدوا الى الشيخ فصعدوا ، فعرفوه ماجرى فأخذ السن المكسورة ثم بلها

(١) محى الدين ابن عربى ، الكوكب الدرى ل ٢١ ٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس اللوحه .

(٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٨٨ .

بريقه وردها الى قم الرجل فى مكانها وحرك شفتيه فتعلقت باذن الله تعالى ، فبقى الرجل يفتش فاهه فلم يجد أسنانه الا سواه^(١) .

ولاسجال لحصر ماروى عن صوفينا من كرامات • أو ماروى هو من كرامات من التقى بهم من اولياء الله الصالحين ، ومن يريد المزيد فى هذا الخصوص فليرجع الى " الرسالة القشيرية " وكتاب " طبقات الصوفية " لعبد الوهاب الشعراوى وغيرها من كتب الطبقات .

٦ - مكانته وعصره وثقافته :

يمكن ان نستخلص مما ذكر عن ذى النون فى كتب التراجم المختلفة انه كان له شأن عظيم ومكانه رفيعة ، فقد استهل ابو نعيم الاصبهاني ترجمته بقوله : " العلم المنسى ، والحكم المرمى ، الناطق بالحقائق الفاتق للطرائق ، له العبارات الوثيقة والاشعارات الرقيقة ، نظر فعبر ، وذكر فازدجر • أبو الفيض ذو النون ابراهيم المصرى رحمه الله "^(٢) .

وقال عنه المناوى : " ذو العبارات الوثيقة والاشعارات الرقيقة والمفات الكامنة ، والنفس الغالمة والهمم الجليلة والطريقة المرضية ، والمحاسن الجزيلة المتبعة ، والافعال والاقوال التى لاتخشى منها تبعة • زهت به مصر وديارها واشرق بنوره ليالها ونهارها "^(٣) .

كما كان لذى النون مكانة خاصة عند الخليفة المتوكل العباسى كما ذكرنا من قبل ، وقد تأملت هذه المكانة فى نفوس الناس بعد تبرأته من الوشاية • وعن ثقافة ذى النون يقول المرحوم الدكتور مصطفى حلمى ، ان ذى النون كانت له ثقافتان : أحدهما ثقافة علمية دينية ، والاخرى ثقافة علمية دنيوية وان لهاتين الثقافتين أثرهما فى تكوين حياته الروحية •

(١) الرسالة القشيرية : ج ٢ ص ٧١٠ .

(٢) حلية الاولياء ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) أنظر المرجع السابق ص ٢٢٢ .

أما الثقافة العلمية الدينية فتتبين اذا عرفنا أنه . تلقى علوم الشريعة والحقيقة عن بعض أساتذته حيناً ، وعن طريق الرواية حيناً آخر على اننا لانعرف من أساتذته كما سبق وذكرنا ذلك الا شقران العابد واسرائيل المغربي ، وفاطمة النيسابورية ، كما انه تأثر وأثر في علماء عصره الذين التقى بهم وخاصة الامام احمد بن حنبل ، وبشر ابن الحافى ، والسرى السقطى ومعروف الكرفى ، وغيره ممن سبق ذكرهم .

وكان ذو النون من رواة الحديث روى عن مالك والليث وابن لهيعة ، والفضل ابن عياض وابن عيينة ، ومسلم الخواص وغيرهم ، وروى عنه الحسن بن مصعب النخعى ، واحمد بن صبح الفيومى ، والطائى وغيرهم .^(١)

وهكذا كان لشيخنا ثقافته الدينية الواسعة جعلت منه عالماً فى الشريعة والتصوف والحديث . وقيل عنه ان أحاديثه كانت ثقة^(٢) غير ان البعض أشار الى ان أحاديثه ضعيفة وفيها نظر^(٣) ، ويقول الاستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى أن ذا النون ، وان كان عالماً بالحديث وراوي له ، فهو لم يشتغل به الى الحد الذى جعل منه شغله الشاغل ، بل لم يلبث ان انصرف عنه الى الاشتغال بنفسه ، وليس أدل على ذلك من انه سئل : لم لاتشتغل فى الحديث فأجاب بقوله " للحديث رجال : وشغلى بنفسى استغرق وقتى "^(٤) . فقد كان يحيا حياة روحية وتحقق بمقامات اهل الطريق ، وكان صاحب مذهب نظرى فى التصوف الى جانب ممارسة العملية للتجربة الموقية .

أما الجانب العلمى فى ثقافة ذى النون فيرجع الى انه كان من الدارسين للطب ، والكيمياء ومن المشتغلين بهما ، وكانت له محنقات فى تلك العلوم كما سنرى بعد ، وكان

(١) أنظر عبد الرؤف المناوى : الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) محيى الدين بن عربى : الكوكب الدرى ل ٩ .

(٣) عبد الرؤف المناوى : الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٢٣ .

(٤) دائرة المعارف الاسلاميعة ج ٤ ص ٤١٥ .

«الما باللثة الريانية ، ويقال انه وفق في حل بعض الرموز والنقوش المرسومة على البرابي التي ادعى ذو النون انه قرأها وحلها».

عصره : وقد عاش ذو النون في عصر الخلافة العباسية خلال فترة حكم الخلفاء - أبي جعفر المنصور - ومحمد المهدي - وموسى الهادي - وهارون الرشيد - ومحمد الأمين - وعبد الله المأمون - وأبي اسحق المعتصم - وهارون الواثق - والعتوكل بالله . وهم الخلفاء الذين حكموا في الفترة ما بين ١٥٥ الى ٢٤٥ . ولم يكن لأحد منهم تأثيرا على ذي النون سوى الخليفة الواثق لتمسكه برأى الممتزله في خلق القرآن والخليفة المتوكل الذي حاكم ذو النون بتهمة الزندقة ، ثم برأه وأثنى عليه . وكان عصره حافلا بالثقافة وازدهار العلم فقد ظهر أئمة الفقه وعلماء الحديث وكثير من مشايخ الصوفية الذين تأثر بهم صوفينا . فكان عصره متقدما من الناحية العلمية والروحية والفقهية والادبية والعلمية ، وكان لذلك أثره على كل علماء وأدباء وفقهاء وصوفية هذا العصر . بما فيهم ذو النون .

وكان لذى النون سياحات زادت من ثقافته وعلمه داخل مصر وخارجها ، في صعيد مصر والفسطاط وجبل المقطم والاسكندرية وتيه بنى اسرائيل بسيناء وبيت المقدس ودمشق وبغداد ومكة وأنطاكية وجبال الكام ، ووادي كنعان وجبال نيمان ^(١) . وكان في كل موطن ينزل به يلتقى برجال الطريق يأخذ منهم ويأخذوه عنهم .

وقد كان لذى النون تلاميذه الذين أخذوا عنه منهم ، يوسف ابن الحسين الرازي (المتوفى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٢م) الذي اتصل به واستمع اليه واخذ عنه ^(٢) .

(١) ابن عربي - الكوكب الدر في مناقب ذي النون العمري - ل ١٨ -

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ، ص ٤١٨ ، مقالة الدكتور محمد مصطفى حلمي .

(١) لما كان له تلميذ في الكيمياء هو عثمان بن سويد أبو حري الاخميمي

١- وفاته وقبره :

اختلفت التراجم حول تاريخ وفاته : فجاء في " شذرات الذهب " ^(٢) لأبن العماد أنه توفي سنة ٢٤٤ هـ وجاء في " الاعلام " للزركلى انه توفي سنة ٢٤٥ هـ ، أما فؤاد سزكيس ذكر انه توفي ٢٤٦ هـ / ٨٦١ م ، وذكر انه ولد ١٨٠ هـ / ٧٩٧ ^(٤) ، أى انه عاش حسب ذلك ٦٦ سنة فقط وليس ٩٠ ، كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ^(٥) ، نقلا عن السيوطي ^(٦) لذي قال في ترجمته انه قارب التسعين وانه توفي سنة ٢٤٥ هـ . وقيل انه توفي سنة ٢٤٦ هـ . قيل سنة ٤٨ هـ ^(٧) وفي ترجمة محي الدين ابن عربى له أورد جميع هذه التواريخ السابقة . قال ان من أرخو لذي النون ، وذكروا تلك التواريخ المختلفة التى تتراوح ما بين سنة ٢٤٤ هـ الى سنة ٢٤٨ هـ ، وقال انه توفي يوم الاثنين ليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين ^(٨) والارجح انه توفي في سنة ٢٥٤ هـ / ٨٥٩ م فهذا التاريخ قد أجمعت عليه أغلبية كتب التراجم والطبقات .

وقال عنه عبد الوهاب الشعراني (المتوفى سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) في طبقاته الكبرى انه توفي بالجيزة وحمل الى قارب (ليعبر النيل) الى الضفة الاخرى ، مخافة ان ينقطع الجسر (كوبرى قصر النيل حاليا) من كثرة الناس في جنازته . ورأى الناس طيورا خضراء على

(١) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) ١٧ مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ

(٣) ط ٢ ص ٨٢ ، القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م كما ذكر هذا التاريخ ايضا اسماعيل - هديسة

المعارفين ص ٢٤٩ .

(٤) تاريخ التراث العربى ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٥) د . محمد محطى حلمى تعليق على مادة ذى النون ج ٤ ص ٤١٢ .

(٦) السيوطى - حسن العشرة ج ١ ص ٢١٨ .

(٧) ابن عربى - الكوكب الدرى - ل ٨٥ .

(٨) المرجع السابق ، نفس اللوحة .

جنازته حتى وصلوا الى قبره • ودفن بالقرافه الوسطى في مقابر اهل الخفير بالفسطاط
اسما كتب حديثاً عن ذى النون :

الى جانب ما ذكرنا من كتب التراجم والطبقات والمستشرقين التى تناولت سيرة ذى
 النون ومذهبه فى هامش الصفحة الاولى والثانية ومن هذا البحث فهناك ابحاث حديثه تناولت
 سيرة ذى النون ونموفه . نذكر اهمها •

١ - مقاله للمرحوم الدكتور محمد محطى حلمى بدائرة المعارف الاسلاميه المترجمة
 العربية تعليق على مادة ذى النون تناول فيها سيرته وحياته ومذهبه الصوفى وهى مقاله قيمة
 ساهمت فى وضع الخطوط العريضة أمام الباحثين فى ذى النون المصرى ونموفه الجزء الرابع
 تشغل من ص ٤٠٩ الى ص ٤٢٠ •

٢ - رسالة ماجستير بعنوان " ذى النون المصرى ونموفه " مقدمة من اسامة كامل حسن سنة
 ١٩٧٦ - تحت إشراف الدكتور أو الوفا الغنيمى التفتازانى وهى رساله قيمه وبها جهد لا ينكر
 ولا شك أن هناك دراسات أخرى قد تعرضت لذى النون المصرى فهو شخصية مصرية رائدة لها
 ثقلها فى التصرف الاسلامى لعامة والتصرف المصرى بخاصة •

محفقات ذى النون :

قد لا حظت من خلال بحثى عن ممنات ذى
 النون أن منها ما يوجد فى المانيا ما يوجد فى مكتبات فرنسا
 ومكتبات بريطانيا والهند وتركيا وسوريا والسفال وغيرها من مكتبات العالم كما لاحظت
 أن اغلب محفقاته فى الكمياء ويطلق عليها " الحنعة الكريمة " وبعضها فى الطب والبحر
 وبعضها فى الحديث ومنها أدعيه ومنها ما يتناول الاخلاق الدينية والتصرف • وان مذهب
 الحيو فى لا يجمعة محنف بعينه وإنما هو مبشر هنا وهناك فى كتب التراجم التى أهمها ما
 كتبه عنه الصوفى الكبير محى الدين بن عربى فى " الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى " (١)

(١) أرجع الى هامش الصفحات الاولى من هذا البحث لمعرفة مزيد من التفاصيل عن تلك
 المحفقات وانظر أيضاً •

وماكتبه عنه الحافظ السيوطي في " السر المكنون في مناقب ذي النون " ^(١) . وماكتبه عنه ابو نعيم الاصبهاني في " حلية الاولياء " ^(٢) ، هذا الى جانب ما جاء في كتب التراجم التي ذكرت في اول البحث . والحقيقة انه لا يخلو كتاب من كتب الطبقات والتراجم القديمة الا ويذكر صوفينا في سطور تقل وتكثر من محنف لآخر .

ولقد عبر ذو النون في كثيرا من الاحيان عن مذهبه الصوفي بالشعر ، فقد كان صوفينا شاعرا . كما انه الف قصيدة في الكمياء وسيأتي الحديث عنها .

والحقيقة ان كل الدراسات التي تناولت ذي النون ومذهبه الصوفى ، تعد ناقصة بما فيها هذا البحث وذلك لسبب هام وهو ان ماكتبه ذو النون نفسه عن سيرته وتصوفه غير متوفر في مصر ولا تمل اليه أيدي الباحثين فملوماتنا عن محتويات مصنفاته على الاقل ووصفنا لها يتطلب الحصول عليها وحتى يكون العمل مكتمل لابد من جمع تلك المصنفات من مكتبات العالم وتحقيقها وأخرجها الى النور وهذا يتطلب جهدا ووقتا وتكلفة قد لا تيسر لأغلب الباحثين . والحزاء الوحيد لذلك ان ما استندت عليه من المصادر المتوفرة والتي امكن الحصول عليها أمكن عن طريقها تبين سرته ومذهبه الصوفى وهي مصادر قديمة موثوق فيها . أما المصنفات فاني اكرر انها في حاجة الى السفر للخارج لجمعها أو تصويرها والحصول عليها بأي وسيلة ممكنة .

وواضح انه من الصعوبة بمكان عمل تصنيف زمني لمصنفات ذي النون أو تصنيف أبجدي لها . وكل ما أستطيعه هو عمل تصنيف بحسب الموضوعات وقد رأيت ان يكون التصنيف لمؤلفاته في العلوم العملية كالطب والكيمياء . ومصنفاته في العلوم النظرية كالتمصوف والحديث والاخلاق الدينية .

(١) ارجع الى هامش الصفحات الاولى من هذا البحث لمعرفة مزيد من التفاصيل عن تلك المصنفات وانظر ايضا بروكلمان ملحق ١ ص ٢٥٣ .
(٢) انظر ج ٩ ، في ١٠ صفحات متفرقة .

أولا : محنفاته في العلوم العملية :

(١) كتاب المجربات : ^(١) يضم وصفات في الطب والكيمياء والسكر والطلاسم . مكتبة

باريس ٢٦٠٨ مكون من ٩١ ورقة كتب سنة ١٠٠٠ هـ . أنظر فجدا ٤٨٩٠ .

(٢) قصيدة . في المنعة الكريمة ^(٢) : توجد منها نسخة بمكتبة باريس ٤/٢٦٠٩

(من ورقة ٤٢ - ٥١) كتبت في القرن الحادى عشر الهجرى . أنظر فجدا ٧١٢ ، ونسخه
بالمتحف البريطانى ، ٦٠١ ، الاضافات ٤/٧٥٩٠ / (من ورقة ٨٥ - ٩٠) . كتبت سنة ١٢٠٦ هـ
ونسخة مسمورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ٤/٤٦٠٣ ، ونسخة في مكتبة بودليان
٢٥٠/٢ رقم ٥٣٨ (من ورقة ١٥٠ - ١٥١) ، ونسخة بمكتبة جار الله ٢/٢١٣٠ (من ٢٣٥ ب -
٣٦ أ) كتبت في القرن العاشر الهجرى . ونسخة بمكتبة بشير ايما ٦٤٩ (من ٣٢ أ - ٣٣ ب)
قرن عاشر هجرى ، ونسخة بمكتبة باريس ٥٠٩٩ (من ورقة ١٨١ - ١٨٢) القرن العاشر الهجرى
أنظر فيجدا ٧١٢ .

وقد قامت على هذه القصيدة شروح كثيرة هي :-

أ - الدر المكنون في شرح قصيدة ذى النون - تأليف ابن على الجلدكى المتوفى سنة
٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م ، أنظر دار الكتب بالقاهرة ٣٩٣/٥ ، كمياء ٢٠ وهى (من ورقة ١ - ٤٣)
ومنها نسخ متعددة من مكتبات مختلفة منها حاجى محمود ٦٢٢٥ - جار الله ٧/١٧٠٢
من ورقة ٦٨ - ٩٩) وكذلك ٢/٢٠٦٥ (من ورقة ١٧ أ - ٣٤) كتبت في القرن الحادى عشر
الهجرى - أسعد ١٩٣٢ (من ورقة ٣٢٧ أ - ٢٤٧ ب) كتبت سنة ٧٤٢ هـ - فاتح ٤/٣٢٢٧ .

(١) فؤاد شزكين ج ٢ ص ٤٤٤ ، ذكره بروكلمان ملحق ١ ص ٢٥٣ .

(٢) المنعة الكريمة ، يقصد بها الكيمياء ، وقد ذكر هذه القصيدة في بروكلمان
ملحق ١ ص ٢٥٣ وفؤاد شزكين ج ٢ ص ٤٤٤ .

ب - ولهذه القميدة شرح آخر قام به أحمد بن عامر الهمداني الحاشدي (كتبه سنة ٨٥٥/١٤٥١م) فاتيكان، فيدا ٣/١٠٤٣ (من ورقة ٦٦ - ٨١ - أصفه ١٤١٦/٢ - كميا، ٢٦٠٢٦)

٣ - رسالة في العناصر الثلاثة^(١) : وهي باللغة الفارسية ، رأى احمد الثالث ٢٠٧٥ (من ورقة ٧٦ ب - ١٧٩) .

٤ - رسالة في خواص الاكسير^(٢) : فاتح ٥/٥٣٠٩ (من ورقة ١٠٥ أ - ١٠٩) القرن العاشر الهجري .

٥ - رسالة في الحجر^(٣) : أولها "يؤخذ الحجر الكريم عند نزول الشمس الخ" حاجي محمود ٩/٤٢٢٤ (من ٤٦ ب - ٥٧ ب) القرن الثالث عشر الهجري .

٦ - رسالة في المنعة^(٤) : أولها : " اذا احببت التدبير الخ " حاجي محمود ١٣/٤٢٢٤ (من ورقة ٦٤ ب - ٦٧ أ) القرن الثالث عشر الهجري .

٧ - رسالة الثقة في المنعة^(٥) : المخطوط السابق (من ٦٧ أ - ٦٧ ب) .

٨ - رسالة في الحكمة العظمى والمنعة المباركة^(٦) : أولها : " أعلم ان تدبير (مدير)

الفلاسفة ليس يشتري بئمن " ، جازيت ٩٤٧ (١٥ ورقة) القرن التاسع الهجري .

(١) بروكلمان : ملحق ١ ص ٣٥٨ ، وانظر فؤاد سزكين ج ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) المرجعان السابقان نفس الصفحات .

(٣) المرجعان السابقان نفس الصفحات .

(٤) المرجعان السابقان نفس الصفحات .

(٥) المرجعان السابقان نفس الصفحات .

(٦) المرجعان السابقان نفس الصفحات .

الفلاسفة ليس يشتري بثمن " ، جازيت ٩٤٧ (١٥ ورقة) القرن التاسع الهجرى .

٩ - رسالة في تدبير الحجر الكريم ^(١) : أولها : قال ذو النور لتلميذه في تدبير

الحجر ... الخ " حاجى محمود ٨/٤٢٢٤ (من ورقة ٤٩ أ - ٥٤ ب) القرن الثالث الهجرى .

ثانيا : مؤلفاته في التصوف والأخلاق الدينية والحديث :

(١) رسالة في ذكر مناقب الصالحين ^(٢) : أمفيه ١٢/١ ، أخلاق ٣٢ .

(٢) دعاء ^(٣) : رامبور ٣٢٧/١ ، دعاء ٢٩٢ (٢٧ ورقة) .

(٣) صفة المؤمن والمؤمنة ^(٤) : مكتبة الظاهرية ، مجاميع ١١/٨٧ .

(٤) له عدد من الاقاصيص التربوية بمكتبة برلين ٤٣٤٧ : الاوراق من ٤٦ ب - ٦٩ أ) .

القرن الحادى عشر الهجرى .

(٥) رسالة تتناول أقواله والاحاديث التى رواها مع موجز لحياته ، مكتبة برلين ١٣٩٧

الاوراق من ٥٦ - ٦٠) سنة ٨٧٨ هـ .

ويذكر فؤاد سزگين انه ينسب اليه كتاب يسمى " كتاب العجائب " غير ان نسبته

غير مؤكدة - دار الكتب القاهرة يحمل رقم ٢٠ كمياء ، حرف م ق أ ومنه نسخة مصورة فى برلين

وقد أثبت الباحث اسامه كامل حسن صحة هذا القول وأثبت ان هذه الرسالة ليست لزي النون

وأوضح ذلك بالادلة القاطعة ، كما اشار سزگين فى الهامش ^(٥) الى انه ليس لديه معلومات ^(٦)

عن رسالة الكمياء وهى مخطوط بمكتبة اصفية فى الهند ١٤١٦/٣ - كمياء ٢٤ .

(١) بروكلمين : ملحق ١ ص ٣٥٨ وانظر فؤاد سزگين ج٢ ص ٤٤٦ .

(٢) المرجعين السابقين نفس الصفحات .

(٣) المرجعين السابقين نفس الصفحات .

(٤) المرجعين السابقين نفس الصفحات .

(٥) انظر رسالته عن ذو النون المصرى وتموفه ص ١٨ ، ١٩ تحت اشراف د . التفتزاني .

(٦) انظر فؤاد سزگين ، تاريخ التراث العربى ج٢ ص ٤٤٦ .

وذكر انه لابد من بحث الرسالة التي فيها ذو النون وشرحها الجلدكي بعنوان " السر المضمون في شرح رسالة ذي النون " المتحف البريطاني مخطوطات شرقية ١٢١٤٩^(١) ، كما ذكر له ابن النديم في الفهرست كتاب باسم " الركن الاكبر " ^(٢) ، وكذلك ذكر في " هدية العارفين " ^(٣) .

مذهب ذي النون الصوفي

ان ذا النون المصري وغيره من الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة قد بنوا قواعد أمرهم على اصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم من البدع وتمسكوا بما كان عليه السلف الصالح من التوحيد الخالص . وكان ذو النون في مذهب الصوفي سلفيا ملتزما رغم ماوجه اليه من اتهامات بانه زنديق . فقد كان يخشى المحظورات ولم يكن عنده تمثيل ولا تعطيل ولم يقل بالانحدار . انحلول أو وحدة الوجود أو وحدة الشهود وانما كان تصوفه خال من الشطحات وتلك كما سبق القول هي سعة التصوف المصري السني . وقد سئل عن التوحيد فقال " التوحيد هو ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاج وصنعه للاشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه . ولا علة لصنعه ، وليس في السماوات العلا ولا في الارضين السفلى مدبر غير الله . وكل ما تموره في وهمك فالحق بخلاف ذلك " ^(٤) . ويتضح من هذا النص ان صوفينا لم يقل بالحلول أو الاتحاد ، وانما هو يؤمن ان الله واحد متعال خالق مبدع بلا مزاج وانه خلق الكون ومدبره دون منازع وانه تعالى لا يدرك بالاذهان ولا تموره الاوهام فهو بخلاف كل تصور يتصوره الانسان .

(١) انظر هامش ص ٤٤٧ في الجزء الثاني من كتاب سركين .

(٢) انظر ص ١٥٧ .

(٣) انظر المجلد الاول ص ٢٤٩ .

(٤) محي الدين بن عربي : الكوكب الدري ج ٤٥ .

ويقول في شعره :

رب تعالى فلا شيء يحيط به .. وهو المحيط بنا في كل مرتعد
لا الاين والحيث والكيف يدركه .. ولا يجد بمقدار ولا أمــــل
وكيف يدركه حد ولم تــــره .. عين وليس له في المثل من احد
أم كيف يبطنه وهم بلاشبهه .. وقد تعالى عن الاشياء والولد
من أنشأ قبل الكون مبتدعاً .. من غير شيء قديم كان في الابد
ودهر الدهر بالاوقات واختلفت .. بما يشاء فلم ينقص ولم يزد

الكون

وكان له نظرية في مجاهدة النفس وفي المحبة والمعرفة وهذا ما سنعرض له (١)

وسيتضح لنا بجلاء من عرض مذهب ذي النون الموفى انه كان صوفيا ملتزما بالشرعية في تصوفه ، ويربط ذو النون بين الحقيقة والشرعية أو بين علم الباطن وعلم الظاهر ويرى انهما أساس التوحيد مع التسليم لله سبحانه مقدر كل شيء ، والذي بيده النفع والخير . وقال :
" من لا يعلم علم التوحيد لا يفهم التشبيه من التعطيل ، ومن لم يعلم علم الظاهر لا يفهم الحلال من الحرام ، ومن لم يعلم علم الباطن لا يصفو له العمل ولا يقدر على الاخلاص .

والتوحيد ، ان يعلم ان النفع والخير والعطاء والمنع والعز والذل بيد الله (٢) . ويبدأ مذهبه بمجاهدة النفس .

(١) مجاهدة النفس:

ان مجاهدة النفس والخلق الحسن من الامور التي حث عليها الله عباده وطالبهم بالالتزام بها في مثل قوله تعالى: " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ان الله لم يمع المحسنين " ، (س العنكبوت آيه ٦٩) وهي صفة الرسول الكريم (ص) الذي اعتبر الجهاد ضد الاعداء ، هو الجهاد الاصغر وجهاد النفس هو الجهاد الاكبر لأنه جهاد الانسان ضد نفسه ، لينقيها وينقحها من الاخلاق السيئة والاستسلام للاهواء والشهوات فهي أمراض تصيب

(١) أبو نعيم الاصبهاني: " حلية الاولياء " ج ٩ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) محي الدين ابن عربي: - الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري - ل ٤٧٠ .

النفس الانسانية الضعيفة وعلى الانسان ان يجاهد لمداواة نفسه من أدران الرذيلة والخبائث .
قال تعالى: " قد أفلح من زكاهها ، وقد خاب من دساها " (س الشمس آية ٩) .

ويقول صوفينا في مجاهدة النفس: " ليس بذى لب من جد فى أمر دنياه وتهاون فى أمر آخرته ، ولا من سفه فى مواطن حلمه ، ولا من تكبر فى مواضع تواضعه ، ولا من فقد منه التقوى فى مواطن طمعه ، ولا من غضب من حق اذا قيل له ، ولا من زهد فى ما رغب العقلاء فيه ، ولا من رغب فيما يزهّد العقلاء فيه ، ولا من طلب الانصراف عن غيره لنفسه ، ولا من نسي الله فى مواطن طاعته وذكر الله فى مواطن الحاجة اليه ، ولا من جمع العلم ليعرف به ثم أثر عليه هواه بعد تعلمه ، ولا من قل منه الحياء من الله على جميل ستره ، ولا من أغفل الشكر على اظهار النعمة ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه ، ولا من جعل مرونة لباسه ولم يجعل أدبه درعه ، ولا تقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته نظرفا وتزينا فى مجلسه (١) .

وقد أبان ذو النون فى هذا النص عن الآفات التى يجاهد بها الانسان نفسه فى التخلص منها وهى تتلخص فى: حب الدنيا ، وترك الآخرة ، وعدم الصبر ، والغرور والكبر ، وطمع النفس الذى ينسى صاحبه تقوى الله ، والغضب من الحق اذا قيل له ، والزهد فيما يقبل عليه العقلاء من العبادات ، والخير والطاعة ، والاقبال على ما يزهّدوا فيه ، والانانية ، والغفلة عن الله فى السراء وعدم ذكر الله فى السراء ، واساءة استخدام العلم ، وعدم الحياء من الله والغفلة عن شكره على نعمه ، والثّقاغص عن مواجهة العدو والتباهى بفاخر الثياب دون تقوى الله ، والتفاخر بالعلم فى المجالس ، ومجاهدة النفس بالحلاة والصوم والذكر والسماع والعزلة والخلوة ، وغيرها من الرياضات التى ترفق القلب وتعذب النفس وتبعث على الوجد والتأمل والتفكر فى الله ، كما يمتنع السالك رياضات روحية لتهديب نفسه وتبديل صفاتها

(١) محى الدين ابن عربى : - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى - ل ٥٠ و٢

الذميمة بحفات حميدة فيتحقق بالتوبة والزهد والصبر والتوكل والمدق والمحبة ومحاسبة النفس ومراقبتها والاحسان والتقوى والشكر والرضا والاستقامة والاخلاص وغيرها — من المقامات الصوفية حتى يصل الى اعلى الدرجات . ويتحقق بالكمال الخلق وتطهر روحه ويحفو قلبه ويتنهياً لمعرفة الله معرفة ذوقية كشفية ، ويصير صوفياً متحققاً عارفاً بالله ولذلك عرف شيخنا الصوفى بقوله : " الصوفى من اذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وان سكت نطق عنه جوارحه بقطع العلائق" ^(١) ، وهذا يعنى ان الصوفى انسان صفى قلبه من كدورات الشهوة والهوى ^(٢) وتعلق قلبه بالله حتى استنار بنور الله سره وكشف الله له عن الحقائق المدركة فى عالم الغيب فعرف الذات الالهيه وصفاتها واسماؤها وافعالها . وعرف معنى العرش والكرسى والروح والملائكة ، وحقائق الموجودات فى عالم الغيب والشهادة ، وعرف ترتيب الاكوان معرفة ذوقية من لدن الله ، مما جعله اذا نطق أبان عن تلك الحقائق ، وان سكت كان مع الله متأملاً متفكراً ذاكرة له بروحه وسره متجها اليه تعالى بكل جوارحه ، وصار فى حال اتصال روحى بالله وقطع العلائق بما حوله وفنى عن نفسه وبقي بالله لا يشهد غيره فبدى ذلك على جوارحه مع لزومه الصمت والكون .

ولم يكن شيخنا اول من عرف الصوفى والتصوف فقد سبقه الى ذلك معروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠ أو ٢٠١ هـ ، ويقال انه اول من عرف التصوف بقوله : " التصوف هو الاخذ بالحقائق والىأس مما فى أيدي الخلائق" ^(٣) وهو يعنى ان التصوف يصل بالسائقين الى الحجرة الالهيه فينهلون من المعرفة النورية ويطلعهم الله على الحقائق الذوقية . وهو

(١) السلمى: طبقات الصوفية ص ١٠ .

(٢) الهوى هو ما تهواه نفس الانسان من امور معنوية كالمناصب القيادية وحب الرياسة والظهور ، أما الشهوات فهى ما تشتهيه النفس من لذات حسيه كالمأكل والمشرب والملبس وغيرها .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ١٢ طبعة صبيح ص ١٢ .

وهو عنده ايضاً الزهد فيما عند الناس ، فالموحي الحق هو من يزهد فيما عند الله ويحببه الله ويذهب فيما في ايدي الناس فيحببه الناس .

وقال ذو النون ايضاً : " الموفية أثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء فكان من اثارهم ان أثروا علم الله على علم نفوسهم وارادة الله على ارادة نفوسهم" (١) .
ويوصي صوفينا المريد في بداية الطريق قائلاً " يا أخى وصيتك بالتقوى اللصة العظيمة والمراقبة له ، حيث لا يراك احد الا الله واجتهد الى خلع قناع الغافلين وانتهى من رقصة الموت ، وفر الى السباق في ميدان السابقين ولا تفتر عن الله" (٢) فعلى السالك الطريق الى الله ان يخلع قناع الغفلة ويفر الى الله ليصل اليه ويصير من الواصلين .

ولا يصل الصوفي الى تلك المنزلة الا بعد ان يعبر طريق طويل في سبيل مجاهدة نفسه ومحاربة الشر فيها وتزكية الخير ، حتى تهذب وتسمو وتصفو ، ولا يتأتى لها ذلك الا بالاقبال علي العبادات والطاعات ، واجتناب التعلق بالذات الحسية والتقرب الى الله والانصراف عما يشغل عنه . ويقول ابن خلدون في مقدمته : " الاصل في التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذه ، ومال ، وجاه" (٣) ، وبذا يتحقق للسالك ضبط النفس وكبح جماحها ومقاومة ميولها الشريرة وصرفها بالارادة والعزيمة عن متع الحياة الدنيا التي تشغل الانسان عن التقرب من ربه فيتم لها المفاء والتطهر من اضرار الشهوة الجسدية والهوى النفسى وتلغير أهلاً لتقبل الفيوضات الربانية .

(١) السهروردي : عوارف اعارف على هامش احياء علوم الدين للغزالي ج١ ص ٣١٩ .

(٢) ابن عربي : الكوكب الدر في مناقب ذي النون المصري ، ل ٤٢ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٦ .

ويحدثنا القشيري في رسالته عن الصوفية قائلا : " هذه الطائفة صفوة أولياء الله جعل قلوبهم معادن أزراره واختصهم من بين الامة بطوالع أنواره ، فهم النيات للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق . صفاهم من كدورات البشرية . ورقاهم الى مجال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الاحدية ووقفهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية . فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكيف ، وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التغلب والتصريف ، ثم رجعوا الى الله سبحانه وتعالى ، بعدق الاقتضار ولفلت الانكسار ، ولم يتكلموا على ما حمل منهم من الاعمال ، وصفا لهم من الأحوال ، علما منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد ، ويختار من يشاء " (١) .

وحقيقة مذهب ذو النون الصوفى فى مجاهدة النفس - وهو كما يقول مدار كـــلام الصوفية جميعا - يقول على اربعة امور هي :

(١) حب الجليل (٢) بغض القليل (٣) اتباع التنزيل (٤) خوف التحويل .

- والركن الاول من اركان مجاهدة النفس عنده يقوم كما هو واضح على حب الله سبحانه - جلا جلاله وحب الجليل من الاعمال والاقوال والتصرفات الصالحة التى ارتضاها اللى لعباده المقربين والثى تزيدهم منه قربا وتزيده سبحانه حبا لهم - فحب الله وطاعته هى اول ركن من اركان مجاهدته النفس عند صوفينا .

- والركن الثانى من اركان مجاهدة النفس هو " بغض القليل " من الطاعات والعبادات والاعمال الصالحة ، فمن يريد ان يسلك طريق الصوفية لايقف بالقليل من العبادات والاعمال التى تقربه الى الله سبحانه ، وانما يكون محبا للاكثار منها . . ومهما أدى من طاعات وقربات لله فهو يستغنمها ويشعر انه مقصر فى حق الله وان اعماله لاتساوى شيئا ولاتعادل ما انعم الله عليه به من نعم متعددة .

(١) الرسالة القشيرية ص ٢ طبعة صبيح ابن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون

وإذا أكثر الانسان من الطاعات كف عن المعاصي وبذلك يتغلب نفسه المطمئنة على نفسه الامارة بالسوء ويفلح في كف هوى نفسه وانقيادها للشهوات الجسدية وبذلك تضعف بشريته وتقوى روحانيته ويمير أهلا للاتمال الروحي بالله عز وجل.

- الركن الثالث من اركان مجاهدة النفس عند شيخنا هو : " اتباع التنزيل " وهذا يعنى ان المرید الصادق فى احواله والصادق مع الله فى عبادته والتقرب اليه يجب ان يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ويلتزم بهما فى كل اعماله واقواله وتصرفاته . وهو يقول : " من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى اخلاقه وافعاله واوامره وسنته " (١) .

ويعتبر شيخنا ان اكثر الناس هما هم اقلهم خلقا وان اكثر الناس سعادة هم اكثرهم خلقا ، ويقوم القشيري فى رسالته : " قيل لذى النون المصري : من اكثر الناس هما ؟ قال أسوأهم خلقا " (٢) .

ويذهب ذو النون الى ان الساعى الى الله بقلب سليم عليه ان يصحب الله سبحانه بالموافقة أى لا يقترب من المعاصي والمخالفات ما يغضب الله تعالى : ويصحب الخلق بالمناصحة ، فيقدم لهم النصيح والارشاد فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويصحب نفسه بالمخالفة ، فلا يتقاد لها ولا مستسلم لما تأمره به من ارتكاب المعاصي والانغماس فى تحقيق اللذات والشهوات واتباع الهوى ، فيقودها الى طريق الخير ، ويصحب الشيطان بالعداوة ، فيكون له عدوا مبينا فلا يطيعه ولا ينقاد له ، ويستعيز بالله منه ، ويستعين عليه بالتقرب الى الله والاكثر من التعبد والطاعة له . يقول ذو النون : " لاتصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ، ولا مع النفس الا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان

(١) محي الدين بن عربي - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصري ل ٤٢ .

الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٩ .

ويرى شيخنا أن من جد في طريقه الى الله بهمه صادق وعزيمة لاتلين ، فانه يجد الله امامه منذ بداية سعيه المخلص في الوصول اليه تعالى : ويقول في ذلك : " أول قدم تطلبه ، تدركه وتجده " ^(١) . وهذا يعنى أن أول خطوة يخطوها السالك في الطريق الى الحفرة الالهية سيجد الله امامه معينا له تمشيا مع قول الرسول الكريم (ص) : " اطلب الله تجده امامك " ^(٢) ومع قوله تالله تعالى : " وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان " (س البقرة آيه ١٨٦) .

- والركن الرابع من اركان مذهب صوفينا في مجاهدة النفس هو " خوف التحويل " فالسالك طريق الصوفية يظل دائما في خوف من أن يتحول قلبه او تفتر عزمته في مجاهدة نفسه أو يغفل عن ربه لحظة أو يتكاسل عن اداء العبادات والطاعات أو ينشغل عن الله بامور الدنيا فلا بد أن يراقب نفسه وأن يحاسبها وأن يحرس دائما على مواصلة السعى الى الله تعالى والتقرب اليه بحسن الاقتدار وحسن العبودية ومدق اليقين ، وهذا ما سيتضح تفصيلا فى الحديث عن مقام الخوف عند ذى النون .

وقد قال ذو النون : " اذا خرج المريد عن استعمال الادب فانه يرفع من حيث أتى " ^(٣) فاللصوفيه آداب واخلاق يجب على من يريد السير فى الطريق الصوفى الالتزام بها والا تعثر عن السير فى الطريق .

وعلاوة القلب المريض عند شيخنا أربعة اشياء :-

- أ - لا يجد للطاعة حلاوة
- ب - ولا يخاف من الله
- ب - ولا ينظر الى الاشياء بالعبرة
- د - ولا ينال من العلم الا ما تأدب به ^(٤) .

- (١) السلمى - طبقات الصوفية ص ١٢ - الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٨٧ .
- (٢) شرح الكرماني ٢٢ : ١٨٣ - فتح الباري لابن حجر ١١ : ١٧٢ - عمدة القارئ للعيني وأخرجه مسلم فى الذكر والدعاء والبخارى فى الدعاء ٢ : ٣٣٦ .
- (٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٦٣ .
- (٤) ابن عربى - الكوكب الدرى - ل ٤٣ .

وصاحب هذا القلب لابد له من العمل على تزكياته وتطهيره حتى يصفو فيجد للطاعة حلاوة ويخشى الله. ويعتبر من كل شيء ويطلب العلم الدنى والمعرفة الحقه .

والانسان العاقل عند شيخنا هو الذى يدرك كل مستحسن من الاخلاق وكل جميل من الصفات فيسعى فى تحصيلها والتمتع بها ويقول : " لما خلق الله العقل جعل فيه لطيفة تميله إلى كل جميل " (١)

والارادة عند صوفينا هي بوابة الطريق الذى يسلكه المرید إلى الله فهو يذهب إلى أن المرید الصادق هو من يلقى علماء الدين ومشايخ الصوفيه بالجهل ويرى فى نفسه أنه أقل منهم علما وأنه فى حاجة الى ما لديهم من علوم ومعارف . وأن يتطلع إلى الأخذ عنهم والاستفادة بعلمهم والاتصاف بهم والتلمذ على ايديهم . ويلقى الزهاد بالرغبة فى أن يكون زاهدا مثلهم مقتديا بهم . ويلقى أهل المعرفة بالممت أى لا يتحدث فى حضرتهم بل يلتزم الصمت حتى يسمع منهم ويطلع على معارفهم تأدبا معهم ، واحتراما لمكانتهم ، وحباً فى مصاحبتهم والاستقاء من معارفهم الربانية وعلومهم الكشفية ويقول فى ذلك : " يامعشر المریدين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل ، والزهاد بالرغبة ، وأهل العلم بالصمت (٢) .

ويحكى عن ذى النون أنه رأى ببعض سواحل الشام امرأة فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع . فقال : وأين تذهبين ؟ قالت ؟ إلى رجال لاتلهم تجارة ولابيع عن ذكر الله . فقال لها : صفيهم لى . فأنشدت :

قوم همومهم بالله قد علقت . . . فما لهم هم تسمو الى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم . . . يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٦٣ .

(٢) السلمى - طبقات الصوفية ص ١٢ .

- ما أن تنازعهم دنيا ولا شرف .. من الحطامع واللذات والولد
ولا لبس لثياب فائق أنقى .. ولا لروح سرور حل فى بلد
إلا مسارعة فى إثر منزلة .. قد قارب الخطو فيها باعد الأمد
منهم رهائن غدران وأودية .. وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد (١)

وكان البسطانى من صوفية عصره كما ذكرنا فيقول ذوالنون انه أرسل اليه رجلا وطلب منهم أن يقول له : إلى متى النوم والراحة ، وقد جازت القافلة ؟ فقال أبويزيد البسطانى : قل لأخى ذى النون : الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة • فقال ذى النون : هذا كلام لا تبلغه أحوالنا (٢)

وهو هنا يتحدث إلى البسطانى بالفاظ غامضة رمزية اصطلاح عليها الصوفية للتعبير عن أحوالهم ومقاماتهم ، وذلك سترًا لحالهم وضنا بعلومهم على غير أهلها • وإن كان من الواضح أنه يعنى " بالنوم " الغفلة عن الله و " بالقافلة التى جازت " العمر الذى إنقضى أغلبه فى الحياة الدنيا • فهو يطلب من صاحبه ألا يغفل عن الله حتى لا ينتهى العمر وهو فى غفلته • فيرد عليه البسطانى بأن الرجل الحق من ينتبه من غفلته إذا غفل قبل رحيل القافلة • وقد تناول ذو النون فى مذهبه الصوفى الحديث عن الرياضات العملية لمجاهدة النفس التى يصطنعها الصوفية لتهديب نفوسهم فحدثنا عن العزلة - والخلو - والذكر • والسماع والصمت وله حديث تأول فيه رياضة الحج وسنتحدث عن كل منها كما تبينناه عند شيخنا •

أولاً : العزلة :

فى بداية الحديث عن العزلة والخلو أود أن أوضح الفرق بينهما • فالعزلة يخالط

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٣٩ •

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة •

فيها المرید الناس فلا يعتزلهم ببدنه وإنما يكون معهم ببدنه ومع الله بقلبه وروحــــــــــــــــه
فيجالسهم ويتحدث معهم ويؤدي ما يكلف به من أعمال غير أنه في كل ذلك يكون انشغاله
الأول بالله وليس بما حوله من الأمور الأخرى . أما الخلوة فهو يختلي بعيدا عن الناس ففى
خلوة منفردا مینقطع فيها للتفكر فى الله والذكر المستمر وقراءة القرآن والعلوم الشرعية .

قال القشیری : " الخلوة صفة أهل الصفة والعزلة من إمارات الوصلة ، ولابد للمريد
فى إبتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى نهايته فى الخلوة لتحقيقه بأنسه . ومن
حق المتعبد إذا أثر العزلة ، أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد
سلامته من شرهم " (١) وهذا إمعانا من المرید فى التواضع .

والمرید فى بداية الطريق يصطنع العزلة ويبقى مخالطا للناس غير أنه لا ینشغل بما
هم منشغلون به من الاهتمامات الدنيوية من أمور الحياة المختلفة ومشكلاتها . وإنما هو
فى عزلته قد قصر إهتمامه فى التقرب الى الله وذكره والتفكر فيه فى سره . فهو وحده ما
يرد على خاطره دون سواه . ثم ما يلبث المرید أن يجد نفسه فى حاجة إلى الإختلاء بعيدا
عن الخلق . فيصطنع الخلوة وفيها يقضى مدة من الزمن قد تطول أو تقصر بحسب ما يرى هو
بعيدا عن أبناء جنسه ، يتفرغ فيها للتعبد والذكر والتأمل وتحصيل العلوم الشرعية
والتهجد بالليل دون أن يزعجه أحد حتى يشعر بأن الله وحده قد أصبح مهيمنا على قلبه وصار
موضع تفكيره وإنشغاله . وهو فى خلوته يتحقق بالانس به فى وحدته ويظل بها حتى يشعر
بصفاء قلبه ونقاء نفسه وشدة قربه من ربه وأنه لو عاد إلى مخالطة الناس فإن ذلك لن يشغله
عن الله فقد أخذ جرعة كافيه فى خلوته من كأس المحبة فذاق حلاوة القرب ولذة الأنس بالله
وسعادة الاتصال مما يقوى به على ممارسة حياته العادية بين أقرانه متحليا بأخلاق وآداب
الصوفية دون أن يخشى تحول قلبه عن الله والانشغال بما سواه من الأغيار أو الأمور الفانية .

ويذهب شخنا المصرى إلى أن العزلة تكون صحيحة إذا قوى صاحبها على عزلة نفسه من الانشغال بما سوى الله . وهى أيضا عنده تعنى إعتزال الخصال المذمومة وأن يكون المريد خاليا عن جميع الأذكار إلى ذكر الله وأن يخلو سره لله فلا يتفكر إلا فيه ولا يأنس إلا به ولا يتقرب إلا له ويقول ذى النون : "متى تصح العزلة ؟ فقال : إذا قويت على عزل نفسك" (١)

ثانيلا : الخلوة :

يرى ذو النون أن حب الخلوة عمود الإخلاص لله تعالى إذا تعلق به السالك صار من الواصلين إلى الحضرة الالهية . وصار من الصديقين . فعلى المريد بين الحين والآخر أن يختلى بنفسه بعيدا عن مشاكل الدنيا . وأن يكون محبا للوحدة فإذا خلص من التعلق بالأغيار ومن التعلق بالدنيا فعليه أن يخلص العبادة لله وحده وأن يركز تفكيره فيه دائما وأن يكون رضاه والتقرب إليه أكبر همه ، وطاعته . هى أمله الذى يسعى إلى تحقيقه . فإذا خلى بنفسه لا يرى سوى الله ، وإذا لم ير سواه فلا يشغل إلا به ولا يحركه إلا حكمه وقال ذو النون فى ذلك : " لم أرى شيئا أبعث على طلب الإخلاص من الوحدة . لانه (أى المريد) إذا خلا لم يرى غير الله ، فإذا لم يرى غير الله ، لم يحركه إلى حكم الله . ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان المدق " (٢)

وعلى من يمتنع العزلة والخلوة الا يعتقد فى نفسه أنه خير من الناس الذين اعتزلهم بل عليه أن يعتقد أن عزلته سلامة الناس من شره وقال ذو النون : " ليس من إحتجب عن الخلق بالخلوة كمن إحتجب عنهم بالله " (٣) وهذا يعنى أن الخلوة ليست مطلوبة فى حشد ذاتها وإنما هى وسيلة لتصفية القلب وذكر الله . وهذا يقودنا إلى الحديث عن رياضة عمليه أخرى لتهديب الاخلاق وترقيق القلب وهى رياضة الذكر .

(١) الرسالة القشيرية ص ٥١ طبعة مبيح .

(٢) محيى الدين بن عربى : " الكوكب الدر ل ٦١

(٣) البهر: وأردى - غوارف المعارف على هامش الاحياء للغزالي ج ١ ص ٢٠٥

ثالثا : الذكر :

الذكر من الرياضات العملية التي حث الله سبحانه المؤمنين عليها في مثل قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا " (س الإحزاب آية ٤١) •

ورئاسة الذكر من أهم الرياضات التي يحضنها الصافية للوصول الى الوجد والفناء وقد يكون الذكر في الجماعة وقد يكون منفردا •

وللذكر عبارات خاصة مثل " الله " أو " لا إله إلا الله " أو " سبحان الله " أو " هو الله " أو غيرها من عبارات الذكر وعلى الذاكر أن يكون متطهرا ويجلس مقبلا القبلة • ويسرد لفظا من الفاظ الذكر السابقة ويظل يذكر بلسانه ويحمر تفكيره في الله ويطرد من خاطره كل ماسواه من الخواطر التي تشغله عن الذكر ثم مع استمرار الذكر يسكت اللسان ويبقى ذكر القلب • ولا يزال الذاكر في شكره في الله حتى يفنى عما حوله ثم يفنى عن نفسه ويبقى بالله • وفي تلك اللحظات يفيض الله على قلبه المعارف النورانية الوهبية •

يقول السهروردي البغدادي : " الذكر على أربعة أقسام : ذكر اللسان - وذكر القلب وذكر السر - وذكر الروح • فإذا صح ذكر الروح سكنت السر والقلب واللسان عن الذكر • وكذلك ذكر المشاهدة • وإذا صح ذكر السر سكنت القلب واللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الهيبة • وإذا صح ذكر القلب ، فتر اللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الإيلاء والنعماء • وإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر ، وذلك ذكر العادة " (١) •

وحقيقة الذكر عند شيخنا هي غيبة الذاكر عن الذكر • فأعلى درجات الذكر هي التي يفنى فيها الذاكر عن ذكره فيسكت اللسان ويبقى ذكر الروح ويفنى الذاكر عما حوله وعن نفسه ويبقى بالله •

(١) ابن عربي " الكوكب الدرر في ما قبل ذي النون المصري ل ٤٦ •

ويقول ذو النون : " الذكر هو غيبة الذاكر عن الذكر " ^(١) فأفة الذكر أن يشعر الذاكر أنه يذكر . فمن ذكر الله ذكرنا على الحقيقة نسي في جانب ذكره كل شيء ، ولذا يقول السهروردي : " ولكل واحد من أنواع الأذكار عندهم (أى الصوفية) آفة . فأفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع النفس عليه ، وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه ، أو طلب ثوابه أو ظن أنه يصل شيء من المقامات . وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره . وسر هذا الأصل الذى بنوا عليه . أن ذكر الروح ، ذكر الذات . وذكر السر ، ذكر الصفات . وذكر القلب من الآلاء والنعماء وذكر أثر المفات . وذكر النفس متعرض للمعات . ^(١)

ولا يعنى الذكر عند صوفينا أن الذاكر كان غافلا عن الله ثم تذكره . وإنما لسان الصوفى قد اعتاد على ذكر الله مع حضوره سبحانه وتعالى دائما فى قلبه وقد أنشد ذو النون :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا .. ولكن بذاك يجرى لسانى ^(٢)

والذكر عند ذى النون هو سيف المريدين به يقاتلون أعدائهم ، وبه يدفعون الآفات . وهو يقضى بالذاكرين الى الفناء والاتصال الروحى بالله سبحانه ويثمر المعرفة الذوقية .

والمريد الصادق عند شخينا إذا ذكر الله ذكرنا كثيرا وصدق سعيه تجلى الله فى قلبه وحلى ذكره فى لسان الذاكرين وشغلهم به تعالى عن كل شيء وأحبوه أكثر من الأهل والمال ويقول ذو النون : " ان المريد اذا صدق سعيه بينه وبين الله تجلى فى صدره وحلى ذكره فى أفواه المريدين وشغلهم به شغل القلب على جميع الاشغال وحبهم له يحول بين الأهل والمال ^(٣)

رابعاً : الخبايا :

السمع عند ذوى النون وغيره من الصوفية رياضة من الرياضات العملية التى ترقق

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٢) ابن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى ل ١٠٩

(٣) المرجع السابق نفس اللوحة .

القلب وتبعث على الوجد وقد تؤدي بالسامع إلى الغناء • وهو يستند على أيه مثل قوله تعالى " فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه " (س الزمر آية ١٨) •

وقد عرف ذو النون السماع بقوله : " السماع وارد حق يزج القلب (أى يحركه) إلى الحق • فمن أصنى إليه بحث تحقق • ومن أصنى إليه بنفس تزندق " (١)

والسماع هو سماع القرآن الكريم وهو عنده وعند الصوفية جميعا أعلى أنواع السماع فهو كلام الله رب العالمين الذى لا يدانيه كلام • وسماع الأشعار والإشاد الدينى وغيره من الأقوال التى تحرك قلب السامع وتؤثر فيه • فيسقط ما يسمعه من المعانى على ما فى نفسه فإن كان فى نفسه هوى وشهوة (دنيوية) آثراها السماع وإن كان قلبه عامرا بحب الله آثار السماع فيه هذا الحب • ولذا قال ذو النون : " السماع يزج القلب وأن من أصنى إليه بحق تحقق وأن من أصنى إليه بخلوظ النفس وحب ما سوى الله تزندق " (٢)

وقد حكى أحد الصوفية المعاصرين لذى النون قال : " لما دخل ذى النون المصطفى بغداد أجمع عليه الصوفية ومعهم قوال • فاستاذنوه أن يقول بين يديه شيئا فاذن له • فانشد القوال :

صغير هواك عذبنى • • • فكيف به اذا إحتنكا
وانت جمعت فى قلبى • • • رهوت فكنا كلين متشكركا •

فتواجد ذو النون وسقط فانشج رأسه وقطر منه دم غير أنه لا يسقط على الأرض • فقام شاب يتواجد فقال له ذو النون إتنق الذى يراك حين تقوم • فقعد الشاب • وكان جلوسه لموضع علمه أنه غير كامل الحال ، غير صالح للقيام متواجدا • فلا يصح أن يقوم أحدهم من غير تدبر ولا علم فى قيامه • وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون وينسبل حجاب نفسه المنبسطة بانسياط الطبع على وجه القلب ، ويستغزه النشاط المنبعث

(١) محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى ل ١٠٩

(٢) المرجع السابق نفس اللوحة •

(١) من الطبع ، فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتمنع وهو محرم عند أهل الحق

والموفي الصادق عندما يسمع آيات الذكر الحكيم أو إنشاد القوالين فإنه لصادق
مشاعره ورقة قلبه ونقاء سريرته ولشدة قربه من الله ينصت إليها في تفكير وتدبير • فتثير في
قلبه مشاعر الحب والشوق الكامن لله فيستغرقه الوجد فيفنى عما حوله ويفنى عما يسمع
ويبقى بالله فتحدث له حالة من الفناء والاتصال الروحي • وقد يأتي السامع لشدة انفعاله
وقوة وجدته بحركة أو يطلق صوتا • وإذا كان صادق الحال فإن كل ما يصدر عنه يكون دون تعمد
منه ولا إرادته • أما إذا كان مدعيا أو منافقا فإنه يتكلف الحركات •

وذكر الله بالقلب والتفكير فيه عند صوفينا هو مفتاح العبادة فإذا تأمل المؤمن في
بديع صنع الله وعظمة خلقه للكون وتنسيقه له وتفكر في نعم الله على مخلوقاته • خر لله
ساجدا إجلالا وتكبيرا وتعظيما وشكرا • ويقول ذو النون : " مفتاح العبادة الفكرة " (٢)
والسامع يبعث على التفكير في الله • ويقول : " من يتبع الحق في هذا السماع يحمل الله
الكشف على حين أن من يقع له الحجاب يعمد الى التأويل " (٣) •

خامسا : الصمت :

يعتبر ذو النون الصمت من الرياضات العملية التي يصطنعها سالك الطريق الموفي
لتهذيب نفسه ويعطيه فرصة كاملة للتأمل والتفكير في الله كما أنه يكف لسانه عما سوى
الله ويقول ذو النون في أهمية الصمت : " إذا سمعنا شابا يتكلم في المجلس يأبنا من
خبره " (٤)

- (١) محيي الدين بن عربي الكوكب الدرر في مناقب ذي النون المصري ل ١٠٩ •
- (٢) المرجع السابق نفس اللوحة •
- (٣) المرجع السابق نفس اللوحة •
- (٤) المرجع السابق ١١٠ •

ويصف حال الصوفي الملتزم بالصمت بقوله : " إن لله عبادة تلبدوا من غير وعى ولا بكم وأنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله " (١) .
رياضة الصمت لا تقتصر على المريدين المبتدئين فقط بل بصطنعها الصوفية العارفين الواصلين الى الحضرة الالهية ايضا فيصمتوا وهم البلغاء الفصحاء حتى يتلقوا عن الحق سبحانه . كما يشير ذو النون الى رياضات عملية أخرى كالسهر والصوم والجوع وغيرها من الرياضات التي يظننها الصوفية لتضعف بشريتهم وتقوى روحانيتهم ويكونوا اهلا للاتصال الروحي بالله .

سادسا : الحج :

تناول ذو النون رياضة الحج بالتحليل الطريق لمناسكه فكشف فيهما يقول المرحوم الدكتور محمد مصطفى حلمى عن معانى تلك الرياضة العملية وأولها تأويلا آبان عن آثارها الروحية فى حياة الذين يؤدون المناسك سواء فى علاقاتهم بربهم أو بأنفسهم أو بأشبابهم (٢)
فقد أول ذو النون الوقوف بالجبل لا بالكعبة بان ذلك إنما كان لان الكعبة بيت الله والجبل باب الله . وان الله ليوقف القادمين اليه والوافدين عليه بالباب يتضرعون . ويتأول ويعلل الوقوف بالمشعر الحرام . وكيف صار بالحرام . وذلك بأن الله لما أذن للوافدين عليه بالدخول اليه أوقفهم بالحجاب الثانى وهو المزدلفة . ولما طال تضرعهم أمرهم بتقديس قربانهم . وكان هذا القربان تطهيرا لهم من ذنوبهم التى كانت لهم حجابا من دون الله . وأذن الله لهم بالزيارة على طهاره . وأما أن الصوم مكروه أيام التشريق فذلك ما يأولسه ذو النون ويعلله بأنه راجع الى أن القوم انما زاروا الله وانهم فى ضيافته ، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من اضافه . ويعلل ذو النون التعلق باستار الكعبة فكشف عن المعنى الذى ينطوى عليه هذا التعلق فيرى أن مثل الرجل وقد تعلق باستار الكعبة كمثله الرجل وقد كان

(١) محبى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى ل ١١٠ ،

(٢) دائرة المعارف الاسلامية . تعليق على مادة ذى النون ج ٤ ص ٤٢٦ .

(١) بينه وبين أخيه جناية فتعلق بثوبه واستجدى له وتضرع اليه ليهب له جرمه وجنايته

المقامات والاحوال عند ذى النون المصرى :

اتفح لنا مما سبق ان الرياضات العملية تلعب دورا هاما فى اشارة الوجد وترقيق القلب وتحمل بالسالكين طريق الصوفية الى حال الفناء كذلك إن الرياضات الروحية تعدل من سلوك المرید وتهذب به وتحمل به الى أعلى مستويات الكمال الاخلاقى . وتمضى نفسه من الاخلاق الذميمة ، كالحقد ، والحسد ، والغيرة ، والكراهية ، والجشع . وعدم الرضا ، وقلة الحلم ، وانكار نعم الله وغيرها من الصفات التى يجاهد المرید نفسه للتخلص منها والتحليق بافاضها . ولذا قيل : التصوف تخلية وتحلية . أى تخلية القلب والنفس من الاخلاق الذميمة وأدراة الشهوة والهوى . وتحليته بحب الله والاخلاق الحميدة .

وقد كان لصوفينا المصرى الفضل فى وضع اسس التصوف النظرى وكان من اوائل الصوفية الذين تكلموا فى مصر فى ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية كما سبق أن اشرنا . وقبل التعرف على تمنيفه للمقامات يجدر بنا التفرقة بين المقام والحال كما جاء فى الرسالة القشيرية : فالمقام هو موضع إقامة السالك فهو يتصف به على الدوام ويصل اليه بالاجتهاد والارادة ومقاومة هوى النفس ومحاولته المستمرة للوصول بها الى درجة الكمال عن طريق الرياضات العملية كالصوم والذكر والملاة والسماع والعزلة والخلوة والسهرة والصمت وغيرهم وكلما تحقق السالك بأحد المقامات سعى الى التحقق بالمقام الذى يليه . ويختلف عدد المقامات وترتيبها بين صوفى الى آخر ومن أمثلة المقامات : التوبة ، الصدق ، الرضا ، الذهد والمحاسبة وغيرها . أما الحال عند الصوفية فهو معنى يرد على قلب السالك من غير تعمد ولا إجتلاب ولا إكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو شوق أو هيبة أو فناء . فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب وصاحب المقام ممكن فى مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله

(٢)

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٢ طبعة صبيح

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة

من ذلك يتضح أن الفرق بين الحال والمقام أن المقام يتحقق به السالك بكثرة تعبدته وإرادته أما الحال فهو موهبة من الله تلد على قلب السالم من غير التعمد منه ولا إجتهد . كما أن المقامات دائمة بينما الأحوال زائلة .

وهناك نص لذي النون نستطيع أن نستشف منه ترتيب المقامات يقول فيه : " إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزننا فجنوا بنير جنون . وتبلدوا من غير وعى ولا بكم وإنهم هم البلاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله . ثم شربوا بكأس المقاء وورثوا الحبر على طول البلاء ثم تولت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجيروت وأستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع . فاستعذبوا مرارة التبرك للدينيا وأستلنوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسر الهوى حتى نزلوا ببناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العزة والكرامة . " (١)

ويمكن أن نتبين من هذا النص المقامات التالية :

مقام التوبة - مقام الصدق - مقام الاخلاص - مقام الصبر - مقام التفكير والتأمل - مقام اليقين - مقام الخوف الرجاء - مقام العبودية - مقام الحب والعشق - مقام الزهد - مقام التواضع - مقام الرضا - مقام التوكل - مقام المعرفة . ومن الأحوال . حال الانس - وحال الفناء والاتصال .

١ - مقام التوبة : - يعتبر مؤفينا التوبة هى أول مقامات الطريق الصوفى ويحدثنا عن نوعين

من التوبة :

(١) محي الدين بن عربي الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون ل ١٠٠

- توبة العوام • وتكون من الذنوب والمعاصي وهي للمريد في بداية الطريق •
- توبة الخواص وتكون من الغفلة عن الله والانشغال عنه بما سواه ويقول ذو النون : " توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة " (١)
- والتوبة من الغفلة قد حث الله عليها في مثل قوله تعالى : " واستنفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود " (س التوبة آية ٩٠) والتوبة من الغفلة حث الله عليها عباده المخلصين في مثل قوله تعالى : " وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " (س النور آية ٣١) وحتى تصح التوبة لابد لصاحبها من ثلاثة أشياء فيما يرى ذو النون : الندم على ما عمل ، ترك تلك المخالفات التي تغضب الله ، والعزم على ألا يعود على مثل ما ارتكب من المعاصي (٢) ويقول صوفينا في ثمرة التوبة : (إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا ، نصب رواق القلوب ، وسقوها بماء التوبة ، فأثمرت ندما وحزنا " (٣)

فالحريدون الذين وقفوا على خطاياهم وأنتبهوا الى ما عملوه من ذنوب وما كانوا فيه من غفلة عن الله فعذبوا على التوبة الصادقة وترك كل ما يبعدهم عن الله وشغروا بالندم والحزن فإنهم يعزمون على ألا يعودوا مرة ثانية الى مخالفة الله أو الغفلة عنه • وهذا يشبه ماقلناه الغزالي عن التوبة في كتابه " احياء علوم الدين " حيث قال : " أعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، حال ، فعل • فالعلم الاول والحال الثاني والفعل الثالث • أما العلم فهو معرفة عظم الذنوب وكونها حجابا بين العبد وربّه فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب ، فإن القلب كلما شعر بفوات محبوبه تألم فإن كان فواته بفعله تأسف على

(١) محي الدين بن عربي : الكوكب الدري في مناطق ذي النون المصري ل ١٠١

(٢) المرجع السابق نفس اللوحة

(٣) المرجع السابق ل ١٠٠ ظ

الفعل المفوت فيسمى ذلك ندما فإذا غلب هذا الألم على قلب واستولى إن إنبعث في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال ، وبالماضي ، والاستقبال . أما تعلقه بالحال فبالترك للذنوب التي كانت ملازمة . وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنوب المفوتة للمحبوب إلى آخر العمر . وأما بالماضي فبتلافى ما فات بالجبر والقضاء .^(١)

وعلى السالك الذي تحقق بمقام التوبة أن يتحقق بعد ذلك بمقام الصدق

٢- مقام الصدق : - يعتبر الصدق هو ثاني المقامات التي يجب أن يتحقق بها المريد . وهو يستند على مثل قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (التوبة آية ١١٩) وهو ضامن لصحة التوبة . والصدق هو رأس مال المريد وفيه صلاح أمره ، وهو سلاح المؤمنين الذي عليه أن يتسلح به حتى تكتب له النجاة دائما ، وهو سيف الله في أرضه الذي يقطع بين الحق والباطل والشك واليقين . ويقول ذون النون في الصدق : " الصدق سيف الله في أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه " ^(٢)

والمريد الصادق عند شيخنا هو من يكون صادقا مع ربه فلا يدع من المقامات والاحوال مالم يسهل له ولا يقول بلسانه ما ليس بقلبه أو يدعي المعرفة بالله أو الزهد . ويكون صادقا مع نفسه . وصادقا مع غيره . ويقول ذون النون : " وإياك أن تكون بالمعرفة مدعيا أو تكبون بالزهد محترفا . أو تكون بالعبارة متعلقا " ^(٣)

والصدق عند ذى النون هو الحقيقة الموصلة للحق فالله هو الحق وقوله الحق لا يتيسر للسالك الوصول إليه إلا بالحق والصدق وإلا فهو محجوب عن مشاهدته . ولا يجوز

- (١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣ .
- (٢) السلمى - الطبقات ص ١٠ - وأنظر أيضا : الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٥٢ .
- (٣) محيي الدين بن عربي الكوكب الدر في مناقب ذى النون المصري - ل ١١١ -

للمدعين الكذب على الله لأنه سبحانه شاهدا عليهم ، وأعلم بحالهم • وكاشفا أسرارهم
ويقول شيخنا : " كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهدا لأهل الحق
لأن الحق هو الحق • وقوله الحق ولا يحتاج أن يدعى إذا كان الحق شاهدا له • وأما إذا كان
غائبا فحينئذ يدعى ، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين " (١) •

وإذا تحقق المرید بمقام المدق عليه أن يكون مخلصا في علاقته بالله ويخلص قسى
مدقه فيعمل على التحقق بمقام الاخلاص •

٢ - مقام الإخلاص يربط شيخنا بين مقام الصدق ومقام الاخلاص فيذهب إلى أن الصدق لا يتم
إلا بالإخلاص وأن الاخلاص لا يتم إلا بالمدق فعلى المرید الصادق في توبته أن يكون مخلصا لله
ويصبر على اخلاصة ويدوم على التحقق بالصدق • ويقول ذو النون في ذلك : " الاخلاص لا يتم
الا بالصدق فيه ، والصبر عليه ، والمدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه " (٢)

ومقام الاخلاص يقوم على أية مثل قوله تعالى : " ألا الله الدين الخالص " (س الزمر
آية ٢) وقوله تعالى : " وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين " (س البينة آية ٥)
وعلمة تحقق المرید بمقام الاخلاص عند شيخنا ثلاثة هي : استواء المدح والذم من
العامة - نسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة •

فالمرید الذى تحقق بمقام الاخلاص لا يغضبه ذم الناس له ولا يفرحه مدحهم فالناس
لا يحكمون الا بالظاهر بينما الحق سبحانه يحكم بما فى الباطن • وهو وحده المطلع على مافى
قلبه وسريته طالما تحقق بالاخلاص وصدق فى اخلاصه لله • كما أن المتحقق بمقام الاخلاص
إذا فعل خيرا او سلك سلوكا نبيلًا فإنه لا ينظر الى فعله على أنه عمل عظيم وإنما هو يعمل

(١) - الزنالة القشيرية - تحقيق د • عبد الحليم محمود ، ومحمود الشريق ج ٢ ص ٤٥٢

(٢) - محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١١

الخير ولا يرى ذلك في أعماله حتى لا يدخله العجب بنفسه وكذلك فإن المتحقق بمقام الاخلاص لا يعمل العبادات ابتغاء الاجر والثواب فيكون كما قالت رابعة العدوية : " كالاجير السوء " وانما هو ينسى اقتضاء ثواب العمل في الآخرة فيعمل الخير لذاته . . .

ولاريب أن من أراد أن يتقرب الى الله ويحظى برضاه وحبه يجب ان يتحلى بالمصدق والاخلاص والا فهو مدع ومنافق لاتصح توبته وهو بذلك يكون محجوب عن الله . ويتفق قول ذى النون مع الغزالي في أن الاخلاص الصادق هو عدم رؤية المريد للاخلاص فانه اذا شاهد إخلاصه فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وأن السالك يجب ألا يرى قعله أو يلتفت اليه يتفق ايضاً مع ما ذهب اليه الغزالي من ان الاخلاص هو تجريد قصد التقرب الى الله تعالى من الشوائب (١) وعلى السالك بعد ذلك أن يتحقق بمقام الصبر .

٤ - مقام الصبر : يعتبر صوفينا مقام الصبر من المقامات التي يجب أن يتحقق بها السالك للطريق الصوفى منذ البداية وهو قائم على مثل قوله تعالى : " واصبر وما مبرك الا يالله " (س النحل ايه ١٢٢) . وحقيقة الصبر عند ذى النون في قدرة السالك على البعد عن المخالفات فالمريد الذى يجاهد نفسه ليزكى الخير فيها ويورثها جميل الصفات عليه بالبعد عن المعاصي والمخالفات ويصبر على ذلك . كما أن للصبر عنده معنى آخر وهو السكون عندما تحل بالسالك البلية أو مكروه . كما ان الصبر يظهر في التحلى بمظهر المتنعم بنعم الله الميسور الحال في وقت عوزه وشده فقره : فالسالك المتحقق بمقام الصبر يبدو على مظهره الرضا والسعادة والغنى مع قلة موارد وضييق رزقه ويقول ذو النون : " الصبر هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجريح البلية ، واظهار الغنى مع خلل الفقر بساحات المعيشة " (٢) ومن أعلام الحلم عند شيخنا ثلاثة : قلة الغضب عند مخالفة

(١) - محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى لـ ١١٢ .

(٢) - الطوسى : اللمع ص ٢٥ .

الرأى ، والاحتمال عند الورى إخبارا للرب ونسيان إساءة المسىء عفووا عنه واتساعا عليه " (١)
ثم على السالك بعد ذلك ان يديم التفكير فى الله

٥ - مقام التفكير والتأمل : يرى ذو النون ان التفكير فى الله والتأمل فى ملكوته وعظيم قدرته فى خلق السماوات والارض هو مفتاح العبادة كما أن السالك اذا تفكر فى نعم الله خير منلجج له اجلالا واكبارا ويقول ذو النون : " مفتاح العبادة الفكرة " (٢) . ولا شك أن المتفكر فى الله الذى لا يشغل فكره بسواه ولا يرجو الا رضاه كلما زاد تفكره كلما شعر بنقصه امام كمال الله وبضعفه امام قوته ، وبجهله امام علمه . وبخسته امام عظمته سبحانه فيخشى جبروته .

وقد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى مثل قوله تعالى : " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار " (س آل عمران آيه ١٩١) واذا تعمق السالك فى التفكير فى الله تحقق بحال اليقين .

٦ - مقام اليقين : يتحقق السالك بمقام اليقين عملا بقوله تعالى " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " (س الواقعة آية ٩٥) . واليقين هو العلم الذى لا يداخله صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقف . وعلم اليقين على موجب اصطلاح الصوفيه ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان . فعلم اليقين لارباب القلوب وعين اليقين لاصحاب العلوم ، وحق اليقين لاصحاب المعارف (٣) .

واليقين عند صوفينا يكون نتيجة التفكير والتأمل فى الله وهو نور اذا وصل الى القلب ازال عنه كل ريب ويمتلىء القلب به شكرا لله وخوفا من عباده ورجاء فى ثوابه وهو عند صوفينا باعث على الزهد فى الدنيا والبعد عما سوى الله . والزهد بدوره يؤدى الى

(١) ابو نعيم الاصفهاني حلية الاولياء ج ٩ ص ٢٨٢ .

(٢) السلمى - طبقات الصوفية ص ١١ وانظر الطوسى اللمع ص ٧٦ .

(٣) محبى الدين برن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١٢ .

الحكمة فى القول والفعل والحكمة تورث النظر فى عواقب الامور • وتؤدى الى بعد النظر •
ويقول فى ذلك : " اليقين داع الى قصر الامل ، وقصر الامل يدعو الى الزهد ، والزهد يورث
الحكمة والحكمة تورث بعد النظر فى العواقب • (١) وفى رأى شيخنا ان اليقين اذا صح فى
القلب ، صح فى القلب الخوف من الله • فمن لا يقين عنده لاخوف عنده • ويقول : " إذا صح
اليقين فى القلب صح الخوف فيه " (٢) أى إذا لم يكن الانسان مؤمناً ومتيقناً من وجود الله
تعالى فلن يخشاه أو يخافه •

وما قاله ذو النون يشبه ما قاله الغزالي من : " أن الخوف ثمرة العلم اليقين بالله
تعالى " (٣) ويذهب ذو النون إلى أن من علامات اليقين ثلاثة : قلة مخالطته (أى المريد)
لناس فى العشرة • وترك المدح لهم فى عطية والتنزه عن ذمهم عند المدح • (٤)

وعنده ايضاً أن اعلام يقين اليقين ثلاثة : النظر الى الله تعالى فى كل شئ والرجوع
اليه فى كل أمر • والاستعانة به فى كل حال • (٥) وإذا ايقن السالك من وجود الله فانه يخشاه
ويرجو عفو • فعليه بعد ذلك أن يتحقق بمقام الخوف والرجاء •

٧ - مقام الخوف والرجاء : ومقام الخوف يقوم على مثل قوله تعالى : " ويحذركم الله
نفسه " (س آل عمران اية ٢٨) ويذهب ذو النون الى ان الخوف رقيب العمل ومن خشى ربه
راقبه فى كل اعماله واقواله مخافة أن يقع فى معصية تغضب ربه • ولذلك فمن يتحقق بمقام
الخوف من الله يكون حريصاً كل الحرص على مرضاة الله فى جميع ما يصدر عنه • رجاء رحمة
فى المحن وغفرانه للذنوب والامل فى عفوهِ ورضاه ويقول شيخنا : " الخوف رقيب العمل

(١) الرسالة القشيرية ص ٤٤ طبعة صبيح •

(٢) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١٢ •

(٣) الغزالي السالكين من علوم الدين ج ٢ ص ١٥٧ •

(٤) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١٢ •

(٥) المرجع السابق نفس اللوحة •

والرجاء شفيح المحن" (١) فالرجاء "هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده". كما يقول الغزالي الذي يرى ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لأن اقرب العباد الى الله تعالى أحبهم له . والحب يغلب الرجاء" (٢)

والى مثل هذا ذهب صوفينا من قبل حينما قال : " لو أن ذرة من الاشتياق . أثقل على الجوارح من قنطار من الخوف . لأن الشوق يخرج من الابدان خفى الطاعات" (٣) قصوفينا يرى أن ذرة من حب الله والشوق اليه تعمل عملها في جوارح المحب المشتاق فيراقب الله في كل حال لأن الشوق يخرج من الابدان ما خفى من الطاعات مما لا يقدر الخوف على إخراجه .

ويذهب شيخنا الى أن العابدين الخائفين يدركون حق الادراك أن لله حقوق أثقل من أن يقوم بها العبد . وله سبحانه نعم لا تحصى ولا تعد وان عليهم ان يتوبوا الى الله بكرة واصيلا ويقول ذو النون : " لله عبادا قطعهم الخوف أن يعرفوا أن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العابد . وأن نعم الله أكثر من ان يحصيها العابد ولكن أصبحوا توابين واصوا توابين" (٤)

وقد سئل صوفينا . متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟ فقال : اذا انزل نفسه منزله السقيم يحتمى من كل شيء ، مخافة السقم (٥) وهذا يعنى أن العبد يتحقق بالخوف اذا ايقن ان مكروها ينتظره أو خشي نفسه ان يكون دوماً في منزلة السقيم فيحتمى من غضب الله في تجنب المعاصى مخافة طول السقم . وهذا يشبه ما قاله الغزالي من أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه اما أن يكون مكروها في ذاته كالنار ، واما أن يكون لانه يفضى الى مكروه كما تكره المعاصى لأدائها الى مكروه فى الآخرة (٦)

(١) طبقات السلمى ص ١١

(٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٤١ .

(٣) محيى الدين ابن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون الممرى ل ١١٤ .

(٤) المرجع السابق نفس اللوحة .

(٥) المرجع السابق نفس اللوحة .

(٦) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٥ .

والخوف عند شخنا علامات ثلاثة هي كما يقول : " الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد وحفظ اللسان مراقبة للتعظيم ودواء الكمد اشفاقا من غضب الحليم " (١)

وكان الحسن البصري (٢١ هـ - ١١٠ هـ) اكثر الزهاد تحققا بمقام الخوف • وكان دائما يقول : " من خوفك حتى تلقى الامن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف " (٢)

وقال ذو النون في الرجاء : " لئن مددت يدي اليك داعيا لطالما كفيتنى ساهيا اقطع منك رجائي بما عملت يداي ؟ حسبي من سؤالي علمك بحالي • " (٣) وهنا يناجى ذو النون ربه بأنه يطمع في كرمه ويرجو عفوه ومغفرته فإذا مد اليه يده داعيا راجيا وهو سبحانه الكريم الذى طالما تكرم عليه بنعمه وهو غافل عنه فهو لا يقطع الرجاء من الله بما عمل من ذنوب لانه أعلم بحاله • واذا تحقق العبد بالخوف من الله فعليه ان يصح عبوديته لله ويلتزم بمقام العبودية الحقة •

٨ - مقام العبودية : يقوم مقام العبودية على آية مثل قوله تعالى " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " (س الحجر آية ٩٩) والعبودية هي جوهر الدين وهي دستور العلاقة بين العبد وربّه وهي في رأى الصوفية أتم من العبادات • فأولا عبادة • ثم عبودية • ثم عبودة • فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص • والعبودة لخواص الخواص • والعبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين • والعبودة لمن له حق اليقين • والعبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لأرباب المكابذات • والعبودة صفة أهل المشاهدات • فمن يدخر عنه تعالى نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضن عليه يقلبه فهو صاحب عبودية • ومن لم ييخل عليه بروحه فهو صاحب عبوده (٤)

- (١) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١٤ •
- (٢) الصهر واردي - عوارف للمعارف ص ٩٨ •
- (٣) محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١١٥
- (٤) ابونعيم الاصبهاني - حليقا لاولياء ج ٢ ص ١٢١ •

ولا ريب أن فى عبودية الله منتهى العزة والكرامة ومنتهى الحرية ولذلك قال الامام القشيري " الحرية الا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولايجرى عليه سلطان المكونات . (١)

كما أن ذروة الحرية الا يخضع الانسان لشهوات نفسه ويسير عبدا لها ، ولذلك قال ابو على الدقاق " من دخل الديننا وهو عنها حر ، يرتحل الى الآخرة وهو عنها حر " (٢)

فحقيقة الحرية فى كمال العبودية فإن كان العبد صادقا فى عبوديته لله خلص من رق الاغيار ومار من الاحرار ولذلك قال الحسن بن مفتاح الموفى : " من أراد الحرية فليصل العبودية " (٣) .

وحقيقة العبودية عند ذى النون أن يشعر السالك بأنه عبدا لله سيده ومولاه فى كل حال وأن فيعرف أنه تعالى رب نعمته . ويقول : " العبودية أن تكون أنت عبده فى كل حال كما أنه ربك فى كل حال " . (٤) . والسالك المتحقق بالعبودية يستحى من الله ولذلك فيجيب عليه التحقق بمقام الحياء .

٩ - مقام الحياء : يذهب ذو النون الى أن العبد الذى يخشى ربه لا بد ان يستحى منه قال تعالى : " الم يعلم بأن الله يرى " (س العلق اية ١٤) وهو يربط بين مقام الخوف من الله ومقام الحياء منه تعالى . فيجعل الخوف فى منزلة أقل من منزلة الحياء . فالمريد الذى يترك المعاصى ويتقرب الى الله بالطاعات والعبادات لتحقيقه بمقام لخوف . ما يلبث أن يترك ذنوبه حياء من كرم الله . بعد أن تركها خوفا من عقوبته . ويقول فى ذلك : " لله عباداً تركوا الذنوب استحياء من كرمه . بعد ان تركوها خوفا من عقوبته . ولو قال تعالى : اعمل ما شئت فلست اخذك بذنب . كان ينبئ أن يزيدك استحياء منه ، وتركاً لمعصيته ،

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٦٠ .

(٣) المرجع السابق ٤٦٢ .

(٤) مىحى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى ل ١١٥

ان كنت حرا كريما عبدا شكورا • فكيف وقد حذرك !! " (١)

وحقيقة الحياء عند ذى النون شعور قلب السالك بهيبة الله عز وجل مما إقترفه من معاصي سابقة ويقول : " الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك " (٢) وقال أيضا : " الحب يُنطق والحياء يُسكت ، والخوف يُقلق " (٣) •

وذو النون يفرق بين الاستجابات الانفعالية لكل من الحب والحياء والخوف من الله فيرى أن الحب لله الذى تمكن من قلب صاحبه لابد أن ينطق تعبيرا عن هذا الحب العظيم • أما الذى يسيطر عليه الحياء من الله ، فإن الحياء يسكته ويجعله غير قادر على النطق ، أما الذى تملك قلبه الخوف من الله فإن القلق يسيطر عليه • وعند شيخنا اعلام الحياء ثلاثة هي : " وجدان الانس بفقدان الوحشة ، والامتلاء من الخلوة بإدمان التفكير ، واستشعار الهيبة بخالص المراقبة " (٤) والسالك الذى صح عبوديته وصار يستحى من ربه عليه ان يزهد فى الدنيا ويقبل على الآخرة •

١٠ - مقام الزهد : يعتبر صوفينا ان الزهد فى الدنيا من اهم المفات التى يجب ان يتحقق بها السالك للطريق الصوفى ففى رأيه أن الانسان الذى يتجه بكلية الى الله متقربا اليه بالعبادات والطاعات ، لا يتعلق قلبه بزينة الحياة الدنيا وما بها من اغواءات وملذات شاته ، اذا قضى الانسان عمره فى تحصيلها فانه يشقى بها ويسلمه ذلك الى الانغماس فيها فيصير اسيرا لها وتمرفه عن التفكير فى الله والتقرب اليه • وتصبح الدنيا هى جنته بما فيها من النعيم والمتع الزائلة الزائلة • ويرى فى التمتع بها لذته الحقيقية وسعاده الكاملة فيسرف فى الاقبال عليها •

(١) السلمى - الطبقات ص ١١ وانظر ايضا محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى ل ١١٦

(٢) المرجع السابق نفس اللوحة والرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٥٥ •

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة •

(٤) الاصبهانى - حلية الاولياء ج ٩ ص ٢٨٢ •

أما المؤمن فإنه يعتبر الدنيا سجن كبير وهي فرصة يتزود فيها بالاعمال الصالحة والطاعات والعبادات حتى يعد نفسه للنعيم المقيم في الجنة الحقيقية • ويقول ذو النون : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " ^(١) ويقول من أعلام الزهد ثلاثة " قصر الأمل - وحب الفقر ، والاستغناء مع الصبر " ^(٢)

ويذهب شيخنا الى أن الزهد في الدنيا يورث الحكمة والنظر في عواقب الامور فهو يقول : " الزهد يورث الحكمة ، والحكمة تورث النظر في عواقب الأمور " ^(٣) .

وحقيقة الزهد عند ذي النون ان يزهد السالك في نفسه اولا فانه اذا احب نفسه ادى به ذلك الى الانغماس في اشباع اهوائها ولذاتها • اما اذا زهد فيها أوصله ذلك الى الزهد في الدنيا • وقد قال رجل لذي النون : " متى أزهد في الدنيا : " قال إذا زهدت نفسك " ^(٤) وكان صوفينا يرى ان الزهد في زمانه اصبح امرا نادرا ويقول في ذلك : " أدركنا ناس الواحد منهم كلما ازداد علما ازداد في الدنيا زهدا وتركها لها • واليوم يزداد الرجل بعمله حبا للدنيا وطلبها لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه • واليوم يكسب الرجل بعمله مالا • وكان يُرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره • واليوم يُرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر " ^(٥) وعلى السالك الذي زهد في الدنيا واتجه الى الله ان يتحقق بمحبته •

١١ - مقام المحبة والعشق : كان لذي النون نظرية في المحبة فهو يرى أن حبا عظيما متبادلا بين العبد وربّه • وقد تحدث ذو النون عن المحبة وكانت رابعة العدوية قد سبقته الى ذلك • فللمحب الصادق هو من أحب كل شيء يحبه الله ، وابتغى كل شيء يبتغيه الله •

(١) محيي الدين بن عربي الكوكب الدرّي في مناقب ذو النون المصري ل ١٢٠

(٢) الرسالة القشيرية ص ٨٣ طبعة صبيح • الاصبهاني حلية الاولياء ج ٩ ص ٢٨٢

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة •

(٤) السلمى - الطبقات ص ١٠ •

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥٧ وطبقات السلمى ص ١١ •

والمحبه هى ايضا فعل الخير بجميع صوره فى كل وقت وفى كل مكان ، وهى أيضا فى البعد عن كل ما يشغل السالك عن ربه • ويبعده عن التقرب اليه ، والمحبه هى كذلك الا يخشى السالك إلا الله ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وان يكون رقيق القلب عطوف على اخوته من المسلمين ولا يتساهل مع الكافرين وان يقتدى بالرسول الكريم فى قوله وفعله ودينه • وقال شيخنا عندما سئل عن المحبة : " ان تحب ما احب الله ، وان تبغض ما ابغض الله ، وتفعل الخير كله ، وترفض كل ما يشغل عن الله ولا تخلف فى الله لومه لائم • مع العطف للمؤمنين والغلظة على الكافرين واتباع رسول الله (ص) فى الدين " (١) • وقد أنشد ذو النون فى الحب مناجيا ربه :

• •	أموت وما متت اليك صابتي	• •	ولا قضيت من مدق حبك اوطارى
• •	مناي كل المنى انت لى منى	• •	وأنت الغنى وكل الفنى عن أقتارى
• •	وأنت مدى سؤالى وغاية رغبتى	• •	وموضع أمانى ومكنون اضمارى
• •	تحمل قلبى فيك ما لا أبته	• •	وان طال سقمى فيك أو طال إضرارى
• •	وبين ضلوعى منك مالك قد بدا	• •	ولم يبد بادييه لأهلى وجارى
• •	وبى منك فى الاحشاء داء مخامر	• •	ومنقذ من أشفى على حرف هارى
• •	أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن	• •	من النور فى ايديهم عشر معشار (٢)
• •	فقللى بعفو منك احيا بقره	• •	أغثنى بيمر منك يطرد أعمارى

وفى هذه الأبيات يعبر ذو النون عن مدى حبه لله تعالى فهو يرى أن حب الله باقيا فى قلبه طوال عمره وحتى بعد مماته فان هذا الحب الكبير لا يموت ولا ينتهى • وان الله تعالى هو كل مناه فهو يحبه لذاته • وهو سبحانه الفنى كل الفنى عن أعماله وتعبده ، وهو سبحانه كل مطلبه وموضع اماله ، وهو الذى يملك عليه سره • وقد خمل فى قلبه حبا يعجز عن بثه أو التعبير عنه مهما طالبت لوعته وسقمه • وبين جنباته حبا لا يخفى على الله وان كان يخفى على الاهل والجار ، وحبه تعالى قد استقر فى دمه

(١) محبى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١٢٠ •

(٢) المرجع السابق نفس اللوحة و السلمى - طبقات الصوفية ص ١٠ •

والله ربه دليل لكل محتار ومنقذ كل من قل عن الطريق واشرف على الهاوية وقد انار طريق الهداية للمهتدين الذين لم يكن لديهم من الهدى عشر معشار ما كان عنده ويقول : فنلنى بعفوك يا إلهى وإثنتى بيسر منك ويسر لى أمرى •

وللحب عند ذى النون علامات أهمها أن يكون المتحقق بمقام الحب متابعا للرسول (ص) ومقتديا به ويقول : " من علامات المحب لله ، متابعه حبیب الله (ص) فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته " (١)

وحقيقة المحبة عند ذى النون أن تحب من يحبه الله وتبغض من أبغضه الله وتطلب رضاه وترفض جميع ما يشغلك عنه ~~ولا تخف~~ في الله لونه لأمه أن تعزل نفسك عن رؤيتها وتدبيرها فإن أشد الحجب رؤية النفس " (٢) • فعلى سالك طريق الصوفية أن يحب فى الله ويبغض فى النفس ويرفض كل ما يشغله عن الله ولا يخشى فى الله لوم وأن يسقط تدبير نفسه لأن رؤية تدبير النفس هو أشد الحجب التى تحجب السالك عن حبيبه • وهو فى قوله هذا يتفق مع ما نجده عند ابو الحسن الشاذلى (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) حيث قال : " ولم يصل الولى الى الله ومعد تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته " (٣) وهو أيضا يشبه ما نجده عند ابن عطاء الله الكندرى (المتوفى سنة ٧٠٩ هـ) والذي قال : " أهل الغفلة والاساءة قد اجابوا الشيطان فى الكباثر والمخالفات واتباع الشهوات فليس للشيطان حاجة ان يدعوهم الى التدبير ولما دعاهم اليه لاستجابوا بسرعة ••• فليس هو أقوى اسبابه فيهم إنما يدخل الشيطان بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم ، فرب صاحب ورد عظمه عن ورده أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكره فى محال نفسه ، ورب ذى ورد استضعفه الشيطان فالقى اليه دسائس التدبير ليعكر عليه صفاء وقته " (٤)

(١) السلى - طبقات الصوفية ص ١١ - محبى الدين بن عربى الكوكب الدرى ل ١٢١

(٢) المرجع السابق نفس اللوحة

(٣) د • أبو الغنى التفتازانى - ابن عطاء الله الكندرى وتموفه ط ٢ ص ١٣١ •

(٤) المرجع السابق ط ٢ ص ١٣٠ •

وعند شخنا أن المحب لله يستقل كل ما يقوم به من طاعات وعبادات ويقول :
 " من أحب الله استقل كل عمل يعقله " ^(١) ويقول أيضا : " لو لزمنا الحياء من الله ما
 ذكرنا المحبة . وقد شربنا من كأس الدنيا " ^(٢) فهو على شدة زهده يرى أنه يستحي من الله
 عند ذكر المحبة مع ما شربه من كأس الدنيا . وهذا لكثرة تواضعه وحيائه من الله .

والمتحققون بمقام المحبة عند شخنا ليسوا جميعا على درجة واحدة وإنما هو كما
 يقول على أربع طبقات ويقول في ذلك : " المحبون في الدنيا على أربع طبقات . منهم إذا
 ذكر حبيبهم أن أي يسمع منه أنين الشوق " ومنهم إذا ذكر حبيبهم حن (أي شعر بالحنين إليه)
 ومنهم إذا ذكر حبيبهم رن (أي نظر إليه بقلبه وتوجه إليه بصره) ومنهم من ذكر حبيبهم جن ^(٣)
 وهذا أعلى درجات المحبة وهو يعني هنا بالجنان الوله والشوق البالغ الى الله وعشقه .

وقد حذر ذو النون من ادعاء حب الله لأن المحبة مقام شريف طالما ادعاء الخلق
 مع ارتكابهم للمخالفات والمعاصي ، وأولى بهؤلاء المدعين أن يخشوا الله ويطيعوه وأن
 يحزنوا على حالهم لأن الحب يجعل قلب صاحبه يفيض تقوى لله ويطبع نفسه على النقاء
 والصفاء وهذا يتضح مما روى عن ذو النون في مجلسه بين أصحابه يتذكرون في المحبة فقال
 ذو النون " كفوا عن هذه المسألة لاتسمعها النفوس ، وأندعياها ثم أنشد :

الخوف أولى بالمسي .. إذا تأله والحزن .
 والمحـب يـجـمـل بـالتقـى .. وبالتقـى من الدرن ^(٤)

ويتفق ذو النون مع الغزالي في اعتبار المحبة الغاية القصوى من المقامات وانها
 اكملها وأعلامها يقول الغزالي : " المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة

(١) محيي الدين بن عربي الكوكب الدرر في مناقب ذو النون المصري ل ١٢٢

(٢) عبدالرحمن السلمي - الطبقات الصوفية ص ١٠

(٣) محيي الدين بن عربي الكوكب الدرر في مناقب ذو النون المصري ل ١٢٢

(٤) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٢٢ .

العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها
كانشوق والانس والرضا واخوانها ، ولا قبل المحبة مقام الا هو مقدمة من مقدماتها كالتوبة
والصبر والزهد وغيرها " (١) .

واذا تحقق السالك بمقام المحبة تواضع لله فعليه أن يتحقق بمقام التواضع .

١٢ - مقام التواضع : يذهب ذو النون الى أن المريد الصادق لابد أن يتحقق بالتواضع فمن
تواضع لله رفعه الى أعلى الدرجات وعليه بترك الغرور وأن لا يرى في تعبه وزهده وتقريبه
الى الله شيئاً يميزه على غيره من الناس ، فلا يعجب بأعماله ولا يتباهى بها حتى لا تكون
حسناته سيئات ويقول : " من تزين بعمله كانت حسناته سيئات " (٢) ويقول أيضا : " دوام
الفقر الى الله مع التخليط . أحب إلي من دوام المفاة مع العجب " (٣)

وحقيقة التواضع عند شيخنا أن يطلب المريد من ربه الحاجة بلسان الفقر لا بلسان
الحكم فإذا كان له عند الله حاجة فيرجوه تعالى في تواضع ان يقضيها له ويقول : " اطلب
الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم " (٤) وعنده أن من الاسباب الداعية للتواضع ان ينظر
الانسان الى عظمة ربه فتصفو نفسه وتتواضع الى جانب سلطان الله وهيبته . فمن نظر الى الله
على أنه خالق نظر الى نفسه على أنه مخلوق ومن نظر الى الله على أنه قادر نظر الى نفسه
على أنه عاجز ومن نظر الى الله على أنه عالم نظر الى نفسه على أنه جاهل خلداً داخل السالك
العجب بنفسه وجب عليه أن يتذكر عظمة الله فيشعره ذلك بضعفه وقلة حيلته ويقول شيخنا :
" من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصفو ، ومن نظر الى سلطان
الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته " (٥)

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٢) السلمى - الطبقات ص ١١ . بن عربى الكوكب الدرى ل ١٢٣ و

(٤) المرجع السابق نفس اللوحة . وانظر السلمى - الطبقات الصوفية ص ١٠

(٥) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ١٢٣

وقال تعالى يحث عباده على التواضع : " سأصرف عن آياتي الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق " (س الاعراف آية ١٤٦) .

ويذهب ذو النون الى أن من علامات الغرور الاعتماد على رحمة الله مع قلة العمل ويقول : " من علامة المغترين إعتادهم على رحمة الله ومغفرته " (١) ثم على السالك أن يتحقق بمقام التوكل .

١٢ - مقام التوكل : يعنى التوكل عند شيخنا اسقاط التدبير . بمعنى أن الذى تحقق بالعبودية وصدق ما عاهد الله عليه من التزام طريق الصوفية وتحقيق التوحيد واليقين . فإنه يترك تدبير نفسه ويتوكل على الله ويفوض إليه أمره ويقول ذو النون فى حقيقة التوكل : " التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع عن الحول والقوة " (٢)

وقد حث الله عباده المؤمنين على التوكل عليه فى قوله تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " (س الطلاق آية ٢) وقوله تعالى : " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (س آل عمران آية ١٦٠) والتوكل يستند أساسا كما هو واضح من الآية على الايمان اليقيني بالله الواحد الأحد . فإن لم يكن السالك على يقين تام لا يصح توكله . فالانسان لا يوكل امره الا لمن وثق فيه واعتقد اعتقادا تاما فى قدرته . ولذا سئل حمدون القصاص الصوفى عن التوكل فقال : " تلك درجة لم أبلغها بعد وكيف يتكلم فى التوكل من لم يصح له حال الايمان " (٣) . ويربط ذو النون بين التوكل والتوحيد فيقول : " التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج . وعلة كل شئ صنعها ، ولا علة لصنعها وليس فى السماوات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدير غيره " (٤)

(١) محبى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١٢٥

(٢) السلمى - طبقات الصوفية ص ٠٠

(٣) الغزالي - أحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) الرسالة القشيرية ص ٨٧ طبعة صبيح .

فإذا تحقق السلك بالابمان اليقيني والتوحيد الحق وعلم أن قدرة الله في الأشياء هي قدرة خالصة لا يشاركه فيها سواه وأنه سبحانه على كل شيء وأنه المدبر الوحيد لأمر السماوات والأرض فإنه يسقط تدبيره ويسلم أمره إلى الله ويتوكل عليه . وعليه بعد ذلك أن يحاسب نفسه ويراقب ربه .

١٤ - مقام المحاسبة والمراقبة : يستند مقام المحاسبة على آية مثل قوله تعالى : " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " (س البقرة آية ٢٨٤) . ويستند مقام المراقبة على قوله تعالى : " وارتقبوا أنى معكم رقيب " (س المائدة آية ١١٧) . فالسالك طريق الصوفية عليه بمحاسبة نفسه على كل ما يقوم به من أعمال وأقوال وطاعات . ويراقب نفسه مراقبة شديدة ويعلم أن الله يراقبه في كل حركاته وسكناته وأنه يعلم ما خفى في سره وما ظهر في علنه . فالمراقبة كما يقول الامام القشيري : " هي علم العبد باطلاع السرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم ومراقبته لربه . وهذا أصل كل خير ، ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلك ، وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق أحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وراقب الله تعالى في عموم أحواله " (١)

ويقول ذو النون يا أخى وصيتك بتقوى الله العظيم والمراقبة له حيث لا يراك أحد إلا الله والاستعداد لما ليس لأخيك فيه خجله فاجتهد إلى خلق قناع الخافلين " (٢)

وحقيقة المراقبة عند صوفينا أنها نور ينير سبيل السالك في طريقه إلى الله . ويقول في ذلك : " لا يجد السبيل إلى الله من لم يتأدب بنور المراقبة . ولم يستحق الولاية من لم تكتنفه الكفاية . ولم يرتع في رياض انته من لم يعبر بحار عظمت ، ولم يلج باب

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٨ .

(٢) محيي الدين بن عربي الكوكب الدرر ل ١٢٦

(١) الوصول من لم يسير اليه على أقدام الهيبة " .

وعلاوة المراقبة عند ذى النون حب وتفصيل ما أحبه الله وفضله ، وتعظيم ما عظمه ،
وتمغير ما صغره ويقول فى ذلك : " علامة المراقبة إثارة ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم
الله تعالى ، وتمغير ما صغر الله تعالى " (٢)

(١) محيى الدين ابن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى ل ١٢٦

(٢) الرسالة القشيرية ص ٨٨ طبعة صبيح .

الاحوال :- تتداخل مع مقامات السلوك عند صوفينا أحوال وهبية وبين الاحوال والمقامات تشابك وتشابه فإذا استقر الحال وثبت صار مقاما وقد عرفنا أن المقامات مكاسب والاحوال موهب وصوفينا يربط بين الحال والجبر واسقاط التدبير فيقول " لا يكون للانسان من الاحوال إلا ما يريد الله له ، وليس الانسان في حاجة إلى أن يعلم ما هو هذا الذي إختاره له إذا كان الله قد يحكم ما هو كائن ، وهو المكون للأشياء ، وهو الذي يختار للانسان" (١) .

الحال الانسى :- يعتبر ذو النون أن حال الانس ثمرة من ثمرات الحب لله والشوق اليه وهو عنده حالة من الفرح تغمر السالك لقربه من الله ومطالعته الحاضر المكشوف واستنار قلبه بالفيوضات الالهية التي تشرق على قلبه من لدن الله تعالى . وهو عنده يعنى : " صفاء القلب مع الله والتفرد بالله والانقطاع عن كل شئ سواه " (٢)

والمتحقق بحال الانس فيما يرى ذو النون فإنه يشعر " باستلذاذ الخلوة ، واستيحاش المحبة ، واستحلاء الوحدة " (٣) وهذا يشبه مانجده عند الغزالي فهو يرى من علامة الانس الخاصة ضيق الصدر من معاينة الخلق ، والتبرم بهم والاستنارة بعذوبة الذكر . فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة ، وغريب في حفرة ، وخاصر في سفره ، وشاهد في غيبة ، وغائب في حضور ، مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر . كما قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه في وضعهم (أى المتحقيقين بحال الانس) " هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباثروا روح اليقين ، واستلانوا ما أستوعر المترفون وأنسوا بما

- (١) أنظر أبونعيم الاصفهاني في حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٨٢ وأنظر أيضا د . محمد مصطفی حلمي . دائرة المعارف الاسلامية تعليق على مادة ذى النون ج ٤ ص ٤٢٥ .
- (٢) السلمى - الطبقات ص ١٠ - أبو نعيم الاصفهاني : حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٨٢
- (٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

استوحش منه الجاهلون • صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى • أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة الى دينه " ^(٤) فمن تحقق بحال الانس لا يأنس إلا بالله فلا يأنس بالخلق وفى رأى شيخنا أن من أتانس بالخلق فهو بعيد عن الحضرة الالهية ويقول : " من أتانس بالخلق فقد إستمك من بساط الغرانة ، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد إستمك من الاخلاص • ومن كان حظه فى الاشياء هو " أى الله " لايبالى ما فاته مما هو دونه . (أى دون الله) " ^(٢)

فحقيقة الانس استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى أنه إذا تجرد عن ملاحظة ماغاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا قيل لبعضهم أنست مشتاق فقال لا إنما الشوق الى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق • وهذا كلام مستغرق فى الفرح فير ملتفت الى مابقى فى الامكان من مزايا اللطاف ^(٣)

ويربط ذو النون كما هو واضح بين حال الانس والعزلة والخلوة فى قوله : " الانس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم واقع " ^(٤) فالمأتنس بالله يتمتع بأنواره أما المتأنس بالخلق فإنه يلحقه الغم لما قد يجز عليه الانس بهم من متاعب •

وللأنس عند شيخنا درجات أدناها أن يفقد المتحقق بحال الانس بالله شعوره بنفسه حتى أنه إذا القى فى النار وهو فى غمرة أنسه بالله فلا يغيب أهتمامه عن مطالعة لذة الانس بالله والاستمتاع بها فيقول فى ذلك : " أدنى منازل الانس أن يلقى فى النار (أى السالك) فلا يغيب همه عن مأموله " ^(٥) ويكون ذلك لشدة استغراقه فى الله غير شاعر بما يحدث له

(١) الغزالي احياء علوم الدين ج٤ ص ٣٣٠

(٢) السلمى الطبقات ص ١٢ - محى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى

ل ٨٥ ظ

(٣) السلمى - الطبقات ص ١٢ والغزالي احياء ج٤ ص ٣٣٠

(٤) السلمى الطبقات ص ١١ - الغزالي احياء ج٤ ص ٣٣٠

(٥) السلمى الطبقات ص ١٠

ويصيبه ويحلل علماء علماء النفس ذلك بأن مستوى النشاط الذهني أثناء ذلك يكون أقل تماسكا وجودة من مستوى نشاط الشخص العادي الخابط لنفسه وقد يكون التأمل، قويًا والمخيلة متوقدة وثابتة غير أن الأفكار تكون في الوقت نفسه مطلقة ملازمة يعجز الفرد عن تحويل مجراها وتوجيهها وعن أن ينقل إنتباهه الى مجال آخر (١)

٢- حال الفناء والاتصال :- يعتبر حال الفناء عند صوفينا هو أقصى درجات القرب من الله التي يمكن أن يحظى بها الواصل الى الحضرة الالهية . ويحلل ذو النون حال الفناء في الله والاتصال الروحي بينه تعالى وبين الواصل اليه بقوله : " إنك إن أطعته أفادك حبه وأدناك الى قربه ، وإذا أدناك الى قربه ثم لذك بمناجاته أفناك بذكره ، وإذا أفناك بذكره أقعدك على مرآة سره . ثم روحك وفطرك ، وحكمك وأيدك ، ثم أولك بوصاله الى موطنه فأنهلت بسلا وملة ، ووصلت بلا فصل . وهذا المقام العالي والمرتبة العظيمة وذاك فضل من الله يؤتيه من يشاء " (٢) .

فالمصوفي الذي أطاع الله وتحقق بمنازل السلوك اليه وراضى نفسه وهيا قلبه للاتصال بالله وداوم ذكره بقلبه وروحه وصار محبوبه وموضع همه دون سواه أدناه الله الى قربه ولذذه بمناجاته وأفناه بذكره ، وجل مرآة سره وأفاض عليه من المعارف الذوقية والانوار الالهية وأطلعه على ما لا يخطر على قلب بشر وبذلك يكون قد روحه وفطله وأيده وأوصله الى حضرة دون وملة أو واسطة ومالا بلا إنفصال وهو أعلى الاحوال واعز المنازل والاحوال وهو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده المخلمين .

وإذا كان شيخنا يقول : " ووصلت بلا فصل " فإنه لايعنى أن المتحقق بحال الثناء والاتصال يظل في فناءه دائما بلا بقاء وإنما يعنى أن من وصل الى هذه الدرجة العظيمة فإنه

(١) د . يوسف مراد مبادئ علم النفس العام ط٤ ص ١٢٩

(٢) انظر منى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب ذو النون المصرى معهد المخطوطات

يظل على اتصال قلبي وروحي بالله حتى بعد زوال حال الفناء ورجوعه الى البقاء . وحقيقة
 الفناء أن السالك الذي يستغرقه التفكير في الله حتى يفنى عما حوله ثم يفنى عن نفسه ويمير
 الحق سبحانه هو المهيمن الوحيد على فكره أو كما يقول علماء النفس ... يبدأ بأن يكون
 العالم الخارجي على هامش شعوره ، وتسيطر فكرة الله على بؤرة شعوره ، ثم يستغرقه التفكير
 في الله فيفنى عن العالم من حوله ثم يفنى عن نفسه وتكف جميع الأفكار المناهضة لفكرة الله ،
 حتى تسيطر وحدها على كل مشاعره . فيقال أنه فنى عما حوله وفنى عن نفسه وبقي بالله .
 يقول ذو النون : " من غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الاخلاص " ^(١) أي إخلاص سره
 وقلبه لله تعالى وحده . والغائي في الله يتلقى المعرفة النورانية من لدنه تعالى في لحظة
 فنائه وهذا ما سيتضح لنا عند الحديث عن المعرفة عند شيخنا .

المعرفة

١ - تمهيد : إتضح لنا فيما سبق كيف ينجح السالك في تطويع نفسه الامارة بالسوء لنفسه المطمئنة عن طريق المجاهدات والرياضات العملية المختلفة وتخليه نفسه من الاخلاق الذميمة وتحليتها بالاخلاق الكريمة عن طريق التحقق بالمقامات والاحوال الصوفية حتى تمفو وتطهر ويصير أهلاً لتقبل المعرفة الذوقية القلبية عن الله سبحانه في حال الاتصال الروحي بين السالك الذي تحقق بالكمال الاخلاقي وبين الله ويقول ذو النون مكاشفات القلوب بالاتصال ومكاشفات النفوس بالابعاد ^(١) ونجد لدى ذو النون نظرية في المعرفة الاشراقية قد تطورت بعد ذلك على يد من جاء بعده من الصوفية ويقول الاستاذ المرحوم الدكتور محمد مصطفى حلمي : "إذا انتقلنا الى الناحية التيوزوفية الخامة لهذا المذهب (أى مذهب ذى النون) الفينا له نظرية في المعرفة وآخري في المحبة وكلتاهما تنطويان على كثير من المعانى الفلسفية التى ظهر لأول مرة فى تاريخ التصوف الاسلامى عند ذى النون وكان ظهورها عنده فى صورة ساذجة بسيطة ثم أخذت هذه الصورة تدق وتتضح رويدا رويدا على آيدى من تعاقب بعده من الصوفية بحفة عامة . حتى تها لها من الدقة والوضوح والتمام أكبر حظ عند الصوفية المتفلسفين . أو الصوفية الذين وقع التزاوج فى مذاهبهم بين التصوف والفلسفة الالهية وعلم الكلام من أمثال محيى الدين بن عربى ، وعمر بن الفارض ، ويحيى السهروردى المقتول ، بحفة خاصة وأود أن أكرر هنا ان تصوف ذى النون عامة ونظرية فى المعرفة بوجه خاص تخلو من القول بالاتحاد أو غيرها من النظريات والشطحات . التى تخالف فى ظاهرها على الأقل ما جاء بالكتاب والسنة فهو كما سنرى فى حديثه عن المعرفة الذوقية كان ملتزما فى كل أقواله .

(١) محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية ١٤٢٠ التاريخ .
(٢) انظر مقال د. محمد مصطفى حلمي . بدائرة المعارف الاسلامية تعليق على مادة ذى النون ج٤ ص ٤٢٢

٢ - الوصول الى الله : - ويحدثنا شيخنا عن السالك الذى وصل الى أعلى الدرجات وتجاوز مراحل الطريق ثم له الوصال والاتصال . فيتجلى له الله فى قلبه حال فناءه عن نفسه ويقول : " إن المرید إذا صدق سعيه بينه وبين الله تجلى فى سره " (١) ويتحقق الواصل الى الله بالمعرفة الذوقية فى حال الفناء وهى أعلى درجات الطريق الصوفى لا يضل اليها إلا الكمل الذين أخلصوا لله وتجردوا فى سلوكهم الطريق اليه وفنوا أنفسهم فى التعرب اليه وتهيات قلوبهم وصفت نفوسهم وشحذت همهم فانعم الله عليهم بنعمة الوصال وكشف الله بصيرتهم وجلسى مرآة قلوبهم فاشرقت عليها أنوار المعرفة الذوقية . يقول ذو النون عن العارفين : " عبروا جوار الهوى حتى نزلوا بفناء العلم ، وشربوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الغبطة واقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العزة والكرامة " (٢) وفى هذا النص يربط صوفينا بين المعرفة بالله معرفة قلبية ذوقية وبين الراحة النفسية للعارف فالعارفين على حد تعبيره قد وصلوا الى رياض الراحة فقد ربط ذو النون بين معرفة الله وبين سعادة العارف ويتضح ذلك من قوله : " العارف ينقلب فى ليلة ونهاره فى أربع روضات أنس الوحدة . وسرور المعرفة - وحلاوة الخدمة وخوف الفرقة " (٣) فالعارف بالله بأنس به تعالى ويسر ويسعد لمعرفته . ويجد حلاوة فى التعبد له وطاعته ويخشى الانفصال بعد الاتصال . ويذهب ذو النون الى أن العارف يزداد خشوعا كل يوم لان كل ساعة تمر عليه تقربه الى ربه اكثر ويقول : " العارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب " (٤) ويرى أن العارف لاتلزمه حالة واحدة وانما عليه أن يلزم ربه فى جميع الحالات فهو ينتصف على الدوام بمعرفة ربه معرفته

(١) انظر مقال د . بدائرة المعارف الاسلامية تعليق على مادة ذى النون ج٤ ص ٤٢٧

(٢) انظر - محي الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى مخطوط مسموع - بمعهد المخطوطات ٤٢١ تاريخ وانظر أيضا - الغزالي مكاشفات القلوب ص ٦٠

(٣) انظر - محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذى النون المصرى مع

٤٢١ تاريخ

(٤) المرجع السابق وانظر السلمى : طبقات الصوفية ص ١١

يقينية لا يساوره فيها أدنى شك ويقول : " أن العارف لا يلزمه حالة واحدة وإنما يلزم ربه في الحالات كلها " (١) . وعلامة العارف عند شيخا ثلاثة هي : " ألا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطلا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ، وألا تحمله كثرة نعم الله عز وجل على هتك أستار محارم الله " (٢) وهذا النص يوضح أن صوفينا يحرم دائما على التمسك بظاهر الشرع في العمل والاعتقاد . والواصل الى مقام المعرفة يحير صوفيا كاملا عارفا بالله يتمف بالاخلاق الربانية ويكون حسن العشرة قوى الاحتمال شديد المبر في معاملته مع الآخرين ويقول : " معاشر العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقا باخلاق الله " (٣) ويقول أيضا : " ادب العارف فوق كل أدب لأن معرفته مؤدب قلبه " (٤) أى أن الواصل الى معرفة الله يكون أكثر الناس أدبا ، لأن ما قاض على قلبه من المعارف النورانية أدب قلبه وجمله بالكمال الأخلاقي .

٢- حد المعرفة وموضوعها : يحد ذو النون المعرفة بقوله : " النظر في الامور كيف دبرها ، وفي المقادير كيف قدرها ، وفي الخلائق كيف خلقها " (٤)

وموضوع المعرفة الصوفية عند شيخنا هو معرفة الله تعالى - معرفة ذاته وصفاته واسمائه وهي معرفة لا تتثنى لاحد الا بعد طريق طويل من المجاهدة والريافة كما هو واضح فيما سبق . ويوضح ذو النون أن معرفة الله معرفة ذوقية قلبية لاتعنى معرفته تعالى معرفة إحاطة فتلك معرفة ليست ممكنة لأحد من البشر فإنه سبحانه فوق كل إحاطة ويقول : " أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه " (٥)

- (١) محيى الدين بن عربى - الكوكب الدرى فى مناقب ذو النور المصرى ل ١٢٧
- (٢) المرجع السابق نفس اللوحة .
- (٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٠٩
- (٤) أبو نعيم الاصبهانى - حلية الاولياء ج ٩ ص ٢٣٩ .
- (٥) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٠٥ .

٤ - أدوات المعرفة ومناهجها : تختلف أدلة المعرفة ومناهجها عند ذى النون باختلاف درجة العارفين ونوع المعرفة . فالمعرفة عنده على ضرب ثلاثة : - معرفة عامة للمسلمين وهي معرفة التوحيد ، ومعرفة المتكلمين والحكماء الذين يستندون الى الحجة والبيان والبلاغة ، ومعرفة خواص الأولياء المقربين الذين يعرفون الله معرفة يقينية قلبية لا يتطرق اليها ادنى شك : ويقول : " معرفة الله على ثلاثة أوجه : - معرفة التوحيد وهي لعامة المؤمنين . والثانية معرفة الحجة والبيان وهي للعلماء والحكماء والبلاغة . والثالثة : معرفة صفات الوحدةانية والفردانية وهي لأولياء الله وأصفيائه " (١) .

وعلى ذلك فإن للمعرفة بالله عند صوفينا درجات ثلاثة : وهي ثلاثية أدناها معرفة العوام وهي تستند على الخبر المنزل والتوحيد دون استدلال أو طلب حجة . وأوسطها مرتبة معرفة الحكماء والفلاسفة وهي أرقى من معرفة العوام وتستند على منهج الاستدلال والبرهان العقلي بالنظر في المخلوقات والاستدلال منها على معرفة الخالق . أو الاستدلال من وجود المنفعة على وجود المانع وهي أدنى من المعرفة الثالثة وهي معرفة الخاصة من المؤمنين وهي أرقى أنواع المعرفة وتستند على منهج الشهود الذوقى والمعرفة من النوع الثالث لا يحتاج العارف للتحقق بها الى واسطة من حس أو عقل وإنما هي تشرق على قلبه من لدن الله تعالى في حال الفناء فهي إدراك ذوقى مباشر وهي أكثر أنواع المعرفة يقينا . يقول ذو النون في أداة المعرفة القلبية الذوقية عندما سئل بم عرف العارفون ربهم فقال ما نمه : " إن كان بشيء فقطع الطمع ، والاشراف منهم على اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها ، وبذل المجهود من أنفسهم ، ثم أنهم وصلوا بعد الى الله (٢) بالله .

(١) ابو نعيم الاصبهاني : حلية الأولياء ج ٩ ص ٣٥٣ .

(٢) المرجع السابق وانظر ايضا - الرسالة القشيرية ج ٢ ص ١٤٢ .

والحق أن صوفينا يفرق في معرفة الله بين السالك الذي ينتهى به الطريق الطويل الذى سلكه بالمجاهدات والرياضات والتحقيق بالمقامات والاحوال حتى أن يصل الى معرفة الله معرفة قلبية الهامية من لدنه تعالى • وبين المجتبى أو المجذوب الذى يمتطيه الله دون مجاهده ودون السير فى الطريق الصوفى • فيقذف فى قلبه بنور المعرفة فيطلع الله تعالى على ذاته دون كسب منه أو اجتهاد • ولذا عندما أجاب عن كيفية معرفة الله قال : اذا كان بشئ، فبقطع الطمع الخ " • فهذا يدل على أن معرفة الله يمكن التحقق بها دون شئ، أو دون اجتهاد أو مجاهدة • كما حدث له هو شخصيا • ولذلك قال : " ثم انهم وملوا بعد الى الله بالله " • وعندما سئل كيف عرفت ربك ؟ فقال : " عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى " (١) • وقد أشرت فى أول البحث عن سبب توبته وكيف اصطفاه الله واطلعه على وجوده ثم ، بعد ذلك ، تلك الطريق الصوفى •

وقد كان لابن عطاء الله المكندرى الموصى المصرى حديثا طويلا عن السالكين والمجذوبين • وسمى طريق المجذوبين بطريق التدلى وطريق السالكين بطريق الترقى (٢) •

وحديث ذو النون عن أنواع المعرفة ومناهجها وأدواتها يشبه ما نجده عن الغزالي فى كتابه احياء علوم الدين حيث قال : " إن الايمان والمعرفة ثلاثة مراتب : المرتبة الأولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين والفلاسفة وهو ممنزج بنوع استدلال ودرجته قريبه من درجة ايمان العوام • والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين " (٣) •

كذلك ربط ذو النون بين المعرفة والراحة النفسية للعارف وسرويه وسعادته وهو

(١) ابونعيم الاصبهانى حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٥٣ •

(٢) د • ابو الوفا الغنىمى التفتازانى - ابن عطاء الله المكندرى وتموفه ط ٢ ص ٢٧٨ -

• ٢٨٤

(٣) الغزالي : احياء ج ٣ ص ١٧ •

يشبه ما نجده عند الغزالي الذي جاء بعده بنظرية متكاملة في السعادة الناجمة عن معرفة الله فربط بين معرفة الله وبين سعادة الانسان الحق . وهو يرى أنه كلما كانت درجة المؤمن في معرفة الله أعلى كلما شعر بسعادة أعمق .^(١) كما ربط المعلّقة بالتوحيد فـ يرى أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج وأنه ليس في السماوات العلى ولا في الارضين السفلى مدبر غير الله^(٢) " وهو كان ليقين معرفته بالله يرى ان الله في كل شيء ، ويسمعه في كل صوت فهو يقول : " الهى ما أصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفيف شجر ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقة رعد ، الا وجدتها شاهدة بوحدانيتك دالة على أنه ليس كمثلك شيء ،... الهى لا تترك بينى وبين أقصى مرادك حجابا إلا هتكته . ولا بابا إلا فتحتّه . حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك وتذيقنى طعم محبتك ، وتبرد بهالرضا منك فؤادى وجميع أحوالى حتى لا أختار غير ما تختار ، وتجعل لى مقاما بين مقامات أهل ولاياتك ومضربا فسيحا فى ميدان طاعتك " ^(٣) .

وهكذا نجد عند شيخنا نظرية متكاملة في المعرفة لم يكن لها نظير عند من سبقه من أهل الطريق . ويقول فى ذلك الاستاذ الدكتور ابو الوفا التفّازانى : " وواضح أن هذه الأفكار المتعلقة بنظرية المعرفة ليس فيها بساطة تفكير الزهاد فى القرنين الأول والثانى وهى تمثل اتجاه التصوف إلى منهج أكثر دقة وعمقا ، وان شئت قلت هى تحول واضح من الزهد الى التصوف من حيث قوة فلسفة ابستمولوجية ذلك أن تقسيم ذو النون للمعرفة يتضمن القول بثلاث مناهج للمعرفة فهناك منهج النقل الذى يدرك العوام بواسطته التوحيد . ومنهج العقل الذى يعتمد عليه الحكماء والفلاسفة ومن نحى نحوهم وهو الاستدلال ومنهج الذوق المباشر وهو منهج الاولياء والموقية . " ^(٤) .

(١) الغزالي - الاحياء - ج ٢ ص ١٧ .

(٢) ابونعيم الاصبهاني حلية الاولياء ج ٩ ص ٢٢٦ .

(٣) محيى الدين بن عربى الكوكب الدرى فى مناقب دوالنون المصرى ل ١٤٥

(٤) د . ابو الوفا الغنيمى التفّازانى : مدخل الى التصوف الاسلامى ط ٢ ص ٩٤ .

ولا شك أن نظرية ذى النون فى المعرفة قد تأثر بها الصوفية اللاحقون عليه كما هو واضح عند الغزالى وغيره من اهل الطريق .

خاتمة البحث

إتضح لنا من هذا البحث النتائج التالية :-

- ١ - ان للصوفى المصرى ذوالنون من ابرز صوفية القرن الثالث الهجرى ، مارس التصوف عملا ، كما كان له مذهبه النظرى فى التصوف . وهو من الرواد الاوائل الذين ادخلوا على معانى الزهد التى كانت سائدة بين زهاد القرنين الاول والثانى للهجرة معانى جديدة تحول على اثرها الزهد الى تصوف أو تحولت بعدها الحياة الروحية فى الاسلام من حياة ذات طابع عملى اخلاقى الى مذهب نظرى يرسم الطريق الصوفى امام السالكين .
- ٢ - ان مذهب ذو النون الصوفى لا يخلو من الانظار الفلسفية غير أنه يخلو تماما من الشطحات والعبارات والنظريات الخارجة عن ظاهر الشرع . فتصوفه تصوف سنى ملتزم بالكتاب والسنة .
- ٣ - انه كان فى حياته متهم بالزندقة من جانب بعض الفقهاء ، غير انه صبر على موقفهم منه و قد ظهرت ولايته فى حياته وعند وفاته .
- ٤ - كان له مصنفات فى العلوم كالطب والكيمياء وغيرها وفى العلوم النظرية كعلم الكلام والادب والتصوف والحديث .
- ٥ - ان مصنفاته منتشرة فى مكتبات العالم وفى حاجة الى من يجمعها ويحققها ويخرجها الى النور .
- ٦ - كان من اوائل من تكلموا فى المقامات والاحوال الصوفية بشكل واضح مفصل ورسم الطريق الصوفى للسالكين ابتداء من مجاهدة النفس بالرياضات ، لعملية والروحية

للموصول الى المعرفة الذوقيه التي هي غاية الطريق الموفى فكان له نظرية فلسفى

المعرفة ونظرية فى المحبه •

٧ - ان مذهب الموفى يحمل عناصر نظرية لها قيمتها الفلسفية وعناصر عملية لها

قيمتها الاخلاقية والتربوية وهو يذكر متفرقا فى كتب التراجم والطبقات وعلى

الباحث أن يستجمع شتات مذهب من تلك المراجع ويؤلف بينها •

٨ - اتم عصره بازدهار العلوم والمعارف على اختلاف موضوعاتها وكان لذلك اثره

الواضح على فكره وثقافته فكان عصره حافلا بآرباب العلم من الفقهاء والمحدثين

والموفية الذين أخذ عنهم •

٩ - كان له مننفات فى الحديث وكان عالما به وراويا له وإن كان لم يشتغل به الى الحد

الذى يجعله فى عداد المحدثين وقد بلغ احترامه للحديث بان قال ان للحديث رجالا

وبناء على ذلك لم يعتبر نفسه من المحدثين رغم ما له فيه من مننفات •

١٠ - تآثر ذوالنون باصحاب الطرق الذين سبقوه والذين عاصروه كما كان لمتآثيره الكبير

فيمن عاصره منهم وفيمن جاء بعده •

د. كوكب عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة الله والطريق إليها

تمهيد : المعرفة Knowledge هي ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك . وتتميز عن باقي معطيات الشعور من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد بين هذين الطرفين . (١)

هذا عن المعرفة عموماً أما معرفة الله فهي صفة من عرف الحق سبحانه ومفاته ، ثم صدق الله تعالى في محلاته . ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله . وصدق الله تعالى في جميع أحواله ، وانقطع عن هواجى نفسه ، ولم يمح بقلبه إلى خاطر يدعو إلى غيره فإذا صار عن الخلق أجنباً ، ومن آفات نفسه برياً وممن المساكنات والملاحظات نقياً . ودام في السر مع الله تعالى بمناجاته . وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محادثاً (أى ملهماً) من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك " عارفاً " وتسمى حالته " معرفة " (٢) .

وقد أهتم الفلاسفة بالبحث في نظرية المعرفة فبحثوا إمكانية قيام المعرفة وكان موقف الشكاك الذين أنكروا إمكانية الوصول إلى معرفة يقينية وموقف أصحاب الشك المنهجي الذين انتهبوا من الشك إلى اليقين وتناولوا المعرفة من حيث التفرقة بين معرفة أولية سابقة على التجربة ومعرفة بعدية أو مكتسبة من التجربة . كما عرّفوا للبحث في طبيعة المعرفة الانسانية وعما إذا كانت الاشياء المدركة ذات طبيعة مستقلة عن العقل الذي يقوم بإدراكها أم أن تلك المدركات الحسية مجرد

١ - ورد هذا التعريف بالمعجم الفلسفى - مجمع اللغة العربية . تقديم د. إبراهيم مذكور ص ١٨٦ ، ١٨٧ - ولمعرفة المزيد عن تعريفات لفظ معرفة . أنظر - محمد إسماعيل إبراهيم الألفاظ والأعلام القرآنية - دار الفكر العربى القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ط ٢ ص ٧١ - وانظر أيضاً مختار الصحاح ص ٤٢٦ مادة " عرف "

٢ - الامام الفشيرى : الرسالة الغشيرية . تحقيق د . عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ط ٢ ص ٦٠١ .

أفكار في العقل؟ وهل هذه المعرفة العقلية مطابقة لحقائق الأشياء المدركة كما هي عليه في الواقع الحسى؟ وناقشوا هذه القضايا (١) قديما وحديثا واختلغت في ذلك أرائهم . كما بحثوا في موضوعات المعرفة ومناهجها وأدواتها والغرض منها .

وفي عصرنا الحالي قد أنكر الوضعيون البحث فيما وراء الواقع ورأوا إلا موجود إلا المحسوس وبذلك أنكروا الميتافيزيقا وأهملوا البحث فيها . واعتبروا البحث في الغيبيات تفكير غير علمي لأن التفكير العلمي يقوم على المنهج العلمي الذي قوامه الملاحظة والتجربة الحسية ولا يعترف بالغيبيات (٢) .

١ - من المراجع الهامة في المعرفة :

- Montague .WP. Ways of knowing. 1925
- Hobhouse .L.T. The Theory of Knowledge .
- Woozley.A.D. Thoery of Knowledg (An Introduction 1949)
- EWing,A.C. Fundamental Question of philosophy.
- Ledger Wood, Analysis of Knowledge, 1940
- Ladd, G.T. Knowledge life and Reality .
- Ladd .G.T. Philosophy of Knowledge . 1897 .

٢ - يرى " آير " زعيم الوضعية المنطقية في إنجلترا استبعاد الميتافيزيقا والعلوم المعيارية من مجال البحث العلمي لأنه يصعب التحقق من صوابها علميا أو حسيا فالقضايا التي يستحيل التثبت من صدقها أو كذبها في حدود الخبرة الحسية تكون غير ذات معنى ولذلك كان مبدأ التحقق مقياسا تحدد به معاني العبارات ودلالاتها . وغايته ربط القضايا بالواقع لاختبار صحتها ولذلك استبعدت قضايا الميتافيزيقا من مجال البحث العلمي واعتبرت الوضعية المعاصرة الميتافيزيقا كلام فارغ nonsense لا يحمل معنى أي لا يمكن التثبت من صوابه أو خطئه في حدود الخبرة الحية ويقول "بارنز " استاذ الفلسفة الحالي بجامعة درهام : أن مبدأ التحقق عند اتباع الوضعية المنطقية هو الذي يقول : (ان القضية التي يمكن التحقق منها بالرجوع إلى الواقع) هي وحدها ذات معنى)

ويقول " بارنز " : ان مبدأ التحقق عند اتباع الوضعية المنطقية

أنفسهم تحميل حاصل Autology وبهذا المعنى لا يصلح هذا المبدأ

أن يكون مقياسا لاختبار القضايا . إذ يجوز أن تكون القضايا ذات معنى لا يتيسر

التثبت من صوابه بالخبرة الحسية وبهذا ينهار أساس الوضعية المنطقية كما

ذهب الفيلسوف التحليلي " برتراند " و"كارل بوبر" إلى ان الوضعيين

المنطقيين يقولون " ان الجملة إن لم تكن قضية تحليلية ولا تركيبية كانت خالية

من المعنى وان قولهم هذا لا يدخل في أحد فرعي هذا التصنيف فلا هو قضية

تحليلية ولا تركيبية ومن ثم يكون فارغا من المعنى " - أرجع الى كتاب د . توفيق

الطويل اسس الفلسفة ٢٨٢ ، ٢٨٤ ولمعرفة المزيد من موقف الوضعيين من

الميتافيزيقا أنظر ص ٢٧٠ : ص ٢٩٠ نفس المرجع .

أما المنهج الإسلامى فى المعرفة فهو منهج ثرى ويكمن ثراؤه فى أنه منهج شامل متكامل جمع بين المعرفة الحسية والعقلية القلبية والخبر المنزل موضحاً دور كل منها فى المعرفة وأنها جميعاً متآزرة تعمل للوصول الى الحقيقة سواءً فيما يتعلق بعالم الشهادة أو عالم الغيب وأنه لاغنى للإنسان عن واحدة منها نظراً لتعدد موضوعات المعرفة واختلافها .

والخبر المنزل يطلعنا على أمور فى عالم الغيب يصعب على الإنسان بل ويستحيل عليه أحياناً معرفتها بوسائل المعرفة التى أتاحها الله له من حس وعقل وقلب . وهذا ما سيتضح فى موضعه بعد .

ولما كان موضوع المعرفة فى هذا البحث هو الله سبحانه وتعالى فإنه لا يخفى علينا أن الحس والعقل قادران على تبين آثار الله حيث ينقل الحس صور المحسوس إلى العقل ثم يقوم العقل بالاستدلال منها على وجود الخالق . فالحس والعقل هما مصدر معرفة الموجودات فى عالم الشهادة .

أما معرفة ذات الله واسمائه وصفاته فإنها تكون بالقلب والخبر المنزل من السماء . حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن أسمائه الحسنى وصفاته وعين الأمور الغيبية المتعلقة بالعالم الآخر ، وعن العبادات التى نتقرب بها إليه عن طريق ترشيد النص المنزل .

وقد أدرك المفكرون ضرورة تعدد أدوات وطرق المعرفة كالكندى فى " الفلسفة الاولى " حينما يصرح بأن المعرفة المتمثلة فى العقل مستمدة من الادراك الحسى فيقول : " وإذا الحواس واجدة الاشخاص فكل متمثل فى النفس من المحسوسات فهو للقوة المستعملة للحواس " (١) ويقول أيضاً : " فإن بها تين السبيلين (يعنى سبيل الحس وسبيل العقل) كان الحق من وجهة سهلاً ومن جهة عسيراً لأن من طلب تمثيل

١ - الكندى - رسالة فى الفلسفة الاولى من رسائل الكندى الفلسفية تحقيق الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبوريقة ط ١ ص ١٠٧ طبع سنة ١٩٥٠ م .

المعقول ليجده بذلك (أى بالحق) مع وضوح فى العقل • عنى عنه كمنشاء عين
الوطواط عن نيل الاشخاص البينة الواضحة لنا فى شعاع الشمس " (١) وقد اعترف
الكندى بالقلب وكذا بالنص المنزل ودورهما فى المعرفة •

كما نجد عند ابن سينا نظرية متكاملة فى المعرفة جمع فيها بين الحس والعقل
والقلب والنص المنزل وهو لم يضع المصادر الاربعة للمعرفة فى مرتبة واحدة فقد
جعلها تتدرج فى الترقى من الحس إلى العقل إلى الذوق أما الخبر المنزل فهو كلام
الله الذى لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول ابن سينا : " والمعانى
الكلية إما أن تحمل من النفس يتصفح الجزئيات أو بفيض يتصل بها علوى عن طريق
الالهام • لكن المعانى الكلية الاولى لو كانت مستفادة باستقراء الجزئيات لما كانت
بها ثقة بل ما كانت كلية بالحقيقة ومن البين ان هذه المعانى هى غاية الصحة وهى
علة الثقة لغيرها فإذن حصولها بفيض علوى " (٢)

وقد أدرك بعض فلاسفة الغرب المحدثون ضرورة تعدد مصادر المعرفة مثل
" كانت Kant " الذى ذهب إلى ان الحواس تقدم للعقل إدراكات حية متفرقة
للاشياء الموجودة فى العالم الخارجى وهى تمثل مادة المعرفة ، ثم يقوم العقل بالربط
بين هذه الادراكات الآتية عن طريق الحس وإيجاد علاقات بينها حتى يصل الى المعرفة
فتلك الادراكات الحسية تصب فى مقولات أو قوالب عقلية كمقولة الجوهر أو مقولة
السببية وغيرها وهى تمثل صورة المعرفة • فيضى عليها العقل معانى وعلاقات لتمييز
معرفة متكاملة تكون نتاج تعاون الحس والعقل (٣)

١ - المرجع السابق ص ١١٠
٢ - رسالة السعادة والحج العشرة على ان النفس الانسانية جوهر أولى ص ١٢ ولمعرفة
المزيد عن نظرية المعرفة عند ابن سينا ينظر كتاب د • فيصل بدر عيون
" نظرية المعرفة عند ابن سينا " ملتزم بالطبع مكتبة سعد رأفت جامعة عين
شمس •

3 - Immanuel Kant: Critique of pure Reason: Translat by:
Norman Kemp Smith , 1953 .

وبذلك جعل كانت العقل مياطن للمادة أو التجربة الحسية . (١)

كما دعا " بيكون " إلى ضرورة تعاون الحس والعقل في الوصول إلى المعرفة فمنف الفلاسفة إلى أصحاب النزعة التجريبية " " ودعاة اليقين " فالأولون يمتنعون إلى مجرد الملاحظة الطارئة كالنملة تنقع بأن تكس مواد غذائها لتستهلكها فيما بعد . أما الفيلسوف العقلي صاحب اليقين فيشبه العنكبوت الذي يغزل نسيجه من مادته ؛ فيثير الإعجاب بدقة صنعته . ومهارته ، ولكن النسيج واه تعوزه المتانسه ولا يتفقه به أحد .

وبين النملة والعنكبوت تقف النحلة . الفيلسوف الحق - تجمع مادتها من الازهار والنباتين وبغيتها الذي تتميز به تعمل وتكد حتى تتمثل المادة ، وتحيلها حقيقاً . والفلسفة المحيحة عند بيكون أشبه ماتكون بعمل النحلة (٢) .

وستبين معاً من خلال هذا البحث المتواضع أن معرفة الله تعتمد على مصادر متعددة . وسأبدأ بالحس كمصدر للمعرفة ثم أوضح دور الحس في معرفة آثار الله كما جاء في القرآن الكريم ثم أبين حدود المعرفة الحسية وبعد ذلك سأعرض للعقل كمصدر للمعرفة ودوره في الاستدلال على وجود الله من خلال الآيات القرآنية مع إبراز ما جاء في القرآن من تكليف للإنسان بالنظر العقلي في الكون موضحة أن الحس والعقل لهما حدود يعجزان عن تخطيها أو تجاوزها وأن معرفة ذات الله لا تكون إلا بالقلب الذي تهيأ لتقبل المعرفة الذوقية اللدنية التي لا يتطرق إليها أدنى شك ومن المهم تبين أهمية النصوص المنزلة في معرفة الله تعالى : معرفة أسمائه الحسنى وصفاته ومعرفة الأمور الغيبية التي تخفى على الحس والعقل ولا يكون السبيل إلى تبينها إلا بالقلب والخبر المنزل من عند الله ولا سبيل إلى تصديقها إلا بالقلب المؤمن بقدرة الله تعالى أما غير المؤمن فلنا معه وقفة في نهاية البحث لمناقشة قضية رفضه لما هو خارج نطاق الحس والعقل وبعده عن الروحانيات Pneumatology واعتقاده بان الإيمان بها وهم والبحث فيها لا جدوى منه وسنبداً أولاً بالحس كمصدر للمعرفة .

١ - تعرض مذهب كانت في إخضاع التجربة للعقل بشكل مطلق للنقد من جانب المفكرين . أرجع

إلى أ. د. يحيى هويدى " مقدمة في الفلسفة العامة " ص ١١٥ ، ١١٦ ط. الرابعة .

٢ - أرجع إلى أ. د. توفيق الطويل " أسس الفلسفة " ص ٣٠١ .

أولاً : الحس كمصدر للمعرفة :

المعرفة الحسية هي التي تعتمد أساساً على المصادر الحسية المعروفة من لمس وشم وسمع وبصر وتذوق . وهناك من الفلاسفة أصحاب المذهب التجريبي Empiricism من غالى في تقدير قيمة الحس كمصدر للمعرفة وعلى رأس هؤلاء " بيكون " وهوبز " ولوك " فى القرن السابع عشر و " باركلي " و " هيوم " فى القرن الثامن عشر و " بنتام " و " جيمس مل " و " جون اسبورت مل " من التفعيين فى القرن التاسع عشر . ثم " اسبينس " و " ليسلى سيفين " من أنظار نظرية التطور .

وفى القرن العشرين ظهر أصحاب التجريبية المنطقية العلمية أمثال " فلتشر " و " ايرمى " . هؤلاء وغيرهم ^(١) من أصحاب المذهب الحسى يرون أن الحس هو مصدر المعرفة الانسانية وحدة ويرفضون ماعده من وسائل أخرى كالعقل والقلب ويقول الاستاذ الدكتور توفيق الطويل : " غالى بعض اتباع هذه النزعة الحسية فانكروا وجود عقل يفكر واسرفوا فى تقدير الحس الخالص محدراً للمعرفة فالعقل يولد مفحصة بيضاء Tabula rasa ليس فيه نقش سابق على التجربة . وان التجربة التى تخط على هذه الصفحة سطورها ، فى هذا اتفق التجريبيين جميعاً حتى " هربرت اسبنسر " الذى رأى أن المبادئ العقلية لاجبىء الى النوع إكتساباً ولكنها تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل حتى تصبح بالنسبة للفرد نظرية موروثية " ^(٢)

والقائلون بالمذهب الحسى Sensationalism قديماً وحديثاً قد ردوا المعرفة فى كل صورها إلى الاحساس واعتبروا الإدراك الحسى Perception هو مصدر المعرفة حتى أن " تومس هوبز " يصرح بأن كل موجود محسوس - وهذا الرأى سناقشة بعد قليل - والاحساس عنده مجرد حركة فى الجسم الذى يحس ناشئة عن حركة فى الجسم المحسوس وليس التخيل أو تداعى المعانى أو نحوه إلا مجرد حركات جسمانية . بل أن العواطف والوجدانات عنده يرجعها إلى اللذة والألـم

١ - أنظر كتاب أ . د . توفيق الطويل : " أسس الفلسفة " ص ٢٤٩ وما بعدها .
٢ - أ . د . توفيق الطويل : " أسس الفلسفة " ص ٢٤٩ .

الذات ينشأ عن حركة الدورة الدموية • وليس العقل ومبادئه الأولية المزعومة
إلا وليد اللغة التي يستخدمها " (١) .

وأصحاب المذهب الحسي جميعاً يرفضون المعرفة الفطرية وإذا كان لوك قد
إعترف بالتفكير العقلي في تفسيره للأفكار المركبة وعمل العقل في تكوينها فإن
اهتمامه باليقين العقلي قد نفّر الحسيين الذين أنكروا عمل العقل وقاعدية النفس في
المعرفة وقد فسر الفكرة بتداعي المعاني ألياً ميكانيكياً ، كما فعل " هيوم " ،
ومنهم من أنكّر كائن يسمى العقل كما ذهب الفيلسوف الانجليزي " اير " زعيم
الوضعية المعاصرة (٢) .

وإذا كان الفيلسوف التجريبي يرفض البحث في كل ماهو خارج عن نطاق التجربة
الحقيقية لان العالم والفيلسوف التجريبي يلزمها المنهج التجريبي وهو يقوم
على الملاحظة الحسية التجريبية العلمية • ومعنى هذا • أنه ملزم بالبحث في
المحسوسات دون أن يتجاوزها إلى تناول الروحانيات التي لا تتجسم في محسوس ، وليس
معنى هذا أنه ينكر ما وراء المحسوس فهو يعترف بالروحانيات ويؤمن بها دون أن
يتناولها بالبحث لأنها لا تخضع للبحث التجريبي فالإيمان بما وراء الحس شيء يختلف
عن البحث في المحسوس دون غيره من الموجودات ولهذا أنكّر للعالم الذي يلتزم
بالمنهج التجريبي أن يؤمن بما وراء المحسوسات •

وقد حدث في تاريخ البحث العلمي في الاسلام أن كان العلماء يؤمنون بما
وراء المحسوس ويعترفون بأن لكل موضوع منهج مناسب له •

أن العالم في معمله يقتصر على تناول المحسوسات ولكنه حين يخرج من معمله
يكون حراً في أن يؤمن بما يشاء من الموجودات غير المحسوسة • فالإيمان بالروحانيات
شيء لا يتعارض قط مع الإقتمار على البحث العلمي في المحسوس فهذه قضية وتلك
قضية أخرى وقد أوضح لي هذا الرأي أستاذي الدكتور توفيق الطويل مشيراً إلى

١ - د . توفيق الطويل . أسس الفلسفة ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٥٢ .

الليس الذى يحدثه بعض الباحثين بقولهم بأن كل عالم تجريبى وكل فيلسوف هو غير مؤمن بالضرورة بالروحانيات .

دور الادراك الحسى فى معرفة آثار الله كما جاء فى القرآن الكريم :

قد يظن أن الحس بما يشتمل عليه من سمع وبصر ولمس وشم وتذوق لا يلعب دوراً فى معرفة الله سبحانه وتعالى ولكن الواقع غير ذلك فإن الحس لا يدرك الله ادراكاً مباشراً كما قال تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار " (١) . وذلك لأن الله أجل وأعظم من أن يكون فى متناول الحس الانسانى فى الحياة الدنيا . وإنما تكون رؤيته تعالى للمؤمنين فقط من أهل الجنة يوم القيامة . قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٢) إلا أن الحس يمكنه إدراك آثار الله ومخلوقاته الدالة على وجوده سبحانه ويقدم هذه الاحساسات للعقل ليستدل منها على وجود الله .

وقد أشار الله إلى الحس ودوره فى معرفة آثار الله فى آيات عديدة ومن أهم المصادر الحسية فى معرفة الله حاستا السمع والبصر ، وقد جاء ذكرهما فى بعض الآيات مجتمعتان وفى آيات أخرى ذكرت كل حاسة منهما منفردة .

أما عن ورود كل منهما منفردة فذلك مثل قوله تعالى فى حاسة السمع : " ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا " (٣) . وقوله تعالى : " إذ تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها " (٤) . وقال تعالى : " أنى آمنست بربكم فاسمعون " (٥)

، إذن حاسة السمع تلعب دوراً فى معرفة النصوص المنزلة الدالة على معرفة الله

اذ به يستطيع الانسان أن يسمع كلام الله ودعوة الرسل للإيمان به تعالى :

٢ - س الس القيامة آية ٢٢

٤ - س لقمان آية ٧

١ - س الانعام آية ١٠٣

٣ - س آل عمران آية ١٩٣

٥ - سورة يسي آية ٢٥

كذلك حاسة البصر التي عن طريقها يستطيع الانسان أن يبصر بديع صنع الله وعظمته تنظيمه للكون ومافيه من مخلوقات متنوعة ويرى ألوان واتواع الحياة على الأرض من نبات وأزهار وطيور وحيوانات وغيرها في البر والبحر وما خلق الله في السماء من مجرات بها ملايين النجوم والكواكب وجعلها جميعا تسبح في الفضاء بنظام دقيق منسق متقن . فإذا نظر الانسان الى هذا كله أدرك بديع صنع الله واستنتج من ذلك الادراك الحسى للموجودات معرفة عقلية بضرورة وجود خالق أوجدها على هذا النحو المعجز . ويقول الله تعالى عن حاسة البصر : " قد جاءكم بآيات من ربكم فمن أبصر فلنغمه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ " (١) الله سبحانه تعالى يخبر في هذه الآية أنه جاء ببصائر تبصر عبادَه بوجوده فمن استطاع أن يبصر ذلك بعينه وقلبه وآمن بالله فإن في ذلك الخير كل الخير ، ومن عمى بصره وبصيرته فقد ظلم نفسه وماظلمه الله فإن الله ليس على هؤلاء بحفيظ . وقوله تعالى : " مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون " (٢) فى هذه الآية يشبه الله القوم الذين لم يؤمنوا بوجوده رغم ما حولهم من آيات دالة على هذا الوجود بأنهم كمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولهم فقدوا قدرتهم على الابصار ولم يدركوا ما حولهم على ضوء النار التى استوقدوها رغم وضوح الرؤية أمامهم .

أما الآيات التى جمع الله فيها بين السمع والبصر فهى عديدة مثل قوله تعالى : " ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون " (٣) وهذا السمع وهذا البصر فى الآخرة عندما يرى الكافرون ما وعدهم الله به من عذاب وما كانوا يكذبون به فى الحياة الدنيا فينكسون رؤسهم ويطلبون من الله أن يعيدهم إلى الحياة ليعملوا عملاً صالحاً بعد أن رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم ما كانوا يكذبون به من أمور الآخرة .

ثم هناك النصوص القرآنية التي جمع الله فيها بين المعرفة الحسية والقلبية وذلك في قوله تعالى : " لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " (١) وفي هذه الآية يصف الله من غفلوا عنه وكذبوا به بأن لهم قلوب لا تفقه وأعين لا تبصر آيات الله الدالة على وجوده ولهم آذان لا تسمع ما جاءهم من الحق وانهم كالانعام بل هم أضل .

وقال تعالى : " وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون " (٢) وقد جمع الله في هذه الآية الأخيرة بين مقاصد الادراك الحسي من سمع وبصر وما ينتج عنها من استدلال عقلي على وجود الله وأفقدة تنظير ينور المعرفة الذوقية الكشفية جعلها الله سبحانه وتعالى ادوات للمعرفة الانسانية وإن كان الانسان قليلاً ما يشكر الله على نعمه .

ويحدثنا الله تعالى عن حاسة اللمس في قوله تعالى : " ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين " (٣)

ويوضح الله في هذه الآية ان الذين كفروا معاندين لا يؤمنون بالله حتى ولو أنزل على رسوله كتاباً في ورقة ولمسوه بأيديهم وتيقنوا من أنه منزل من عند الله لقالوا إن هذا إلا سحر مبين ولم يؤمنوا .

وذكر الحق سبحانه وتعالى حاسة الذوق في مثل قوله تعالى : " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " (٤) وقوله تعالى : " فلينظر الانسان إلى طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حياءً وعنباً وقضباً وزيتون ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأها متاعاً لكم ولانعامكم " (٥)

٢ - س السجدة آية ٢٧

٤ - سورة قريش آية ٤

١ - سورة الاعراف آية ١٧٩

٣ - س الانعام آية ٧

٥ - س عبس آية من ٢٤ : ٢٢

وفي هذه الايات الكريمة يأمر الله الانسان بالنظر إلى طعامه وكيف ينبت الله ويشق الارض من تحته ويمطر السماء من فوقه حتى ينمو ويصير فاكهة مختلفة الالوان حلوة المذاق . أفلا يعتبر الانسان من ذلك ويدرك أن الله هو الذى أنعم عليه بهذه النعم !!

وحاسة الشم ندرك بها مايبث الله فى الأزهار إلىمختلفة الالوان والانتواع من روائح زكية متعددة وهي على تعددها تحمل كل منها رائحة مميزة والكل ينبعث منه عطرأ ربانياً زكياً إن دل على شيء إنما يدل على عظمة الخالق الذى أبدع كل شيء قال تعالى : " فروح وريحان وجنة نعيم " وقال تعالى محدثاً عن الروائح الطيبة التى يتميز بها شراب الابرار فى جنات النعيم : " ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً " (١).

هذه الايات وغيرها كثيرا يوضح لنا دور الحواس فى سماع كلام الله وسماع الاموات الجميلة التى خلقها الله فى بعض مخلوقاته ، ودورها فى رؤية العالم من حولنا وما به من آيات دالة على وجود الله وماخلق الله فيه من فاكهة وعمل النحل ونباتات مختلفة لها طعم لذيذ ورائحة جميلة وكلها تنطق بعظمة الخالق ودقته منعه وحكمته البالغة وفضلهم ونعمه على عباده فصدق الله تعالى حين قال : " فإنها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " (٢).

وقد جعل الله الجسم الانسانى بما فيه من حواس مشاركاً للقلب فى طاعة الله وآداء العبادات فكلف المؤمن بضرورة الحرس على نظافة بدنه حتى يكون طاهراً قنياً وقالها .

فإذا كانت الحواس مساعدة على معرفة الله من خلال آثاره فإن جسم الانسان يشارك فى معرفته جل جلاله من خلال عبادته فقد جعل الله الملاة مؤلفة من

الحركات البدنية كالركوع والجود والوقوف والجلوس للشهد إلى جانب قرأة القرآن وذلك حتى تسمو الأبدان وتتطهر من آدران الشهوة وتتابع الأرواح القلوب فى خشوعها لله وامثالها لأوامره تعالى ومحاولتها التقرب اليه وبهذا يكون الفرق بينها وبين أبدان الحيوانات وفى هذا المعنى يقول الشيخ الرئيس ابن سينا : " وهذه الهيئات المؤلفة من القراءة والركوع والجود الطارئة فى الأعداد المنظمة المعينة أثر من الملاء الحقيقية المربوطة الملزمة بالنفس الناطقة • وهذا يجرى مجرى السياسات للابدان لانتظام العالم • فهذه الأعداد من جملة السياسات الشرعية كلف بها الشارع أنسأ عاقلاً بالغاً حتى يشبه جسمه ماتخص به روحه من التضرع الى جنبه العالى ليفارق البهائم بهذا الفعل " (١)

وعلى الرغم من أن قيمه الحس فى معرفة آثار الله وبالتالى وجوده لايمكن التقليل من شأنها إلا أنه ينبغى علينا إلا نعطى الحواس كممدر حجماً أكبر من حجمها فالقدرات الحسية للانسان على اختلافها من سمع وبصر ولمس وتذوق وشم محدودة ، فامكانيات الانسان البصرية لاتمكنه مهما بلغت قوتها من أن يرى الاشياء المتناهية فى الصغر كما أنه لايرى إلا فى درجة كافية من الضوء إذا قلت أو زادت عن معدلات معينة لايقوى على الإبصار •

كما أن الانسان لايرى من وراء حجاب ، ويعجز عن رؤية مايقع على أبعاد تتجاوز قدرته البصرية •

وقس على ذلك جميع حواس الانسان فإنها جميعاً تؤدى وظائفها وهى فى كمال قواها فى حدود معينة لا تقوى على تجاوزها بل اننا نشاهد من حولنا مخلوقات أقل مرتبة من الانسان وتتمتع بقدرات حسية تفوق قدرات الانسان ، وذلك لان ظروفها المعيشية تطلب قدرات أقوى مما لدى الانسان الذى لاتطلب ظروفه البيئية احتياجاته المعيشية درجة أعظم مما هو عليه • فكل كائن يسر لما خلق له •

فالمقصور لها بصر حاد يساعدها على رؤية الفريسة عن بعد ، والكلاب لها حساسة
قدرة فائقة على الشم أعناق قدرة الانسان ، القطة قادرة على رؤية فريستها في
الظلام بينما الانسان لا تمييز له الرؤية إلا إذا وقع شيء من الضوء على ما يريد
أن يراه .

والحيوانات لها قدرة على الاحساس بتقلبات الجو دون الحاجة إلى استخدام
الاجهزة كما يفعل الانسان ، والخفاش له من حدة السمع ما لا يتوفر للانسان .
اذن نخلص من ذلك الى ان الانسان يرى ويسمع ويلمس ويشم ويتذوق في حدود ما منحه
الله من قدرات وهي قدرات محدودة وتشهد على ذلك التجربة الحية .

وإن نقص القدرات الحسية عند الانسان لا يقلل من أهميتها .
وإن استخدامه للالات كالميكروسكوب والتليسكوب والسماعات والردار وغيرها ما
هو إلا محاولة من جانب الانسان لرد النقص الذي أدرك وجوده في حواسه وتيقن
أنها لا تستغف في الكثير من الاحيان والمواقف التي تتطلب قدرات أقوى مما يتمتع
به ، فاخترع العديد من الاجهزة والالات ليعيد هذا النقص .

إن لله حكمة بالغة في أن يخلق البشر على تلك الهيئة وبهذه القدرات الحسية
المحدودة ، إذ لو كان الانسان يقوى على الرؤية من وراء حجاب وفي جميع الظروف
وعلى كل الأبعاد لكان في ذلك كشف لعورات الناس ولتسبب ذلك في العديد من
المشكلات التي لا تخفى علينا . ولو كان الانسان يسمع بدرجة أقوى مما هو عليه
لاختلطت عليه الاصوات وعجز عن تمييزها ، ولمسح ما لا يرضيه ويقلقه وبزعجه ولسو
كانت حاسة الشم لدى الانسان أقوى مما هي عليه لشعر دائماً بالعثيان من جراء ما
يشم من روائح نفاذة ومختلطة .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : " إنا كل شيء خلقناه بقدر " (١) . وهو سبحانه

قد خلق الانسان وهو يعلم تمام العلم إحتياجاته فى الحياة من القدرات الحسية وزوده بها فى حدود هذه الاحتياجات وله فى ذلك حكمة . ثم زوده بالعقل الذى يستطيع به أن يخترع المعدات والاجهزة العلمية التى تمكنه من سد نقص قدراته الحية ليستعملها فقط فى حالة الضرورة فالإنسان فى حياته اليومية العادية ليس فى حاجة إلى ان يرى ماحوله من ميكروبات وما يلتصق منها ببذنه ومأكله ومشربه وملبسه حتى لايشعر بالتقزز والاشمأزاز . وإنما يكفيهِ ان يستخدم الميكروكوب ليرى تلك الميكروبات عندما يعمد الى دراستها وملاحظتها بهدف إتقاء شرورها . ومن هنا ندرك أن الله تعالى حكمة بالغة فى أن يخلق الانسان على هذه الصورة وبهذه الامكانيات الحية المحدودة .

ومن ثم لا يصح القول بأن كل موجود محسوس كما قال ذلك " تومس هوبس " فهناك من الموجودات ما هو غير محسوس وتعجز مصادر الادراك الحسى عن معرفته والاحساس بوجوده .

وقد تكشف لنا الاجهزة العلمية الاكثر تطوراً فى المستقبل عن موجودات نعجز اليوم عن إدراكها حسيّاً مع قربها الشديد منا . فليس كل موجود محسوس وما أكثر ما حولنا من موجودات لا نشعر بها ولذلك يجب علينا إلا نقف عند الحس كونيّة وحيدة للمعرفة كما فعل الحبيون خاصة وأن الله قد منحنا العقل وميزنا به عن سائر الموجودات فلا بد أن له دور فى المعرفة لا يحق لنا أن ننكر ونتجاهله وهذا يقودنا الى الحديث عن العقل كآدارة من أدوات المعرفة بالله .

٢ - العقل كمصدر للمعرفة :

ذهب أصحاب المذهب العقلى Rationalism إلى أن الافكار العقلية الاولى السابقة على التجربة أو البديهيّات العقلية الشديدة الوضوح والتميز هى مصدر المعرفة الانسانية وأن هذه البديهيّات العقلية القبلية تتميز بالضرورة

necessity والشمول universality فالمعرفة العقلية صادقة بالضرورة وقضاياها كلية عامة تصلح في كل زمان ومكان ، كالقول بأن " الكل أكبر من الجزء " فهذه قضية عقلية أولية بديهية كلية وضرورية المصدق دائما .

وكانت الفلسفة الاوروبية في عصر ديكارت أى في القرن السابع عشر يسودها الاعتقاد بوجود هذه الابتكار الفطرية التي تمثل حقائق بسيطة غير مركبة وحقائق موضوعية غير ذاتية كفكرة الله . النفس ، والامتداد وهى تدرك بالحواس العقلية دفعة واحدة من غير مقدمات تسلم اليها وعلى غير فترات متعاقبة ... ومنها يستنبط العقل النتائج التي تلزم عنها وبهذا تتألف المعرفة اليقينية (١) .

أما المعرفة الحسية فهي في نظرهم معرفة ظنية أو احتمالية وليست يقينية المصدق فالحواس تخدعنا وما يخدعنا مرة قد يخدعنا مرات فالحقيقة عندهم قائمة في العقل ولا وجود لها خارج العقل . والعقل كما يقول ديكارت أعدل الانبياء قمة بين الناس واحكامه مطلقة يقينية (٢) لا شك فيها (٣) .

وقد رفض ديكارت ومدرسته المعرفة المكتسبة عن طريق الحواس فالتان عندهم لا يتلقى العلم من الخارج بل من عقله هو عن طريق المبادئ العقلية كمبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض والاولويات الرياضية كقولنا المساويان لثالث متساويان والبداهيات المنطقية كقولنا الكل أكبر من الجزء وكلها توجد في عقل الانسان سابقة على كل تجربة ويستطيع عن طريقها ان يعرف العالم الخارجى بل يستطيع أن يفرض قوانينه ومبادئه عليه (٤) .

- ١ - أ . د . توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٢٤٤ .
- ٢ - أ . د . يحيى هويدى : "ديكارت " وأيضا د . عثمان أمين : " ديكارت "
- ٣ - يرفض الفلاسفة المعاصرون فكرة اليقين في المعرفة إلا في القضايا التحليلية كقضايا الرياضة التي ليس فيها جديد يضاف إلى علم الانسان ويحتمل المصدق والكذب أما الاحكام العلمية ذات القضايا التركيبية فهي احتمالية المصدق وليست يقينية ولمعرفة المزيد في هذا الموضوع أرجع إلى د . توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٢٤٣ وما بعدها .
- ٤ - أ . د . توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٣٤٣ .

هذه المبادئ العقلية النظرية البسيطة هي بمثابة الأساس الذي لاشك في صدقه الذى تبنى عليه المعرفة المركبة عن طريق الاستنباط والاستنتاج العقلى فينتقل العقل من فكرة بديهية بسيطة إلى فكرة أكثر تركيباً حتى يصل إلى المعرفة . ولذلك فإن الأحكام الرياضية والمنطق فى رأيهم تمثل النموذج الصحيح لما يجب أن تكون عليه القضايا الفلسفية لأنها قضايا يقينية .

وبذلك حرص العقليون على الاستعانة بالمنهج العقلى الاستنباطى فى تحصيل المعرفة الإنسانية فى العلوم المختلفة (١)

أما حقائق الوصى فقد نحي ديكارت مجال العقل عنها لأنها فى رؤية لا تدرك إلا بعدد من السماء خارق للعادة فارتد بهذا إلى النزعة اللاعقلية فى مجال الدين وقد رفضها أتباعه فى القرن الثامن عشر وبسطوا سلطان العقل على المجالات التى أبعدتها هو عنه (٢) وبذلك رفض العقليون أى طريق للمعرفة غير العقل .

دور العقل فى معرفة الله كما جاء فى القرآن الكريم :

أسند الحق سبحانه وتعالى دوراً كبيراً للعقل فى النظر والتأمل فى كل ما يحيط به من موجودات والاستدلال منها على وجود الله وهذا يثبت ان العقل السليم قادراً على الاستدلال على وجود الله من آثاره ولذلك خص الله عباده على النظر العقلى فى العديد من آيات الكتاب الحكيم .

ومعرفة الله معرفة قائمة على منهج الاستدلال العقلى تتجلى فى قوله تعالى :
" سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " (٢) .

١ - د . يحيى هويدى : مقدمات فى الفلسفة العامة ص ١٠٩

٢ - د . توفيق الطويل : اسس الفلسفة ص ٢٤٥ .

٣ - س فعلت آية ٥٣ .

ومن الآيات القرآنية التي حث فيها الله سبحانه وتعالى الإنسان أن يعمل عقله في الكون من حوله وما به من بديع منع الله ليستدل على وجوده الاعظم قوله تعالى: " هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما زراً لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآيات لقوم يتذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقيى الأرض رواسى أن تعبد بكم وسبلاً لعلكم تهتدون " (١) .

وقوله تعالى : " ألم يجعل الأرض مهاداً والجبـال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل نباتاً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبيلاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حبا ونباتاً وجناتنا الأفافا " (٢)

والحق سبحانه وتعالى يستنكر ألا يعمل الإنسان عقله فيما تعج به الأرض من ظواهر طبيعية وموجودات مختلفة ، ويعتبرها غفلة عقلية وقد اسماها الله عمى القلوب قال تعالى : " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " (٣)

وقوله تعالى : " أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت " (٤) .

هذه الآيات وغيرها الكثير يدعو الله تعالى فيها عباده إلى التأمل والنظر

١ - س النحل آية ١٠ إلى ١٥ ٢ - س النبا آية ٥ : ١٦

٣ - س الحج آية ٤٥ محرس الاعراف آية ١٨٥

(١) والعقلى وتلك الآية الأخيرة يلفت الحق سبحانه وتعالى فيها أنظار العقلاء من الناس ليتأملوا بديع صنع الله ودقته فى خلق الابل . خلقها الله خصيما لتكون سفينة للمسافر عبر المحراء وجعل فيها كل الخصائص والمميزات التى تؤهلها لذلك . فإذا نظرنا إلى هذه المخلوقات نظرة مدققة وأخذناها كمثال للموجودات التى تحيط بنا والتى يأمرنا الله تعالى بتأملها للوقوف على ما بها من دقة الصنع سنتبين ما يأتى : -

١ - خلق الله الابل وذودها بسنام تخزن فيه الماء والغذاء الذى تحتاج اليه اثناء سفرها فى الصحراء الجرداء حتى لا تهلك ظمأ أو جوعا .

٢ - ذود الله أطراف الابل بأظلف مشقوقة تساعدها على السير فى رمال الصحراء الغزيرة .

٣ - جعل الله الشفا العليا لتلك الحيوانات مشقوقة حتى إذا أقبلت على أكل النباتات الصحراوية الشوكية لا يمسها أذى .

٤ - كسى الله أجسام الابل بطبقة من الوبر السميك الذى يحميها من قسوة الظروف الجوية فى الصحراء شتاء وصيفا .

٥ - جعل الله للابل آذان موسيقية تطرب لسماء الغناء والألحان ، وتلك حكمة بالغة من الله لأن الابل إذا سمعت الحذاء حدثت لها حالة نشوة وتطرب ويشغلها هذا الطرب عما تعانى من تعب أو جوع أو ظمأ فلا تشعر بما تعانى .

ثم لا يوقف الامر عند حد النظر والاعتبار وإنما حث الله الانسان على الجدل فى حدود قدراته العقلية وذلك فى قوله تعالى :

" وجادلهم بالتي هي أحسن " (٢) وقد طلب من رسوله الكريم أن يجادل الكفار

١ - النظر ينقسم الى صحيح يؤدي إلى مطلوب وفائد يقابله " إنظر الايجي الموقف فى علم الكلام ص ٢٢ كما يقسم الى " جلى وخفى وذلك يرجع إلى صحة أو فساد مادته وصورته " أنظر مقدمة " المننى " للقاضى عبدالجبار ٢ ص ١٢٢ و تحقيق وتقويم د . ابراهيم مذكور أما الممتزلة فقد عدو النظر حسنا دائما وأنكسروا النظر الخاطيء والفاسد . المرجع السابق نفس الصفحة والنظر الصحيح عند جمهور المتكلمين يفيد العلم أرجع الى الايجي " المواقف فى علم الكلام ص ٢٢

٢ - س النحل آية ١٢٥ .

ويقدم لهم الحجج والبراهين العقلية على أمور العقيدة وأوامر تعالى ان يلتزم فـى ذلك بآداب الحوار والجدل وأعلمه ان ماعليه الا البلاغ المبين قال تعالى " فذكر أنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " (١) وحرم اكراه الناس على اعتناق الاسلام " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " (٢) وقال تعالى لأكره فى الدين قد تبين الرشد من الغي " (٣) وأنه تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة وان له فى إختلاف عقائد الناس حكمة :

ومن الآيات الدالة على إهتمام القرآن بتقديم الدليل والبرهان العقلى قوله تعالى: " قل هاتوا برهانكم " (٤) وقوله تعالى : "لبيك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة " (٥) وقوله تعالى : "إن عندكم من سلطان بهذا " (٦) أى هل لديكم الدليل على صحة هذا . وقوله تعالى : " قل فله الحجة البالغة " (٧) .

إن النظر العقلى يلعب دوراً كبيراً فى اثبات وجود الله خالق هذا الكون . ولكن هل للعقل من الامكانيات والقدرات ملاحدود له أم ان له حدود لا يستطيع أن يتجاوزها ومن ثم يعجز عن تصور بعض الامور التى تعد خارج مجال تموره حيث لايقوى على تعقلها وإدراكها ؟ وهل للعقل قدرة على معرفة ذات الله ؟ .

إن العقل من أعظم الهبات التى وهبها الله للانسان وميزه بها عن غيره من المخلوقات التى حولنا غير أنه يجب علينا ألا نغالى فى تقدير إمكاناته بالدرجة التى تجعلنا نرفض مايعجز عن تصوّره ونعتبره مستحيلا أو غير ممكن الوجود . إذ ينبغى ان نعطى لكل أداة من أدوات المعرفة حجمها الحقيقى دون إقراط أو تفريط وليس هذا المثل البسيط الذى أضربه للتدليل على ان مايعجز العقل عن تصوّره ليس مستحيلا وهو : لو قيل للانسان فى العصور القديمة أو الوسطى أنه يمكنه الوصول إلى القمر وانه فى امكانه مشاهدة وسماع من يبعد عنه ملايين الكيلومترات . هل

كانت سبب الخلق آية ٨٨	٢ - س الكهف آية ١٨
٢ - س البقرة آية ٢	٤ - س الانبياء آية ٢٤
٥ - س الانفال آية ٤٢	٦ - س يونس آية ٦٨
٧ - س الانعام آية ١٤٩	

كان عقله يمكن ان يصور ذلك ؟ بالطبع لا .

ان قدرات العقل في ذلك الوقت كانت قاصرة عن تصور مثل هذه الامور التى كان يعبدها العقل الانسانى في ذلك الوقت من المستحيلات . بينما انسان القرن العشرين المثمرين يشاهد عن طريق الاقمار الصناعية والارسال التلفزيونى ما يحدث فى سماء أى بقعة فى العالم على الهواء مباشرة دون أن يتعجب من ذلك ويرى رواد الفضاء يسرون على سطح القمر من خلال شاشة التليفزيون دون أن يستدعى ذلك دهشته ، وماذلك إلا لان عقله استطاع أن يستشيع تلك الامور وغيرها مما كان يعجز عن تصورها فى الماضى فقدرات الانسان العقلية صارت أكثر نضجا واشد اتساعا لان الادراك العقلى لهذه الامور إقترن بالادراك الحسى لها . ولان الله يكشف عن العقل حجابيه شيئا فشيئا وله فى ذلك حكمة . فموضوعات عالم الشهادة التى هى من اختصاص العقل قد يبدو بعضها مستحيلا ثم نصل بعد إلى الوسائل المؤدية إلى معرفة تلك الأمور بعينها وبعد أن يشهد لها الحس بالوجود يصدق بها العقل ويتقبلها بعد أن كان يرفضها ويشك فى صحتها .

والحقيقة أن التقدم العلمى نفسه وهو ثمرة للمجهودات العقلية والتجريبية لهو أكبر دليل على ذلك فهل بعد لا تزال نصر على أن الامور التى تفوق قدرات العقل هى امور مستحيلة بعد أن ضاقت فى عالم اليوم دائرة المستحيل واتسعت دائرته الممكن ؟

وقد ادرك الحكماء قصور العقل فى إدراك حقائق الاشياء إدراكا كاملا والغرابي يشير إلى ذلك فى قوله " الوقوف على حقائق الاشياء ليس فى قدرة العقل ونحن مانعرف من الاشياء إلا الخواص واللوازم والاعراض ولا نعرف الفصول المقومة لكل منها الدالة على حقيقتها بل أنها أشياء لها خواص ، فإننا لانعرف حقيقة الاول (يعنى الله) ولا النفس ولا الفلك ولا النار ولا الهواء والماء والارض ولا نعرف حقائق الأعراض (١) .

وعند ابن سينا العقل والحس عاجزان عن ان يصلا الى المعرفة التى لاتدخل فى قدراتهما وتتجاوز حدودهما تلك المعرفة لا يكون السبيل إليها إلا بالنفوس البشرية المطمئنة المتطهرة التى تتلقى عن الله دون واسطة من حس أو عقل فتشرق عليها الاتوار القدسية فتسعد بها سعادة أبدية (١) .

والغزالي يرى عن تجربة أن وراء طور العقل طور آخر تفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما يكون فى المستقبل وامور أخرى العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عند إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن إدراك التمييز (٢) .

أما الفيلسوف " البروت اشفيتسر " (٣) فيرى ان كل عقيدة ثمينة لا يمكن استمدادها من معرفة العالم بل تنشأ من التجربة التفكيرية التى تقوم بها ارادتنا للحياة والتى نتجاوز بها طور كل معرفة للعالم وتلك هى الحقيقة التى يدركها الفكر العقلى على انها حقيقة يجب أن نعيش بها وأن الطريق إلى التصوف الحقيقى يقود إلى تجربة عميقة للعالم ولارادتنا الحياة وعلينا جميعا مرة أخرى ان نكون مفكرين بحيث نصل إلى التصوف الذى هو النظرة المباشرة العميقة الوحيدة فى العالم وبحيث علينا ان نتحول فى ميدان المعرفة إلى النقطة التى تنتقل فيها المعرفة إلى تجربة للعالم ولابد لنا جميعا أن نصبح دينيين من خلال الفكر (٤) .

وقد استثنى ديكارت من منهجه العقلى كل حقائق التنزيل واعتبرها فوق متناول العقل . وجعل الايمان بها من أعمال الارادة وليس من أعمال الذهن واصبح ميدان العقل عنده لايتجاوز الحقائق الفلسفية .

١ - ابن سينا : رسالة الفردوس - مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحمل رقم ٣٩٨ مجاميع حكمة ل ٩٣ .

٢ - الغزالي : المنقذ من الضلال ص ١٢٤ وانظر ايضا كتاب مہرجان الغزالي فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده - المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية - مقالة د . محمد ثابت الفندى ص ٩٨ ، ٩٩

٣ - فيلسوف المانى معاصر ولد سنة ١٨٧٥ وتوفى سنة ١٩٦٥ وهو فيلسوف اخلاقى ومرشد روحى يدعو إلى حب الانسانية قولاً وفعلًا ومبدؤه الاساسى هو توفير الحياة انظر مقدمة كتاب د . عبدالرحمن بدوى " فلسفة الحضارة "

٤ - د . عبدالرحمن بدوى : فلسفة الحضارة ص ١٠١ .

أما الحقائق الدينية التي تهدي إلى الجنة فإنها فوق متناول العقل وليس من الحكمة ان نسلمها إلى ضعف استدلالنا العقلية لأنها بمدد غير عادي من السماء أو بوحى ينزل من الله على من يصطفيه من عباده (١).

وهذا يقودنا إلى الحديث عن القلب كآداة للمعرفة الذوقية .

٣ - القلب كآداة للمعرفة :

ان الذين يقولون بالقلب كآداة أو منهج للمعرفة هم الصوفية (٢). فقد ذهبوا الى ان القلب المافي الذي توجه مخلصا إلى الله بعد تنقيته وتصفيته من ادران

- ١ - ارجع الى د . توفيق الطويل " قصة الصراع بين الفلسفة والدين ط الثالثة ص ١٩٢
 - ٢ - التصوف نوعان احدهما ديني والآخر فلسفي . فالتصوف الديني ظاهرة مشتركة بين الاديان جميعا سواء في ذلك الاديان السماوية أو الاديان الشرقية القديمة والتصوف الفلسفي قديم عرف في الشرق وفي التراث الفلسفي اليوناني وفي أوروبا في عصرها الوسيط والحديث .
- ولم يخل العصر الحاضر من فلاسفة أوروبيين ذوي نزعة صوفية مثل " برادلي " في انجلترا و" ووجسون " في فرنسا .
- وكان التصوف الديني يمتزج أحيانا بالفلسفة كما هو الشأن عند بعض صوفية المسيحية والاسلام وكذلك كان يحدث إمتزاج أحيانا عند فيلسوف من الفلاسفة بين النزعة العقلية والنزعة الصوفية . فقد لاحظ " برتراند رسل " في بحث له تحت عنوان " التصوف والمنطق " (Mysticism and Logic) أن من الفلاسفة من أمكنه الجمع بين النزعة الصوفية والنزعة العلمية ورأى في ذلك الجمع أو التوفيق بين النزعتين سموا فكريا جعل من أمحابة فلاسفة بالمعنى الصحيح فيقول مانحه " إن أنظم الرجال الذين كانوا فلاسفة شعروا بالحاجة إلى كل من العلم والتصوف إذ العاطفة الصوفية هي الملهم لاظم مايكون للانسان - أنظر أ . د . أبو الوفا الغنيمي التفتازاني . مدخل الى التصوف الاسلاي ص ٤ الطبعة الثانية وانظر

الشهوة والهوى ^(١) وشواشب النفس الامارة بالسوء وتحليته بمكارم الاخلاق يميـــــر
أهلا لتجلى أنوار الحق عليه .

والمنهج القلبي عند الصوفية هو أصدق المناهج للوصول الى معرفة الله معرفة
ثابته . ولاغربة في ذلك فالقلب كما وصفه الغزالي " هو العالم بالله ، وهو
المتقرب اليه . وهو العامل لله وهو المعاني ، اليه ، وهو المكاشف بما عنده ، وهو
المقبول عند الله إذا سلم من غيره وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغيره
وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب " ^(٢) .

كما أن القلب هو العاشق لله وهو المشتاق اليه وهو الخاشع لجماله وجلاله
وهو محل النقاء والمفاء ولهذا فإن القلب أقدر على معرفة الله من الحس والعقل .

وقد أشار الغزالي إلى ذلك في كتابه "المنقذ من الضلال " حيث يذهب إلى
أن العلم اليقيني لا يكون عن طريق الحواس أو العقل وإنما يكون عن طريق القلب
ومعرفه بأنه " العلم الذي يتكشف فيه المعلوم إنشكافا لا يبقى معه ريب ولا يقاربه
إمكان الغلط ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون
مقارنا لليقين مقارنة لتحدى باظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً والعصا شعباناً
لم يورث ذلك شكاً أو إنكاراً " ^(٣)

والسبيل إلى حصول المعرفة القلبية يتأتى بمحاربة الشر في النفس وتغليب
جانب الخير عليه واخضاع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة والتحكم في شهوات
النفس وأهوائها ، والزهد في الدنيا والاقبال على الله فالتخلي عن الدنيا - ففى

١ - هناك فرق بين الأهواء والشهوات فالأخيرة تعنى كل ماقترون بلذة حسية لكل عضو
فى البدن له اغراض يشعر الانسان بلذة إشباعها إذا ما أطلق لنفسه العنان ففى
إشباع لذات بدنه أدى به ذلك الى الانغماس فى حياة مادية خالمة كحيـــــاة
الحيوانات - واما الهوى فهو حيل النفس إلى تحقيق رغباتها وهو لا يقتصر على
تحقيق الرغبات الحسية بل يفزع إلى لذات من نوع آخر كلذة التسلط والقهر
وحب الرئاسة والسيطرة وحب الظهور والكبرياء والحقد والحسد وغيرها . انظر
ابن سينا : رسالة الاخلاق ضمن مجموعة تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات ط أولى ص ٢

٢ - الغزالي : احياء علوم الدين ط ٢ ص ٢

٣ - الغزالي : المنقذ من الضلال - طبعة مكتبة النشر العربى ص ٣٩ .

رأى الغزالي " هو الدواء المر ولمرارته استيشعته الطباع وبقيت العلة وصار السداء غفالا " . وتخلية القلب من كل الصفات الذميمة وتحليته بالصفات الحميدة حتى يتحقق صاحبة الكمال الأخلاقى وتضعف بشريته وتقوى روحانيته ويصير أهلا لتلقى المعرفة الذوقية من لدن الله تعالى .

والمالك طريق الصوفية بجاهد نفسه بالرياضيات العملية كالحللة على ان يكون حاضرا مع الله بقلبه والصوم والذكر والسماع والعزلة والخلوة والصمت والجوع والسهر والسياسة فى الله وغيرها من الرياضات العملية وهو فى آدائه لتلك العبادات يحرص على تحقيق الغرض منها من ترقيق القلب وتصفية النفس وسياستها والتحكم فيها ومراقبتها وحضور القلب مع الله والتعلى بالخشوع والهيبة والخوف من الله والتضرع له ومناجاته والتقرب اليه . وتخلية القلب عن سواه والاخلاص فى التوجه اليه ومدق النية والشوق إلى حضرته والانس به تعالى .

ويعين على ذلك قوة اليقين وشدة الايمان وسد الحواس وعدم التفكير فى هوم الدنياوية .

والصوفى أيضا حريص على الرياضات الروحية التى تزكى نفسه وتجعل منه أنسانا روحانيا أقرب الى الملائكة منه إلى البشر فيجاهد للتحقق بمقامات السلوك الصوفى كالقوبة ، والزهد ، والصدق ، والاخلاص ، واليقين ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والاحسان ، والصبر ، والتوكل والمحبة وغيرها من مقامات السلوك الصوفى التى يتدرج فيها السالك كلما تحقق بمقام منها ارتقى إلى مقام آخر على يد شيخ من شيوخ الصوفية الكمل الواصلين يرشده ويعلمه ويقتهى به ويكون عونا له على تخطى ما قد يعوقه عن مواصلة السير فى الطريق إلى الله .

والمالك طريق الصوفية تعتريه أحوال سريعة الزوال يشعر خلالها بمشاعر واحاسيس تغمر وجدانه وتملك غلبه كل كيانة كخال القرب ، وحال الانس ، وحال القبض ، وحال البسط ، وحال الغناء ، وحال الاتصال . وغيرها .

إذن هو طريق الاخلاص في الرياضات العملية والروحية وبارشاد الشيخ للمريد يعيشه على ان يتحقق بالكمال الاخلاقي ويتطهر سره ويصفو قلبه ويصير سهيلاً لتقبل المعرفة الذوقية ويكون ذلك في حالات خاطفة عندما يعتمد السالك إلى الذكر مثلاً وهو منحرف، اليه من عما سوى الله ولا يزال يردد عبارات الذكر مثل الله . الله أو لا اله الا الله . أو سبحان الله أو غيرها وهو متفكر في الله وغافل تماماً عما سواه فيملك عليه الحق شعوره ووجدانه وقلبه وتسيطر فكرة الله على بؤره شعوره، الذاكرة وتغلب على ماعداها من أفكار ثم يكف اللسان عن الذكر ويبقى ذكر القلب ويستغرق الذاكر في المذكور فيغنى عما حوله ثم يغنى عن نفسه ويبقى بالله . وفي هذه اللحظات الخاطفة في حال الغناء يتم الاتصال الروحي بين العبد وربّه فيفيض الله على قلب عبده الوامل الى حفرته المعرفة الذوقية النورانية فيضاً مباشراً من لدن الله دون واسطة من حس أو عقل .

يقول الغزالي : " كل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهي بطريق الكشف والالهام " (١) ويقول : " اعلم ان أرباب القلوب يكتشفون بأررار الملكوت تارة على سبيل " الالهام " بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم حيث لا يعلمون وتارة على سبيل " الرؤيا المادقة . وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام - وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية " (٢) .

وقد حاول الغزالي توفيق الكشف الموفى وتبسيطه حتى يسهل تصويره فشبه قلب المرقى الوصل الى الحضرة الالهية بالعرّاة المجلوة وشبه اللوح المحفوظ بالمرآة

(١) احياء علوم الدين ، ط ٢ ، ص ٠٢

(٢) احياء علوم الدين ، ط ١ ، ص ٠٨٢

أيضا وأنه في حالة الفيض الإلهي ينعكس على مرآة القلب بعض ما هو منقوش على مرآة اللوح المحفوظ من الأسرار والمعارف الإلهية يقول النزالي في ذلك : " إن القلب مثل المرأة واللوحة المحفوظ مثل المرأة أيضا لأن فيه صورة كل موجود وإذا قابلت المرأة بمرآة أخرى حلت صورة ما في أحدهما في الأخرى ، وكذلك ظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من علائق الحواس ، طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التي في اللوح المحفوظ وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال ، لذلك يكون الذي يبصره تحت ستر القشر (أي مستورا بالمشورة الخيالية) وليس كالحق الصريح مكشوفاً فإذا مات القلب بموت صاحبه (أي إذا فنى القلب بفناء صاحبه) لم يبقى الخيال ولا حواس وفي ذلك الوقت يبعثر بغير وهم وغير خيال ويقال له " فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " (١) .

أذن المنهج الذي اصطنعه الصوفية لمعرفة الله هو المنهج الكشفى الذوقى وهو ادراك وجدانى مباشر . وقد سمي منهجا كشفيا لأن الله يكشف فيه لعباده الواصلين إلى حضرة من المعارف ماتعجز عنه الحواس والعقل وفى ذلك يقول الطوسى " الكشف بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين " (٢) .

ويقول ابن سينا " الحس تصرفه فيما هو من عالم الخلق والعقل تصرفه فيما هو من عالم الأمر وما فوق الخلق محتجب عن الحس والعقل وليس حجابهم غير انكشافه كالشمس قلبي احتجابها تعالى عن عباده لكونه غير ظاهر وإنما لقصورهم عن ادراكه فلا حجاب الا في المحجوبين " (٣) .

(١) النزالي : كيمياء السعادة ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) الطوسى : اللمع ، ص ٤٢٢ .

(٣) ابن سينا : رسالة القوى الانسانية وادراكاتها ، مطبعة كردستان ، ص ٢١٢ .

وقد جعل الامام الغزالي المعرفة بالله مرادفه للايمان ولذلك رتب درجات المعرفة بالله كما يلي:

- ١ - المرتبة الأولى : ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض.
- ٢ - المرتبة الثانية : ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته عند الغزالي قريبة من درجة ايمان العوام.
- ٣ - المرتبة الثالثة : ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين. وكلما كان الايمان بالله قويا كلما زادت درجة صاحبه من المعرفة اليقينية بالله (١).

ثم يضرب الغزالي مثالا لتلك المراتب الثلاثة من الايمان فيقول " ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك يكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات " (٢).

الأولى : أن يخبرك من جوبته بالمدق ولم تعرفه بالكذب بوجوده في الدار فـان قلبك يكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام الذين سمعوا من آبائهم بوجود الله فصدقوا ماسمعوا به.

والثانية : أن تسمع صوت زيد من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل من ذلك على كونه في الدار وهي درجة أعلى من السابقة وأكثر يقيناً لأن سماعك للصوت دليل على وجود صاحبه وهذه الدرجة من الايمان ممزوجة بدليل ويمكن أن يتطرق اليه الخطأ فقد يكون من بالدار ليس زيد وسمعت صوت يقلده أو قريباً من صوته الا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه لا يقدر هذا اللبس ولا يضعه في اعتباره وهي معرفة المتكلميين أو علماء الكلام والفلاسفة.

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ، ط ٢ ، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

والثالثة : أن تدخل الدار بنفسك فتنتظر الى زيد بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والمديقين لانهم لا يؤمنون الا عن مشاهدة ويكون ايمانهم اقوى من ايمان العوام والمتكلمين (١).

وأخص ما يميز المعرفة الذوقية الشهودية (٢) انها معرفة خاصة نتيجة تجربة شخصية وهي ليست شيئا مشتركاً بين الناس جميعاً . كما تمتاز بانها معرفة مباشرة من الله تحدث في ومضة سريعة في حال الاتصال الروحي بين العبد وربّه وبموجب التعبير عنها بالفاظ اللّغة ومن ثم يستعمل الصوفية الرمز في التعبير عن معارفهم وأحوالهم وهي سر من أسرار الله يفشى به الى خاصة المقربين اليه وتفشى الى سعادة غامرة لا يعرف حلاوتها الا من ذاقها وخاض التجربة بنفسه ولذلك قيل " من عرف الله مفا له العيش ، وطابت له الحياة وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله (٣) .

دور القلب في معرفة الله كما جاء في القرآن الكريم :

أشار الله في كتابه العزيز الى المنهج القلبي في معرفته سبحانه في قوله تعالى " أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد " (٤) . فمعرفة الله عن طريق العقل هي معرفة من يتشاهد بالخلق على وجود الخالق . أما المعرفة الله عن طريق القلب فهي معرفة من يشهد بالحق ولا يشهد عليه .

ولاشك أن معرفة الله القائمة على الشهود الذوقي هي أصدق المعارف وأثبتها يقول الحق سبحانه وتعالى عن أصحابها : " أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه " (٥) .

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) انظر أ ، د . أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : مدخل إلى التصوف الاسلامي ، ص ٩ ، ١٠ .

(٣) القشيري : الرسالة القشيرية تحقيق د . عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٤) س فصلت آية ٥٣ .

(٥) س المجادلة آية ٢٢ .

والآيات القرآنية التي تحدثنا عن المعرفة القلبية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم " (١) وقوله تعالى : " ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم " (٢) ، وقوله تعالى " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " (٣) .

واذا كان قلب المؤمن يتسع لمعرفة الله تعالى ومعرفة الأمور الغيبية ، قال تعالى : " ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء " (٤) ، وقال تعالى : " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " (٥) ، فان قلب المؤمن أيضا يتسع للإيمان بالأمور الغيبية التي أخبرنا بها الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم وهي الأمور السمعية أو السمعات . وهذا يتوقفنا إلى الحديث عن النص المنزل كمصدر للمعرفة .

٤ - النص المنزل كمصدر للمعرفة :

سبق الإشارة الى تعدد موضوعات المعرفة واختلافها فمما ماهو في عالم الشهادة وهو من اختصاص الحس والعقل ومنها ماهو في عالم الغيب وهذا يدرك بالقلوب والخبر المنزل ولاشك أن الخبر المنزل يتعرض أيضا لأمر كثيرة في عالم الشهادة منها على سبيل المثال المعاملات وهي الأحكام الفقهية التي وردت بالكتاب والسنة والتي تختص بعلاقة الانسان بأخيه الانسان في شتى المعاملات الانسانية ومنها أيضا الجانب المتعلق بالاخلاق العملية للانسان وماورد بصدها في الخبر المنزل من أوامر ونواهي الهية .

(١) س الأنفال ، آية ٢٠ .

(٢) س التغابن ، آية ١١ .

(٣) س الزمر ، آية ٢٢ .

(٤) س البقرة ، آية ١٧٧ .

(٥) س المنكحوت ، آية ٩٦ .

أما المعرفة الخاصة بعالم الغيب والتي حدثنا بها الحق سبحانه وتعالى ففى النصوص القرآنية هى القضايا المعصية التى لا تيسر للإنسان الا عن طريق إخبار منزل من الله ، ومن تلك الأمور " ميثاق الفطرة " الذى أخبرنا الله فيه أن معرفته تعالى مغطوة فى النفس الإنسانية وذلك فى قوله تعالى : " وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين " (١) ، ففى هذه الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم وأنه لا اله الا الله . فعندما خلق الله آدم وخلق من ظهره حواء مسح على ظهر آدم واستخرج نفوس بنى آدم وأطلعها على وجوده ووحدانيته منذ بداية الخليقة ، فعرفت الله .

وهذا يعنى أن معرفة الله مغطوة فى الإنسان وعندما يتهيأ البدن المناسب لكل نفس من هذه الأنفس تحل فيه ، غير أن كثافة المادة أو البدن وانغماس الإنسان فى الاستجابة لمطالبه المادية البدنية التى لا تنتهى يمثل حجابا كثيفا بين نفس الإنسان وبين نور هذه المعرفة الفطرية ، ولذلك فقد أرسل الله الرسل يذكرنا بنسبى آدم بوجوده تعالى ووحدانيته وأهمية التقرب إليه والتعبد له والطريق الى ذلك التقرب وتلك العبادة .

كما أخبرنا سبحانه عن أسمائه الحسنى لندعوه بها وأنه سبحانه ليس كمثله شئ وأن قدرته ليس لها حدود وان لاشئ يعجزه وأنه قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء . وأنه خالق الكون بما فيه وأنه ينظمه ويسيره الى أن تقوم الساعة وأنه سبحانه غير حال فى الكون بل متعالى عليه . وأنه تعالى متمف بمفات الكمال مفات الذات ومفات الفعل .

(١) س الاعراف ، آية ١٧٢ .

وأخبرنا الله عن أشرار الساعة وأنواعها وعذاب القبر والحراط والميزان والجنة والنار ، وأخبرنا أن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره وأنه تعالى يملك الأرض والسماء وله الأمر والنهي. وإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وأنه باعث الأنبياء والرسل وأنه خالق الأكوان والملائكة والجنان. وأنه أسرى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السماء السابعة.

تلك الأمور السمعية وغيرها كثير ماكان لنا أن نعرفها لولا أخبار الله سبحانه وتعالى لنا بها وهي أمور يعجز العقل في كثير من الأحيان عن تصورها ولاسبيل الى تصديقها الا بالقلب المؤمن بالله وكتبه وملائكته ورسله.

ويحدثنا الشيخ محمد متولى الشعراوى عن دور الخبر المنزل فى معرفة الله ومعرفة الأمور النيبية وإن تلك الأمور ليست فى متناول العقل فيقول " ولكن العقل أيتطيع أن يدرك من هذه القوة أسماها؟ أيتطيع أن يدرك من هذه القوة صفاتها؟ أيتطيع أن يدرك بعقله متطلبات هذه القوة؟ وما الذى ينتظره حين يخالفها؟ لاشئ من ذلك من عمل العقل أبدا وإنما عمل العقل ينتهى الى تعقل قوة أعلى منه سخرت له ما هو أقوى منه. هذه القوة يكفى منها أن تتعقلها ايها الانسان. أما أن تتمورها على أى كيف هى. فذلك ليس من مهمة العقل. اذن فالقوة تعبر عن نفسها أسما لها وصفات لها ومهمة ترتبط أنت بواسطتها ونهاية تصبو اليها وجزءا يترب على امتثالك أو على مخالفتك كل ذلك ليس من عمل العقل ولذلك كان هذا هو السرد المنطقي " (١) ، اذن لابد من تبليغ سماوى من الله عن هذه القوة وهى الله سبحانه وتعالى. هذا التبليغ يقوم به ملك مصطفى من الملائكة الى انسان مصطفى من البشر ولذلك قال الصوفية ان الدليل على الله هو الله وحده (٢).

(١) كتاب هذا هو الاسلام ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، الطبعة الأولى.

(٢) أبو بكر القليازى: التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة عيسى الباب الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ، ص ٥٠.

وتلك الأمور السمعية التى عرفت عن طريق الخبر المنزل لايقوى العقل على تصورها وانما يكون الايمان بها عن طريق القلب فهناك صلة وثيقة بين الايمان القلبى والتصديق بالخبر المنزل من السماء ، فاذا كان عقل الانسان لايتسع لتصور هذه الأمور الغيبية التى يخبرنا الله بها عن طريق الرسل فان قلب المؤمن يتسع لها أن القلب الطاهر الصافى المستنير بنور الايمان له بصيرة نافذة لاتتوفر للحس ولا للعقل ولذلك قال تعالى : " هاأنتم هؤلاء ، حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم " (١).

واذا كان الايمان القلبى بالله وبقدرته التى لاحدود لها على الخلق والابداع قضية أولى يعلم بها المؤمن فعليه أن يتقبل مايترتب على هذا الايمان والمعرفة بالله من قضايا أخرى وهى الأمور الغيبية أو السمعية التى أخبر بها الحق سبحانه وتعالى والتى يتقبلها المؤمن ويمدق بها تصديقا قلبيا دون أن يناقشها أو يشك فى صحتها لاشئ إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر بها فى كتابه الكريم .

تلك القضايا السمعية اذا نظر اليها الانسان غير المؤمن نظرة عقلية فان عقله يرفضها ولايتقبلها ولايصدقها فكيف له أن يتقبل - وهو غير مؤمن بوجود الله وبقدرته وبانه يقول لاشئ - كن فيكون - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرى به الى بيت المقدس ثم يعرج الى السماء السابعة وهو غير مهيا لهذا من وجهة نظرهم ؟ فكيف له أن يسافر بين أقطار السماوات والأرض وهو ليس بداخل مركبة فضائية مجهزة لذلك وغير مرتدى لحلة الفضاء اللازمة لكى يتحمل اختلاف الجاذبية واختلاف الضغط الجوى ودرجات الحرارة أو البرودة وغيرها وهو أيضا غير مزود بكمية كافية من الأوكسجين اللازم للتنفس وغير ذلك من الأشياء الضرورية التى لاغنى عنها لمن يرتاد الفضاء الخارجى . ثم كيف له أن يعقل أن من أشرط الساعة أن تشرق الشمس من المغرب بعد

(١) س آل عمران ، آية ٦٦ .

أن ألف على مر الزمان شروقها من المشرق ؟ وكيف له أن يصدق أن دابه تخرج على
الناس وتكلمهم وتعجب انهم لم يستطيعوا أن يعقلوا وجود الله وأن يؤمنوا به رغم
ما حولهم من أدلة وشواهد على ذلك ؟

ان الأمور السمعية كثيرة وهي قضايا يعلم المؤمن بمحتها كما سبق القول بنسأ
على ايمانه السابق بقدرة الله على الخلق والابداع وأنه تعالى لا يعجزه شئ، ولاتقاس
قدرته بقدرة الانسان الذى هو دائما فى حاجة الى الأسباب لنقصه وعجزه. أما غير
المؤمن فانه يعتبر السميات أمور خارجة عن دائرة العقل ومستحيلة الحدوث وإذا كان
على الانسان أن يعلم بها فلا بد أن يلغى عقله أولا ثم يصدق بها ثانيا. ومن هنا
أدعى من لا يعرف الله أن الايمان به تعالى والايمان بكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر
والقدر خيره وشره يتطلب الناء العقل فالمؤمن فى نظرهم انسان واهم يعيش فى وهم
كبير.

ان الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بالناء العقل ولم يهب العقل للانسان وميزه به
على سائر الموجودات الأخرى لكى يلغى وجوده ولم يخلق الله العقل للانسان عبثا وقد
سبق أن أوتحنأ فى حديثنا عن المعرفة العقلية كيف عول الله سبحانه وتعالى على
قدرة الانسان العقلية فى النظر والتأمل ، وقد اتخج لنا بالاستعانة بالآيات القرآنية
ان الله تعالى يأمرنا باعمال العقل للاستدلال على وجوده غير أننا - وهذا هو المهم -
كننا نؤمن بقدرة العقل على النظر والتأمل والتصوير والاستدلال والبرهنة والاستنتاج
علينا ، الانغفل أن هذا العقل الانسانى مهما بلغت قدراته وامكانياته فهى محدودة كما
سبق وتبينأ ذلك . وعلينا أن ندرك أيضا أنه ليس كل مايفوق قدرات الحس والعقل
الأدراكية يعد من المستحيلات هذه حقيقة يجب ألا ننفلها . وهذه هى القضية التى
إذا سلم الجميع بها وأدركوا صحتها انتهت مشكلة المكذبين بوجود الله أصحاب
مذهب الألحاد Atheism وهو مذهب من لا يؤمنون بالروحانيات Pneumatology

وهذا يعودنا الى أن يكون لنا وقفة مع هؤلاء المكذبين نحدثهم فيها بمنطق العقل ولن أتبع الطريقة التقليدية في تقديم الأدلة والبراهين العقلية على وجود الله فهذه تزخر بها كتب الفلايفة والمفكرين من قدامى ومحدثين وانما أقول لهم تعالوا بنا ننتال ماجدوى ألا يعرف الانسان ربه ويكفر بوجوده تعالى. هل لأنه يريد أن يتبع المنهج الحسى فى أبحاثه ودراساته العلمية أو يتبع منهج الحسى والعقلى منا ليحل الى مزيد من التقدم العلمى وأن ايمانه بالله سيقف حجر عثرة فى طريقه ؟ لا فان الايمان لايتناقى مع استخدام المنهج العلمى ولايحرم العلم ، فعلى كل انسان أن يعمل عقله وأجهزته ليحل الى أرقى درجات التقدم العلمى ولاخرج عليه فى ذلك فإله لم يحرم العلم ولم ينه عن البحث فى شتى فروع المعرفة ، وانما على العكس رفع الله من شأن العلم والعلماء فى آيات عديدة فى كتابه الكريم فى مثل قوله تعالى : " هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون " (١) . فالله لايسوى بين العالم وغير العالم انما جعل للعلماء منزلة خاصة ويكفى العلماء شرفا أن الله جعل شهادتهم تأتى بعد شهادة الملائكة فى قوله تعالى : " شهد الله أن لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم " (٢) . بل أن الله سبحانه وتعالى يرفع درجات الذين آمنوا والذين أتوا العلم قال تعالى: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات " (٣) وذلك لأن العلماء كلما أمحوا النظر فى علومهم العملية والنظرية وكلما وقفوا على دقائق الأمور فى موضوعات أبحاثهم أيقنوا أنه لايمكن أن تكون الأشياء بهذه الدقة وهذا النظام المقنن وبذلك المقادير والنسب المحكمة بمحض الصدفة ، وانما لابد أن تكون بتدبير محكم وابداع خارق فى الخلق والتنظيم ولذلك قال تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس ولايعلمها الا العالمون " (٤) ، وقال تعالى : " ويرى الذين أتوا العلم الذى أنزل

(١) س الزمر ، آية ٩ .

(٢) س آل عمران ، آية ١٨ .

(٣) س المجادلة ، آية ١١ .

(٤) س العنكبوت ، آية ٤٣ .

اليك من ربك هو الحق " (١) وان هؤلاء العلماء أكثر الناس خشية لله لما عرفوا من الحق ، قال تعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء " (٢) وأول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحدثه الله فيها عن العلم الذى علمه للانسان فى قوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذى خلق - خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " (٣) .

اذن العلم يجب أن يكون دافعا لتثبيت الايمان وليس حجة للتشكيك فى وجود الله ويكفى نظرة مدققة فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للوقوف على الآيات القرآنية العديدة التى ورد فيها لفظ علم وعلماء لنستدل من ذلك على موقف الاسلام من العلم .

وإذا كان الايمان لا يقف فى طريق التقدم العلمى فى مختلف العلوم النافعة وهى غاية العقل الانسانى والبحث العلمى فما المانع من أن يكون الانسان عالما ومؤمنا فى ذات الوقت خاصة وان للايمان آثار نفسية واجتماعية واخلاقية عظمية لا يتركها المؤمن وغير المؤمن على السواء .

وعلى المؤمنين بالله أن يرتقوا سلم التقدم الحضارى فكلما زاد التقدم العلمى كلما انكشف امام الحس والعقل أمور وأسرار كانت مجهولة غير متصورة الوجود عقليا وغير مدركة حيا وهذه بعينها فيها دلالة قاطعة على أن هناك من الموجبــــــــــــــــودات ما لا يدركه الحس ولا يتموره العقل . والعلم يكشف لنا عن هذه الوجودات شيئا فشيئا وكلما تقدم العلم كلما تيقنا من أن أحكامنا المتسرعة بأن كل موجود محسوس خطأ يجب أن نعيد النظر فيه وقد قال تعالى : " ويخلق ما لاتعلمون " (٤) فعملية الخلق

(١) س سباء ، آية ٦ .

(٢) س فاطر ، آية ٢٨ .

(٣) س العلق ، آية ١ الى ٥ .

(٤) س النحل ، آية ٨ .

مستمرة لا تتوقف وسيخلق الحق سبحانه وتعالى في المستقبل موجودات لا نعرفها الآن وقد لا تتصور وجودها ولأدل على ذلك من أن علم الهندسة الوراثية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بلغ من التقدم مبلغا جعله قادرا على أن يقدم لنا مخلوقات تحمل صفات الإنسان والحيوان وإنتاج سلالات جديدة غير معروفة لنا من خلال عمليات التهجين وقد تقدم هذا العلم في السنوات الأخيرة وسيأتينا بما كان العقل البشري لا يتصور وجوده وعلينا أن نستبصر من هذه الأشياء ونعتبر وندرك أن العقل قد لا يتصور أشياء والعلم يثبت لنا كل يوم من المعجائب ما لم يكن في قدرتنا تصورها ، قال تعالى " لقد جاءكم بحائز من ربكم فمن أبهر فلنفسه ومن عسى فعلها " (١).

ويقول الغزالي في عدم تناقض العلوم العقلية مع العلوم الشرعية " بوطن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عصى في عين البصيرة تعود بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعضها فبعض الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعوة من المعجب ، وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقصا وميهاة " (٢) ، وقد ضرب الغزالي مثلا لمن لا يستطيع أن يدرك أن الإيمان بالله الاشتغال بالعلوم الدينية لا تتعارض مع البحث العلمي والاشتغال بالعلوم العقلية فيقول " وإنما مثله (أي الذي يرى تناقضا في الجمع بين العلم والإيمان) مثال الأعمسى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم ، ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم ترد إلى مواضعها ، فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي إلى الطريق لعمالك ، فاعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك ، وإنما تحيلها إلى تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية " (٣).

(١) س الأنعام ، آية ١٠٤ .

(٢) ارجع إلى أحياء علوم الديع ، ج ٣ ، ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

وقد جاء على لسان الدكتور رشدى فكار ان الحضارة الاسلامية العربية هى أول مايلفت نظر الغربى الرافض الذى استسلم للأباطيل والأساطير فاكتشف وهو فى ذهول ان الانسان يمكنه أن يكون مؤمنا ويفكر . وجد الأوروبيون بشرا يؤمنون ويفكرون فى العمران وشتى العلوم ويركز فكرهم على الوحي ، وفى نفس الوقت لا يصادر العقل وهنا بدأت صحتهم العقلية " (١) .

والحقيقة ان الدين الاسلامى لم يحرض دين مثله على طلب العلم واستخدامه لسمعة الانسان وعدم إعمال الانسان فكرة بعد معية من المعاصى لأن الله فى أكثر من موضع يحث على إعمال العقل ، وإذا كان الدين هو الاجابة على لماذا ؟ فان العلم هو الاجابة على كيف ؟ وكل منهما مطلوب للانسان والاسلام دين المادة والروح معا والدين هو الرصيد الايمانى الذى نستطيع من خلاله تحمل أعباء الحياة وهمومها .

فما أجمل أن يشعر الانسان بوجود قوة عظيمة يمكن أن يركن اليها وقست الحاجة وقادرة على مساعدته فى وقت الشدة ولاتعوزها الاسباب فى دفع الخطر عنه وفى حمايته واعادة السكينة والصبر الى نفسه وقلبه اذا ألم به مكيبة أو نزلت به نازلة ان الايمان بالله ومعرفته له عمق نفى بعيد ولذلك وصف الله نفس المؤمن بانها مطمئنة فى قوله تعالى : " ياأيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى " (٢) ، هذا الرضا وهذه الطمأنينة يفتقدها الانسان الكافر ولذلك فان المجتمعات التى يشتري فيها الاحاد تكثر فيها الأمراض النفسية والعصبية ويشعر أهلها بالقلق والاكتئاب وينتهى بهم الأمر فى بعض الأحيان الى التخلص من حياتهم بالانتحار ، وهذا يبين لنا أهمية معرفة الله بشتى وسائل المعرفة وانه علينا ألا نأخذ الأمور بظواهرها وانما نبحث فيما وراء الظاهر بعد أن نستدل

(١) جاء هذا فى جريدة الأهرام العدد ٣٦٦٧٤ الصادر بتاريخ ١٩٨٧/٥/٧م .

(٢) س الفجر ، آية ٢٩ .

من الظاهر أيضا على وجود الله وعلينا أن نواصل السير في الطريق الى الله دون توقف وأن تتبع هدى الله وأن هذا سيكون دافعا لنا للحاق بركب الحضارة والتقدم العلمي ويقول الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذا الصدد " فمن أراد أن تنهض أمته الإسلامية فعليه أولا أن يثبت الاسلام فى نفوس المسلمين وأن يجعلهم يزدهون بدينهم وإيمانهم ... فإذا ما أرادوا أن تعود لهم عزتهم وسيادتهم وكرامتهم وأن يقبلوا كدول العالم من جديد فعليهم أن يغيروا من أنفسهم " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم " (١) ولنعلم جميعا أن الله لا يغير من أجلنا ولكن يجب أن نغير من أجل الله " (٢).

نخلص من هذا الى النتائج التالية :

- ١ - ان الله خلق للانسان معادير للمعرفة فى الحس والعقل والقلب الى جانب الخبر المنزل من السماء .
- ٢ - ان الحس عاجز عن أن يحيط علما بالله والعقل قادر على تعقل وجوده تعالى والاستدلال على ذلك من وجود الخلق على وجود الخالق ، أما قلب المؤمن فقد وسع الله تعالى بينما عجزت السماوات والأرض عن ذلك .
- ٣ - ان المعرفة بالله عن طريق الاستدلال العقلى لاترقى الى الايمان القلبى فالأخير أثبت وأيقن وأعمق .
- ٤ - ان معرفة الله معرفة ذوقية قلبية عن طريق نور يقذفه الله فى قلب العابد الواصل الى الحضرة الالهية دون واسطة من حس أو عقل ولا تكون الا للقلوب الصافية النقية التى تطهرت بالرياضات الروحية والعبادات العملية .
- ٥ - ان الايمان بالله يوجب علينا أن نسلم بالسميات ولا ننكرها .

(١) س الرعد ، آية ١١ .

(٢) محمد متولى الشعراوى : هذا هو الاسلام ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ص ١١٢ .

- ٦ - ان الايمان بالله لا يتنافى مع النظر العقلى والتأمل والتفكر.
- ٧ - ان الايمان بالله لا يعوق البحث العلمى بل ان الله يمجّد العلم والعلماء ويضعهم فى أرفع المنازل.
- ٨ - انه ليس كل ما لا نستطيع ادراكه عن طريق الحس أو تصوّره عن طريق العقل يكون غير موجود بالفعل ، فهناك الكثير من الأشياء لا ندركها بالحس ولا نتصورها عقلا وهى موجودة بالفعل والعلم يثبت لنا ذلك كل يوم حينما يكشف بالأجهزة الحديثة أشياء لم تكن نعلم بوجودها ولا ندركها حيا ولا نتصورها عقليا.
- ٩ - ان معرفة الله فطرية فى النفس الانسانية.
- ١٠ - ان الايمان بالله تعالى والعمل الجاد فى طاعته والالتزام بما أمرنا به من طلب العلم والمعرفة لخدمة الانسان هو طريق أمتنا الى التقدم والنهوض.
- ١١ - ان المعرفة بالله لا تتأتى الا عن طريق الايمان القلبى ويمكن القول أن المعرفة بالله هى الايمان به تعالى.

التخطيط العمرانى والتنمية السياسية

لمحافظات القناة حتى عام ٢٠٠٠

دكتورة / مجبات أمام احمد الشرباشى
مقدمة

تقع محافظات قناة السويس شمال شرق مصر الشرقية غربا وشبه جزيرة سيناء شرقا . تخترقها قناة السويس من الجنوب الى الشمال أى من السويس على البحر الأحمر الى بورسعيد شمالاً . فهى بذلك تصل البحرين المتوسط والأحمر، وتتمثل هذه المحافظات فى بورسعيد، الإسماعيلية والسويس . وهى جزء من إقليم قناة السويس الذى يعد ضمن الأقاليم التخطيطية لجمهورية مصر العربية طبقاً للقرار الجمهورى رقم ٤٩٥ لسنة ١٩٧٧ . والمشمول على المحافظات الثلاثة المشار إليهم + سيناء + محافظة الشرقية والجزء الشمالى من محافظة البحر الأحمر . ولقد تم تعديل الحدود الشرقية لمحافظات القناة الثلاث بالقرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩^(١).

ملامح الجغرافيا الطبيعية لمحافظات القناة

بالنسبة لبنية منطقة المحافظات نجد أن طبيعة الأرض بها تختلف من منطقة لأخرى . فحيث تتكون الأرض فى بورسعيد والمنطقة المحيطة بها من تربة رسوبية ناتجة من تراكم طمى النيل وتمتد هذه التربة حتى القنطرة جنوباً، تتكون المنطقة الوسطى من القنطرة وحت البحيرات المرة من الرمال الناعمة فى معظم أجزائها، أما المنطقة الجنوبية والتي تمتد من البحيرات المرة وحتى خليج السويس فتتخللها عروق صخرية فى كثير من الأماكن بعضها من صخور ومليه هشه وأغلبها من الصخور الصلبة.

ومما يجدر ذكره أنه إذا كان حفر قناة السويس هو العامل البشرى الذى غير شكل الحياة عبر برزخ السويس فإن الظروف الطبيعية قد حددت المنطقة التى تسير فيها القناة، فإن الخط الذى تجرى فيه القناة كان فى الواقع عبارة عن إنخفاض طبيعى ظاهر تماماً بمجرد النظر، وهو نتيجة تقابل السهلين النازلين أحدهما من جهة وادى النيل فى إنحدار محسوس والثانى من جهة سيناء^(٢).

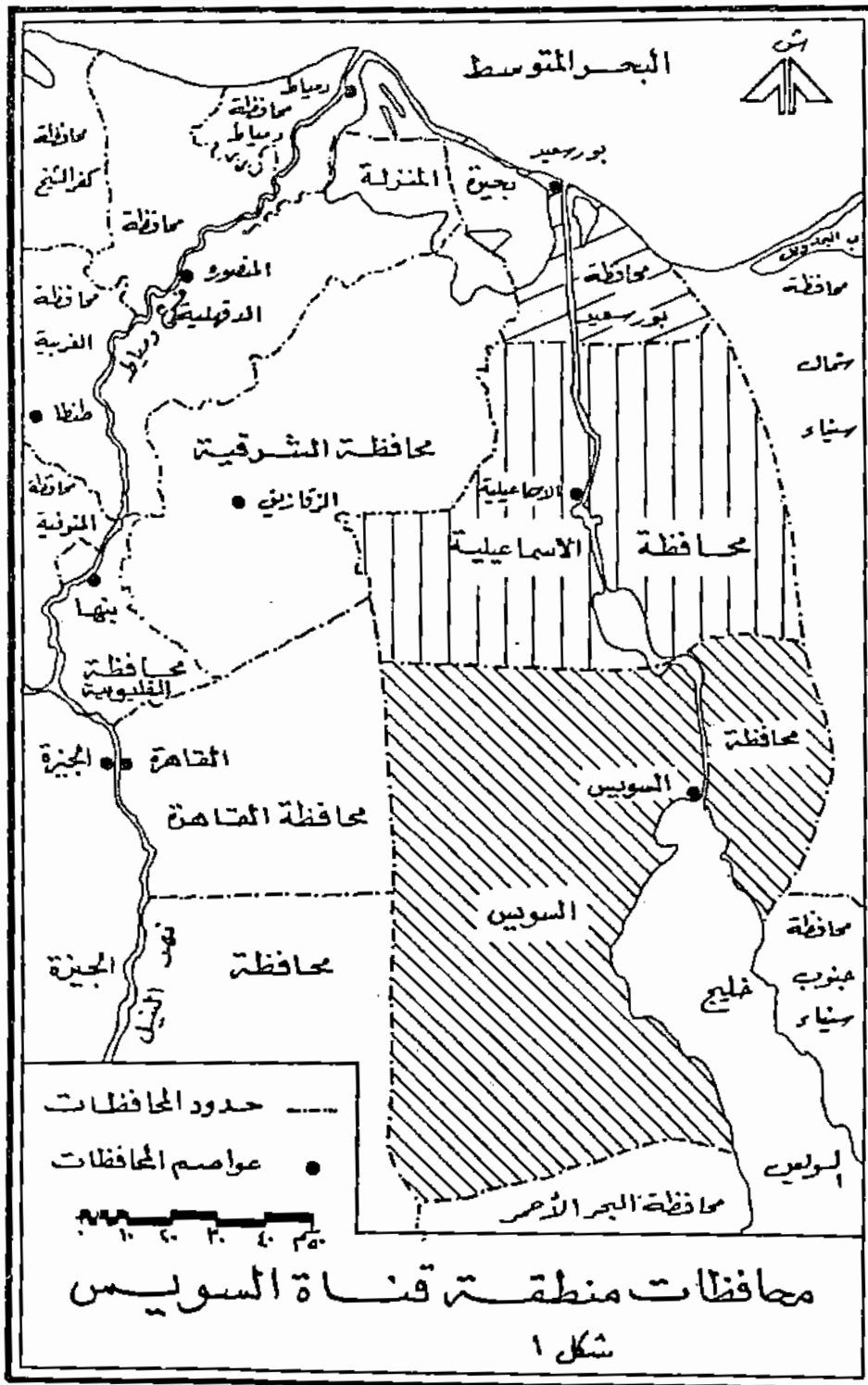
كما أن وجود البحيرات المرة فى طريق القناة يجعل منها حوضاً طبيعياً مساحته ٢٨٠ مليون متر^٢ تسع عند إرتفاع المد بمقدار مترين فى البحر الأحمر ٥٦٠ مليون متر^٣ من الماء، وهذه تساعد الملاحة بشكل واضح لإرتفاعها فوق منسوب البحر المتوسط.

ووجود بحيرة التمساح فى منتصف السويس وبورسعيد يجعل منها ميناء داخلية طبيعية صالحه لإنشاء الورش اللازمة لأعمال القناة وإصلاح مايلزم من مهمات الملاحة، ولذلك نشأت عليها مدينة الإسماعيلية التى إتخذت مركزاً لإدارة القناة^(٣).

(١) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء = إقليم قناة السويس القاهرة ١٩٧٨ (المقدمة) + الجريدة الرسمية - العدد ١٥ فى ابريل عام ١٩٧٩ . انظر خريطة محافظات منطقة قناة السويس.

(٢) د. محمد صفى الدين أبو الفز وأخرون = دراسات فى جغرافية مصر، القاهرة، ١٩٥٧ + الأستاذ فؤاد فرج = منطقة قناة السويس، القاهرة (بدون تاريخ).

(٣) نفس المرجع + الأستاذ جورج حليم كيرلس = قناة السويس والقنوات المائية، القاهرة، ١٩٦٤.



المصدر: إدارة التخطيط العمراني بوزارة الإسكان والمجتمعات العمرانية - القاهرة

واقد كانت المنطقة قبل حفر القناة بها لا توجد فيها موارد مائية، سوى بعض العين الفقيرة التى توجد فى شبه جزيرة سيناء، وبالتالي فإن منطقة المحافظات هذه لم تكن تشجع على إيجاد إستقرار بشرى بها غير بعض القبائل الرعوية التى ترعى وراء العشب الذى ينمو فى تلك الأرجاء الصحراوية.

وإذا كانت هذه هى حقيقة الحياة فى أرض البرزخ، إلا أن هذه المنطقة كانت ذات أهمية فى العصور التاريخية المختلفة بتلخص فيما يلى:

- ١- الأهمية التجارية التى تمثلت فى مختلف العصور.
- ٢- الأهمية الحربية وإنشاء الحصون للدفاع عن مصر.
- ٣- يمتاز الجزء الشمالى الشرقى من الدلتا بالإضافة إلى هذا أنه جبهه عريضة على البحر المتوسط، ذلك الحوض الذى إمتاز بالنشاط الملاحي عبر العصور التاريخية المختلفة.

وبفضل النشاط البشرى الذى كانت نتيجته وصل البحر المتوسط والبحر الأحمر بقناة السويس التى تربط الشرق بالغرب، وكذلك وصول الماء العذب لهذه المنطقة عن طريق ترعة الإسماعيلية التى يخرج منها فرعان عند مدينة الإسماعيلية أحدهما يتجه شمالاً ويعرف بإسم ترعة العباسية الحلوة وهو يغذى بورسعيد والقنطرة ومحطات القناة الأخرى بالمياه العذبة، وفرع يتجه جنوباً ويسمى ترعة السويس^(١).

بفضل هذه الجهود البشرية عادت الحياة إلى أرض البرزخ مع وصول مياه النيل عن طريق ترعة الإسماعيلية لهذه المنطقة حيث لم يكن غير كثران من الرمال القاحلة، فقامت بورسعيد وبورقؤاد على شاطئ البحر المتوسط واتسعت السويس وقامت بورتوفيق على شاطئ البحر الأحمر وشيدت مدينة الإسماعيلية ذات الحدائق القناة على بحيرة التمساح.

(١) د. محمد جلال الدين الجمل = بورسعيد - دراسة العوامل الجغرافية الخاصة بنشأتها وتطورها - رسالة ماجستير - لناب القاهرة.

الاهمية الجغرافية لمحافظة القناة

١- إختراق قناة السويس لمنطقة المحافظات

لقد كانت مصر على موعد مع قدرها لتستعيد مكانها الحقيقي في الإطار العالمى مع شق قناة السويس فى ستينات القرن الماضى، تلك القناة التى تعد نبض مصر ورقبتها الجغرافية وعنق الزجاجة فى إستراتيجيتها، فهى تصل البحرين الأحمر والمتوسط بطريق مائى بحرى بحت ومباشر بين أى حلقة برية وسيطة، وبالتالي فهى لاتنظم أى إنقطاع نقلى أو تعدد فى الشحن والتفريغ.

أنها ليست مجرد معر ملاحى فقط، وليست عملية نقل وتجارة وإقتطاد فحسب... أى إستراتيجية سلم وكفى، وإنما هى أيضاً وبالدرجة الأولى سلاح سياسى وإستراتيجية حرب وتصل إنعكاساتها وإشعاعاتها لكل البحار والمحيطات وتمثل موقعاً حاكماً فى إستراتيجية الصراع البحرى العالمى مثلما تشكل عدة نووية فى الملاحة والتجارة النيلية، كما تعتبر العمود الفقرى للرخاء على ضفتيها وليست حداً يفصل بينهما.

لكل هذه الإعتبارات فقد جاءت القناة أكبر عامل إختزال فى جغرافية النقل الكوكبية أعادت توجيه القارات ورجت القيم الجيوماتيكية. فتعملية جراحية جغرافية صغيرة نسبياً، إختزلت قارة برمتها هى إفريقيا وأسرت طريق الرأس وأعادت وضع الشرق العربى ومصر فى قلب الدنيا وفى بؤرة الخريطة. فمن الصعب أن نتصور إنجازه أخرى فى حدود القدرة البشرية يمكن أن تغير أوضاع الطبيعة أكثر منها.

والحقيقة أننا لانعرف فى أوقيانوغرافية العالم مائة ميل لها ما للقناة من خطر ونتائج فمئذ أن شقت أصبحت شريان المواصلات العالمية وعنق الزجاجة فى شبكة الملاحة وتحولت إلى قبلة علمانية كأنما الدنيا كلها على ميعاد معها، بإختصار أصبحت مركز الثقل فى حركة العالم والقارات معلقة إليها. وكان أبسط معنى لهذا كله أنه جدد شباب موقع مصر الجغرافى، وأعاد إلى جسم المريض بورة الدم والحياه، لقد أتت القناة هدية الموضع إلى مصر، وهدية مصر إلى العالم^(١).

إنه من السهل القول بأن أوروبا الغربية تدين للقناة بالجزء الأكبر من طفرتها الصناعية والحضارية الحديثة حتى وصلت لدرجة التشبع، حيث أنها قربت ثروات المستعمرات ووضعتها عند أطراف أصابعها بأرخص الأسعار، وقدمت لها أيضاً الخامات والأسواق فى عصر الفحم فى القرن التاسع عشر، وهى الآن

(١) د. جمال حمدان = قناة السويس نبض مصر، القاهرة، ١٩٧٥.

تقدم له الوتد مع الخامات والأسواق في عصر البترول في القرن العشرين. حقاً لقد وضعت القناة يد مصر على نبض العالم كله وأعطتها نافذة أو طاقة على الدنيا^(١).

لقد بدأت القناة واستمرت طويلاً كحلقة الوصل بين الشرق الأقصى والغرب خاصة بين الهند وبريطانيا حيث كان دورها التقليدي هو شريان الإمبراطورية. وكانت القناة تعكس قطاعاً للتجارة التقليدية بين الشرق والغرب، إلا أن وظيفتها بدأت تطوراً جوهرياً منذ الحرب العالمية الثانية، لقد صنف دورها الإستعماري القديم أو كاد وأصبحت شريان الزيت أساساً وحلقة وصل بين الغرب والشرق الأوسط خاصة

إن قناة السويس هي "قناة الزيت" بالضرورة لأن حركة البترول فيها تمثل مايقرب من ٢/١ مجموع الحمولة. بينما تحتكر هي بدورها نقل ٧٠٪ من بترول الشرق الأوسط الذي يتحرك غرباً... فهناك إذن زواج إقتصادي وثيق بين بترول العرب وقناة العرب. إن القناة اليوم هي أهم معر عالمي إستراتيجي لأهم سلعة إستراتيجية في العالم^(٢).

إن هذا الشريان الحيوي الملاحي قد تعرض لضغوط وتحديات لكن بالإرادة القوية تم إعادة إفتتاح القناة للملاحة في ٥ يونيو ١٩٧٥ بعد أن كانت أغلقت نتيجة الإعتداء عليها ١٩٦٧ وعادت لتعمل شرياناً رئيسياً لخدمة التجارة العالمية.

٢- الموقع الجغرافي الإستراتيجي لمنطقة محافظات القناة

حيث توسط موقعها بين دول العالم وتمركزها في الوطن العربي، وحيث أنها تطل على شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر وتضم عديد البحيرات ذات القيمة الاقتصادية والسياحية العظيمة ممثلة في: البحيرات المره، التمساح، البلاح، المياه الإقليمية من بحيرة المنزلة علاوة على كونها همزة وصل وحلقة إتصال بين دلتا النيل وسيناء عبر نفق أحمد حلمي، هذا الإتصال العضوي يشكل إحدى الوسائل الرئيسية لتحقيق التعمير الحضاري في شبه جزيرة سيناء بحيث تتحول إلى قاعدة صناعية عمرانية قادرة على جذب الكثافة السكانية المتزايدة في الدلتا، فبذلك تصبح سيناء الباب المنيع على المداخل الشرقية لمصر خاصة بعد تنمية مواردها الاقتصادية المتنوعة والسياحية.

٢- المناخ المعتدل الممتاز لمنطقة المحافظات والذي سيأتي نكوه تفصيلياً خلال الدراسة التالية بالمدين الداخلية لدولة ذات مناخ صحراوي مثل جمهورية مصر خاصة في شهر الصيف حيث الحرارة

(١) Fisher, W.B. = The Middle East, a physical social and regional geography. London, 1952.

(٢) د. جمال حمدان = بترول العرب، القاهرة، ١٩٦٤.

الشديدة والرطوبة العالية نسبياً، هذا المناخ المناسب على مدار السنة لممارسة جميع الأنشطة المختلفة يعتبر من أهم مقوماتها الاقتصادية عامة والسياحية خاصة.

٤- تعد محافظات القناة من أنسب المناطق من وجهة نظر التوسع الجغرافى زراعياً وإجتماعياً وسكناً لبعدها لحد ما عن العاصمة، فمحافظات القناة منطقة جذب سكانى لمواجهة التضخم السكانى المنتظر فى جمهورية مصر العربية حتى عام ٢٠٠٠، فضلاً عن أنها أنسب المناطق لإنشاء مدن ومناطق حرة على طريق المواصلات البرية والبحرية والجوية بين الشرق والغرب، كما أنه من الممكن إستصلاح الأراضى الصحراوية ومناطق البحيرات والأراضى البور بتلك الأرجاء بقل تكلفة لحد ما.

٥- العثور على حقول بترول بتلك الأرجاء فى القنطرة غرب بواسطة الشركات الاهلية التى تقوم بأعمال التنقيب عن البترول علاوة ماينتظر من إنتاجه فى المستقبل.

٦- لقد أحدثت القناة نشاطاً عمرانياً فى مناطق كانت مهجورة جداً، ساعد على ذلك توصيل مياه النيل العذب إلى الإسماعيلية وبعده شمالاً وجنوباً بحاذاه قناة السويس إلى البحرين المتوسط والاحمر، فأنشئ ميناء بورسعيد على المدخل الشمالى للقناة من جهة البحر المتوسط وقد إحتذب قسماً كبيراً من تجارة الاسكندرية لافضلية موقعه بالنسبة للبواخر المارة بالقناة. ويمكن إعتبار بورسعيد ثانية الموانئ المصرية وإن كانت السويس تنافسها على هذا المركز منافسة شديدة بعد أن كانت مجرد قرية صغيرة . والملاحظ أن النهضة الحقيقية للسويس تبدأ بشق قناة السويس وإنشاء الميناء المعروف الآن ببورتوفيق، ونجد أن السويس بوضعها الجغرافى الحالى تلعب دوراً مهماً فى تجارة مصر وهى تعتبر بحق ميناء البترول لقرب موقعها من مناطق إستخراج البترول فى مصر وقيام صناعة تكرير البترول بها.

وقد أدى نشاط حركة الملاحة فى القناة إلى إيجاد نشاط إقتصادى فى مينائى بورسعيد والسويس قوامه الرئيسى تموين السفن العابرة بالوقود والمياه العذب والمواد الغذائية وغيرها.

كما ظهر أيضاً بطول القناة عدد من المدن الصغيرة والقرى المتناثرة وإرتبطت المنطقة بشرق الدلتا والقاهرة بالطرق الحديدية والمعبرة وأصبحت بحق خلية حية فى جسم الوطن^(١).

٧- محافظات القناة ذات أهمية إستراتيجية تؤهل يجعلها إحدى المناطق الأساسية التى تغرى المستثمر الأجنبى، فالمستثمر يبحث دائماً عن ضمانات تقلل من نسبة المخاطرة، لذلك فقد وفرنا له هذه الضمانات فى القانون الذى يحكم نظام إستثمار رأس المال العربى والاجنبى.

(١) د. محمد صلى الدين أبو العز وآخرون، مرجع سابق.
+ د. محمد عبد الفتى سعودى = الوطن العربى، القاهرة، ١٩٧٠.

٨- لقد إزدادت أهمية منطقة المحافظات بعد حرب ٦ أكتوبر التي حقق فيها الجيش المصري المعجزات بعبور القناة وهو مانع مائى ثم تحطيم خط بارليف، وذلك بعد الشائعات التي ردها الإسرائيليون بإستحالة هذا العمل ، وترديد أسطورةهم بأن "إسرائيل لاتقهر" الأمر الذى ساعد على جذب حشود هائلة من أنحاء العالم لزيادة المنطقة ومشاهدة آثار التخريب الناتجة عن الحرب ثم متابعة عمليات التعمير والتخطيط بها.

تسلسل التخطيط

إن من أبرز سمات العصر الذي نعيشه التقدم العلمى والتكنولوجى فى مجال التخطيط وإستخدام هذه العناصر فى وضع أولويات لخطة شاملة للتنمية والتعمير فى إطار شامل للمجتمع ككل وصولاً إلى مجتمع الرخاء والرفاهية.

وفى إطار هذه النظرية بدأت جمهورية مصر خطوة علمية طموحة للتعاون مع بيوت الخبرة العالمية فى التخطيط العمرانى الشامل لمحافظة بورسعيد والإسماعيلية والسويس وتحديد إمكانيات هذه الأرجاء ومستقبلها حتى عام ٢٠٠٠.

لقد شكلت لجنة إستشارية عليا من كبار الخبراء المصريين وأسند إليها مهمة التحضير لمشروعات التخطيط والتعمير ومتابعة خطوات تنفيذها^(١).

ولقد بدأ التنفيذ لمرحلة التعمير الشامل لمنطقة محافظات القناة منذ ١٩٧٦ وتم إرساء قواعد المخطط العام للمنطقة ليكون بمثابة الدليل لبرامج تعمير المنطقة فى فترة ما بعد الحرب ولعمالية التنمية الممتدة فيها حتى سنة ٢٠٠٠.

غير أنه منذ هذا التاريخ - ١٩٧٦/٧٥ - ومع تطور وتقلب الأحداث وتوافر معلومات جديدة صار من الضرورى تحديث هذا المخطط كى يظل قريباً من نبض التطورات وأكثر إحساساً بإحتياجات المنطقة وفرص النمو المتاحة أمامها فى الوقت الحاضر.

وسوف يصير هذا المخطط العام المعدل مرجعاً وأساساً لتنفيذ إستراتيجية التنمية طويلة المدى.

ولقد تم إعداد المخطط العام المعدل لمنطقة فى شكل مجموعة خرائط تتناول إحداها إستخدامات الأرض يوضح فيها المناطق المشغولة وتلك الواقعة حالياً فى نطاق كل مدينة فضلاً عن مناطق أخرى مخصصة لبرامج التنمية حتى عام ٢٠٠٠.

ولقد أشير فى هذه الخرائط أيضاً إلى الإستخدامات المقترحة للأراضى الجديدة وتشمل تنظية إحتياجات أغراض الإسكان والأغراض الصناعية والتنمية السياحية وتوفير الخدمات والمرافق.

كذلك خرائط المواصلات موضحة نظم المواصلات المتنوعة التى سوف تخدم مدن المستقبل بالأقليم حتى عام ٢٠٠٠.

وأخيراً خرائط تتابع الخطط المحلية للتنمية كما سيتضح من خلال الدراسة التفصيلية لهذا المقال وكل هذا لتأكيد الأسس والأهداف الإستراتيجية للتخطيط.

(١) تلخيص من المراجع الثلاث الخاصة بتعمير وتخطيط منطقة القناة التى أعدها بيوت الخبرة العالمية والتى سيتم ذكرها خلال هوامش المقال.

+ مناقشة مع مهندس التخطيط العمرانى بمحافظة بورسعيد أثناء الزيارة الميدانية.

الأسس والأهداف الإستراتيجية للتخطيط

- تضمنت الخطة الإقليمية الشاملة لمنطقة محافظات القناة الأسس والأهداف التي تسعى إليها لتنمية وتعمير تلك الجهات حتى عام ٢٠٠٠ لتحقيق الإستراتيجية الآتية:
- تصنيع المنطقة وخلق مجالات مشجعة للمستثمرين من الداخل والخارج.
 - الوصول إلى بيئة ريفية حضارية متكاملة.
 - دعم الإقتصاد القومى.
 - تخفيف ضغط السكان عن مناطق العمران الرئيسية وتحقيق التكامل الإقتصادى لمنطقة القناة بحيث تصبح منطقة جذب وليست منطقة طرد سكانى لتستوعب مايقرب من ٢.٥ مليون نسمة حتى عام ٢٠٠٠ مقابل نحو مليون من السكان فى الوقت الحاضر، وذلك لكى تصحح إتجاهات الحركة السكانية لتتجه أسهمها من القاهرة إلى خارجها.
 - مراعاة متطلبات الدفاع القومى بتلك المناطق.

كما أوضحت هذه الخطة أنه لتحقيق هذه الأهداف يقتضى الأمر:

- تحديد المشروعات العمرانية العاجلة والضرورية لإعادة الحياة إلى ماكانت عليه تلك الجهات قبل عدوان ١٩٦٧.

- الاستفادة القصوى من مصادر الثروة القومية المتاحة.
 - توفير شبكة متكاملة للحركة والنقل بإستغلال كافة الوسائل الممكنة.
 - توفير الخدمات الضرورية بكافة أنواعها بالمستوى المناسب.
 - تأكيد القناة كمحور للعمران على جانبيها لا حداً فاصلاً بين شرقها وغربها.
 - الإستغلال العلمى للإمكانيات السياحية فى المنطقة.
- كل ذلك بما يتمشى مع السياسة العامة للدولة وسياسة الإنفتاح الإقتصادى التى تنتهجها^(١).

(١) نفس المصادر

+ أنظر خريطة إستراتيجية التنمية لمحافظة القناة شكل ٢

أولاً: معالم التخطيط الشامل لمحافظة بورسعيد

كانت الحكومة قد بدأت سنة ١٩٧٤ جهداً كبيراً بهدف تعمير محافظات قناة السويس وتنميتها لتسهم في إنطلاق الإقتصاد المصرى، وفى إطار هذا الهدف تم إعداد المخطط الشامل لتنمية بورسعيد حتى عام ٢٠٠٠. وقدمت نتائج هذه الدراسة فى مارس ١٩٧٦، غير أنه مع تطور الأحداث صار من الضروري تحديث هذا المخطط وتجديد عناصره، وفى سبيل ذلك قامت مديرية الإسكان ببورسعيد بالتعاون مع البرنامج الإستشارى الفنى لهذه المدينة لتحقيق هذا الهدف.

وقد إستهدف المخطط الشامل لبورسعيد مايلي: (١)

١. التغلب على المشكلات الفورية التى نجمت عن خسائر الحرب، ثم بدء برنامج مستمر للتغيير..
٢. وضع إطار تخطيطى لنمو بورسعيد ليصبح لديها قدره فى إستيعاب ٧٥٠.٠٠٠ نسمة سنة ٢٠٠٠ ...

ويعتدل هذا المدى للنمو السكانى زيادة تتجوز معدل النمو الطبيعى للسكان ببورسعيد بحوالى ٢٢٥.٠٠٠ نسمة وهو ماينتظر أن يمثلها صافى الهجرة الداخلية لبورسعيد خلال هذه الفترة...
تنبؤات السكان والقرى العاملة بمحافظة بورسعيد (بالآلاف) (٢):

٢٠٠٠	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	
٧٥٠	٥٦١	٤٧١	٣٨٤	١. السكان*
١٦٦	١٨٤	١٥١	١١٤	٢. القرى العاملة**
				٣. عدد المشتغلين منهم
٦٥	٣٤	٢٤	١٦	قطاع الصناعة
٪٣٥	٪٣٣	٪٣١	٪٢٠	٤. نسبة (٢) إلى (١)
٪٢٤	٪١٨	٪١٦	٪١٤	٥. نسبة (٣) إلى (١)

* بافتراض معدل نمو سكان قومى يتراوح ما بين ٢-٢٪ فى السنة.

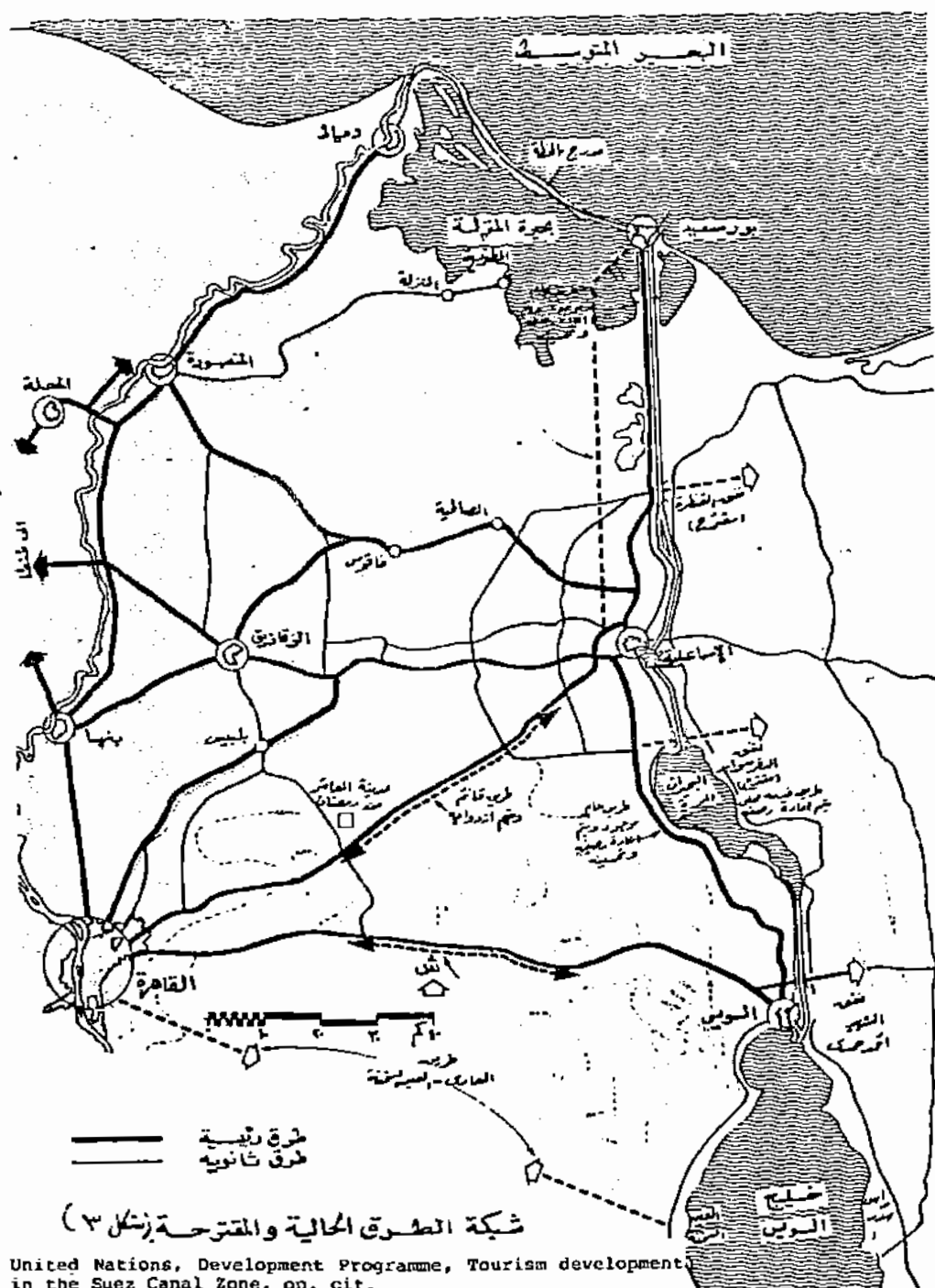
** بافتراض معدل نمو العمالة قومى ٤، ٣٪ فى السنة.

ويعتدل مفتاح النجاح فى تحقيق الأهداف المتوسطة والطويلة الأجل لخطة تنمية إقتصادية لبورسعيد فى خلق فرص التوظيف بالمعدل المطلوب. ويتحقق ذلك فى حالة كين مستوى العمالة المؤثر فى المجتمع البورسعيدى يجب أن يمثل ٢٥٪ من جملة السكان، أى أن ٢٦٦.٠٠٠ فرصة عمل توفرها سنة ٢٠٠٠.

(١) A.R.E., Ministry of Housing and Reconstruction, Advisory Committee for reconstruction, Port

Said Master Plan, Planning and Policy, 1976, Vol. 1.

(٢) بيان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦ صفحة ٥.



النقل بمحافظات قناة السويس

هناك مشروعات قد أُجيز بعضها لربط المحافظات بعضها ببعض تتمثل فيما يلي..
 السكك الحديدية: إنشاء خط سكة حديد يربط بورسعيد والمنصورة، لم يتم بعد.
 أعيد ترميم خط سكة حديد يربط بورسعيد والإسماعيلية يمر في الأراضي المخطط إستصلاحها ثم إصلاح
 خطى السكة الحديد بين السويس والقاهرة - السويس والإسماعيلية، وهذه المشروعات لمواجهة حركة النقل
 المتزايدة نتيجة التنمية المقترحة وإنتعاش التجارة الدولية.

الطرق البرية السريعة

طريق القاهرة - السويس	لقد تم هذا الطريق - ٢ حارة بطول ١٣٥ كم تقريباً.
طريق القاهرة - الإسماعيلية	٤ حارات بطول ١٢٠ كم تم إزواجه.
طريق الإسماعيلية - السويس	٤ حارات بطول ٩٠ كم وربطة بنفقى الدفرسوار والشط (لم يتم بعد).
طريق بلبيس - مدينة عشر رمضان	(تم تخطيط هذا الطريق).
طريق الإسماعيلية - الزقازيق	٢ حارة بطول ٨٠ كم وقد تم إنشاء هذا الطريق.
طريق بورسعيد - المنصورة	٢ حارة بطول ١٠٠ كم وهو في مرحلة التنفيذ.

الأنفاق

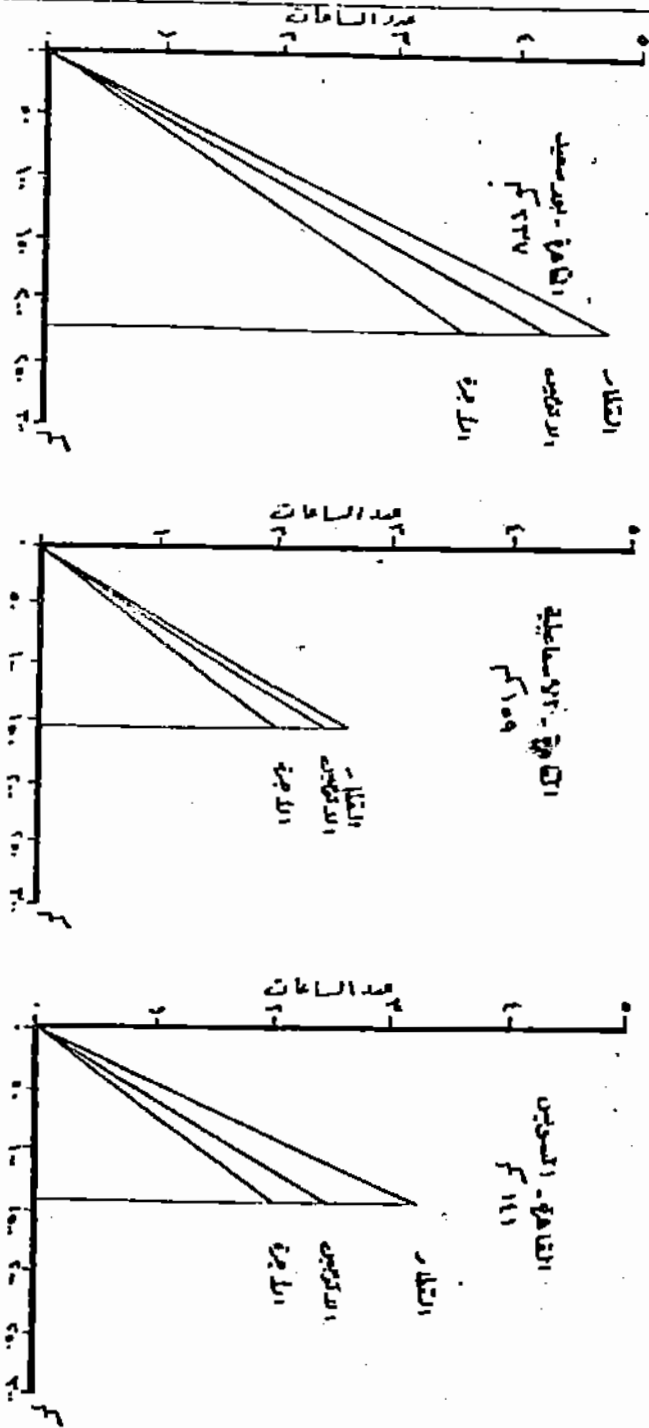
كانت قناة السويس فاصلاً بين غرب القناة وسيناء، وقد أدى ذلك في الماضى إلى بقاء سيناء متعزلة
 عن باقى مصر، ولذا كانت دائماً مطمع الغزوات على مر التاريخ وآخرها العدوان الإسرائيلى فى يونيو،
 ١٩٦٧. ولذلك خطط لإنشاء خمسة أنفاق تحت قناة السويس تربط غربها بشرقها. ستحقق هذه الأنفاق
 عند إتكامها - ربط سيناء بمدن القناة لخلق إقليم متكامل وثيق الصلة بالدلتا وإستغلال ثروات سيناء
 الطبيعية إستغلالاً مناسباً لخدمة الإقتصاد القومى، وتيسير عمليات التشييد والتعمير فى سيناء وتتمثل هذه
 الأنفاق فيما يلى:

١. نفق شمال السويس (أحمد حلمى).
٢. الدفرسوار.
٣. نفق الإسماعيلية.
٤. نفق القنطرة.
٥. نفق بورسعيد.

الملاحظ أن نفق أحمد حلمى هو الوحيد الذى أتجز ويعمل الآن أما باقى الأنفاق فلم يتم أى إنجازات
 بخصوصها. وهناك علاقة بين زمن وسيلة النقل المستخدمة وزمن الرحلة المستغرقة يمكن إستنتاجها من
 الرسم البيانى التالى الموضح المقارنة بين زمن الرحلة من القاهرة إلى السويس، الإسماعيلية وبورسعيد.

إنظر خريطة شبكة الطرق العالية والمقترحة

- + الرسم البيانى "مقارنة بين زمن الرحلة من القاهرة إلى السويس، الإسماعيلية وبورسعيد.
- + تلخيص من المراجع الثلاث الخاصة بتعمير وتخطيط منطقة قناة السويس والتي أعدتها بيوت الخبرة العالمية والمذكورة فى
 مرامش هذا المقال والإستعانة به - Master Plan for Port Said, Planning and Transportation Studies. Vol. 3, 1967.



مقارنة بين زمن الرحلة من القاهرة الى الكويت - الاردن - بيروت (شكل ٤)
Ibid

وكانت الرسائل المقترحة لتحقيق التوسع في مستوى العمالة يتحدد في الآتي:

- ١- الدعوى لإقامة قاعدة صناعية يتم التركيز فيها على الصناعات التي تتجه بنشاطها إلى التصدير.
- ب- تنمية وتطوير طاقة الميناء الحالي.
- ج- التعجيل بتحقيق الإحتمالات القائمة للتنمية السياحية والزراعية مع التركيز على تنمية وإستغلال الثروة السمكية ببحيرة المنزلة.

ولتحقيق ذلك يظل هدف تحقيق تنمية صناعية كبيرة في بورسعيد أمراً حيوياً لمواجهة الخفض في نسبة التشغيل بالقطاع الحرفي.

وبدون تحقيق ذلك فإن البطالة سوف تصبح ملحاً يتعاضد سواء بسواء مع السير قدماً في إجراءات ترشيد المنطقة الحرة، وهو ما يعني ضرورة الإسراع لتحقيق معدلات التنمية في فرص التوظيف بالقطاع المنظم للتشغيل.

توقعات توزيع العمالة على القطاعات المختلفة بمحاظة بورسعيد (بالآلف)^(١)

٢٠٠٠	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	
١٨	١٣	١٠	٩	الصيد والزراعة
٦٥	٣٤	٢٤	١٦	الصناعات التحويلية والإستخراجية
١٩	١٣	١٢	١٢	التشييد
٨	٦	٥	٤	المرافق العامة
٤٥	٣١	٢٣	١٧	النقل والمواصلات والتخزين
٢٣	١٧	١٥	١٣	التجارة
١٦	١١	٩	٨	ميناء بورسعيد وقناة السويس
٧٢	٥٩	٥٣	٣٥	خدمات أخرى
٢٦٦	١٨٤	١٥١	١١٤	الإجمالي

(١) نفس المصدر صفحة ٦

+ تقارير إدارة التخطيط العمراني - محافظة بورسعيد.

توقعات توزيع العمالة فى قطاع الصناعة (بالآلاف)

١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠	
٣	٤	٥	٩	إصلاح وبناء السفن
٥	٧	٩	١٧	القطاع العام
١	٢	٣	٧	صناعات صغيرة
٥	٦	٨	١٢	ورش صناعية
١٤	١٩	٢٥	٤٥	جملة
٢	٥	٩	٢٠	صناعات المنطقة الحرة
١٦	٢٤	٣٤	٦٥	

أى أن برنامج التنمية الصناعية للمحافظة للفترة ١٩٨٠ - ٢٠٠٠ يستهدف بلوغ ٦٥.٠٠ ألف مشتغل فى الصناعة بزيادة خلال الفترة تقدر بحوالى ٤٩.٠٠ ألف فرصة عمل جديدة حتى عام ٢٠٠٠ بمعدل زيادة سنوية كالآتى:

١٩٨٥/٨٠	٨.٠٠٠	فرصة جديدة بمعدل ١٦٠٠ فرصة عمل/ سنوياً
١٩٩٠/٨٥	١٠.٠٠٠	فرصة جديدة بمعدل ٢٠٠٠ فرصة عمل/ سنوياً
٢٠٠٠/٩٠	٢١.٠٠٠	فرصة جديدة بمعدل ٢١٠٠ فرصة عمل/ سنوياً

ومؤدى هذه المؤشرات فإن برنامج التنمية الصناعية للمحافظة يستهدف بلوغ نحو ٢٤.٠٠ ألف مشتغل فى نهاية الخطة الخمسية الأولى أى فى نهاية ١٩٨٥ منهم ٨.٠٠٠ فرصة عمل جديدة فرصة عمل جديدة إستناداً على الآتى:

أن عدد المشتغلين بمنشآت الصناعات القائمة فى ديسمبر ١٩٨٠ كان يبلغ نحو ١٦.٠٠ ألف مشتغل (يشمل ذلك المشتغلين بمنشآت المنطقة الحرة العامة).

وإن عدد المشتغلين المقدر للمشروعات الصناعية الجارى تنفيذها والجديدة المرخص بها خلال الفترة ٨٠-١٩٨٥ يبلغ نحو ٦.٠٠ مشتغل^(١).

وعليه يكون هدف برنامج التنمية الصناعية للمحافظة هو إيجاد فرص عمل جديدة أخرى بنحو ٢٠.٠٠ مشتغل حتى ديسمبر ١٩٨٥، ونحو ١٠.٠٠٠ فرصة عمل جديدة للفترة من ١٩٨٥ - ١٩٩٠ ونحو ٢.٠٠٠ فرصة عمل جديدة للفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠.

(١) ديران عام محافظة بورسعيد، الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦ صفة ٧
+ مناقشة مع مدير التخطيط العمرانى بمحافظة بورسعيد أثناء الزيارة الميدانية.

وعليه يكون هدف برنامج التنمية الصناعية للمحافظة هو إيجاد فرص عمل جديدة أخرى بنحو ٢٠٠٠ مشغل حتى ديسمبر ١٩٨٥، ونحو ١٠٠٠٠ فرصة عمل جديدة للفترة من ١٩٨٥ - ١٩٩٠ ونحو ٢٠٠٠ فرصة عمل جديدة للفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠.

ويتحكم في مستقبل النمو لمدينة بورسعيد عناصر عديدة أهمها محدودية الموارد الطبيعية بها وبصفة خاصة ندره الأرض وارتفاع تكلفه البناء مقارنة بغيرها من أرجاء جمهورية مصر. وقد أشارت الدراسات إلى الحاجة لاستمرار بورسعيد في إتباع نمطها التقليدي في البناء الذي تنتهجه حالياً والمتسم بارتفاع كثافة البناء (١٥٠ وحدة/هكتار، وارتفاع الكثافة السكانية إلى تراوح ما بين ٧٠٠ إلى ٧٥٠ شخص/هكتار).

وهناك إجمالاً ستة عناصر رئيسية يتم وضعها في الاعتبار عند وضع إستراتيجيات عمرانية بديلة نظراً لما تقوم به من تأثير على نمط النمو في المدينة وهي^(١)

قناة السويس

الميناء

روابط المواصلات الإقليمية

هدف إنشاء قاعدة صناعية

أنشطة السياحة والترفيه

المناطق الحضرية الأمل بالسكان

ويمكن وصف الإستراتيجية المختارة باختصار بأنها إستراتيجية التوسع الطبيعي للمدينة حيث يظل الميناء والقناة يديان دورهما على نفس المسار الحالي، مع توسع عمراني هام على الناحية الغربية من القناة ذاتها يتوازى مع القناة ذاتها مع اتجاهه للجنوب الغربي مرتبطاً بالمواصلات الإقليمية والقرمية.

وكجزء من هذه الإستراتيجية طويلة المدى تم التخطيط لكي يكون قلب النطاق الحضري وكذلك توسعات الميناء في إطار مستقيم مواز للقناة في اتجاه الجنوب الغربي، على أن يترك ساحل البحر المتوسط وضاف بحيرة المنزلة للأغراض السياحية والترفيهية.

وقد أدى ذلك لإيجاد علاقة سهلة ومباشرة بين المناطق الصناعية والمناطق السكنية الواقعة إلى الجنوب من المدينة، ويمكن أن يستمر إستصلاح الأراضي للأغراض الزراعية في الجنوب دون إعاقه خطط النمو توازياً مع تطوير إستغلال الثروة السمكية لبحيرة المنزلة.

وانتهى الأمر بوضع المخطط العام لبورسعيد في خرائط تفصيلية في مارس ١٩٧٦ بعد ذلك أدخل عليها مراجعات خمسية وتعديلات وسارت دليلاً توجيهياً للتنمية في بورسعيد كما سيتضح في العرض التالي.

(١) Port Said Master Plan, Op. Cit., 1976, Vol. 2
+ بيان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦ صفحة ٨

وطبقاً للمخطط الهيكلى العام لبورسعيد والخريطة الخاصة بتوضيح هذا الهيكل يتضح التخطيط التفصيلى للمناطق السكنية الجديدة والتي يرمز لكل منها بالرمز A مع أرقام متتالية لكل قطعة تستوعب وحدات إسكان محدودة كمايلي^(١).

- تم تخطيط المنطقة المسماة A3 لتستوعب ٣٠٠٠ وحدة إسكان لينك الإسكان والتعمير المشروع الأول.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A4 + A5 لتستوعب ٢٧٠٠ + ٢١٢ وحدة بالإضافة إلى إربع قطع لشركات الإسكان الصناعى تستخدم كإسكان للعاملين.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A 12 لتستوعب ٥٠٠٠ وحدة إسكان تعاونى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A17 لتستوعب ١٧٠٤ وحدة إسكان إقتصادى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A13 + جزء من A14 لتستوعب ٥٠٠٠ وحدة إسكان هيئة تعاونيات البناء.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A14 الباقية لتستوعب تقسيما قطع إسكان تعاونى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A22 لتستوعب ٤٠٣٢ وحدة إسكان حكومى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A18 + A19 إسكان تعاونيات بيروفرزاد.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A23 لتستوعب ٤٠٣٢ وحدة إسكان حكومى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A20 لتستوعب ٤٨٧٢ وحدة ينك الإسكان المشروع الثانى.
- تم تخطيط المنطقة المسماة A26 بيرو فرزاد لتستوعب ٣٢٢٢ وحدة إسكان التعاونيات لعدة جمعيات.

وقد تم تخطيطها على أحدث الأساليب المعمارية ومزودة بما تحتاجه من خدمات ومسارات فى الطرق والممرور والتوجيه العام ليلوكت المبانى وحدائق الأطفال المناسبة والمناطق الترويحية كما تم مراعاة مدى إحتياج كل منطقة من المراحل المختلفة من المدارس والخدمات الصحية وأماكن الإنتظار وغيرها.... وأخذ فى الإعتبار عدم تشابهه المجاورات السكنية، فصنفت ما بين إسكان حكومى وإسكان تعاونى وإسكان خاص ولهذا نجح المخطط فى البعد عن الملل وتكرار الوحدات النمطية التى تعطى خطأ مستقيماً غير مستحب.

وبالنسبة للتنمية الصناعية فلقد جعل المخطط قاعدة الصناعة فى بورسعيد فى جنوب شرق المدينة وشرقها وهى عبارة عن سبعة عشر منطقة صناعية مختلفة المساحات، فيما عدا منطقة C11 فهى فى الشمال الغربى للمدينة ومنطقة C6 تقع فى وسط المدينة ومخصصة للورش الصغيرة.

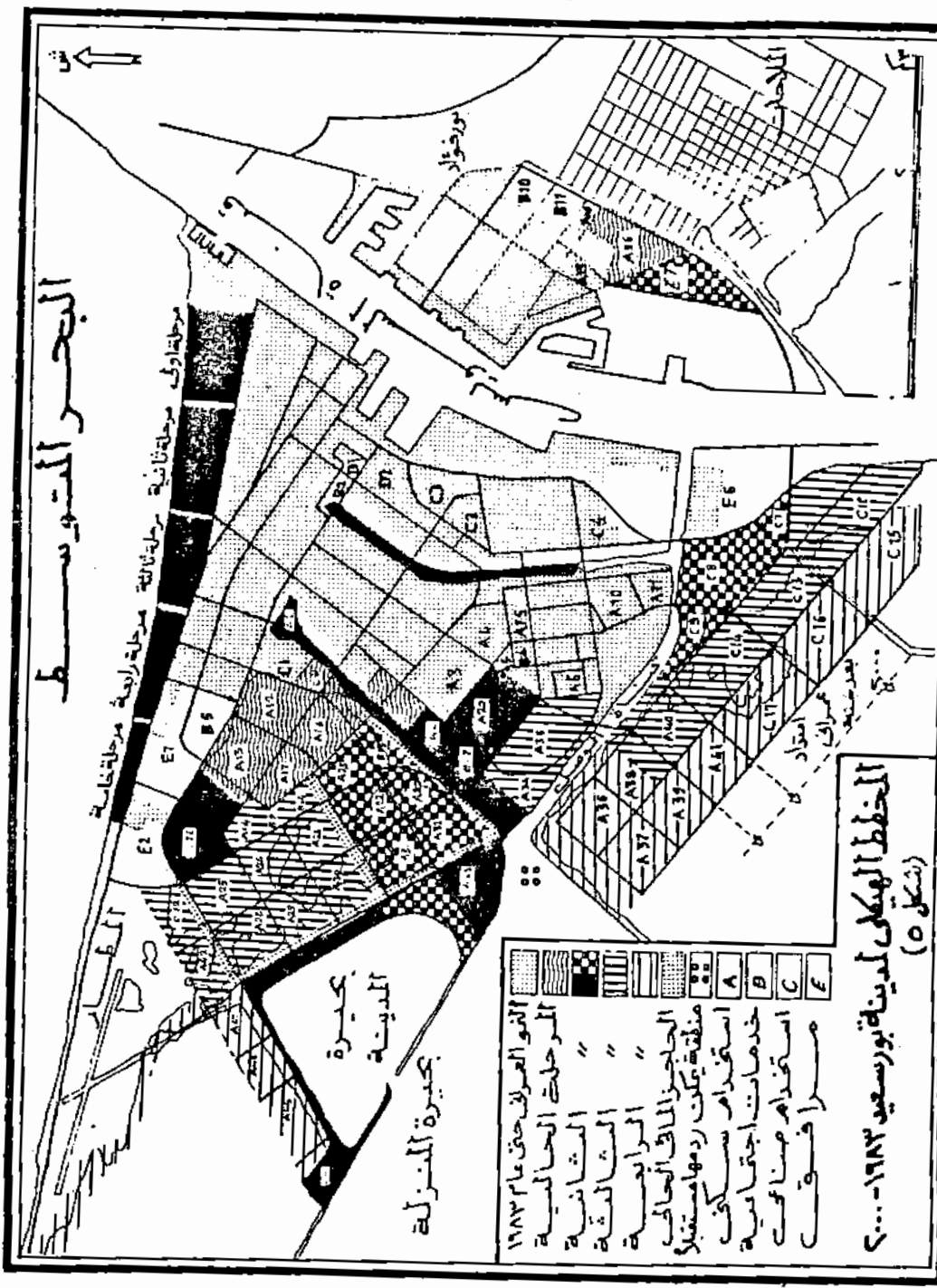
والعامل المتحكم فى هذا التوجيه يرجع إلى أن الرياح التى تهب على بورسعيد فى معظم أوقات السنة رياح شمالية غربية (لقد خصص للصناعة بالرمز C).

(١) Port Said Master Plan, Op. Cit, 1976, Vol. 2

+ أنظر خريطة المخطط الهيكلى لسنة ١٩٨٢

+ دراسة تحليلية مقدمة من لجنة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية فى المؤتمر الثانى للعلمين لتنمية بورسعيد ديسمبر ١٩٨٥ (محافظة بورسعيد).

البحر المتوسط



- الخطة الهيكلية لمدينة بئر سعيد ١٩٨٣-٢٠٠٠
(نسخة ٥)
- الزوايا العرفية حتى عام ١٩٨٣
 - المساحات الحاصلة
 - المساحات
 - المساحات
 - المساحات
 - الحاجز المائي الحائلي
 - منطقة بركون رومها مستقبلا
 - استخدام سكني
 - خدمات اجتماعية
 - استخدام صناعية
 - مرا فضة

المصدر: تخطيط عام لمحافظة بئر سعيد الخطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٣ - بالاشتراك مع مهندسين إدارة التخطيط العمراني بالمحافظة

المناطق الصناعية وتوظيفها طبقاً للمخطط العام موزعة كالآتي^(١):

- مناطق صناعات ورش "مقلقة للراحة".
 - مناطق صناعات خفيفة "مقلقة للراحة".
 - مناطق صناعات خفيفة "غير مقلقة للراحة ولا تلوث البيئة".
 - مناطق صناعات متوسطة قد تلوث البيئة.
- ونظراً لتوسط المنطقة C6 مدينة بورسعيد في المخطط العام فهي تقع بجوار منطقة ردم قناة المنزلة بالجبهة الغربية منها ، فقد خصصت لتجميع الورش الصغيرة والصناعات الغذائية التي لا تلوث البيئة ولا يصدر عنها إقلاق للراحة ... كما أن بها إدارة مرور بورسعيد.
- منطقة C2,3 وتقع في منطقة الجواف وتم تخصيصها كمناطق صناعات خفيفة لصناعات الملابس الجاهزة.
- منطقة C7 وتقع في منطقة الرسوة وتم تخصيصها كمناطق صناعات متوسطة مثل الطوب الأسمنتية.
 - منطقة C8 وتقع في منطقة الرسوة وتم تخصيصها كمناطق صناعات متوسطة مثل الأسمنت وصناعة البلاط.
 - منطقة C9 وتقع في منطقة جنوب الرسوة وهي تعتبر منطقة صناعات متوسطة وتم تخصيص مساحة منها لسوق الجملة.
 - منطقة C11, C12 وتقع هذه المنطقة جنوب مزرعة بورسعيد الحالية وقد تم تخصيصها لصناعات الفزل والنسيج والصناعات القائمة عليها.

مناطق تنمية الخدمات

- ويقصد بها مناطق الخدمات العامة كمحطات الصرف الصحي - الجبانات والكهرياء إلخ أما حصر الخدمات المحلية فهي مناطق خدمية لمناطق الإسكان/ ومناطق الخدمات العامة سبعة مناطق واحدة منها شمال غرب المدينة E1 مخصصة كإمتداد لمنطقة جبانات بورسعيد.
- والمنطقة الثانية E2 في جنوب غرب المدينة مخصصة لمحطة تنقية الصرف الصحي بالمدينة.
- E3 منطقة مخصصة بالرسوة لمراقبة الجمارك.
 - E4 محطة المجارى الجديدة للمدينة.
 - E5 وهي مخصصة لمرسى المعدي الجديدة وتحتاج لردم من بحيرة المنزلة.
 - E6 وهي مخصصة لتوسعات محطة المياه بالرسوة.
 - E7 وهي مخصصة لجبانة بورفؤاد الجديدة.

مناطق التنمية السياحية والترفيهية

أهتم المخطط العام لبورسعيد سنة ٢٠٠٠ لإيجاد خلخلة في الكتلة السكنية لإستخدامها كمناطق ترفيهية ورياضية على هيئة شريط بعرض مئتان خمسة وعشرون متراً تقريباً يقسم الكتلة السكنية إلى نصفين:

مناطق سكنية قديمة، مناطق عمرانية جديدة.
وقد تم تخصيص تلك المناطق للأندية الرياضية والنوادي الإجتماعية والشبابية ومراكز الخدمة ومدينة للملاهي.

مناطق ملاصقة لبحيرة المنزلة وقد تعتبر الحزام الأخضر للمدينة بالكامل فهي تبدأ من اشمال الغربى وتنتهى فى الجنوب الشرقى للمدينة عند الرسوه حيث أن بورسعيد تعتبر جزيرة وسط الماء.

وعرض هذا الحزام الأخضر يتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ متر وقد يصل إلى ١٠٠ متر فى مناطق ضيقه منه وقد تم تخصيص قطعة مناسبة للصحة النفسية لجمال الطبيعة بها.

مناطق الشاطئ قد قام على دراستها المخطط العام وحددت الكثافات السكانية بها وكذا الأنشطة السياحية، وعمل على تقسيم الشاطئ إلى خمس مناطق ذات أنشطة ترفيهية متنوعة وكثافات سكانية مختلفة كما سيتضح تفصيلياً عند دراسة التنمية السياحية فى بورسعيد.

وهذا الشريط الملاصق بالبحر المتوسط به مناطق نحر ومناطق ردم ويختلف فى العرض ما بين ٢٥٠ متر عند اللسان رصيف ديليبس إلى أن يصل إلى ٧٥ متراً عند المزرعة شمال غرب المدينة^(١).

وقد روعى فى هذا المخطط تفسير المساحات المطلوبة للتنمية فى المجالات المختلفة بالمدينة. ويشير الجنول التالى إلى تطور مخصصات الأرض فى نهاية كل مرحلة كما أوردها المخطط الاصلى^(٢).

(١) نفس المصادر.

(٢) ديوان عام المحافظة، الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦ (بورسعيد) صفحة ٩.

المساحة بالهكتار

١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠	
٥٨.	٧٧٥	٩٤.	١٣٨٨	المناطق السكنية
٧٥	١٤٥	٢١٥	٤٣٧	الصناعات التخزين
٣.	٩.	١٥.	٢٦.	مساحات الميناء
١٨٥	٢١.	٢٥.	٣٢٩	أماكن مفتوحة
٢٦٤	٣٢٨	٤١٢	٤٦.	طرق ومنافع عامة
٣.٤	٤.٩	٤٥١	٥٥٩	إستخدامات أخرى
١٤٣٨	١٩٥٧	٢٤١٨	٣٣٣٣	إجمالي مسطح البلدية (هكتار)
١٠٣.	١٤٣.	١٨٢.	٢٣٧.	الأراضي المطلوب إستصلاحها (هكتار)

- وعن التطور العمراني للمدينة - كما سبقت الإشارة - يخصص القلب للمنطقة السكنية ويتكون في المناطق الجديدة من سلسلة متطورة لمناطق الإسكان على النحو الآتي (١):
- تضم كل منطقة عدد يتراوح ما بين ١٧.٠٠٠ إلى ٢٠.٠٠٠ نسمة.
 - تسع كل منطقة نحو ٤.٠٠٠ وحدة سكنية.
 - مساحة المنطقة نحو ٢٥.٠٠٠ متر مربع.
 - الكثافة البنائية ١٥٠ وحدة/هكتار.
 - الكثافة السكانية ٧٠٠ شخص/هكتار.

ولم يقب عن الإستراتيجية الموضوعة الإلتزام بإنشاء وحدات الخدمات مع إنشاء الوحدات بمحددات متفق عليها.

(١) نفس المصدر
+ أنظر خريطة إستراتيجية التنمية لمحافظة القناة شكل ٢ بالفاصل.

التنمية الزراعية في المخطط العام الشامل للمحافظة

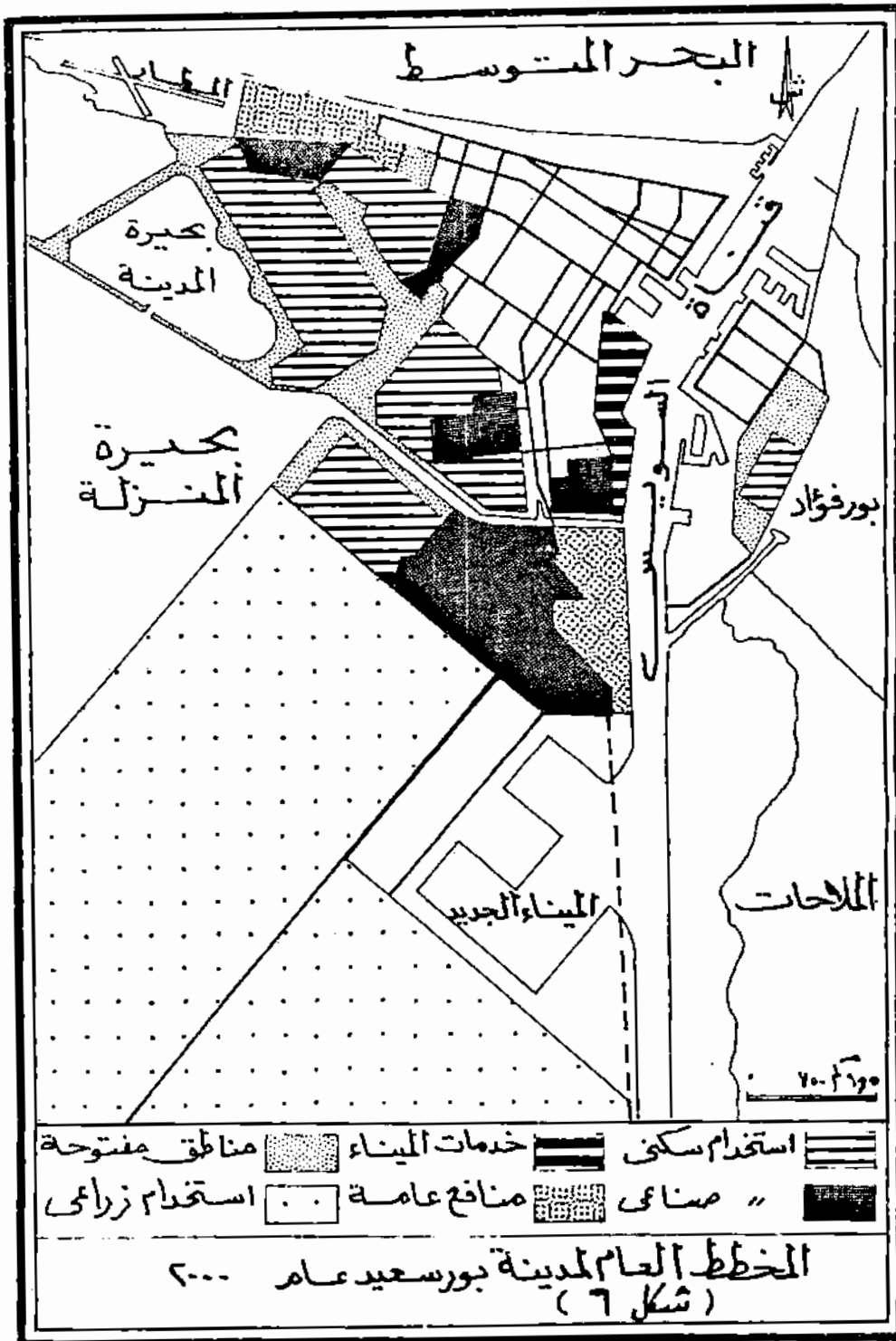
يصدر القرارين الجمهوريين ٦٥١ لسنة ١٩٧٥، ١٩٧٤ لسنة ١٩٧٩ ضمت مساحات من الأراضي الغير مستصلحة والأراضي المنغورة بعياء الرشح وبحيرة المنزلة في الشرق والجنوب والغرب والجنوب الغربي مما يغير من المعالم الرئيسية للمحافظة لتصبح محافظة حضرية زراعية ويوضح الجدول التالي المساحات التي أضيفت للمحافظة^(١)

من محافظة سيناء الشمالية	٨٥.٠٠٠ فدان
من محافظة الشرقية	٨٥.٠٠٠ فدان
من محافظة الإسماعيلية	٧١.٠٠٠ فدان
من محافظة الدقهلية	٢٧.٠٠٠ فدان
من محافظة دمياط	١١.٠٠٠ فدان
الجملة	٢٧٨١١ فدان

وهذه المساحات الشاسعة من الأراضي في سهل الطينة وسهل الحسينية وسهل جنوب بورسعيد حولت هذه المدينة إلى محافظة حضرية زراعية، هكذا حدث تغير جغرافي زراعي واقتصادي بالمدينة، وجاء قرار إنشاء ترعة السلام لتروى نحو ٥٩٥ ألف فدان منها ١٦٥.٠٠٠ فدان غرب قناة السويس في زمام محافظتي بورسعيد والشرقية، ونحو ٤٠٠.٠٠٠ ألف فدان شرق القناة في زمام محافظتي بورسعيد وسيناء الشمالية ليحدد مصدر وإدارة رى الزمام الزراعي لمحافظة بورسعيد ويضعها أمام مسئوليتها القومية في تنمية قطاع الزراعة والمجمعات الزراعية الصناعية لتسهم بدور فعال في تحقيق أهداف الأمن الغذائي والتصنيع وتوفير فرص العمل أمام الآلاف من المواطنين.

وقد تضمن المخطط العمراني لبورسعيد التوصيات الآتية بالنسبة للزراعة:
ضروره إجراء دراسات عميقة قبل إقرار أماكن التنمية والتركييب المحصولي وبصفة أولية حددت أنسب الأماكن الزراعية في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية لتوفر العوامل الجغرافية المهيئة لذلك.
وبدراسة أولية لعوامل المناخ والتربة والملوحة: حددت المحاصيل الشتوية (شعير، برسيم، طماطم، بنجر)، والمحاصيل الصيفية (القطن، الذرة، الأرز، وعباد الشمس).

(١) تقارير إدارة الإنتاج الإقتصادي بمحافظة بورسعيد
+ ديران عام محافظة بورسعيد، الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦ صفحة ١٦. أنظر خريطة المخطط العام لمدينة بورسعيد (شكل ٦) للملاحظة مناطق التوسع الزراعي في المدينة حتى ٢٠٠٠



ومن المشروعات التي بدئ في تنفيذها لدعم الزراعة في بورسعيد مشروع محطة الخدمة الآلية بأرض المزرعة الإرشادية جنوب بورسعيد، بدء تجارب زراعة الخضراوات، الذرة والبنجر والتي حققت نتائج طيبة في منطقة بحر البقر لتوفر شروط زراعتها بتلك المنطقة.

كذلك الإتفاق مع وزارة الزراعة على تنفيذ عدد من الصوب البلاستيك لزراعة الخضراوات بالمحافظة.

الثروة الرعوية والداجنة في المخطط العام الشامل للمحافظة

نلاحظ أنه حتى ١٩٧٧ كانت المحافظة تعتمد أساساً في توفير إحتياجاتها من اللحم والدواجن الطازجة على ماتحصل عليه من إنتاج المحافظات الأخرى فضلاً عما تحصل عليه من حصص مجمدة تخصصها وزارة التموين.

وكان للجهود الكبيرة التي بذلتها المحافظة لدعم قضية الأمن الغذائي بها وتشجيع الجهود الشعبية لتوظيف أموالها في هذا المجال أثره الواضح في أن تصبح لبورسعيد ولأول مرة في تاريخها مورداً الخاصة من اللحم والدواجن والبيض فضلاً عن دعم إنتاج الألبان بها^(١).

لكن هناك بعض الفجوات لعديد الأسباب منها عدم وجود مراعي خضراء بالمحافظة يمكن أن يقرم عليها نشاط واسع لتربية الماشية سواء لإنتاج اللحم أو الألبان، إذ تتوقف قدره المحافظة في هذا المجال على حصتها المحدودة من العلف الجاف.

ومن الحلول المطروحة للتغلب على هذه المشكلة دراسة إمكانية إستغلال السهول الملحية في نطاق المحافظة في زراعة أنواع من نبات المراعي التي تتوافر لها القدرة على مقاومة الملوحة وتكون لها في نفس الوقت القيمة الغذائية العالية.

ومن الجهود المبذولة أيضاً في مجال المشروعات التي تحقق الأمن الغذائي بالحلول الذاتية ماتقوم به المحافظة حالياً من إجراءات لحل المشاكل المعترضة نشاط شركة بورسعيد الوطنية للأمن الغذائي، كما تجرى الدراسة لتكوين شركة متخصصة متعددة الأغراض في هذا المجال.

(١) نفس المصادر.

الثروة السمكية فى المخطط العام والشامل للمحافظة

نظراً لضيق مساحة بورسعيد والتي يحدها البحر المتوسط من الشمال وبحيرة المنزلة من الغرب والجنوب وملاحة بور فؤاد من الشرق، فقد إتجهت الأنظار إلى ردم الأجزاء التي يستلزمها التخطيط من البحيرة لمختلف المشاريع العمرانية كما سبقت الإشارة.

ورغم إعتبار بحيرة المنزلة - أكبر البحيرات الشمالية فى جمهورية مصر العربية - يتيح الفرصة لتنمية صناعة تربية الأسماك وصيدا لتكون أحد المصادر الرئيسية للدخل، إلا أنه فى حالة إقتطاع مساحات من البحيرة لهدف التعمير أو الإستصلاح سوف يؤدى بون شك إلى نقص الإنتاج السنوى عن المعدل المحدد.

وعلى ذلك يجب أن يتم بحث هذا الموضوع وتنسيقه بين وزارات الزراعة والرى كما يمكن لبورسعيد أن تستفيد أيضاً من الصيد فى ملاحة بور فؤاد.

والملاحظ أن بورسعيد تعتبر أحد مراكز الصيد فى البحر المتوسط لأنها تطل عليه، ويتوفر أسطول من سفن الصيد المجهز بالثلاجات يمكن زيادة محصول الأسماك بدرجة كبيرة تساعد فى حل أزمة اللحوم وتمكن من تصدير كميات كبيرة منه وفعلاً بدأت خصوات تحسين الإنتاج.

دعائم ومقومات ومشاكل تنمية الثروة السمكية فى محافظة بورسعيد

لقد شهدت السنوات القليلة الماضية إجراء بعض الدراسات لتنفيذ عدد من المشروعات التي إستهدفت تحسين أوضاع الإنتاج ببحيرة المنزلة فى نطاق المحافظة من أهمها الدراسة التي قدمتها الشركة الفرنسية فى أواخر ١٩٧٩ بإقامة شركة لصيد الأسماك برأسمال مشترك مع محافظة بورسعيد يكون مقرها بورسعيد بمنطقة القابوطى كبدية، تقوم فكرة المشروع على تطوير أسلوب ووسائل الصيد بالبحيرة.

ومن المشروعات التي يمكن أن تنهض بها الهيئة العامة للثروة السمكية لتنمية البحيرة ككل إقامة الممرات السمكية على الفتحات والبواغيز للتحكم فى عملية تبادل حركة الأسماك والزريعة بين البحر والبحيرة وتوفير الحماية الكافية لزريعة الأسماك من مخاطر الهلاك الجماعي الذي يتعرض له عند هذه الفتحات. ومن هذا المنطلق طرح الخبراء الفرنسيين مشروع تزويد هذه البواغيز أو الفتحات بالممرات السمكية وقدم خبراء الشركة الفرنسية الدراسة الخاصة بذلك بإقامة هذه الممرات على بوغان الجميل^(١).

(١) نفس المصادر

+ Port Said Master Plan, op. cit.

وأشارت الدراسة إلى أن إنشاء الممرات السمكية سوف يعمل على رفع إنتاجية البحيرة بنسبة ٢٠٪ وزيادة دخل الصيادين بنسبة تتراوح ما بين ٢٠-٤٠٪ سنوياً.

وتعتبر بحيرة أم الريس إمتداداً طبيعياً لبحيرة المنزلة ومن أخصب مناطق الصيد المقترح بها ومن المشروعات التي تقرر لتطوير إنتاج هذه البحيرة خلاف عمليات الصيد المقترح تحويل نحو ١٠.٠٠٠ فدان منها إلى مزارع سمكية نموذجية تدار بواسطة أهالي المنطقة لإدخال أصناف جديدة في الإنتاج ذات العائد المرتفع. وتتيح هذه البحيرة فرصاً ممتازة لمشروعات التنمية النموذجية^(١).

المزرعة السمكية النموذجية بالرسوه

وقد بدأ تنفيذ هذه المزرعة سنة ١٩٧٩ بمنطقة الكيلو متر ٨,٢ حتى الكيلو متر ١٢,٢ جنوب الرسوه غرب طريق بورسعيد/الإسماعيلية، وأستكمل بناؤها سنة ١٩٨٣ على مساحة ١٠٠٠ فدان. وهي تتكون من ٥٤ حوض تربية، مساحة الحوض ١٥ فدان بجملة ٨١٠ فدان + ٢٤ حوض حضانة، مساحة الحوض ٢,٥ فدان بجملة ٦٠ فدناً.

ویمتابة تطور الإنتاج الفعلى لهذه المزرعة یتضح أنه لم یقترب أبداً من الإنتاج المستهدف حيث لم یتحقق سوى كمیات ضئيلة^(٢).

وهو الأمر الذى یمتوجب ضرورة إعادة النظر فى أسلوب تشغيل هذه المزرعة وإدارتها والتغلب على كافة المشاكل التى تتعرض لها من بينها مشكلة توفير المياه العذبة اللازمة لخلق البيئة المناسبة للتربية داخل المزرعة والتى أعتقد أنه یمكن التغلب عليها بعد الإنتهاء من مشروع ترعة السلام.

(١) مناقشة مع مدير إدارة الإنتاج الإقتصادى، بمحافظة بورسعيد أثناء الزيارة الميدانية.

(٢) مناقشة مع الجهاز الفنى بالمزرعة السمكية أثناء الزيارة الميدانية + خريطة مشروعات تحت التنفيذ والتى تبين موقع مزرعة الرسوه.

المرافق والبنية الأساسية في المخطط العام والشامل للمحافظة

يجرى حالياً إحصاء وتحليل وتحديد وتطوير والتوسع في مرافق بورسعيد لتتواءم مع متطلبات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والنمو العمراني بالمحافظة ومن أجل ذلك أجريت عديد الدراسات لهذه المرافق صاحبت إعادة تعميم المحافظة منذ ١٩٧٤ حيث تم دراسة الأوضاع القائمة والمشروعات الجارية لكل من مياه الشرب، الصرف الصحي، الكهرباء، الطرق والاتصالات، الميناء البحري والمطار، ومخلفات القمامة، إلخ..

فيالنسبة لمياه الشرب:

تعتبر ترعة بورسعيد المصدر الرئيسى لتوفير احتياجات المحافظة لأغراض الشرب والصناعة، ونظراً لأن معدلات سريان المياه بالترعة ١٩٨٤ لم تكن تكف إحتياجات المحافظة والشرب والصناعة وضعت خطتين خط عاجلة وأخرى أجله.

ويتم حالياً تطوير وتوسيع محطة مياه الرسوه، كما يتم مد خطوط رئيسية لشبكتى بورسعيد وبيروت في إطار خطة لمواجهة احتياجات المدينة من المياه المرشحة حتى ٢٠٠٠، بلغت نسبة تنفيذ الأعمال بها ٦٠٪.

وهناك إتجاه تدعيم محطة تكرير المياه التى أقيمت بجهود المحافظة فى الجنوب، كما يتم حالياً تنفيذ مشروع إنشاء خط مياه قطر ٢٠٠ مم وخزان علوى سعة ٥٠٠ م^٣ بمنطقة الجميل. وطبقاً للخطة الخمسية القادمة ١٩٨٨/٨٧ إلى ١٩٩٢/٩١ تقرر إنشاء خطى مياه عكره ومحطة طلمبات يبدأ من الكيلو متر ٣٠٩٠٠ حتى محطة مياه الرسوه لتوفير إحتياجات المحافظة خلال سنوات الخطة وحتى عام ٢٠٠٠.

كذلك إستكمال التوسعات المطلوبة لمحطة ترشيح المياه بالرسوه، وإنشاء محطات تنقية مجارى لكل من بورسعيد وبيروت + محطات رفع مع توفير خط مياه لشرق التفريعة قريباً من خط المعديات المقترحة لتوصيل بورسعيد بالجزء التابع لها من سيناء لبدء إقامة مجتمع عمراني جديد شرق التفريعة موازى لبيروت^(١).

الصرف الصحي

كان حجم مياه المجارى المعالجه يصل إلى ٣٦٠.٠٠٠ م^٣، وهى القدره التصميمية لمحطة التنقية الحالية قبل أن تدمر وتتوقف عن العمل تماماً منذ عام ١٩٧٢ وتتخفص كمية المياه المعالجه إلى الصفر.

(١) بيان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦

+ الخطة الخمسية ١٩٨٨/٨٧ - ١٩٩٢/٩١

ولقد تم توقيع عقد إحلال وتجديد وتدعيم مرفق الصرف الصحي بالمدينة واشتمل على مرحلتين الأولى: بدأ تنفيذها فى ١٩٨٤/٤/١ وانتهت ١٩٨٦/٤/١ واستهدفت قدره تجميع وسرف مياه المجارى والمياه السطحية بالمدينة من متوسط ١٠٠.٠٠٠ متر مكعب/يوم إلى متوسط ٢٢٠.٠٠٠ م^٣/يوم، مع التوسع فى المشروع لينطى بعض المناطق بالمدينة ومناطق التعمير الجديدة وقد تم فى هذه المرحلة تنفيذ ٩ خطوط إنحدار إلى المحطات الجديدة بلغت أطوالها ٦ كم، خمس خطوط طرد بلغت أطوالها ١٢ كم فى ٢ محطات ضخ جديدة هى:

محطة الظاهر: وتقوم بإحلال محطتين قديمتين وتخدم الجزء الأكبر من حى الشرق.
محطة موقف البيجى: وتقوم بإحلال سبع محطات قديمة وتخدم حى العرب وجزء من حى الشرق.
محطة السلام: وتقوم بإحلال محطات السلام والحرية بحى المناخ لخدمة هذه المناطق ومشروعات التوسع العمرانى.

ثانياً: إنشاء محطة تنقيه لمياه الصرف الصحى جنوب غرب المدينة بسعة تصل إلى ٤٥٠.٠٠٠ م^٣/يوم حد أقصى لمواجهة التوسعات المستقبلية وضمان الحفاظ على البيئة فى بحيرة المنزلة ومحاولها.
- إحلال وتجديد وتدعيم محطة التنقية القديمة لتمكين من معالجة تصريفات مياه المجارى لحين تنفيذ محطة التنقية الجديدة المقترحة بالخطة.

- تصميم وإنشاء مصب دائم يصل إلى عمق بحيرة المنزلة لمياه المجارى بعد تنقيتها.
- تصميم وإنشاء شبكات تجميع مياه المجارى ومياه الأمطار، ٦ محطات ضخ جديدة وخطوط الطرد المطلوبة لخدمة مناطق الإمتداد العمرانى وزيادة قدره ضخ مياه الصرف الصحى المنتظر الوصول إليها حتى عام ٢٠٠٠.

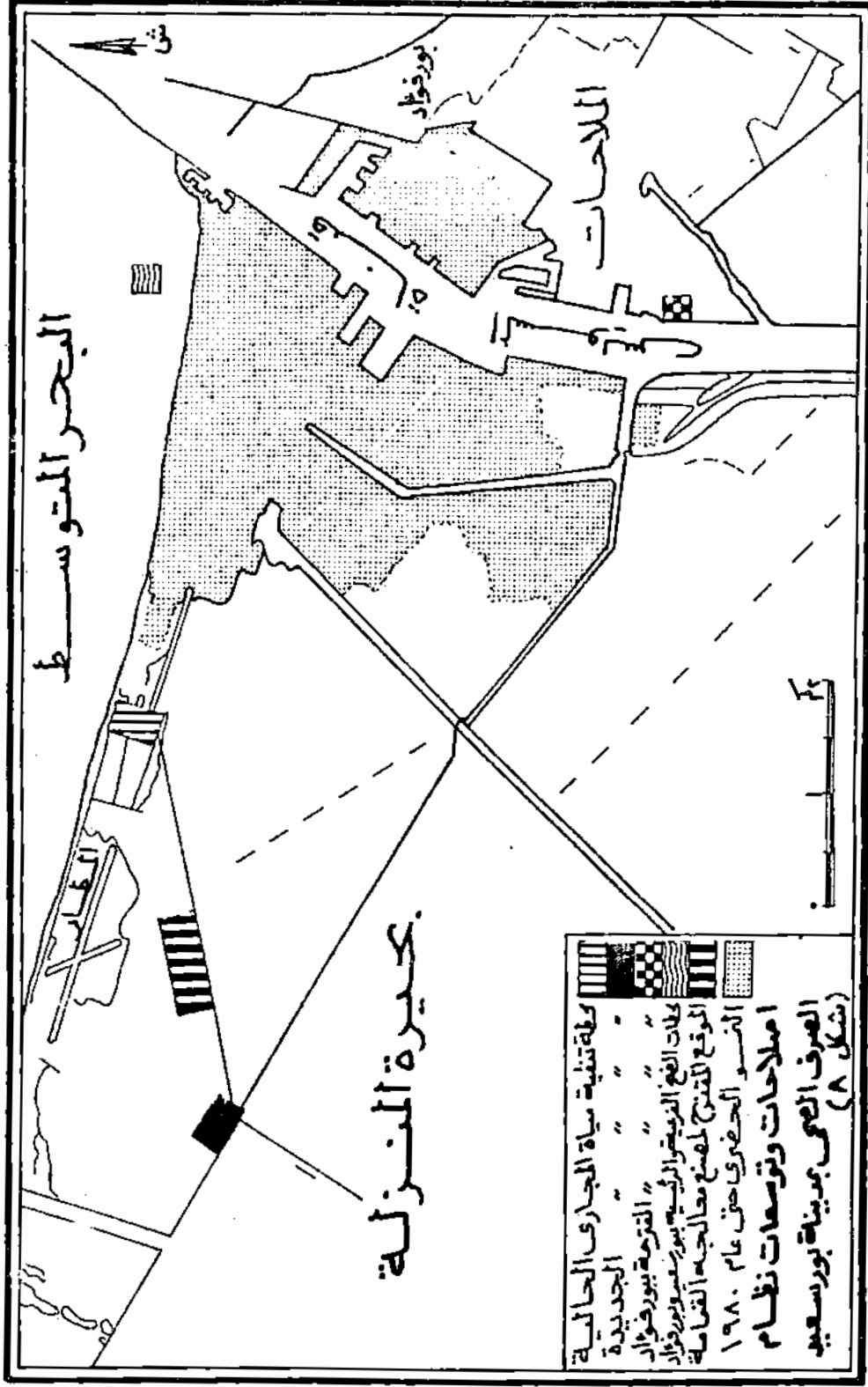
وهناك جهود مبذولة للتخلص الصحى من مياه المجارى بالمناطق الواقعة جنوب وغرب بورسعيد حيث تم إنشاء شبكة صرف صحى لقرية الكاب ودراسة إقامة محطة تنقيه محدودة بها تم الإتفاق مع الهيئة القومية للصرف الصحى على تنفيذها على مسطح ٢٥٠٠ م^٢ غرب طريق بورسعيد/الإسماعيلية فى مواجهة القرية.

التصرف فى المخلفات الصلبة

يتزايد وزن مخلفات القمامة التى يتم جمعها ببورسعيد، وتقوم المحافظة حالياً بالإستعانة بالمركز القومى للبحوث لتحديد أفضل أسلوب لجمع القمامة وتحويلها إلى سماد عضوى، ومن شأن هذا المشروع خدمة البيئة إجتاعياً وصحياً وسياًحياً، فضلاً عما يحققه من فوائد أخرى^(١).

(١) أنظر خريطة إصلاحات وتوسعات نظام الصرف الصحى بمدينة بورسعيد التى توضح الموقع المقترح لإقامة مصنع تحويل القمامة إلى سماد عضوى (شكل ٨).

+ Port Said Master Plan, Op. Cit. +
+ ديوان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦.



المصدر: ديوان عام محافظة بورسعيد = الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦ بالالتصانة بتوجيهات المسؤولين بإدارة التخطيط العمراني بوزارة الإسكان والمجتمعات العمرانية - القاهرة.

الطاقة الكهربائية في المخطط الشامل للمحافظة

بلغت تقديرات الطاقة المطلوبة لمحافظة بورسعيد حتى عام ٢٠٠٠ كالآتي^(١)

١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠
١١	٢٤	٤٠	٦٣	١٠٨
تقديرات الطاقة المطلوبة (ميجاوات)				

- وقد شهدت الفترة منذ سنة ١٩٧٥ تطوراً كبيراً في الطاقة الكهربائية المولدة لمواجهة إحتياجات بورسعيد والإمتدادات العمرانية والمنطقة الحرة بها حيث أقيمت المحطة الغازية لتضيف طاقة قدرها نحو ٧٠ ميجاوات فضلاً عن محطة الديزل القيمة والوحدات المتنقلة التي ألحقت بها (نحو ٢٠ ميجاوات) خلاف وحدات التوليد الخاصة بهيئة قناة السويس ومحطات الصرف الصحي الرئيسية.
- كما تم ربط المحافظة بشبكة الجمهورية الموحدة حيث تم الإنتهاء من إنشاء محطة محولات الرسوه قدره ١١/٦٦/٢٢٠ ك.ف. وخط أبراج الجهد العالي القادم من مدينة الإسماعيلية عام ١٩٨٠.
- ومن المنتظر أن يتم قريباً تغذية المناطق المنضمة حديثاً من شمال سيناء بربط هذه المنطقة بشبكة الجمهورية الموحدة عن طريق محطة محولات ببورفؤاد.
- قيام هيئة كهربة الريف لتنفيذ مشروعات إنارة وبخول الكهرباء لقرى غرب وجنوب بورسعيد.

وبوجه عام فإن أهداف الخطة الخمسية ١٩٨٨/٨٧ - ١٩٩٢/٩١ يتمثل في تعزيز مصادر الكهرباء وزيادة الطاقة الإنتاجية للمحطات لمواجهة الاحمال المنتظرة نتيجة التوسع العمرانى والتنمية الصناعية والسياحية.

٨٨/٨٧	٨٩/٨٨	٩٠/٨٩	٩١/٩٠	٩٢/٩١
٥٥	٦٠	٦٥	٧٠	٧٥
أقصى حمل				
س.م				

(١) الخطة الخمسية ١٩٨٨/٨٧ - ١٩٩٢/٩١.

+ ديوان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦.

النقل والمواصلات في المخطط الشامل التي سوف تخدم بورسعيد المستقبل حتى عام ٢٠٠٠^(١) وضعت إستراتيجية التوسع الإقليمي لبورسعيد ليس فقط لتتكامل مع تطوير محافظات القناة ولكن أيضاً لتقوى حلقة الإتصال بينها وبين الدلتا ولتخلق رقعته زراعية مزدهرة متاخمة مع إيجاد مناطق إسكان جديدة للتوطين.

ولتحقيق ذلك كله أدخل في الإعتبار عند وضع إستراتيجيته إقليم محافظات قناة السويس ربط المدينة بالمحافظات وبقية أنحاء الجمهورية بطرق برية وحديدية جيدة للنقل مع تقوية مداخل المدينة وشبكة الطرق الداخلية بها.

وعقب حرب أكتوبر بذلت جهود كبيرة في سبيل إحياء مرافق النقل والمواصلات التي لحقت بها أضراراً كبيرة ١٩٦٧ ومن الدعامات الهامة في هذا المجال المشروعات التالية:

١. السكك الحديدية

إصلاح وإعادة تشغيل خط بورسعيد/الإسماعيلية/القاهرة حتى محطة الركات المؤقتة بالرسوه إعتباراً من أكتوبر عام ١٩٧٦.

- تنفيذ مشروع دخول القطار إلى محطة الركاب بالمدينة عن طريق إنشاء كوبرى سكة حديد جديد.
- خط مزدوج - بدل الكوبرى المتهاك على قناة الرسوه ومد الخط الحديدى للوصول إلى المدينة والميناء مع ترميم محطة ركاب المدينة.

تنفيذ المرحلة الأولى من خط بورسعيد/المطرية/المنصورة ورغم إنتهاء المرحلة الأولى، فإنه حتى الآن لم يبدأ العمل في تنفيذ المرحلة الثانية - المطرية/بورسعيد.

ب. الطرق البرية

بدأ العمل في تنفيذ مشروع ازدواج طريق المعاهدة بورسعيد/الإسماعيلية إعتباراً من ١٩٨٤ ومدة العملية ٣٦ شهراً.

الإنتهاء من إنشاء وصله طريق بورسعيد/دمياط التي تبدأ من الكيلو متر ٢١٥ شرق قرية الديبة مخترقة بحيرة المنزلة إلى دمياط (طريق الديبة/شطاً).

الإتفاق مع وزارة التعمير على إمتداد طريق شطاً/الديبة حتى يتصل بطريق المعاهدة ماراً بجنوب مدينة بورسعيد كطريق دائرى لخدمة حركة النقل المباشر دون إعاقة المرور داخل المدينة، وبذلك يسهل إتصال المحافظة بالأجزاء التي ضمت إليها من شمال سيناء بطرق برية سريعة.

(١) بيان عام المحافظة = المخطط العام لبورسعيد، إعادة النظر ١٩٨٠ البرنامج الإستشارى الفنى + بيان عام محافظة بورسعيد، الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦.

جـ. وبالنسبة للطرق الداخلية:

فقد تم الإنتهاء من وضع خطة شاملة لعمليات الرصف المطلوبة بشوارع المدينة ثم التركيز فيها على أعمال الرصف الإنشائي بمناطق التعمير الجديدة.

د. ولما يتعلق بالكبارى والمعديات:

يتضح أنه جارى إنشاء كوبرى طريق الشاحنات بالقابوطى وكذلك جارى إنشاء كوبرى حديد فوق بورغاز اشتوم الجعيل القديم ليحل محل كوبرى المهندسين. كذلك تقرر إنشاء كوبرى سيارات ومشاة فوق قناة الإتصال بالسوّه غرب كوبرى السكة الحديد ومشروع إنشاء معدية الرسوّه والمداخل المؤدية إليها فى بورسعيد وبورفؤاد.

ومن الدعامات الهامة فى هذا المجال ضرورة تقوية روابط الإتصال بين بورسعيد وبورفؤاد. ومن الإقتراحات المطروحة حالياً دراسة إمكانية إنشاء كوبرى علوى يربط ضفتى القناة والتفرعة الجديدة ليتصلان بأول طريق بورفؤاد/بالوطة/العريش - مثل هذا المشروع له تشابكات عديدة من شأنها تغيير الوجه السياحى للمنطقة بأكملها وتنشيط سياحة السيارات بوجه خاص كما سيتضح فى الجزء الخاص بذلك.

وتشير الخريطة التالية لشبكة الطرق البرية والمائية التى سوف تخدم المدينة حتى عام ٢٠٠٠ وتوضح أماكن الطرق الرئيسية ومسار السكة الحديد إلى قلب المدينة. والميناء والقنوات الداخلية فضلاً عن المطار.

فيالنسبة للطرق فقد أشار المخطط إلى ثلاث أنماط لها:

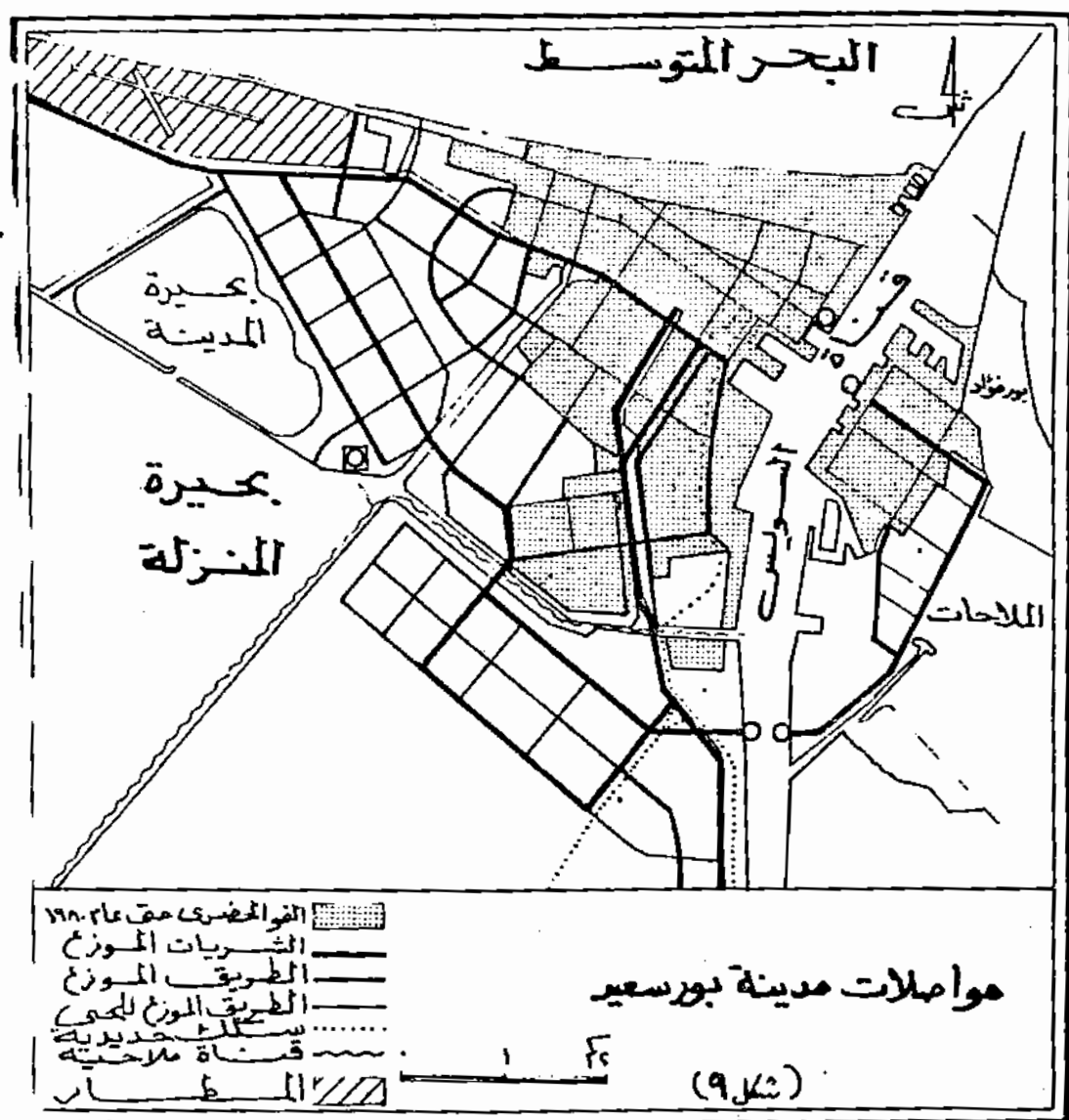
١- الطرق الرئيسية الشريانية وهذه تم إعدادها كطرق مزدوجة بثلاث مسارات للمركبات فى كل إتجاه مثل طريق بورسعيد/الإسماعيلية ، بورسعيد/دمياط. وسوف تكون هناك طرق شريانية أخرى لخدمة منطقة الصناعات جنوب المدينة وتشتمل هذه أيضاً على كوبرى جديد آخر إلى الغرب من كوبرى الشاحنات يمر فوق قناة الرسوّه لربط الطريق المار خلف المطار بطريق المعاهدة.

٢- والنموذج الثانى من الطرق فهي الطرق الموزعة بالمدينة وهى طرق مزدوجة بمسارين للمركبات فى كل جانب، وتتحدد مهمتها فى توزيع الحركة بين الأحياء فضلاً عن تغذية الطرق الرئيسية الشريانية.

٣- أما النموذج الثالث فيتمثل فى الطرق الموزعة بالأحياء . وهى طرق مفردة بثلاثة مسارات للمركبات وسوف تتناسب الحركة خلالها بين الأحياء كما أنها سوف تغذى الطرق الموزعة بالمدينة والطرق الشريانية.

(١) نفس المصادر

أنظر خريطة شبكة المواصلات فى محافظة بورسعيد (شكل ٩)



المصدر: ديوان عام المحافظة = المخطط العام لبورسعيد ، اعادة النظر سنة ١٩٨٠ - ادارة

التخطيط العمراني / بورسعيد - البرنامج الاستشاري الفني بالاستعانة بالخريطة

الاقتصادية لسنة ١٩٨٦ - محافظة بورسعيد .

ويجرى حالياً إنشاء كوبرى السكة الحديد عبر قناة الإتصال إلى الغرب قليلاً من كوبرى الرسوه الحالى وتم تحديد الاراضى اللازمة لإعادة ربط مسار السكة الحديد بالمحطة القديمة بالمدينة.

د- النقل البحرى والميناء

كانت بورسعيد وستظل الميناء المصرى الهام على البحر المتوسط لتوقعها على الطرف الشمالى للطريق الملاحي الدولى عبر قناة السويس والذى يمثل الطريق الأنسب للتجارة المتزايدة بين الشرق والغرب، فإنها تقوم بصفة تقليدية بخدمة تجارة الترانزيت المباشر والغير مباشر وخدمة البواخر العابرة للقناة، كما أنها تعتبر ميناء نهاية لتجارة مصر الخارجية.

وهناك تأكيد على أهمية تنفيذ مشروعات تطوير الميناء الحالى وإنشاء الميناء الجنوبى. وأشارت الدراسات إلى أن زيادة الطاقة للميناء الحالى تصل مداها عند ٢.٥ مليون طن كاقصى طاقة تشغيل إقتصادى، وهو ما لا يكتفى لإستيعاب تطور حركة التجارة سنة ٢٠٠٠.

ومن المشروعات الجارى تنفيذها تطوير الميناء الحالى، وبالنسبة للميناء الجنوبى فإن الدراسات الأولية التى أسندتها المحافظة إلى مكتب الخبرة الإنجليزى "بولين" لدراسة جدوى إنشاء الميناء الجنوبى، والذى قدم تقريره النهائى فى سبتمبر ١٩٨٢.

وقد أكدت الدراسات سالفه الذكر على أهمية وجود الأرصفة الجنوبية كقاعدة لعمليات تعمير وتطوير سيناء^(١).

كل هذه الجهود فى مجال النقل والمواصلات بمحافظة بورسعيد تسهم بدرجة كبيرة فى تنميتها إقتصادياً بصورة عامة ومباحياً بصفة خاصة كما سيتضح من خلال الدراسة التالية، حيث أن شبكة المواصلات فى منطقة مائتد عصب الحياة فيها.

ال عمران والميناء فى المخطط العام الشامل للمحافظة

تعتبر ندره الأرض اللازمة للإمتداد العمرانى وخطط التنمية من أهم العناصر الحاكمة والمحددة لنمو تنمية مدينة بورسعيد.

وتنعم مياه بحيرة المنزلة معظم الاراضى المستهدف إستصلاحها أن تقع فى منسوب المياه الجوفية مما يتطلب عمليات نزع للمياه وإستجلاب مواد للردم، وهذه العمليات تستنفذ وقتاً طويلاً وأموالاً طائلة وتعميدات فنية تواجه عمليات البناء مقارنة بالبناء على الاراضى الجافة.

(١) Port Said Master Plan, Op. Cit.

بيان عام محافظة بورسعيد، المخطط العام لبورسعيد، إعادة النظر ١٩٨٠.
+ محافظة بورسعيد: المخطط العام لبورسعيد، البوتامج الإستشارى الفنى.

وملاوة علي محدودة الأرض فقد تبين من الدراسات التصميمية لاستصلاح أراضي البناء في بورسعيد أن قدره طبقات التربة في المساحات المخطط إستصلاحها على تحمل الإجهادات الناتجة عن التأسيس ضعيف، الأمر الذي يجعل تكلفه الإستصلاح ومد المرافق لها باهظة التكاليف بالمقارنة بمناطق أخرى داخل الجمهورية فيما يتعلق بنوعية التربة ومصادر مواد الردم وأسلوب الإستصلاح.

وقد سبق أن درس موضوع زيادة الرقعة الأرضية لمدينة بورسعيد في المخطط العمراني العام لبورسعيد في مارس ١٩٧٦، وتنفيذاً لتوصياته فقد تمت دراسة تفصيلية في يناير ١٩٧٩ لإستصلاح الأراضي المخططة لتوسعات المدينة حتى عام ٢٠٠٠ لإستخدامات الإسكان والصناعة والخدمات والمرافق والترويح (استمرت إدخال التعديلات على المخطط آخرها ١٩٨٢):

١. بالنسبة للإسكان

يشمل البرنامج ردم مساحة تبلغ نحو ٧٢٨١ مليون م^٢ تستوعب الوحدات السكنية الممكن بناؤها عليها بكثافة سكانية تبلغ ١٥٠ شقة/هكتار ويمكن أن يستوعب هذا البرنامج نصف مليون نسمة.

وتقدر ربع مساحة المناطق الجديدة للإسكان تقريباً في المنطقة التي شهدت في السنوات القليلة الماضية عمليات بناء كبيرة في التوسع جنوباً من حي السلام حتى قناة الرسوه - منطقة رقم ١.

ويتوزع ربع آخر من هذه المساحة بين مدينة بورسعيد ومنطقة جديدة لم يبدأ العمل بها تقع جنوب قناة الرسوه بالإضافة إلى مناطق أعيد بناؤها تقع ضمن التجمعات الحالية بالمدينة - منطقة رقم ٢.

في حين تقع نصف المساحة المخططة لأغراض الإسكان في المنطقة الجديدة غرب قناة المنزلة الملاحي التي تشهد حالياً عمليات بناء واسعة وتعتبر هذه المنطقة الغربية رقم ٣ فضلاً عن المنطقة الواقعة جنوب قناة الرسوه هي المجال الرئيسي لتوسع المدينة عبر السنوات الخمسة عشر القادمة^(١).

٢. بالنسبة للصناعة والتخزين

تصل المساحة المخصصة للمناطق الصناعية والتخزين إلى أكثر من ٢٥ مليون متر^٢ تشتمل على خمسة مناطق رئيسية هي:

- أ. غرب الميناء وتضم منطقة الإستثمار الرئيسية.
- ب. شمال القابوطى.
- ج. غرب قنال المنزلة
- د. جنوب مزرعة الجارى.
- هـ. جنوب قناة الرسوه.

(١) نفس المصادر

+ أنظر خريطة إستخدامات الأرض (شكل ١٠)

- ويتحدد التركيز الكبير للأراضي الصناعية في المنطقة الأخيرة حيث يتميز هذا الموقع الجغرافي بالآتي:
- أنه يقع مباشرة على الطريق الرئيسى بورسعيد/الإسماعيلية/القاهرة مما يمكن إستيعاب حركة المركبات ذات الأحمال الثقيلة دون أن يؤدى ذلك إلى عرقلة حركة المرور داخل المدينة.
- وتقع هذه المنطقة جنوب المدينة يؤدى إلى تخفيف التلوث الهوائى الناتج عنها حيث تبددها الرياح التى تهب دوماً شمالية غربية.
- أما المناطق الأخرى الأصغر فتقع فى مناطق مفارقة من المدينة لإقامة الورش والصناعات الخفيفة والغير ملوثة للبيئة وقد روى أن تكون هناك مناطق عازلة بينها وبين المناطق السكنية.

٢. خدمات الحى

ويشمل ذلك توفير مناطق للترويح كالمنتزهات والأنشطة الشبائية ومناطق للخدمات الإجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية، ويحتفظ فى هذه المناطق بأراضى للوفاء ببعض الإحتياجات الهامة التى تواكب وضع المدينة الواسعة مثل المدارس ودرج الحضانه والنوادر الرياضية والمستشفيات والكليات وغيرها...

كما حددت النطاقات المطلوبة للتوسع فى المرافق الرئيسية كمحطة التنقية بالمرزعة جنوب غرب المدينة ومحطات الكهرباء والمياه جنوب شرق المدينة وتوسعات جبانة بورسعيد الحالية إلى الغرب وإنشاء جبانة جنوب بور فؤاد^(١).

وسوف ينتهي المطاف ٢٠٠٠ إلى إضافة مساحة ممتدة من الأراضى الجديدة لمدينة بورسعيد مرمومة برمالم من بحيرة المنزلة تصل جملة مساحتها نحو ١٢,٤١٩ مليون متر مربع كما هو مبين بخريطة المخطط العام لمدينة بورسعيد موزع إستخدامها على الأنشطة المختلفة كمايلي:^(٢)

٧,٢٨١	مليون متر مربع لأغراض الإسكان (المرموز لها بالحرف A بالخريطة)
٢,٩٨٦	مليون متر مربع لأغراض الصناعة (المرموز لها بالحرف C بالخريطة)
١,١٥٢	مليون متر مربع للأماكن المفتوحة والخدمات B والمرافق العامة E.
١٢,٤١٩	

فالملاحظ أن الإتجاه الذى أقتراح لهذا الإمتداد العمرانى يقع إلى الجنوب والغرب من المدينة فى مساحات مغطاه بمياه بحيرة أو تقع فى منسوب المياه الجوفية.

(١) انظر خريطة إستخدامات الأرض (شكل ١٠).

(٢) انظر خريطة المخطط الهيكلى لبورسعيد (شكل ٥).

+ ديوان محافظة بورسعيد الخريطة الإقتصادية لمحافظة بورسعيد ١٩٨٦ صفحة ٧٦

ومن الملل التي أفرحت لمواجهة مشكلة ندرة الأراضي في بورسعيد إمامه مدينه سكنيه جديده
غرب منطقة الجميل يمكن أو توفر ١٢.٠٠٠ وحدة سكنية تستوعب ٦٠.٠٠٠ نسمة.

مراحل خطة ردم بحيرة المنزل

يوضح الجدول التالي والخريطة التالية ملخص لمراحل تنفيذ خطة الردم بالتكوير من بحيرة المنزل
حتى عام ٢٠٠٠^(١).

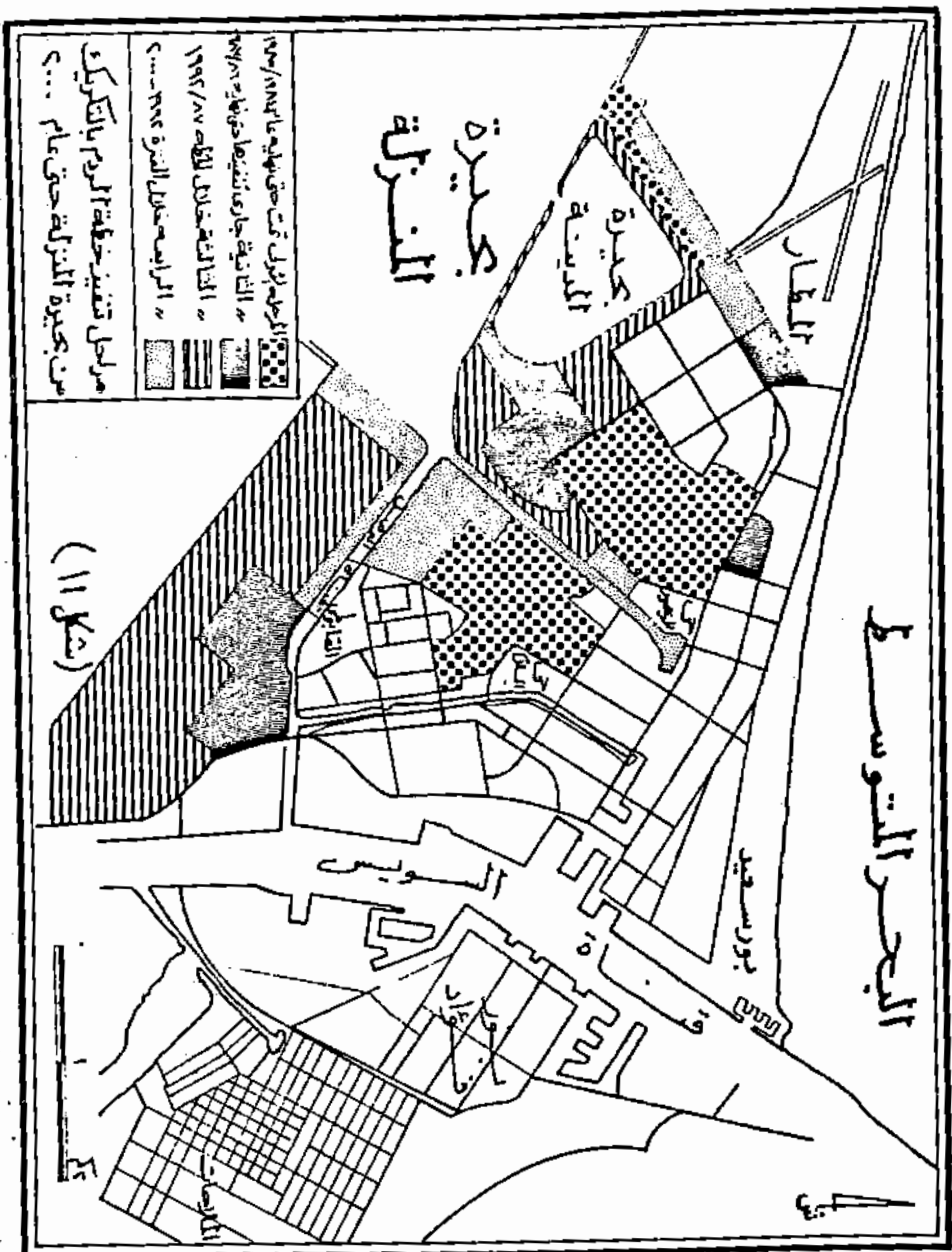
المرحلة	مساحات الأراضي التي توفرها خطة الردم بالمليون متر مربع				كمية الرمال المستجلبه من البحرية	التكاليف
	إسكان	صناعة	خدمات	جملة		
المرحلة الأولى أ حتى نهاية ٨٥/٨٤	٢١٦٥	٥٨ ر.	٢٢٨٠ ر.	٢٤٦١ مليون م	٤٧٦٦ مليون م	١٢٨٢٨ مليون جنيه
المرحلة الثانية ب ٨٧/٨٦ - ٨٥/٨٤	٢٠١٦	٤٢٢ ر	٢٨٩ ر.	٢٧٢٧	٣١٢٢	١٥٠٦٩
المرحلة الثالثة ج ٨٧/٨٨ - ٩٢/٩١	٢٥٠٠	٤٩٦ ر	٣٣٩ ر.	٥٢٢٥	١١٠٧٥	٢٢٥٩
المرحلة الرابعة د	٦٠٠ ر.	—	٢٨٦ ر.	٨٨٦ ر.	١٥٠٠	٥٧٠٠
إجمالي	٧٢٨١	٩٨٦ ر	١٠٥٢ ر	١٢٤١٩	٢٤٦٥٤	٥٦٨٥٦

وعليه فإن قضية خلق أراضي لمشروعات التوسع والإمتداد العمراني لمدينة بورسعيد تعد قضية
تتفرد بها دون سائر محافظات الجمهورية وتؤثر بشكل مباشر على إستمرار كافة خطط التنمية بالمحافظة
أو توقفها وتعطل عينا إضافياً كبيراً على التكلفة الإستثمارية لكل المشروعات خدمية كانت أو إنتاجية.

وعلى ذلك يجب أن يوجه إليها قدر مناسب من الإمكانات والموارد الذاتية للمحافظة فضلاً عما يجب
أن تخطى به من دعم كافٍ في الإعتمادات التي تخصصها الدولة.

(١) ديوان عام لمحافظة = الخريطة الاقتصادية لمحافظة بورسعيد ١٩٨٦ صفحة ٧٧

+ أنظر خريطة مراحل تنفيذ خطة الردم بالتكوير من بحيرة المنزل حتى عام ٢٠٠٠.



المصدر: United Nations, Development Programme, Tourism development in the Suez Canal zone, op. cit. بالإنجليزية بالخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨١ محافظة بورسعيد.

مرحلة البناء: يتبع مرحلة إنتهاء الردم مرحلة أخرى ممثلة فى البناء وتقسم إلى أربعة مراحل:

(١) من ١٩٨٠ - ١٩٨٥: يتحرك نمو المدينة فى هذه المرحلة، ولأول مرة إلى المنطقة غرب قناة المنزلة، وحيث يتم الآن بالفعل إنجاز مشروع كبير لإستصلاح الأراضى، وقد إنتهت مراحل كبيرة من هذا المشروع.

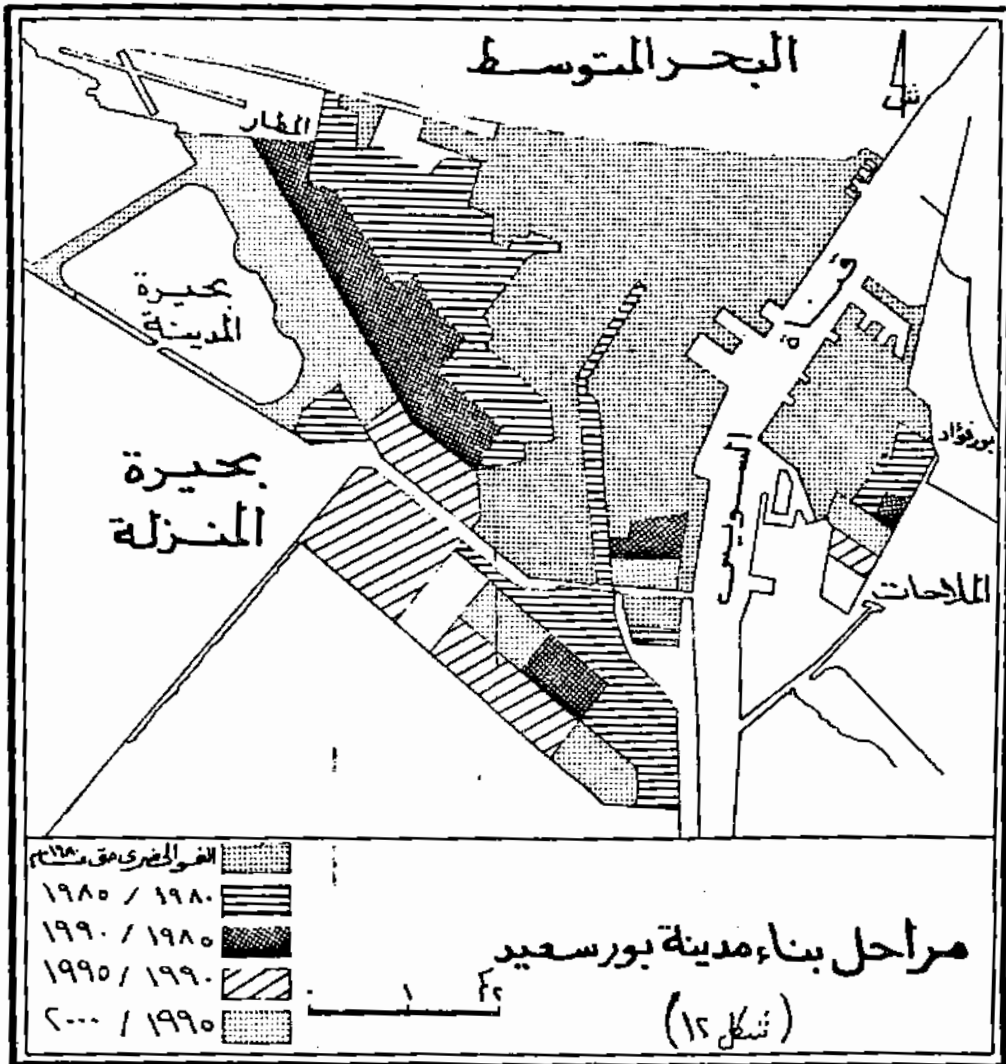
وفى نفس الوقت تستمر حركة العمران جنوب حى السلام ويتضمن ذلك مشروع ٥٠٠٠ وحدة إسكان تعاونى فى المنطقة إلى غير ذلك من عديد الإنجازات العمرانية.

(٢) من ١٩٨٥ - ١٩٩٠: يتم فى هذه المرحلة إنجاز نحو ٢/٣ برنامج التنمية الإسكانية فى منطقة غرب بحيرة المنزلة الجديدة، ويتم كذلك إكمال إقامة منطقة صناعية صغيرة، وتقام ٥٠٠٠ وحدة سكنية جنوب حى السلام مع مواصلة التنمية الصناعية واسعة النطاق فى المنطقة الصناعية جنوب الرسوه وسيساعد الطريق الشريانى الجديد على التخفيف من نمو أى تكديس فى قلب المدينة.

(٣) من ١٩٩٠ - ١٩٩٥: تشهد هذه المرحلة إتمام إقامة حى المنزلة الذى يكتمل معه ٢٢,٠٠٠ وحدة سكنية، سيترتب على ذلك خلق إطار جذاب إلى الجنوب الغربى من المدينة بمواجهة بحيرة المنزلة مباشرة، حيث تتكون بحيرة داخلية للمدينة تحيطها حواجز خاوية وستوجد هذه البحيرة منطقة مثالية للترفيه تحتاجها بورسعيد، ويستمر فى هذه المرحلة أيضاً التوسع الصناعى الكبير بالمنطقة جنوب الرسوه.

(٤) من ١٩٩٥ - ٢٠٠٠: أما فى هذه المرحلة الخمسية الأخيرة للفترة التخطيطية فإن النمو ستيخطى قناة الإتصال إلى المنطقة الجديدة التى ستستصلح بالإقتطاع من بحيرة المنزلة جنوباً، ومقرر أن يتم إقامة ١٥,٠٠٠ وحدة سكنية وهو ما يمثل نحو ٦٠٪ من جملة تقديرات الخطة الخمسية المذكورة^(١).

(١) انظر خريطة مراحل بناء مدينة بورسعيد
+ محافظة بورسعيد: المخطط العام لبورسعيد، البرنامج الإستشارى الفنى - صفحة ٦



رسومات ادارة التخطيط العمراني بوزارة الاسكان والمجتمعات العمرانية ، القاهرة - بالاستعانة

بالخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦ - محافظة بورسعيد .

المناطق الصناعية في المخطط العام الشامل

تنقسم المناطق الصناعية طبقاً للمخطط العام لمدينة بورسعيد إلى مجموعتين رئيسيتين:

أ. **المجموعة الأولى:** وهي المخصصة لمشروعات المنطقة الحرة العامة بنظام استثمار المال العربي والأجنبي، وتشرف عليها الإدارة المركزية للمنطقة الحرة العامة ببورسعيد، وتضم هذه المجموعة المناطق الآتية^(١)

١. المنطقة الرئيسية غرب سور الميناء وتخصص للمستودعات والثلاجات والمصانع.
٢. منطقة الثلاجات داخل السور الجمركي للميناء.
٣. منطقة شرق مصنع بورتكس على طريق القابوطي.
٤. منطقة غرب مصنع بورتكس، مقام عليها شركة بورسعيد للمساكن الجاهزة.
٥. منطقة الرسو الصناعية، مقام عليها مصنع طحن وتعبئة خام الأسمنت.

ب. **المجموعة الثانية:** وهي المخصصة للمشروعات الصناعية والتي تقام بنظام الاستثمار الداخلي. ومناطق صناعات هذه المجموعة تم شغل بعضها بالأنشطة الصناعية المختلفة ممثلة في C1 و C2 وشمال وغرب مصنع بورتكس.

ومناطق جديدة جاري ردمها وتخصيص الصناعات المناسبة لها، ممثلة في C14, C9, C12, C11 وباقي المناطق مطلوب ردمها لتنفيذ برنامج التمنيع المستهدف حتى عام ٢٠٠٠ وتشمل C13, C8, C7, C17, C16, C15, C10.

وجدير بالملاحظة أن مستقبل الصناعة في هذه المحافظة يتوقف على مدى الجهود التي تبذل في تنمية هذه المناطق وإنهاء ردمها لتستوعب الأنشطة الصناعية المخطط لها^(٢).

التنمية السياحية في محافظة بورسعيد

طبقاً للمخطط العام قسم شاطئ بورسعيد لخمس مناطق سنة ١٩٨٥ بمعرفة إدارة التخطيط العمراني.

المرحلة الأولى: قرية النورس.

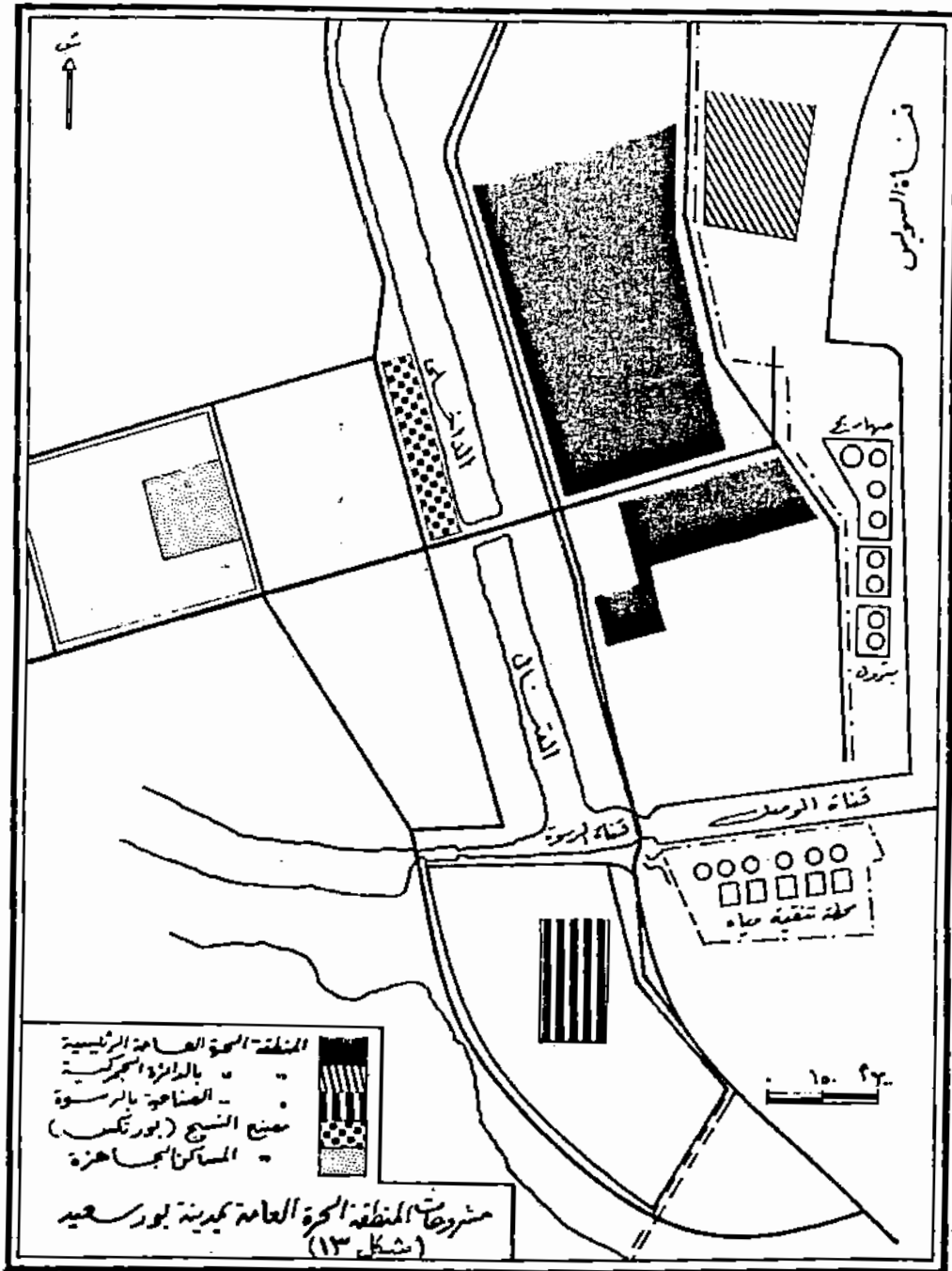
المرحلة الثانية: إحلال مشروع أطلس بمشروع مطور.

المرحلة الثالثة: سيحدث إحلال لكباثن المستأبل الأحمر والأبيض مرحلياً بمشروع مخطط مستقبلاً.

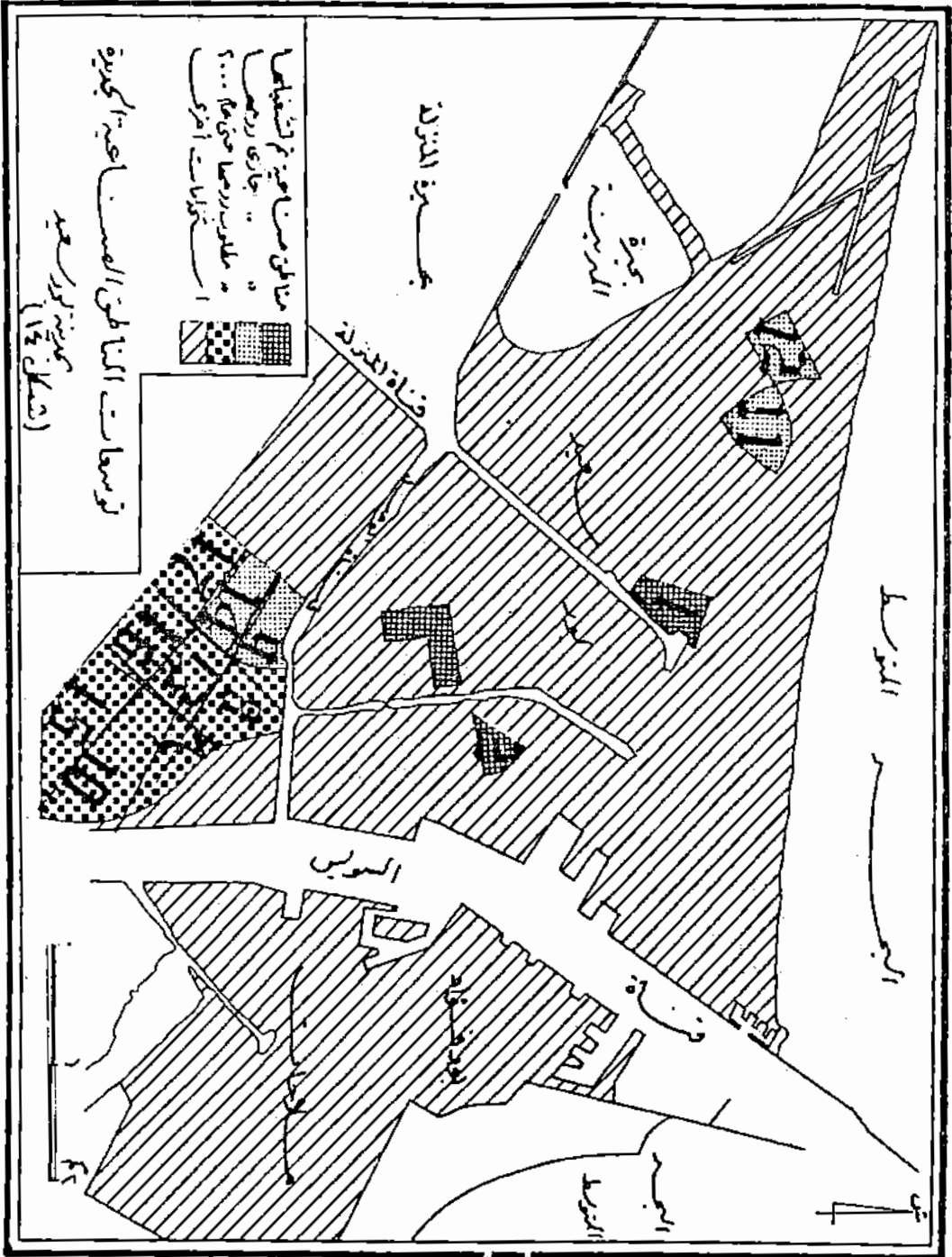
المرحلة الرابعة: إحلال الكباثن القديمة باستغلال رأسى الموقع.

(١) أنظر خريطة مشروعات المنطقة الحرة العامة بمدينة بورسعيد (شكل ١٣)

(٢) أنظر خريطة المناطق الصناعية الجديدة. + ديوان محافظة بورسعيد، الخريطة الاقتصادية للمحافظة، ١٩٨٦.



محافظة بورسعيد : الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦



المرحلة الخامسة: أرض فضاء ولكن بها القوات المسلحة وتم إستصدار قرار بإنتقال القوات المسلحة من هذا الموقع لموقع آخر وعند إتمام الإنتقال وخلو الموقع من تلك الإشغالات سيتم تخطيطه وفقاً لأحدث الأساليب التخطيطية والمعمارية^(١).

وفى مرحلة تالية ستقام القرى السياحية المقترحة من الكيلو ١٢ - ٢٢ كما موضح بخريطة المرافق السياحية المقترحة.

وهناك عوامل عديدة أثرت على الجذب السياحى فى المنطقة كمايلى:

- أثر المنطقة الحرة على السياحة فى المحافظة: كانت فى الماضى تتميز بالهدوء والنظافة المظلمة والخدمات المتوفرة، كان من روادها كبار الأدباء والفنانين والصحفيين ورجال الفكر وكان هدفهم الهدوء والبعد عن المدن المزدحمة وسهولة الحصول على المشتريات المطلوبة خاصة لقرب الشاطئ من وسط المدينة. لكن مع وجود المنطقة الحرة أصبحت صفة إزدحام الشوارع وقلة الخدمات ظاهرة عامة تسود شوارع المدينة نتيجة لتغير الأنشطة بالنسبة لأصحاب المحال إلى أنشطة تجارية ذات صبغة إستيرادية وترك مخلفات الزائر فلصبت فى الوقت الحالى مصيف مزدحم غير مشجع لعدد كبير من راغبي الإستجمام.

لكن من ناحية أخرى تتميز بعديد المفريات الجاذبة منها - كما سبقت الإشارة - شاطئها الرملى الناعم ومناخها المعتدل على مدار السنة تقريباً^(٢)، كذلك الطرق التاريخية ممته في قناة السويس والطرق المؤدية إلى منطقة الفرما التى تتم الدراسات الحالية بها عن طريق هيئة الآثار المصرية وبحيرة المنزلة ومايمكن أن يقام عليها من مشروعات سياحية ورياضات مائية بعد تطهيرها، وأخيراً المتحف القومى الذى تم إنشائه والذي سوف يعرض فيه عديد من الآثار المختلفة الأحقاب إضافة إلى بعض المباني والمنشآت المتميزة معمارياً.

كما أن بورسعيد تتميز بالتسهيلات السياحية حيث تضم فنادق متنوعة الدرجات تتراوح ما بين نجمة واحدة وأربع نجوم وأخرى شعبية + مطاعم متنوعة المستويات وكبائن ووحدات أخرى تناسب جميع المستويات.

يمكن تقسم المحافظة من حيث مراكز إقامة المشروعات السياحية إلى أربعة مناطق رئيسية على النحوالتالى:

(١) أنظر خريطة المخطط العام الهيكلى لسنة ١٩٨٢ (شكل ٥)

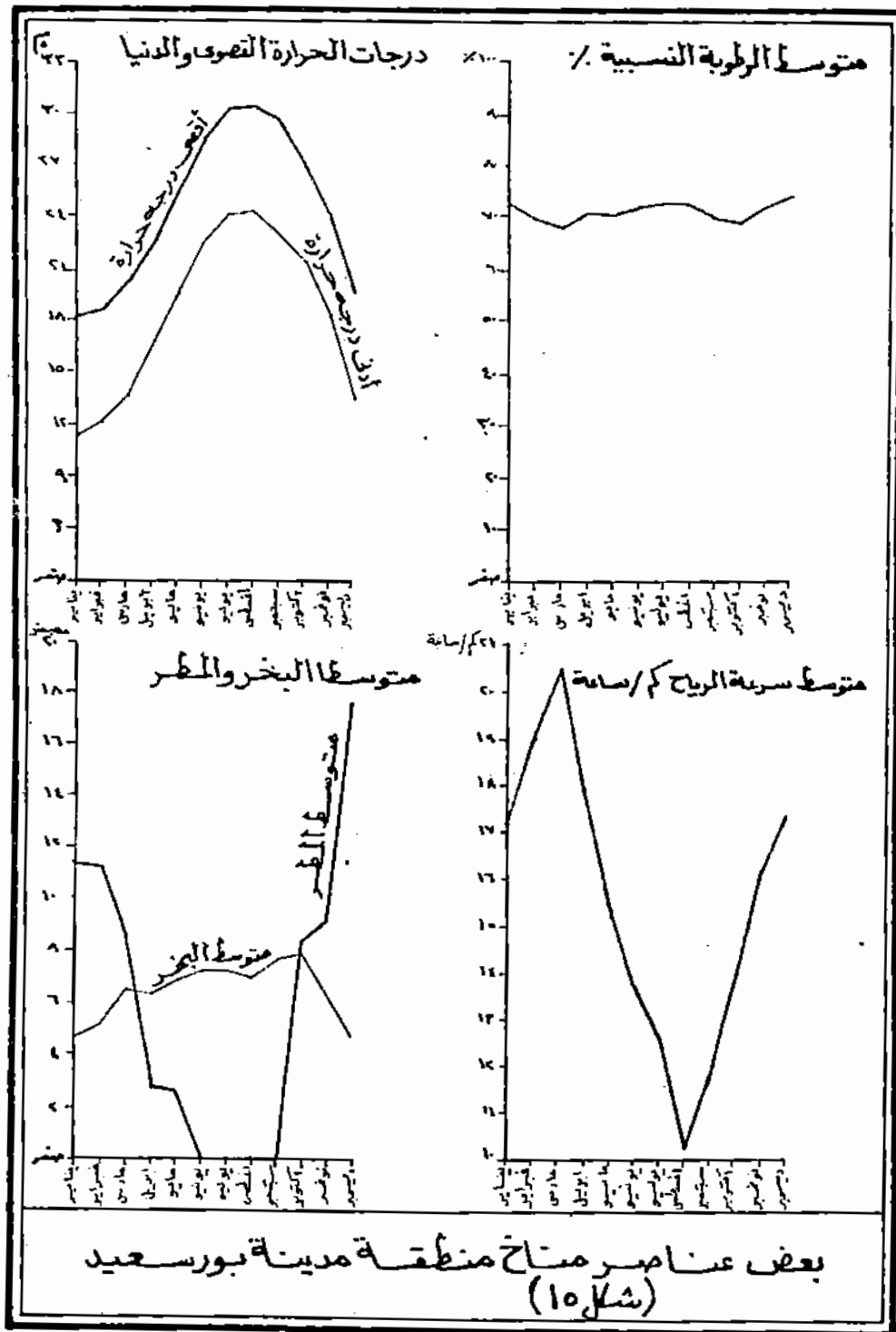
مناقشة مع مدير التخطيط العمرانى لمحافظة بورسعيد أثناء الزيارة الميدانية.

(٢) أنظر جدول عناصر المناخ والرسم البيانى الموضح لعناصر المناخ بمنطقة مدينة بورسعيد.

جنول تفصيلي للمناخ في بورسعيد

شهر السنة	أقصى درجة حرارة	أقل درجة حرارة	متوسط الرطوبة %	متوسط البخر مم	متوسط الأمطار مم	أقصى كمية أمطار في اليوم مم	متوسط سرعة الرياح كم/ ساعة
يناير	١٨ر١	١١ر٤	٧٣	٤ر٧	١١ر٦	١٢ر٤	١٧ر٢
فبراير	١٨ر٦	١٢ر٠٠	٧٠	٤ر٥	١١ر٣	١٥ر٣	١٩ر١
مارس	٢٠ر٢	١٣ر٦	٦٨	٦ر٥	٨ر٥	١٠ر٩	٢٠ر٥
أبريل	٢٢ر٥	١٦ر٨	٧١	٦ر٤	٢ر٧	٢٢ر٨	١٧ر١
مايو	٢٥ر٦	١٩ر٦	٧١	٦ر٨	٢ر٦	١٩ر٥	١٥ر٢
يونيو	٢٨ر٥	٢٢ر٤	٧٢	٧ر٤	—	—	١٢ر٧
يوليو	٣٠ر٤	٢٤ر١	٧٣	٧ر٥	—	—	١٢ر٦
أغسطس	٣٠ر٨	٢٤ر٩	٧٣	٧ر٢	—	—	١٠ر٢
سبتمبر	٢٩ر٢	٢٣ر٨	٧٠	٧ر٨	٠ر٢	٤ر٥	١١ر٧
أكتوبر	٢٧ر٣	٢١ر٨	٦٩	٧ر٩	٧ر٣	٣٩ر٦	١٣ر٩
نوفمبر	٢٤ر١	١٨ر٥	٧٢	٥ر٩	٩ر١	١٨ر٠٠	١٦ر١
ديسمبر	١٩ر٨	١٣ر٦	٧٤	٤ر٥	١٧ر٦	٤٧ر٧	١٧ر٤

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوية ببورسعيد.



المصدر: بيانات هذا الرسم البياني على أساس الجدول التفصيلي لعناصر المناخ ببورسعيد

المنطقة الأولى^(١)

مدينة بورسعيد وبورفؤاد بما فى ذلك منطقتى شاطئ البحر فيهما وتشمل المناطق الفرعية (١) (٢) (٣) (٤) (٥).

المنطقة الثانية:

تشمل الساحل الغربى على إمتداد طريق بورسعيد دمياط والمناطق العمرانية المتاخمة وتشمل المناطق الفرعية (٦) (٧).

المنطقة الثالثة

بحيرة المنزلة وتشمل النطقة الفرعية (٨) وتضم الحوض الصناعى وشاطئ البحيرة المتاخمة للمدينة وماتحويه البحيرة من جزر.

المنطقة الرابعة

الجزء المنضم لبورسعيد من شمال سيناء، ويشمل المنطقة الفرعية (٩) والتي تضم منطقة تل الفرما الأثرية ومنطقة الشاطئ المتاخمة.

وتوضح الجداول التالية عوامل الجذب السياحى المتوفرة بكل منطقة رئيسية وفرعية ونوع المشروعات الممكن إقامة أو القيود أو المعوقات التى قد تصادف إقامة كل مشروع.

قرية النورس السياحية ببورسعيد (فى المنطقة بين فندق إيتاب وأطلس)

تعد هذه القرية باكورة التنمية السياحية فى المحافظة وتتميز بموقع جغرافى فريد وهام جداً ويعد من أهم مقومات الجذب السياحى بالمنطقة ومن العوامل الأساسية المشجعة على تحديد موقع القرية فى هذا المكان المختار. وسبب هذا الموقع الممتاز يرجع لإلتقاء قناة السويس بالبحر المتوسط وهذه إحدى فتحتى هذا البحر حيث أن الفتحة الثانية ممثلة فى مضيق جبل طارق.

الإستفادة بأطول حاجز أمواج يمثل محمية طبيعية للقرية والشاطئ الذى يبلغ طوله ٨ كم فهذا يعطى قوة للأرض فى تعد منطقة إطماء وترسيب وليست منطقة نحر مما تتعرض له باقى شواطئ البحر المتوسط. فهذه المنطقة تعد منطقة محمية وآمنة بسبب إنكسار حدة الأمواج، إلى جانب الإستفادة من أقصى تدرج طبيعى لداخل البحر، فبيت الخبرة الأمريكى "هويكنز" وصفه بأنه شاطئ لايعرف القرى.

(١) أنظر خريطة المرافق المقترحة بمنطقة مدينة بورسعيد (شكل ١٦)
+ ديوان محافظة بورسعيد: الخريطة الاقتصادية لسنة ١٩٨٦.

هذا بالإضافة إلى مناخ بورسعيد المميز بأنه أقل فارق حرارى على "مستوى جمهورية مصر" بين الليل والنهار، كذلك أقل فارق حرارى بين مواسم السنة، ويتعرض بورسعيد لهبوب الرياح الشمالية الغربية المعتدلة على مدار السنة وهذا يتيح لها أن تكون مصيف ومشتى فى آن واحد.

كل هذه الظروف تم فى ضوئها إختيار موقع الوحدات الخاصة بالقرية بالميل القائمة عليها، بورسعيد بصفة عامة تتمتع بالـ Six S (ست كلمات أولها S وتشمل):

Sun, Sea, Sand, Sport, Smile and Security

مساحة القرية نحو ٧٢.٠٠ متر^٢ أى نحو ١٨ فدان، إستخدامات الأرض فيها تتمثل فيما يلى:

١٢٪ من المساحة الكلية.	مناطق الإيواء تؤلف نحو
٣٥٪ من المساحة الكلية.	الملاعب الرياضية والملاهي والألعاب المائية
٣٥٪ من المساحة الكلية.	التشجير يؤلف نحو
٥٪ من المساحة الكلية.	مكان إنتظار سيارات
٣٪ من المساحة الكلية.	مطعم وديسكو
١٠٪ من المساحة الكلية.	النسبة الباقية وتشمل الممرات بين المباني والمنطقة المواجهة للشاطئ والمحلات التجارية
١٠٠٪	

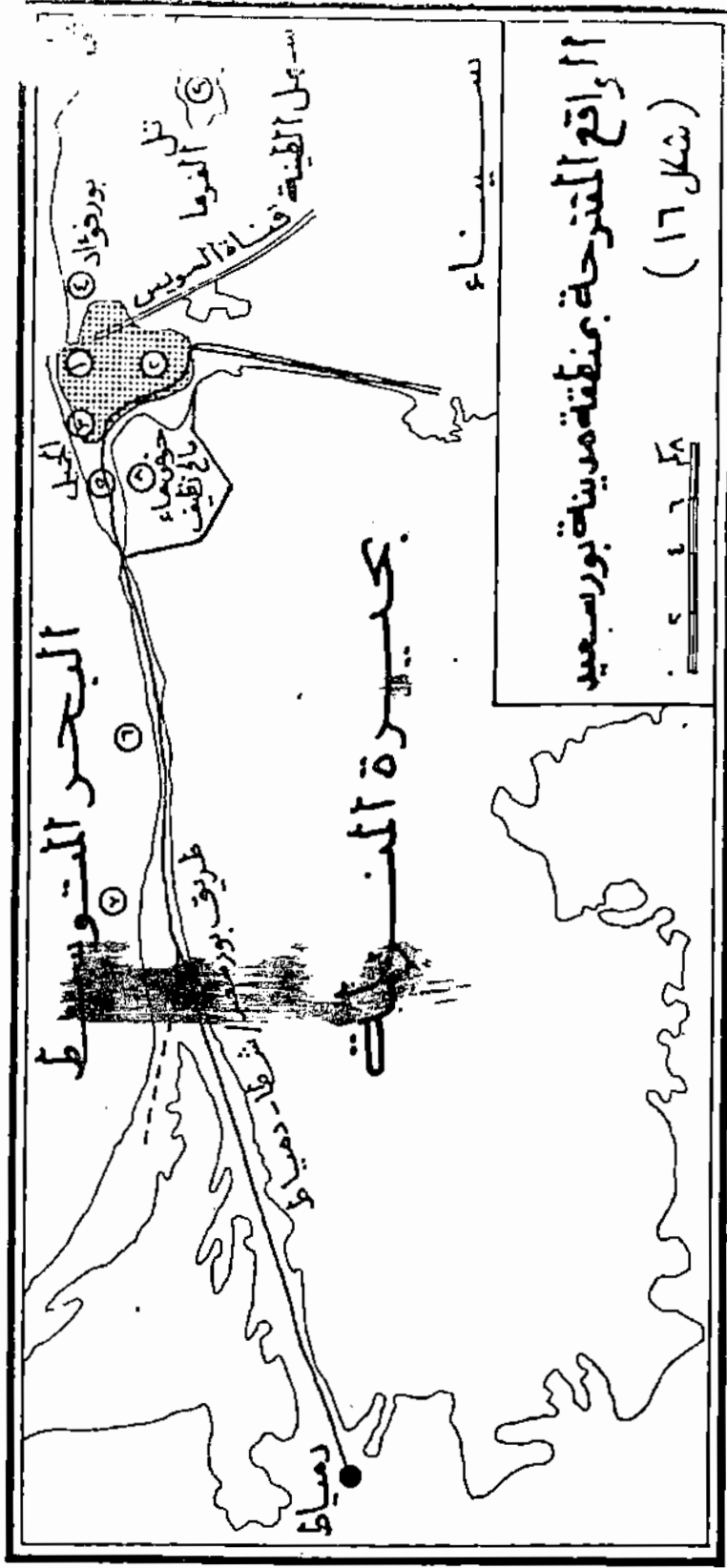
ملحق بالقرية ٤٣ محل تجارى يختلف كل منهم عن الآخر فى نوع التجارة ونوع الخدمة بدأ تنفيذ هذا المشروع فى ١٩٨٧/١/١٤ وكان الإفتتاح فى ١٩٨٧/٧/١ أى تنفيذ المشروع تم فى أقل من ستة شهور برأسمال مصرى ١٠٠٪ تكاليفه ١٥ مليون جنيه - التصميم والتنفيذ والإدارة مصرية ١٠٠٪ جميع الأثاث والأجهزة داخل الوحدات الفندقية البالغة ١٩٢ وحدة فندقية مصرية ١٠٠٪.

تضم كل وحدة ٢ غرفة نوم وصالة معيشة وتراس وحمام ومطبخ كلها مطله على البحر مزودة بموسيقى هادئة وقنوات فيديو وكل وسائل الترويح والترفيه فهذا يعتبر بوجه عام سبق سياحى فى تلك المحافظة له إعتباره وتقديره^(١).

(١) حوار ونقاش مع إدارة القرية أثناء الزيارة الميدانية لها وعضو مجلس إدارتها

+ زيارة وتجوال بكل أرجاء القرية

+ تقارير شركة بورسعيد للتنمية السياحية الخاصة بهذه القرية.



الأقاليم المقترحة بمنطقة مدينة بور سعيد
(شكل ١٦)

البحر المتوسط : خريطة التسمية من عمل الباحث بالاستعانة بتوجيهات مدير إدارة السياحة بمحافظة بورسعيد

(1) مدينة بورسعيد وتعد فؤاد وشاطئها

٢ - (تابع) المنطقة الاولى -

المكان	المميزات / عوامل الجذب	المخرجات السياحية الممكنة	المفرد
٢ - مناطق متفرقة مستن مدينة بورسعيد القناة الميما .	- منظر القناة ليلا ونهارا - قوافل تنور السفن . - المعبديات . - النراى البحرية على الضفة الشرقية للقناة . - مبنى هيئة قناة السويس	- نواى ومراسى قوارب للرياضة والفرقة بالقناة - مسابقات التجديف والسياحة العالمية بالقناة - تحديث وتطوير محطة الركاب البحرية بمسا - يتناسب مع أهمية سياحة البواخر وتزويدها بالخدمات ووسائل الراحة للسائحين الاجانب	
ب) موقع فندق بالاس	- يطل مباشرة على قناة السويس - يقع في الحي الراى - مجاور لمتحف الآثار والسوق التجارى الدولى - قريب من قاعدة تيمثال ديلينيسى - ومسجد بورسعيد الجديد .	- اقامة فندق عالمى فخم يضم مركز اتصال دولى تتوفر فيه خدمة التاكسى والبريد السريع وكافة ما يحتاج اليه المستثمرين رجال الاعمال من خدمات - ويعد الفندق لاستقبال الوفود الكبيرة بتزويده بقاعات للمؤتمرات لتتوسط هذا النوع من السياحة ورياضة الحواضر على المستويين المحلى والعالمى	

٢ - (تابع) المنطقة الاولى - مدينة بورسعيد ونوايا وشاطئيهما

المكان	المميزات لخواص الجيومورف	المشروعات السياحية الممكنة	المقترح
جاء مناطق متفرقة بالمدينة	- رولى متدرج العمق ليعود كبير فى البحر مما يجعله آمنا للمغار والكبار - يمتد بطول واجهة المدينة مما يجعله مهيئا مناسبيا للمائلات - المناخ جيد من حيث درجة الحسونة والحرارة - يطل على مدخل قناة السويس - قرية من المناطق الساقطة يحمل الاستقامة بينهما متبادلة .	- إنشاء دار عرض سينمائى ممتازة - إنشاء مسرح بسقف متحرك يطلع ميلا وثناء - مكان دائم لحديقة ملاهى للمغار والكبار	- وجود بعض من الخرسانة المسلحة من آثار الحرب بساخن متفرقة على امتداد الشاطئ - تلوث الشاطئ خفيفا لى بعض المناطق بمخلفات مراكب الصيد والسفن وقاذلات لسروى المارة
٣ - شاطئ بورسعيد		- استغلال المنطقة الشاطئية غرب فندق ايتسحاب بورسعيد كمنطقة سياحية للمعيط والانتجسام على مدار السنة بأن يقام عليها عمارات وشاليهات لاغراض الاصطيف والسباحة فى اطار مشروعات متكامل الخدمات والامواق والملاعب ويمكن أن يضم هذا النمط أجزاء أخرى من الشاطئ فى الأماكن التى تحتاج وحدها للقائمه السيسى إحلال سجاد الاستغلال الأثل للمصاحبة الارضية والتوسيع الرأس لتوفير المزيد من وجسممات الاصطيف والاستجمام لمقابلة الطلب المتزايد على الاصطيف وقتنا الاجازات فى بورسعيد - العناية بحياة الوحدات القائمة وتوفير خدمات الشاطئ من وحدات خلع الملابس ودورات مياه وكافتريات بدرجة كافية والمعانية بنظافتها .	

(١١) نفس المصدر
انظر الجدول المناخي والرسم المياني الخاص بتحليل بعض عناصر المناخ فى بورسعيد

٤ - (تابع) المنطقة الاولى - مدينة بورسعيد وبور نواز وشاطبيها

المكان	المميزات :توافر الجذب	المشروعات السياحية الممكنة	المقصور
٤ - بورس نواز وشاطبيها	- رملى شتريج السمق في البحر مما يجعله آمنا للسفار والكبار ويمتاز بمفاسه المياه . - شاطبي، محدود هادي، وله طابع خاص - مناسب لسياحة السيارات والشاشلات - يقع بين قناة السويس وتربية القنساء الجديدة - قريب من وسط المدينة - وجود عدد من الوادي البحرية على نفقة قناة السويس وبور نواز	- وحدات امطياف والشاليهات على الشاطبي - توفير خدمات الشاطبي، من مياه وانارة ووحدات خلع ملابس وحمامات ودورات مياه وكافتيريات - اقامة مشروعات سياحية داخل بورس نواز مشتمل دار للمينما ومطاعم وكافتيريات لمواجبهسة - الماطلب المتوقع عند تنشيط سياحة السيارات - انشاء معدية بين صفتي تربية القنساء الجديدة - زرع الطريق المؤدي الى شاطبي، بالوتقة وطريق القنطرة / الريش، سوف يكون عامل جذب كبير لرواج السياحة المتبادلة في المنطقة خاصة سياحة السيارات ويجعل من بورس نواز متقدا سهلا ويربطها الى سيناء .	- لا يطلع لوانة مشروعات سياحية كبرى أو ترى سياحية لتيسق اتساع الشاطبي، وتدر اكمسان التوسع العمراني لبروز احواض شركة النصر للملاحة خلفه .
٥ - إعادة استخدام مطار الجمل	- الموقع الجغرافي من خريطة النقل الدولية - مزود بملاحق للجبرك والحجر المحصى - المنطقة الحرة ببور سعيد - مركز تجاري دولي - الغرب من الموانئ المطارات المحيطة	- توسيع المطار وزيادة طول ممراته حتى يصلح لاطلاع وهبوط الطائرات الكبيرة - تطوير المطار ليتعامل مع خطوط النقل الجوي الداخلية والخارجية - ميناء ترانسميت للقلل الجوي السريع البناء مع والركاب (تبادلي مع الميناء البحري)	- المنطقة الشاطبية المواجهسة - حادثة الا أنها لاتمنح لوانة مشروعات سياحية لتيسق الشاطبي، وقربه جاسي طريق السفر .

نفس المسادر

المنطقة الثانية - الساحل الغربي

المكان	المميزات / عوامل الجذب	المشروعات السياحية الممكنة	التقود أو التسهيلات
١ - المنطقة من الكيلو متر ٨ إلى الكيلو متر ١٤ غرب بئر سديد	منطقة شاطئية هادئة ومرتجة مع مفساة مياه البحر - المناخ ممتاز ويحدها جنوبا ثروات - بحيرة المزرلة - وصلت إليها المياه والكهرباء - وغازي الساء خزانات عميقة لتقوية فخ المياه بالمنطقة - يمر بها طريق للقطار السريع (امتداد طريق الذهب / خط / دمياط - استكمال منطقة فيلات الأهالي مــــمن الكيلو ٨ إلى الكيلو ١٠ لتخطيط السياحة بهذه المنطقة - إمكانية الصيد من البحر وبحيرة المزرلة	إنهاء مشروع كباين وفيلات الأهالي من الكيلو ٨ إلى الكيلو ١٠ بخطط السياحة بهذه المنطقة وبمسند لا تعداد الشواطئ السياحي للمناطق المجاورة تزويد المنطقة بالخدمات الضرورية وإمكانيات الترفيه وغيرها • يمكن استغلال المنطقة بعد الكيلو ١٠ وحتى الكيلو ١٢ في تنظيم سياحة المخيمات ورياضة السيارات وإقامة معسكرات محفلة دائمة للبيئات والنقابات مع تزويدها بالمرافق والخدمات الضرورية •	- إصالح لأقامة شريات سياحية ضخمة أو قري سياحية لضيق عمق الشاطئ، ووجود بعض المناطق المعكوبة وجود المنفذ الجبوتي بالمنطقة الحرة غرب المدينة لمنطقة الجبانات
٢ - المنطقة من الكيلو متر ١٤ إلى الكيلو متر ٣٤ وقرية الدبية	عوامل الجذب كالمنطقة السابقة لا أنها تمتاز باتساع على الشاطئ، (بتساروح مابين ٥٠٠ متر إلى ١٥٠٠ متر وأكثر) - وجود تجمعات سكنية بقرى الميادين في قرى الأريحين والجراينة والدبية - الانتباه من إنشاء الطريق السريع (الدبية / خط)	- مكان ملائم لإقامة قري سياحية متكاملة تتوافر بها خدمات المرافق وكافة وسائل الراحة والترفيه والرياضة المائية وأنشطة الصيد والسياحة الملاحة بشكل يجذب السياح المصري والأجنبي	- عدم توافر المرافق السياحية والخدمات بالمشقة السياحية لا يضمن الرحة وإحاطة بها للمتاح - موقع المنفذ الجبوتي فسررب المدينة يجب تحريكه إلى قرية الدبية وإذا تضرر فليدعى يمكن تنظيم تسهيلات لمرور السياح

تقارير إدارة التخطيط العمراني بمنطقة بئر سديد مع دراسات استثنائية من عمل الباحث

المنطقة الثالثة - بحيرة المنزلة

المكان	المميزات / عوامل الجذب	المشروعات السياحية الممكنة	المقترح
٨ - بحيرة المنزلة وشواطئها وجزرها	- مركز لعبيد الأسماك والطيور البحرية - لها قدرة على تطهير نفسها عن طريق الفتحات والبواغيز المتصلة بالبحر - مركز للآثار - التجمعات السكنية بقرى المياه بين حول البحيرة ودخل جزرها - إنشاء مشروعات مجارى بور سعيد الجديد - بضم إقامة محطة حديثة لتفقية مياه مجارى المدينة قبل مرورها على البحيرة - دراسة البيئة الطبيعية	- اقتراح مخطط بور سعيد الأساسى (الجارى تنفيذه) - إنشاء حاجر للمياه يوزل جزء من بحيرة المنزلة لمواجهة لسيابة الامتداد العمرانى جنوب غرب المدينة مع عمل مخارج وعلاج التلوث الحالى ليصبح هذا الجزء على هيئة حوض صالح نظيف يطلق عليه بحيرة المدينة ويمكن إقامة المنطقة سياحية مجهزة فى هذه البحيرة مثل . - ريانة البحيرات والمر اكب الشراعية ورافعة الترحيل على الماء . - ميد الأسماك والطيور البحرية - كازينو وكافتريات ومطاعم على شاطئ حوض البحيرة تقدم مأكولات متميزة من نتائج ميد السمك والطيور . - السياحة العلاجية وقد تم تخصيص موقع بالمنطقة لإقامة دار للاستشفاء النفسى	- التلوث هو المشكلة الرئيسية . - ويمكن تقليل حدة ذلك عن طريق تنقية مياه مجارى حوض بحيرة المعاملات المعلقة على بحيرة المنزلة كذا المخارج التى تصب فيها خاصة هو بحر البق وغيره .

المنطقة الرابعة - الجزء المنتم لمحافظة بوز سميد من شمال سيناء

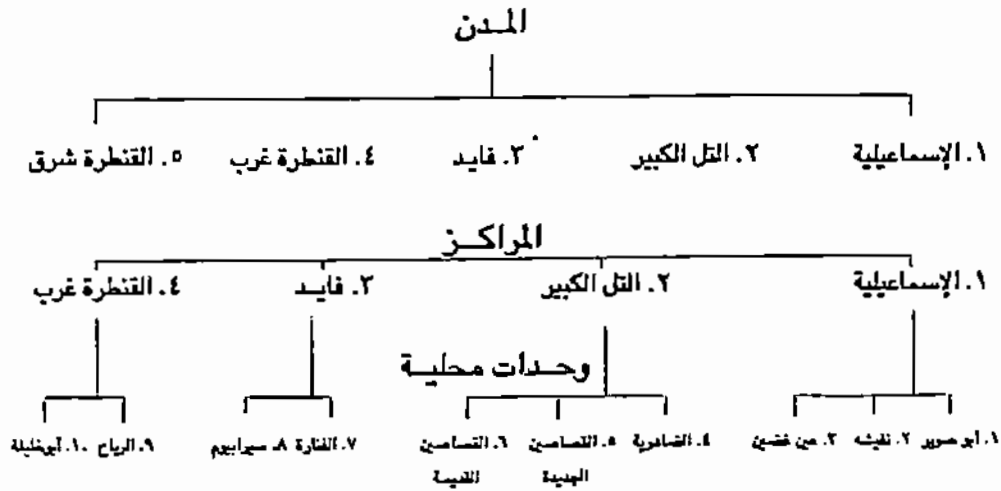
المكان	المميزات / عوامل الجذب	المشروعات السياحية الممكنة	التقييم
منطقة تل الغرما والندافى المتاخمين	- منطقة تاريخية حامة تحوى آثار من المصور الفرعونية والرومانية والإلامية - القرب من طريق القنطرة المربى - القرب من شاطئ البحر - سهولة الوصول إليها عن طريق بوز فؤاد - بالوظة بعد اصلاحه و صفه - وجود أطلال قلعة تل الحسن الى الشمال - من منطقة تل الغرما وعلى مرمى البصر من ساحل البحر - وجود آثار مدينة مدفونة بالكامل على مقربة من تل الغرما - قيام هيئة الآثار المصرية بإجراء حفريات للتنقيب عن آثار هذه المنطقة - إمكان تحويل المنطقة الى موقع هام يضم كل عناصر الجذب السياحي - تتمتع بالهدوء وصفاء الجو وصفاء مياه البحر بالمناخ المتناغم	- إصلاح و وصف الطريق الساحلى بوز فؤاد / بالوظة كوسيلة سريعة للوصول إلى المنطقة - أو إنشاء طريق يهوى (٢٥ كم فقط) - إنشاء معدية تعمل بين مفتى تفرقة القمامة - توصيل المنطقة بالمرافق والخدمات والتسهيلات والإستراحات اللازمة لاستقبال السائحين إلى المنطقة - إقامة قرية سياحية متكاملة وتسهيلات سياحية على الشاطئ المتناغم ، يعمل على تنشيط السياحة وجذب السياح لقضاء وقت الفراغ بالمنطقة	- وجود حقول القمامة تنمو الإخراج فى عملية ملاحج و صف طريق بوز فؤاد / بالوظة

إنه لمن الواضح أن هذه المناطق الأربع فى محافظة بوز سميد تتمتع بمقومات جذب حامة كما وضع تفصيلها وتحليلها، وفى نفس الوقت ظهرت المزايا والضعفات حالت دون تنفيذ المشروعات السياحية بكل منها ، لذا لابد من التغلب على هذه الماعاكل وإسراع الخطى نحو تحقيق ذلك كي تظهر بوز سميد برونه فى خريطة

محافظة الإسماعيلية

تعد هذه المحافظة إحدى محافظات القناة الثلاثة التي تضم كل من بورسعيد والإسماعيلية والسويس، وتتوسط الإسماعيلية المحافظتين الأخيرتين وتختلف عنهما في أن كل من محافظتي بورسعيد والسويس محافظتان ذات مدينة واحدة بينما تتكون محافظة الإسماعيلية من أربع مدن: الإسماعيلية، التل الكبير، القنطرة غرب بالإضافة إلى القنطرة شرق وأيضاً عشر وحدات محلية وكذلك أربع مراكز كما يتضح من الشكل التالي.

التقسيم الإداري لمحافظة الإسماعيلية



وتأخذ المحافظة شكل مثلث بعده الغربي مدينة التل الكبير والبعد الشمالي القنطرة غرب حدود محافظة بورسعيد، والبعد الجنوبي كسفرية حدود محافظة السويس، وترتبط مع محافظة شمال سيناء الواقعة بالضفة الشرقية عن طريق مدينة القنطرة شرق حدود المحافظة من جهة الشرق.

وتقع المحافظة في شمال جمهورية مصر العربية كجزء من صحراء مصر الشرقية على الضفة الغربية للقناة ويربطها بوادي النيل خط سكة حديد مزيج يبدأ من القاهرة إلى ينها الزقازيق - التل الكبير فالإسماعيلية ومدينة الإسماعيلية عاصمة المحافظة كما أنها عاصمة إقليم القناة أيضاً^(١).

(١) محافظة الإسماعيلية: مركز المعلومات والتوثيق - إدارة النشر.
+ أنظر خريطة التقسيم الإداري لمحافظة الإسماعيلية (شكل ١٧)

مساحة المحافظة تبلغ ١٤٤١٦ كم^٢ تشغل المدينة منها ١٤٧ كم^٢ والريف ١٤٢٦٩ كم^٢. يختص البحيرات بمساحة قدرها ٢٢٤٨ كم^٢. بخلاف الجزء المضاف من سيناء شرق قناة السويس ٣٠ كم^٢ بطول حدود المحافظة.

مساحة البحيرات موزعة كالآتي: (١)

١. البحيرات المرة الكبرى ١٩٤ كم^٢
٢. البحيرات المرة الصغرى ٤٠ كم^٢
٣. بحيرة التمساح ١٤ كم^٢

سكان محافظة الإسماعيلية

سكان المحافظة خليط من مجتمعات عديدة مختلفة إذ أن معظمهم نازحون من أماكن متفرقة من الجمهورية لذلك تختلف العادات والتقاليد بل ولهجات السكان من منطقة لأخرى.

فمثلاً في مناطق القل الكبير والقصاصين ومحولها يغلب عليهم طابع محافظة الشرقية، في حين أنه في منطقة الرياح والكاب والمنطقة التي تقع في اتجاه محافظة بورسعيد يغلب عليها الطابع المحلي أما منطقة فايد وفنارة وكسفرت نجد أنها تجمع ما بين أهالي الصعيد ولهجاتهم وعاداتهم وبين سكان المناطق الزراعية.

وتشتمل المحافظة على أكثر من بيئة نتيجة لموقعها الجغرافي: ففيها البيئة الزراعية على جانبي ترعة الإسماعيلية وفرعها، والبيئة الساحلية حيث تتوسطها بحيرات ذات مساحة كبيرة وهي بحيرة التمساح والبحيرات المرة الكبرى، والبيئة الصحراوية لأنها تضم جزءاً كبيراً من صحراء مصر الشرقية. فنظراً لهذا التباين البيئي وماله من تأثير كبير على ظروف المجتمع السكاني توجد بعض القبائل البدوية المستقرة والتي مازالت تعمل بالرعى إلى جانب الزراعة، كما توجد جماعات صائدي الأسماك (٢).

البنية الأساسية في محافظة الإسماعيلية

هناك ارتباط قوى بين تكثيف مشروعات العمران عامة والتنمية السياحية بوجه خاص وبين توفر مرافق البنية الأساسية كما سيتضح من الخريطة والجدول التاليين:

فهناك تركيز خدمات المرافق بصورة واضحة في مركز الإسماعيلية حيث يوجد بها مرافق القوى الكهربائية، مياه الشرب والصرف الصحي، وبصورة أقل في مركز فايد. أما بقية مدن ومراكز المحافظة لاتتمركز بها المرافق بنفس الدرجة في المراكز المشار إليها. فلا يوجد في مدينة القنطرة غرب على سبيل

(١) تقارير مركز المعلومات والتوثيق بمحافظة الإسماعيلية - إدارة النشر.

(٢) نفس المصدر.

المثال سوى محطة واحدة لمياه الشرب قدرتها ٢٥م^٣/ث، ومحطة توليد كهرباء واحدة قدرتها ٢٠م ف أ. وهذه المحطة الأخيرة تعمل بنسبة ٤٥٪ فقط من قوتها الافتراضية. كذلك الحال في أبو صوير حيث لا توجد بها سوى محطة مياه شرب قدرتها ٢٠م^٣/ث وتماتها محطة مياه شرب الموجودة في مدينة التل الكبير. والملاحظ أن كل من القنطرة شرق وأبو صوير والتل الكبير لا يوجد بها صرف صحي ولامحطات قوى كهربائية. ولكن يوجد في مدينة فايد محطتان لمياه الشرب الأولى بقدرة نحو ٤٠٠م^٣/ث تعمل بنسبة ٥٠٪ من قدرتها الفعلية أما الأخرى فقدرتها ١٠٠م^٣/ث.

بالإضافة لذلك توجد محطة توليد كهرباء بقدرة ٢٠ م ف أ تعمل بنسبة ٤٥٪ فقط من قدرتها الفعلية. كما توجد محطة توليد كهرباء في رادى الملأك بقدرة ١٨ م ف أ ولكنها لاتعمل سوى بنسبة ١١٪ فقط، بمعنى نسبة ضعيفة جداً. كما توجد محطتان أخريان في منطقة العباسية أحدها لايعمل، أما الأخرى فتعمل بنسبة ١٠٪ فقط من قدرتها.

من هنا يتضح مدى الإلتباط بين توفر البنية الأساسية الملأمة وبين مشروعات العمران والتنمية السياحية بيطبق ذلك على مركزى الإسماعيلية وفايد^(١).

(١) تحليل الجدول والخريطة التالين (الخزيمه شكل ١٨)

مواقع وقدرات ومستويات تشغيل محطات مياه الشرب، الصرف الصحي، والكهرباء بمحافظة الإسماعيلية
 المحطة مياه الشرب الصرف الصحي القوى الكهربائية الموقع

الموقع	القذرة م ^٣ /ث	نسبة التشغيل %	القذرة م ^٣ /ث	نسبة التشغيل %	القذرة م.ق.أ	نسبة التشغيل %
الإسماعيلية	٨.٠٠٠	٧٥	١٨.٠٠	٤.٠	٥.٠	٥٦
	٢٦.٠٠	١.٠	١٨.٠٠	٣٧	٢٢	٧٣
	٢٥.٠٠	١.٠	٥٤.٠	١.٠	٢.٠	٧.٠
	٩.٠	١.٠	٣٦.٠	١.٠	٢.٠	١٢
	(بالمنطقة) (الصناعية)	—	١٢.٠	١.٠	—	—
	—	—	١.٠	١.٠	—	—
القنطرة	٤.٠	لاتعمل	—	—	٢.٠	٤.٠
غرب	٢٥	١.٠	—	—	—	—
القنطرة شرق	٢٥	١.٠	—	—	—	—
أبو صوير	٢.٠	١.٠	—	—	—	—
الثل الكبير	٢.٠	١.٠	—	—	—	—
فايد	٤.٠	٥.٠	—	—	٢.٠	٤٥
	١.٠	١.٠	—	—	—	—
وادي الملك	—	—	—	—	١٨	١١
العباسة	—	—	—	—	٢.٠	لاتعمل ١.٠
أبو سلطان	—	—	—	—	٢.٠	١٥
ترعة الإسماعيلية	٢.٠	١.٠	—	—	—	—
	٥	١.٠	—	—	—	—

الأرقام مستخرجة من رسوم بيانية ضمن تقارير إدارة التخطيط والتنمية العمرانية بمحافظة الإسماعيلية.

المخطط العام لمحافظة الإسماعيلية

يشكل التخطيط العام لهذه المحافظة أساساً منطقياً لتخطيط إستخدامات الأراضي ويضم التخطيط هذا تنسيق إستخدامات الأرض ومواقع هذه الإستخدامات والربط بينهما.

لقد بدأ النظر في خريطة الإسماعيلية الحالية وتطبيق التخطيط الذي وضع ١٩٧٦ موضع التنفيذ في كلا من المناطق المشغولة والمطلوب تطويرها وإدخال المرافق بها وكذلك الخدمات والمناطق الفضاء ومدى حاجة الإسماعيلية إلى الخدمات والمرافق الحيوية بها. وقد تم إنشاء جهاز التخطيط والتنمية العمرانية بالمحافظة عام ١٩٨١ الذي وضع من أهم أهدافه متابعة التخطيط العام ومراعاة إستخدامات الأرض بالمحافظة الإستخدام الأمثل وتنمية المناطق الحضرية وتطوير المناطق المشغولة...

فيالنظر لخريطة المخطط العام للإسماعيلية حتى سنة ٢٠٠٠ يتضح فيها الأماكن المخططة كالآتي: (١)

١. مناطق الإسكان والخدمات
٢. المناطق المشغولة والمطلوب تطويرها.
٣. مناطق الإستخدام الزراعي والحيواني.
٤. مناطق الإستخدام الصناعي.
٥. مناطق الإستخدام السياحي.

أولاً: مناطق الإسكان والخدمات

كان التركيز على إستغلال الأراضي الفضاء بمنطقة الشيخ زايد، فقد تم تخطيط المنطقة ككل بحيث تستوعب الزيادة المستمرة في عدد السكان، وأيضاً نقل الخدمات الرئيسية والحيوية من قلب المدينة الحالي، فقد تم وضع تصور تم تطبيقه بعد ذلك لمنطقة شرق الشيخ زايد وأيضاً لمنطقة شمال الشيخ زايد، بحيث يتم توفير أكبر عدد من الوحدات السكنية التعاونية والإسكان الإقتصادي وأيضاً الإسكان الخاص وتقسيم التعاونيات. وفيما يلي التقسيمات التي تم تقديمها في مجال الإسكان والخدمات:

ضمن التخطيط العام لمحافظة الإسماعيلية روعي توفير بعض الأراضي الفضاء وتخصيصها لوحدات الخدمات المختلفة نقلها من قلب المدينة المزدحم إلى المناطق الجديدة حتى يمكن أن تؤدي الخدمة لأكبر عدد من المواطنين بسهولة ويسر كالآتي:

١. تم إعداد منطقة للمواقف على مساحة ٢٥ فدان شمال الشيخ زايد وتقع على الطريق الدائري الرئيسي.
- كما أن المحافظة تهتم حالياً اهتماماً خاصاً بالحدائق وخلق المناطق الخضراء والملاعب المفتوحة، ففي

(١) A.R.E., Ministry of Housing and Reconstruction, Adirsory Committee for reconstruction, Ismailia master Plan, draft master Plan, 1876.

+ تقارير إدارة التخطيط والتنمية العمرانية بمحافظة الإسماعيلية.
+ انظر خريطة المخطط العام لمدينة الإسماعيلية حتى سنة ٢٠٠٠ (شكل ١٩)

منطقة الشيخ زايد تم تحويل مناطق البرك إلى حدائق للتغلب على المشاكل الناجمة من إنتشار البومض مع إيجاد متنفس للسكان

٢. تم توفير أراضى لوحدات الخدمات المختلفة منها مبني المديرية المالية ومديرية التموين، مبني المرد، مديرية المساحة، مديرية الاملاك، مديرية المعاشات بالإضافة إلى ديوان عام المحافظة.

٣. تم إعداد منطقة للخدمات التعليمية والمعاهد الأزهرية ومنطقة للنقابات العلمية والمهنية، نقابات المحامين، المهندسين، الأطباء، المعلمين، الزراعيين..... إلى آخره.

ولقد خطط لنهضة تعليمية واسعة النطاق وكان من أهم ثمارها جامعة قناة السويس^(١).

ثانياً: تطوير الأحياء الشعبية في المحافظة

عندما بدأت محافظة الإسماعيلية بعد إنتصار أكتوبر سنة ١٩٧٢ تستقبل أناساً باعتباراً من سنة ١٩٧٤ واجهت في هذه الفترة مشاكل خاصة بالإسكان وقيام بعض المواطنين بإقامة مساكنهم بطريقة عشوائية في بعض المناطق. لمواجهة هذه المشاكل تم وضع برامج للتنمية العمرانية لحل مشكلة الإسكان دون أن تتحمل الدولة أعباء مالية لإقامة أحياء جديدة.

ونتيجة لذلك تم إنشاء عدة مشروعات للتنمية الإجتماعية وتحسين البيئة العمرانية لهذه المجتمعات العشوائية وتوجيه النمو العمراني للإتجاه الصحيح وتحويل هذه البيئات إلى مجتمعات جديدة تتوافر لها البيئة الإجتماعية والعمرانية الصالحة لمحدوى الدخل.

وبدأت هذه المشروعات بإنشاء جهاز مشروع تخطيط منطقة "حى السلام" و "أبو عطوة" بقرار رقم ٨١١ لسنة ١٩٧٨. وفي يناير سنة ١٩٧٨ صدر قرار رقم ٩٧ لسنة ١٩٧٨ لتخصيص أرض الحكر لجهاز مشروع حى السلام. وهذا يعنى أن جهاز مشروع الحكر - حى السلام - حالياً أصبح المالك الفعلى للأرض، وبذلك تصبح له الحرية الكاملة لبيع الأراضى دون الخضوع للإشتراطات القانونية التى توضع على الأراضى الحكومية. وهذه المناطق فى حى السلام وأبو عطوة تحولت من مناطق عشوائية متخلفة إلى بيئة إجتماعية تتوافر فيها المرافق الرئيسية بصورة متدرجة..

وقد بدأت هذه المشروعات بتملك الأراضى للمواطنين واضعى اليد بمبالغ زهيدة وفى مقابل ذلك يوفر هذا المشروع المستوى المبدئى من الخدمات والمرافق وبدأت تتطور المباني تدريجياً من الطوب اللبن إلى الخرسانة المسلحة والطوب الأحمر. لذا أصبح المواطنون يدخرون أقصى مايمكنهم لتحسين مساكنهم بعد إلمعتانهم إلى تملكهم للأرض.

لذا حرصت المحافظة على توفير رسومات هندسية نموذجية لقطع الأراضى التى تم تقسيمها كما اختارت لوناً معيناً ومميزاً لهذه الأحياء وهى الأبيض والأزرق. كما تم فى مرحلة لاحقة تنفيذ المرافق الأساسية من طرق وكهرباء ومياه وصرف صحى من حصيلة الإيرادات التى توفر لإدارة هذه المشروعات ولقد كان أول الأساسيات هو تحديد القطاع من السكان الذين توضع من أجلهم هذه المشروعات.

ونظراً لانه يقيم فى كل من منطقتى الحكر وأبو عطوة سكان وضعت خصائصهم موضع الدراسة الشاملة فقد اتخذ قرار أساسى من ناحية السياسة العامة لأن هذه الخصائص تمثل خصائص السكان المستهدفين لمناطق المشروع وبذلك يمكن إستخدام صورة سكانية واحدة للسكان الحاليين والسكان المنتظر إستيطانهم فى المناطق الجديدة.

إن الفكرة الأساسية أن تكون التحسينات والبرامج في نطاق قدره السكان المستهدفين على الدفع سداداً لقيمة هذه التحسينات والبرامج وهذه كانت مهمة عسيرة، حيث أن الأسر المستهدفة تقريباً تقع في أدنى ٣٠٪ من توزيع الدخل القومي الحضري، وليس معنى ذلك أن تصبح المنطقتين الحكر مشروع السلام وأبوعطره مجازرات مقصورة على منخفضي الدخل فقط ومنفصلة عن النسيج الإجتماعي العام للمدينة^(١).

لذلك فقد وضعت المشروعات بحيث تتسع لجانب من الأسر ذات الدخل الأعلى ويرعى توفير فرص الإستثمار بحيث تستطيع المنطقة إستيعاب أنواع من الأنشطة الحضرية من المستوى الأعلى وأن تتخذ سمات مناطق الإسماعيلية أن تتمتع بخدمات أفضل، والواقع أن الهدف هو إدماج مناطق الإسماعيلية في النسيج العام للمدينة.

وجدير بالذكر أن مشروع حي السلام من المشروعات الرائدة بالمحافظة، وهو يمثل جزء من الإمتداد العمراني في اتجاه الشمال للمدينة.

وقد حددت المساحة الإجمالية للمشروع بـ = ٤٩٢ فدان
+ ١٨ فدان تم إضافتهم حديثاً

مجموع مساحة المشروع إذن ٥١٠ فدان

يشغل مساحة الحى القديم ٢/٣ المساحة الكلية.

ويشغل مساحة الحى الجديد ١/٣ المساحة الكلية.

وتتضمن أهداف المشروع في فيما يلى:

- إعادة تخطيط الأراضى بخلق ملكيات مستقرة للمواطنين.
- توفير قطع أراضى جديدة للإحلال.
- توزيع قطع أراضى جديدة على المواطنين.
- توفير المنشآت الخدمية والإجتماعية.
- ضمان توفير مواد البناء بالأسعار الرسمية والمساهمة في حل أزمة الإسكان بالمحافظة.
- حتى يتمكن المشروع من تنفيذ الخطة الخدمية للحي يتم اختيار أراضى ذات مواقع مميزة ويتم بيعها بالمزاد العلنى، وعن الدخل الناتج من البيع يقوم المشروع بتوصيل كافة الخدمات للمواطنين^(٢).

(١)

تقارير إدارة التخطيط العمراني بمحافظة الإسماعيلية.

+ نشرات مركز المعلومات والتوثيق بمحافظة الإسماعيلية (إدارة النشر) رقم ٢٠١

أنتظر خريطة المخطط العام لمدينة الإسماعيلية حتى عام ٢٠٠٠ (شكل ١٩)

نشرات مشروع حي السلام بمحافظة الإسماعيلية.

(٢) محافظة الإسماعيلية: المشروعات - مركز المعلومات والتوثيق - إدارة النشر.

+ أنتظر خريطة المخطط العام لمدينة الإسماعيلية حتى عام ٢٠٠٠ (شكل ١٩).

إنجازات المشروع بحى السلام

غابة الشباب والمشتل التى إنشئته لتنقيه الهواء وقد زرعت بأشجار الكازورينا والكافور تتخللها المسطحات الخضراء وأحواض الزهور وبها مشتل لإكثار الزهور يدخل فى معرض الزهور للربيع سنوياً على مستوى المحافظة.

- المركز الإجتماعى الخاص بخدمة مجتمع الحى.
- مركز الشباب الذى يضم ملاعب لجميع الأنشطة الرياضية المختلفة.
- المركز البريدى وكذلك المدارس متنوعة المراحل، والشرطة والمطافى وأيضاً المرافق الأساسية من كهرباء، طرق، مياه، صرف صحى.

ويعتبر مشروع حى السلام هكذا من المشروعات العمرانية ويعد أول باكورة المشروعات الجديدة التى ساهمت فى تنمية وتطوير حى السلام حيث شاهد هذا التقدم الهائل كافة الوفود المصرية والأجنبية التى قدمت من أنحاء العالم للإطلاع على نموذج من نماذج التنمية والتطوير طبقاً للسياسات التخطيطية.

مشروع تنمية وتطوير أبوعطوة

يعتبر أحد ثمرات إنتصارات أكتوبر سنة ١٩٧٣ هدفه الرئيسى المساعده فى حل مشكلة الإسكان بالإسماعيلية، إذ سترتب على تنفيذه تحسين سريع فى الحالة السكنية لآلاف العائلات فضلاً عن توفير الفرص لإقامة السكن لآلاف الأسر الأخرى وإيجاد منطقة سكنية مخدومه بكافة المرافق بأنواعها، ولذلك يمكن إضافة حى جديد بمدينة الإسماعيلية بإعتبارها إمتداد طبيعى للتوسع العمرانى للمدينة وتخفيفاً للضغط الهائل على مدينة الإسماعيلية، والأهم من ذلك هو القيام بالأنشطة اللازمة فى حدود إمكانيات معظم المواطنين بالمنطقة مما لا يتوافر لديهم الفرص لتحسين جالتهم المعيشية والسكنية، وهذا الهدف الرئيسى مبنى على سياسة سكانية لا يقتصر إمكان تطبيقها على منطقة أبوعطوة بصفة خاصة ومدينة الإسماعيلية بصفة عامة بل يمتد إلى جميع أنحاء مصر، وبذلك فإن هذا المشروع يمكن إعتباره من المشروعات النموذجية حيث يعتبر من أول مشروعات التنمية والتطوير من نوعه فى الشرق الأوسط.

وتعتبر أهداف تخطيط المنطقة مزدوجة فهى:

- أولاً: تعمل على تقليل العوامل التى تحول دون التنمية فى المنطقة الحالية.
- ثانياً: إعداد المنطقة حتى يمكن إستيعاب ٢٥٠.٠٠٠ ألف نسمة إضافية حتى عام ٢٠٠٠^(١).

لذلك قد تم تخطيط أبوعطوة على أساس مناطق يمكن أن تستوعب كل منطقة ٨٠٠٠ نسمة فى المتوسط.

(١) نشرات مشروع أبوعطوة.

واقد تم إنشاء مشروع تنمية وتطوير أبوعطوة سنة ١٩٨٧ وبدأ العمل الفعلي فيه سنة ١٩٨٠ وموقعه جنوب مدينة الإسماعيلية. وتنحصر أهداف المشروع في تنمية المجتمع في هذه المنطقة وتوابعها تنمية حضارية واجتماعية ومدنية مع تخطيطها وتطويرها لتصبح إمتداداً لمدينة الإسماعيلية.

ونظراً لأن المنطقة كانت في البداية منطقة ريفية زراعية فقد تم مراعاة أن تكون التنمية إجتماعية أولاً، وبعد ذلك بدأ حل أزمة الإسكان في تلك المنطقة بإتاحة تمليك المواطنين والشباب منهم قطع أراضي فضاء بأسعار رمزية للبناء عليها خلال مدة معينة إلى جانب تمليك المواطنين الشاغلين للمنازل - وأضعى اليد - وترغيبهم في إعادة بناء منازلهم بالخرسانة المسلحة بدلاً من الطوب اللبن وتم توفير الخدمات الأساسية والمرافق. ومن حصيلة التمليك قام المشروع بخدماته ذاتياً وبون إعتمادات أخرى كان لزاماً أن يقوم المشروع بعمله في خطين متوازيين:

أولاً: رفع المنطقة القديمة المأهولة سكانياً رفعاً مساحياً على خرائط وإعادة تخطيطها ومدها بشبكة من الطرق الرئيسية والداخلية والخدمات مع تمليك المواطنين وأضعى اليد بأسعار رمزية^(١).
ثانياً: العمل في المنطقة الجديدة فقد تم تخطيط المناطق القضاء الواقعة في نطاق حدود المشروع وتقسيمها إلى قطع أراضي وزعت بعضها بالقرعة والقطع الأخرى الميزة تم بيعها بالمراد العلنى.

ونظراً لنجاح مشروع تنمية وتطوير حي السلام وحي أبو عطوة والإستجابة بطلب مواطني الأجهزة الشعبية والمحلية ومواطني محافظة الإسماعيلية للتهوض بكافة المناطق الشعبية التي تعاني من قلة المواقف والخدمات وإحتياجها للتطوير العمرانى الشامل فقد قامت المحافظة بإنشاء مشروع تنمية وتطوير منشية الشهداء، ثم تم تطوير مناطق نقيشه، على عبيد، البيهتني، محمد عبيد ليشمها التطوير أيضاً.

ولم يقتصر الأمر على المدينة بل إتجه التطوير أيضاً إلى مراكز المحافظة وبدأت بجنوب الإسماعيلية في قرية فنارة وفي شمالها بتطوير القنطرة غرب.

كما أنشئ جهاز التخطيط والتنمية العمرانية أنشئ سنة ١٩٨١ وتولى الإشراف على جميع مشروعات التطوير بالمحافظة وطور ثلاث مناطق مختلفة بمدينة الإسماعيلية: منطقة الصفا، منطقة المروه، منطقة زمزم حيث قام بإعادة تخطيطها وإمدادها بالمرافق والخدمات وتمليك المواطنين وأضعى اليد بأسعار رمزية^(٢).

(١) نشرات مشروع أبو عطوة، ومناقشة مع المسئولين عن المشروع في الموقع أثناء الزيارة الميدانية.

(٢) نفس المصادر.

+ تقارير مركز التخطيط الإقليمى بمحافظة الإسماعيلية.

الإسماعيلية الجديدة

وضعت المحافظة مقترحاتها بإختيار المنطقة المواجهه لمدينة الإسماعيلية بالضفة الشرقية لبحيرة التمساح لتكون الإسماعيلية الجديدة، وذلك ليكتمل شكل المدينة الحالى والمستقبلى حول بحيرة التمساح لما لهذا الموقع من أهمية متميزة وسهولة الإنتقال عبر المعديه رقم (٦) ومعديه طرسون فى الوقت الحالى، كما أن مناخ المنطقة لا يختلف عن مناخ الإسماعيلية، أيضاً يقع خلف هذا الموقع المنطقة المقترح إستزاعها بفكرة تعمير الصحارى والتي تخدم إحتياجات السكان بالمدينة الجديدة.

هذا الموقع على مساحة ٢٥٠٠ فدان ويستوعب ٢٥٠ ألف نسمة على أن يمثل مساحة الإسكان منها ٥٠٪ فقط، وقد روى أن تضم المدينة ٥٠ مجاوره سكنية كل مجاوره تستوعب ٥٠٠٠ نسمة على مساحة ٢٥ فدان للمجاور به حيث تصل الكثافة السكانية ١٥٠ فرد/فدان، كما روى أن تكون المدينة ذات طابع سياحى بالدرجة الأولى خاصة المنطقة التى تحيط ببحيرة التمساح لتستوعب ٨٠٠٠٠ نسمة من إجمالى عدد السكان المتوقع للمدينة.

أما جسم المدينة الذى يحيط بالمنطقة السياحية فإن عدد السكان سوف يصل إلى ٧٠٠٠٠ نسمة. ومن هنا كان التخطيط المستقبلى حتى سنة ٢٠٠٠ موضع إعتبار حيث تنمو المدينة ليس فقط فى مكانها الحالى إنما مستغله الضفة الشرقية للقناه والتي إمتدت حدود محافظات القناة بها إلى مايقرب من ١٠ كيل مترات فى العمق، وبذلك سيتمكن إستيعاب أیه زيادة سكانية فى الفترة القادمة.

من هنا نجد أن التخطيط العمرانى لمدينة الإسماعيلية خاصة فى الفترة من ١٩٧٢ حتى الآن وإلى سنة ٢٠٠٠، قد راعى لحد كبير كل الثغرات التى عليها الوضع الحالى. وأهم هذه الثغرات هو وضع مدينة الإسماعيلية فى الشكل الطبيعى لإى مدينة، حيث نلاحظ أن شكلها القديم ان مجرد شريط طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب حول بحيرة التمساح وهو شكل يتنافى مع الشكل الطبيعى لأى مدينة. ومن هنا كان هدف التخطيط أن يعتمد العمران غرباً وجنوباً حتى يحدث التوازن الشكلى الطبيعى، فإذا زدنا عليه الإمتداد شرقاً عبر قناة السويس ليمتد داخل أرض أسيناء ومايحطه ذلك من معانى سياحية وإستثمارية ترسى قواعد إقتصادية متينة لسكان المحافظة ومايحطه من مشروعات سياحية وإستثمارية تجعل للمحافظة وجمهورية مصر عامة شأن فى مجال السياحة العالمية.

(١) تقارير مركز التخطيط الإقليمى بمحافظة الإسماعيلية، مع مناقشة مع الدكتور مدير المركز أثناء الزيارات الميدانية.
+ تقارير إدارة التخطيط العمرانى بالمحافظة.
+ نشرات مركز المعلومات والتوثيق بمحافظة الإسماعيلية - إدارة النشر (رقم ٥).

وجدير بالذكر أنه قد تم إختيار الإسماعيلية من بين ٢١٢ مشروع معمارى فى مختلف دول العالم حيث فاز مشروع حى السلام وأبر عطوه بالجائزة التقديرية لمنظمة الأغاخان ضمن ستة مشروعات أخرى جاء مشروع الإسماعيلية فى الترتيب الثالث بينهم.

وقد كانت هذه الجائزة دليل على أهمية مشروعات المحافظة فى تنمية المجتمعات الريفية والحضرية على السواء، وهى لاشك إتجاه جديد فى سياسة بناء المجتمعات الجديدة وتحديث الحياة الإجتماعية للسكان فى الأحياء الفقيرة والمجتمعات ذات الطابع الريفى المجاور للمدن.

وهى نقطة تحول بالغة الأهمية فى تطوير النمط الإسكانى لإصحاب الدخول المحدودة فى مصر حيث قدم نمونجاً جديداً فريداً لبناء المساكن وبتكاليف قليلة لإصحاب الدخول البسيطة^(١).

ولا يفوتنى فى هذا الجال أن أذكر أن التخطيط بالصورة التى تمت قد شابها بعض العيوب أهمها أنه قد تم عمل التخطيط بصورة مطلقة حيث وضع فى الإعتبار منطقة معسكر الجلاء كمناطق إسكانية دون مراعاة لصعوبة إخلائها من القوات المسلحة لتعيرها وقد يكون العنر فى ذلك عدم فهم الخططين الأجانب لتعذر إخلاء هذه المنطقة - أما النقطة الثانية هى إعتداد التنمية على أنوارد الذاتية تجنياً للضغط على الموارد القومية، إلا أن ذلك يطيل أمد التنفيذ وقد يكون هناك حاجة ملحة لا يستقيم معها هذا الأسلوب، إلا أنه مع ذلك يمكن وضع الأولويات فى التنفيذ وهذا هو ماحدث بالفعل.

ويمكن القول بصورة عامة أن التخطيط العمرانى لمدينة الإسماعيلية فى الفترة مابعد العدوان أو العودة إنما هو مثال فريد للتنمية الذاتية التى تعتمد على نفسها وتسمى لحل مشاكلها وبالذات الإسكانية معتمدة على قدرة البعض لتموين الباقين، وقد تجحت فى ذلك نجاحاً أشاد به المسئولون وطالبوا باقى المحافظات لتقليده بمافيه من نجاح فى حل مشكله الإسكان.

النتقيات

١. التمويل الذاتى كان أقل من النمو الكبير فى التطوير والتنمية بحيث لم يكن بنفس القدر الأمر الذى جعل العمران يمتد دون أن يواكبه وينفس القدر العمل فى البنية الأساسية من إنشاء شبكه للصرف والمياه والكهرباء، وهى من البنية الأساسية للمشروع مما جعل هناك قصوراً فى تلك الخدمات تعجز عن سد التطور الهائل بالجهود الذاتية فهى ميزانية قومية.

٢. لنفس السبب كانت الخدمات التعليمية والصحية والثقافية لاتسد بنفس القدر أيضاً.

٣. التطور كان ذاتياً وبالتالي لم يكن هناك إمكانيات التي تساعد على التخطيط المثالي للشوارع وإنما تم التطوير بأقل قدر ممكن من التغيير في التخطيط القائم مما جعل كثير من السبلات والأخطاء تظهر دون إمكانيات معالجتها وإلا كان الثمن أكبر من قدره المشروع الذاتية.
٤. منطقة الحكر ذات الكثافة السكانية العالية ويتخططها القديم وطبيعة أهاليها ومستوى الدخل فيها لم يكن من الممكن فيها التغيير وإعادة التخطيط، وإنما كان التطوير يتم بأقل قدر ممكن ولذا جاءت سبلاتها واضحة ويصعب تجنبها^(١).

الترصيات

١. أن يتم وضع ميزانية إستثنائية قومية لتواكب الجهود الذاتية الغير مادية التي تمت وذلك بأن يتم إنشاء شبكة الصرف الصحي والكهرباء والمياه تخفيفاً للمشاكل الناتجة من قصور الجهود الذاتية عن تغطيتها.
٢. قيام الهيئات القومية كهيئة قناة السويس وهيئة الكهرباء وهيئة الصرف الصحي لتحمل نصيبها من المساهمة كالجهود الذاتية تماماً، والنتيجة النهائية أنها كانت إكليل يوضع فوق رأس مصر ويفخر به كل من ساهم في هذا العمل المتكامل.

ثالثاً: الإستخدام الزراعي والحيواني

وبالنسبة للإستخدام الزراعي والحيواني فقد قطعت المحافظة شوطاً كبيراً في مجال الإستصلاح الزراعي خاصة في الصالحية، وقد زرعت عديد من الأنفحة بالقواكه والخضروات والنباتات الزيتية، كذلك التوسع في زراعه النباتات الطبية و العطرية ونباتات الزيت وبعض المحاصيل الأخرى طبقاً لنوع التربة وتصنيفها، وذلك للإسهام في تحقيق من الإكتفاء الذاتي منها وتخصيص مساحات للإنتاج بغرض التصدير والتصنيع...

وتتميز المنطقة المخطط إستصلاحها بقربها من مصادر المياه: فترعة الإسماعيلية وفرعها إلى السويس وبورسعيد يمكن توسيعها لزيادة كمية المياه بما يكفي لرى المساحات الجديدة، كما أن وجود المنطقة المخطط إستصلاحها ملاصقة لأراضى الدلتا، يجعل المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض مما يجعل حفر الآبار لرى مساحات واسعة بواسطة هذه الآبار عملية إقتصادية وغير مكلفة، ولاتقارن بالتكاليف الباهظة التي يتكلفتها حفر الآبار في الوادى الجديد حيث المياه الجوفية على عمق كبير تحت سطح الأرض، كما أن مياه الرى بإستخدام مياه الآبار في الأراضى المخطط إتمام إستصلاحها بالإسماعيلية سيخفض لحد ما منسوب هذه المياه الجوفية في أراضى شرق الدلتا المزروعة حالياً فتزيد بذلك خصوبتها، كما نص

المخطط على أنه يلزم التوسع فى الصناعات المتعلقة بالنشاط الزراعى بهذه المنطقة. كذلك تشييد قرى جديدة طبقاً لتصميم حديث، وقد قطعت المحافظة شوطاً كبيراً فى هذا المجال^(١).

وفى مجال الموارد الأرضية والمائية

- إعطاء دفعة لأنشطة إستصلاح الأراضى للأفراد والجمعيات وتمليكهم هذه الأراضى وتعبيد الطرق الصحراوية وزيادة الوقعة الزراعية والخروج من الوادى الضيق.
- العمل على تحويل نظم الري بالغمر إلى الري الحديث والوش بالتقسيط فى الأراضى الجديدة والقديمة أيضاً.
- العمل على الإستفادة من مياه المصارف وخلقها بمياه الترع لتوفير المياه للتوسع المنتظر فى الزمام المنزوع.
- إجراء الأبحاث اللازمة على المياه الجوفية وتحديد صلاحيتها بالمناطق الصحراوية.
- العمل على الإستفادة بالمياه الجوفية بالأراضى القديمة لصلاحيتها وإنخفاض تكلفة رفعها لتوفير مياه الري لأكبر مساحة يمكن زراعتها .
- العمل على التوسع فى إنشاء محطات الخدمة الآلية ونشر المكنة الزراعية وتمليك الزراع المعدات الصغيرة وإقامة الورش للصيانة والإصلاح وتوفير قطع الغيار.
- ولقد لوحظ من التحليل السابق للتخطيط الإقتصادى للمحافظة مراعاة تأثير الظروف والعوامل الجغرافية، لأن النشاط البشرى مخطط أساساً على إستصلاح الأراضى حيث ترعة الإسماعيلية - كما سبقت الإشارة - وفروعها إلى بروسعيد والسويس، القرب النسبى من التربة والمصارف الأخرى المجاورة وكذا الجوار لأرض الدلتا، مع قرب المياه الجوفية من سطح الأرض، الأمر الذى يساعد على الري الإقتصادى. إلا أنه يجب أخذ الإحتياطات اللازمة من الرمال المتحركة التى قد تهدد الأراضى الزراعية الموجودة والمخطط لها.
- كل هذه الإجراءات أثرت على نهوض القرى بتلك المنطقة وغناها بالمحاصيل الزراعية الأمر الذى يؤثر بدوره على التوجيه الصناعى بها ويجعل أغلب الصناعات زراعية أساساً حيث أن هذه المحافظة فقيرة فى مواردها الطبيعية على غير الوضع بالنسبة لمحافظة السويس^(٢).

(١) أنظر أراضى الإستصلاح الزراعى فى خريطة إستراتيجية التنمية لمحافظة القناة (شكل ٢).

+ Ismailia Master Plan, Op. Cit.

(2) Ibid.

+ أنظر خريطة المخطط العام الشامل لمحافظة الإسماعيلية (شكل ١٩).

وفي مجال الثروة الحيوانية نلاحظ مايلي

- التوسع في إنشاء المزارع المتخصصة من الماشية لإنتاج اللحوم والألبان لتوفير إحتياجات المواطنين.
- التوسع في إنشاء مزارع الأغنام والماعز.
- التوسع في إنشاء مزارع الأرانب والدواجن.
- إنشاء مصانع لتوفير الأعلاف غير التقليدية.
- التوسع في إنشاء وحدات تصنيع منتجات اللحوم والألبان والإستفادة من مخلفاتها.
- إنشاء مراكز البحث العلمي للإرتقاء بمستوى الأبقار والجاموس المصرية وإنتاج النواجن المصرية.
- ومشروع التسمين في ١٩٨٦/٥/١١ ويهدف إلى توفير اللحوم الحية والمزبوحة للأهالي بدائرة المدينة والمحافظة، وتوفير اللحوم البيضاء والبيض وإنتاج السماد البلدي.
- تنمية الثروة السمكية بالبحيرات المره وبحيره التمساح والبرك المتوفرة بالتل الكبير والقنطرة:

ولقد قطعت المحافظة شوطاً بالغ الأهمية في هذا الشأن. من المشاريع الهامة بهذا الخصوص مشروع المزرعة السمكية ويقع على بعد ٣ كيلو من مدينة القنطرة شرق على مساحة ٥٠٠ فدان وبدأ العمل بها منذ ١٩٨٠/١١/٣٠، وهدفه تنمية الثروة السمكية وطرح الناتج منها في الأسواق بأسعار رخيصة وتحقيق الإكتفاء الذاتي من الأسماك بالمدينة.

رابعاً: الإستخدام الصناعي

طبقاً للتخطيط العام لمدينة الإسماعيلية حتى سنة ٢٠٠٠ قد تم إنشاء منطقة صناعية غرب مدينة الإسماعيلية، وعلى بعد ٦ كم من وسطها.

وهي تضم المناطق التالية:

١. المنطقة الصناعية الحرة.
٢. المنطقة الصناعية الأولى.
٣. المنطقة الصناعية الثانية.

بالنسبة للمنطقة الحرة الصناعية نلاحظ أن مساحتها ١٢٠٦ فدان وقد تم بناء الأسوار وأبراج الحراسة ويتم حالياً تنفيذ شبكة الطرق الداخلية وشبكة المياه كما أنه جاري دراسة شبكة الصرف الصحي وتصميم شبكة الكهرباء بعدها يتم الترويج للمشروعات^(١).

(١) تقارير مركز التخطيط الإقليمي بمحافظة الإسماعيلية
+ خريطة المخطط العام لمحافظة الإسماعيلية (شكل ١٩).

المنطقة لصناعية الأولى:

مساحتها ٢٦٥ فدان وقد تم تنفيذ جميع الطرق كما تم إنشاء شبكة طرق كاملة وتم تغذية المنطقة بالكهرباء، وتم تنفيذ شبكة المياه وجارى دراسة تصميم شبكة الصرف الصحي بالمنطقة وقد تم توطین ١٦ مشروع صناعى جارى تنفيذ ١٤ مشروع.

المنطقة الصناعية الثانية

مساحتها ٢٦٢ فدان وقد قامت المحافظة بتنفيذ المرافق الأساسية وهى الطرق والكهرباء، المياه وجارى دراسة تصميم شبكة صرف المصانع كما تم توطین ٢٩ منشأة صناعية وجارى إقامة مبانيهم^(١).

خامساً: مناطق الإستخدام السياحى بالمحافظة

تتمثل فى تنمية شواطئ بحيرة التمساح وإقامة عديد من المشروعات السياحية التى تقع شمال البحيرة وجنوبها وكذلك تنمية شواطئ البحيرات المره التى تقع فى زمام محافظة الإسماعيلية حيث تشييد المدن والقرى السياحية على شواطئ تلك البحيرات فضلاً عن إقامة أندية شاطئية ومخيمات للشباب.

ومما تجدر ملاحظته أن محافظة الإسماعيلية قد نالت القسط الأعظم والأكبر من خطة التنمية السياحية لمحافظة القناة لعظم مساحتها وتوامى أطرافها مقارنة بإقى المحافظات، وتوفر المرافق الأساسية كما سبقت الإشارة، كما أنها تضم بين أرجائها شواطئ بحيرة التمساح والبحيرات المره الكبرى التى يمكن أن تكون بديلاً لشواطئ البحر المتوسط.

وتمتاز هذه الشواطئ بأنها خالية من الأمواج قليلة العمق تصلح لأن تكون مصيفاً وملجأ سياحياً لا يقل جمالاً عن مصايفنا المعروفة.

ومن أهم مميزاتها أيضاً إستقرار مناخها وإعتداله على مدار السنة كما يقضح من التحليل التالى لعناصره بالمحافظة.

فنظره إلى الجدول والرسم البيانى الخاص بتحليل العناصر الرئيسية للمناخ بالمحافظة يتبين الآتى:
إن موسم الصيف وهو المهم بالنسبة للسياحة والتصريف نلاحظ أن درجات الحرارة مرتفعة فى شهور الصيف وقد تصل أقصاها فى شهرى يوليو وأغسطس وهى فترة الذروة للسياحة والتصريف، لكن يخفف من حده ذلك هبوب الرطوبة النسبية إلى حد ما وزيادة اليخر ووجود مسطحات البحيرات الملطقة كما أن موسم الصيف خالٍ تماماً من سقوط الأمطار فلا توجد أى معوقات لحركة السائح وأن معدل أدنى درجة حرارة على مدار السنة فى أشد شهور السنة برودة لا تقل عن ٧م^(٢).

(١) تقارير مركز التخطيط الإقليمى بمحافظه الإسماعيلية.

+ خريطة المخطط العام لمحافظة الإسماعيلية (شكل ١٩)

(٢) أنظر نفس الخريطة

+ الجدول والرسم البيانى الخاص بتحليل العناصر الرئيسية للمناخ بالمحافظة.

ويناءً على ذلك نجد أن موسم المصيف للمصريين والسياح العرب يمكن أن يكون من أول شهر مايو حتى آخر شهر سبتمبر لمدة خمسة شهور سنوياً. أما بالنسبة للسياح الأجانب وخاص من دول الشمال فإن موسم المصيف والسياحة يمكن أن يكون من أول مارس حتى آخر نوفمبر لمدة تسع شهور، وبالتجاوز يمكن القول بأن موسم المصيف والسياحة يمكن أن يمتد على مدار السنة حيث أن أدنى معدل درجة حرارة في أشد شهور السنة برودة لا يقل عن سبع درجات مئوية كما أشرنا ومعدلات درجة الرطوبة معقولة جداً وأن هناك فترة جفاف تتجاوز ٤ شهور في السنة وكميات المطر التي تسقط على مدار السنة مناسبة لاتزعج السائح أو المصيف، فالسائح يتمتع على شواطئ الإسماعيلية بالدفء وأشعة الشمس الذهبية والجو المنعش شطراً طويلاً من السنة

وقد تم تخطيط العديد من المشروعات السياحية على بحيرة التمساح والبلاخ والبحيرات المرة الكبرى وإنشاء عدة فنادق بدرجاتها المختلفة، بعض هذه المشروعات قد تم بالفعل والبعض الآخر مازال تحت التنفيذ.

التنمية السياحية والترويجية لمنطقة بحيرة التمساح

نستهل هذا العنصر بتحليل لطبيعة المنطقة وخصائصها الجغرافية:

١. الموقع الجغرافي

تقع بحيرة التمساح في محافظة الإسماعيلية ملاصقة لمدينة الإسماعيلية وتعتبر هذه البحيرة جزء من مجرى قناة السويس في منتصف المسافة بين السويس وبورسعيد، يبلغ طول البحيرة ٤ كم بينما يتراوح عرضها ما بين ٢,٥، ٢,٥ كم وهي بحيرة هادئة لاتوجد بها أية أمواج.

وتتميز بجمال المنظر حيث تحيط بها الأشجار في معظم شاطئها الغربي كما تطل جزيرة الفرسان على الجزء الشمالي منها.

ولانتسى جمال المنظر الذي يحققه مرور قوافل البواخر في البحيرة متجهه إلى السويس أو بورسعيد.

٢. سهولة الوصول للمنطقة

يعتبر سهولة الوصول إلى المنطقة السياحية أحد العوامل الرئيسية التي تؤثر في إختيارها، وبحيرة التمساح تتميز بهذه الخاصية، وهذا يجعل شواطئها أقرب إلى القاهرة وفي متناول رحلات اليوم الواحد كما أن سهولة الوصول إلى المنطقة هام أيضاً لراغبي قضاء أجازات طويلة في المصيف وتعتبر مسافة ١٢٠ كم التي توصل إلى بحيرة التمساح أفضل من مسافة ٢٠٠-٢٦٠ كم اللازمة للوصول لمصايف البحر المتوسط،

كما أن وجود إتصال بالشاطئ الشرقى للبحيرة عن طريق نفق الإسماعيلية المخطط إنشاؤه ضمن خطط التعمير لمنطقة القناة يمكن أن يضم الشواطئ الشرقية إلى المنطقة السياحية^(١).

الظروف المناخية

بالنسبة للمناخ الحار الجاف كمناخ جمهورية مصر العربية، تكون مميزات الظروف المناخية للمنطقة هامة جداً، خاص في الفترة من مايو حتى أكتوبر عندما يكون جو المدن حار جداً ويؤكد ذلك الأعداد الضخمة التي تهرب من جو القاهرة إلى نسيم الإسكندرية في أشهر الصيف، وهنا تظهر مسألة الجذب النسبي لبحيرة التمساح مقارنة بالقاهرة والإسكندرية.

ولقد لوحظ أنه بالرغم من أنه في أشد شهور السنة حرارة - أغسطس - تكون الإسكندرية أقل حرارة من منطقة التمساح (٢٧م في مقابل أكثر من ٣٠م) إلا أن منطقة البحيرة تتميز بفصل أطول من ناحية ظروف المناخ، كما أن متوسطات السرعة الكبيرة للرياح في الإسكندرية تعتبر ميزة في الجو الحار، إلا أنها تمنع البدء مبكراً في قضاء موسم الاجازات على شاطئها، أما بحيرة التمساح فإنها تكون دافئة في وقت مبكر من السنة عن شواطئ البحر المتوسط وهذا يساعد على زيادة طول موسم التصنيف على شاطئ البحيرة.

ومن الملاحظ أنه في منطقة بحيرة التمساح يكون للبحيرة التأثير الرئيسى على المناخ المحلى وهذه لها تأثيران: أولاً أن حركة الرياح فوق سطح المياه تقلل من حرارة الرياح نظراً للحرارة الكامنة التي تستخدم لحصول البخار معطية ميزة للأماكن التي تهب عليها الرياح من اتجاه البحيرة وثانياً أن الفرق بين درجة الحرارة للأرض والمياه ينتج عنه حركة محلية للرياح من البحيرة إلى الشاطئ بعد الظهر ومن الأرض إلى البحيرة ليلاً، وهذا التأثير يظهر حتى مسافة ٤٠٠ متر تقريباً على الأرض، ويظهر بوضوح أكثر في حدود ٢٠٠ متر من الشاطئ وهذا يعتبر عاملاً هاماً وكافياً لتحديد أماكن التنمية السياحية في حدود ٢٠٠ متر من شاطئ البحيرة.

وتوضح خلاصة الدراسة المناخية لمنطقة بحيرة التمساح بأن هناك ستة أشهر ذات حرارة مرتفعة وفصل الشتاء مشمساً وجافاً على عكس الشاطئ الشمالى، وهذه الميزة مضافة إلى قصر المسافة من القاهرة سوف تحقق جذباً على مدار السنة لرحلات آخر الأسبوع على عكس شواطئ البحر المتوسط.

(١) Ismailia Master Plan Study, Tourism, Op. Cit.

أنظر موقع بحيرة التمساح على خريطة المخطط العام الشامل لمحافظة الإسماعيلية (شكل ١٩).

٤. طبيعة المياه والشاطئ

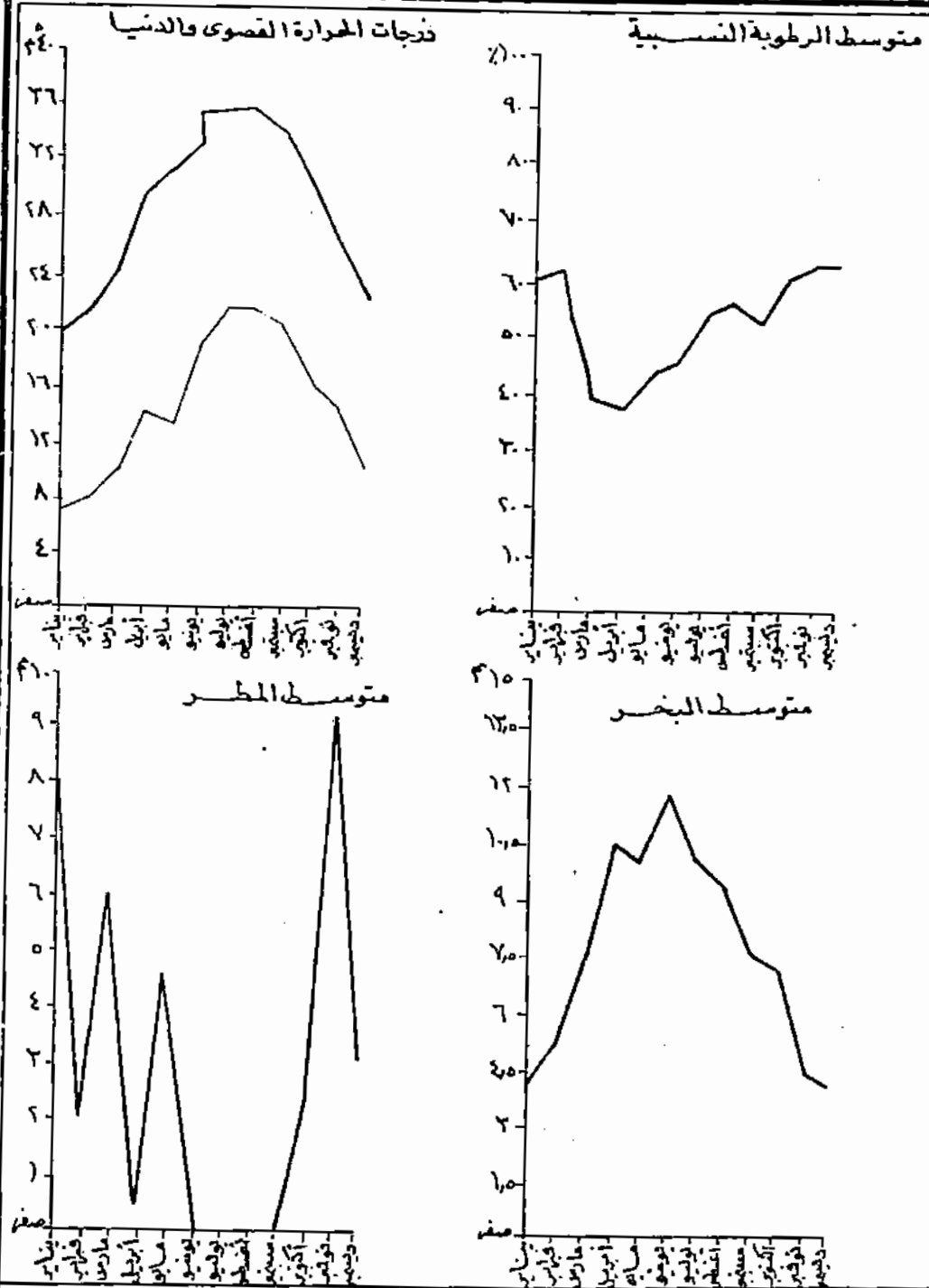
هناك عاملان هامين لمنطقة البحيرة هما نوع وعمق المياه، واتساع وطبيعة الشاطئ، وبحيرة التمساح مياهها مالحة لذا لا يتعرض المستحمين فيها للإصابة بالبلهارسيا، وتحتاج المسباحة إلى عمق مياه لا يقل عن متر، والمراكب الشراعية عمق ١٥ متر، والتجديف عمق ١٨٢ متر، لذا فإن أعماق المياه أمر هام وحيوى وهى التى تحدد المناطق الصالحة من البحيرة كما نلاحظ أنها مجال هام للرياضات المائية المتنوعة، أما شاطئ البحيرة فهو من الرمال الناعمة يبلغ عرضه فى معظم أجزائه ١٥-٢٥ متر وفى بعض المناطق يزيد عن ذلك^(١).

(١) Ismailia Master Plan, Op. Cit.
أنظر الجداول التفصيلية لعناصر مناخ الإسماعيلية وكذا الرسم البيانى الخاص بذلك (شكل ٢٠).

جدول تفصيلي للمناخ في الإسماعيلية

شهر السنة	أقصى درجة حرارة	أقل درجة حرارة	متوسط الرطوبة %	متوسط البخر مم	متوسط الأمطار مم	أقصى كمية أمطار في اليوم مم
يناير	١٩٫٩	٧٫١	٦١	٤٫٢	٨	٨٫٤
فبراير	٢١٫١	٧٫٧	٦٣	٥٫٠	٢٫١	٣٫٦
مارس	٢٣٫٩	٩٫٩	٤٠	٧٫٥	٦	٧٫٣
أبريل	٢٨٫٧	١٣٫٠	٢٨	١٠٫٦	٠٫٥	١٫٨
مايو	٣١٫٢	١٢٫١	٤١	١٠٫١	٤٫٦	٦٫٠
يونيو	٣٥٫١	١٩٫٥	٤٣	١١٫٩	—	—
يوليو	٣٥٫١	٢٠٫٩	٥٣	١٠٫٣	—	—
أغسطس	٣٥٫١	٢١٫٢	٥٥	٩٫٣	—	—
سبتمبر	٣٢٫٨	١٩٫٢	٥٢	٧٫٨	—	—
أكتوبر	٣٠٫٣	١٦٫٤	٥٨	٧٫١	٢٫٩	١١٫١
نوفمبر	٢٥٫٧	١٢٫٨	٦١	٤٫٥	٩٫٦	٢٣٫٠
ديسمبر	٢١٫٦	٨٫١	٦١	٤٫١	٣٫٠	٣٫١

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوية في محافظة الإسماعيلية.



العناصر المناخية الرئيسية لحافة الإسماعيلية
(شكل ٢٠)

بيانات هذا الرسم البياني على أساس الجدول التفصيل لعناصر المناخ بالإسماعيلية

٥. توفير الأرض

من الواضح أن تخطيط المشروع السياحي يجب أن يتجنب - قدر الإمكان - استخدام الأرض الزراعية. وفي منطقة بحيرة التمساح نجد أن هناك عدداً من معسكرات القوات المسلحة مثل معسكر جبل مريم المطل على الجزء الجنوبي من البحيرة وبعض المعسكرات تطل على الجزء الشمالي منها مثل معسكر جزيرة الفرسان، واستخدام هذه المعسكرات ضمن تخطيط المنطقة سوف يقلل إلى حد كبير استخدام الأرض الزراعية. ونظراً لأن طريق القناة يمر ملاصقاً للشاطئ الغربي لبحيرة التمساح مما يقلل من فرص التوسع في المستقبل فإن هيئة قناة السويس ووزارة الإسكان والتعمير وافقتا على إنشاء طريق جديد يبعد بعض الشيء عن شاطئ البحيرة الغربي.

كما يلاحظ أنه قد تم الاحتفاظ بأحد حصون خط بارليف شرق الإسماعيلية الذي إستولت عليه قواتنا المسلحة في حرب العاشر من رمضان وأصبح مزاراً يتوافد عليه جميع المصطافين وزوار المنطقة.

٦. توفير المرافق

إن توفير المرافق ممثلة في الطرق والمياه والكهرباء والصرف الصحي والاتصالات السلكية واللاسلكية أحد الاعتبارات الهامة. إذن وجود البنية الأساسية المتكاملة شرط أساسي لأي تنمية عمرانية وسياحية.

والشاطئ الغربي للبحيرة تخدمه الطرق الجيدة وعلى مقربة من شبكة المياه والصرف الصحي بمدينة الإسماعيلية وكذا مصادر الطاقة الكهربائية. أما الشاطئ الشرقي للبحيرة فسيكون على مقربة من شبكة الطرق بمجرد إنشاء نفق الإسماعيلية وكذا بالقرب من المياه ومصادر الكهرباء.

٧. إمكانات التسويق للمنطقة

عند تحليل إمكانات التسويق لمنطقة بحيرة التمساح، ركزت على دراسة المصايف الموجودة حالياً في مصر. إن مصايف شاطئ البحر المتوسط وبصفة خاصة مدينة الإسكندرية قد أصبحت مكتظة في موسم الاجازات سواء بالمصطافين من المصريين والعرب مع نسبة محدودة من الأجانب، ومع مرور الوقت وزيادة أعداد السكان وأعداد السياح أصبحت الإسكندرية غير قادرة على مجابهة الزيادة المنتظرة في أعداد المصيفين، كما أن الشواطئ الجديدة بغرب الاسكندرية على الشاطئ الشمالي نجدها بعيدة عن القاهرة وأغلبها قاصر على ذوى الدخل العالية.

لذا فإن مصايف بحيرات قناة السويس ومن بينها بحيرة التمساح نجدها منطقة جذب سياحي لئلاها من مزايا عديدة كما سبق أن أوضحت، وسوف يكون الجزء الأكبر من زوار مصايف بحيرة التمساح من متوسطى الدخل مع جزء من مرتفع الدخل سواء من السياح أو رجال الأعمال العرب والأجانب الذين يشتركون فى خطط التعمير بمحافظات السويس وسيناء.

ولكن رغم هذه الخصائص والمميزات التى تتميز بها منطقة بحيرة التمساح كمناطق سياحية إلا أنه يوجد سلبيات فى خصائصها لأنه ينتر أن توجد منطقة سياحية بلا سلبيات، لكن المهم هو معرفة هذه السلبيات وتقليل تأثيرها.

- من المؤسف حقاً أن تصرف المجارى فى بحيرة التمساح رغم إمكاناتها وثروتها السياحية وكثرة المترددين عليها خاصة من الأجانب إضافة إلى أنها تعد واجهة فندق إيتاب - أربع نجوم - بل أكبر فندق فى الإسماعيلية كلها...!! فلابد من تدارك هذا الأمر قبل فوات الأوان
- إن بحيرة التمساح تفتقر إلى الميزة الواضحة لشواطئ البحر المتوسط، حيث الشواطئ بعرض كاف يسمح للمصطافين بالتمتع بصنوف الرياضة.
- إنه لمن الممكن التغلب على هذا النقص بإقامة شواطئ صناعية بعرض كبير يستخدم الزمال الموجودة فى الكثبان الرملية المنتشرة حول البحيرة.

إن أحد الصعوبات الرئيسية لبحيرات قناة السويس ومن بينها بحيرة التمساح هو أنها غير معروفة للسوق السياحي، وعلى العكس فإن أحد المغريات لمصايف البحر المتوسط هو وجود مجتمع الصيف ووسائل التسلية والترفيه القائمة فعلاً. ولهذا السبب فإنى أوصى بأن تُبذل جهود جبارة منذ البداية عن طريق الإعلان الخارجى والداخلى لتحقيق الجذب إلى هذه المنطقة، خاصة وإن بحيرة التمساح قريبة من مدينة الإسماعيلية بما لها من شهرة جذابة. كما أن تخفيض الإيجارات وتكاليف الإقامة فى السنوات الأولى سوف يؤدى إلى نجاح هذه المنطقة فى مجال السياحة. لقد بذلت جهود لا بأس بها فى هذا المجال لكن نريد المزيد والمزيد.

وهذه السلبيات يجب ألا يكون تأثيرها كبيراً لأن الخصائص الفريدة الأخرى يمكنها أن تعوض هذا النقص ومن هذه الخصائص على سبيل المثال الهدوء والرومانتيكية والسباحة الآمنة والرياضات المائية المتنوعة.

المشروعات السياحية بمنطقة بحيرة التمساح

١. قرية النورس السياحية (بالإسماعيلية)

تقع على مساحة حوالي ٤٧ فدان وتطل على بحيرة التمساح شمال نادى الفيروز بطول ٢٢٣ متر يحدها شركة الشرق الأوسط للفندقة والسياحة بطول ٤٢٦ متر ومن الغرب الطريق الرئيسي إمتداد شارع الجمهورية بطول ٤٨٦ متر المؤدى إلى بلاج التعاون والموصل إلى طريق القناة - الإسماعيلية - قايد - السويس وتقع على بعد ١١٥ كم وعلى مسيرة ٧٥ دقيقة بالسيارة من مدينة القاهرة. وبذلك يمكن لزارعها أن يذهب إليها ويتمتع بقضاء يوم كامل ثم العودة فى نفس اليوم دون مشقة خصوصاً مع إزدواج طريق الإسماعيلية/القاهرة الصحراوى. ويتميز المشروع بالمنطقة الشاطئية والذي يعتمد على طول شاطئ البحيرة ٦٣ متر ويعمق ٥٠ متراً.

وقد تم تخطيط القرية بشكل متميز وزعت وحدات المشروع على ثلاث نوعيات ترضى كافة الرغبات والإمكانات حيث تجد الشاليهات والفيلات والشقق وزودت بالحدائق والملاعب ومستلزمات الشاطئ. ويحتوى المشروع على ١٦٠ شاليه، ١١٨ فيلا ، ٣٦٠ شقة فى ٢٠ عمارة، كما يشتمل المشروع على ٢٨ محل تجارى وتوفير كل الخدمات الترفيهية المطلوبة.

وتمتتع قرية النورس بجو ريفى لم تعتمد إليه أيدي التلوث، وبذلك فهو يعتبر مثالى للباحثين عن الراحة والجمال والخيال ولقد صممت مبانيها على الطراز المعمارى العربى ويوجد على البحيرة فندق إيتاب - أربع نجوم - ١٧٦ حجرة. ٢٠ شاليه يعد أكبر فنادق الإسماعيلية. وأفتتح على البحيرة أيضاً فندق الشرق الأوسط ثلاث نجوم.

قرية الجنودول السياحية

على بحيرة التمساح، مساحتها ٢٦ فدان تابعة لشركة الإسماعيلية الوطنية للإستثمارات العقارية وحداتها ١٠٠ وحدة سكنية، مابين فيلات متميزة لوكس وشاليهات ووحدات سكنية فى عمارات بالإضافة إلى مدينة ملاهى وفندق. ولقد تم العمل والإنتهاء من المرافق الخاصة بالقرية وتحتوى على ١٦٠ شاليه، ١١٨ فيلا مكونه من طابقين، ٣٦٠ وحدة سكنية فى ٢٠ عمارة بالإضافة إلى ٢٨ محال تجارى^(١).

منطقة الواحة

تقع على مساحة حوالي ١٠٠ فدان بالجهة المواجهة لقرية الجنودول، ومازالت فى مرحلة الدراسة لبحث إمكانية إستغلالها فى إقامة العديد من المشروعات السياحية بهذه المنطقة مما يضيف العديد من المنشآت: فنادق، شاليهات أو فيلات وسوق تجارى وخلافه.

(١)

نشرات وتقارير إدارة السياحة بمحافظة الإسماعيلية.
+ زياراتى الميدانية للموقع ومناقشة المستثمرين هناك. + أنظر خريطة التنمية السياحية والترفيهية لمنطقة بحيرة التمساح (شكل ٢١)

منطقة ارت سيتي

وهي الخاصة بشركة الإسماعيلية الوطنية للفنون ومخصصة لإقامة مدينة الفنون وتقع على مساحة ١٠٥ فدان تقريباً جنوب مدينة الإسماعيلية، ولم تبدأ الخطوات التنفيذية بعد.

النوادي والشاطئ

توجد مجموعة من النوادي ذات الشواطئ المطلة على بحيرة التمساح معثله فيما يأتي:

١. نادي التعاون: تم إعداد ١٦ كيبنة لقضاء اليوم الواحد خلال موسم الصيف.
 ٢. نادي الفيروز: على بحيرة التمساح تحفه معمارية رائعة والشاطئ هنا متميز، تمارس فيه صنوف الرياضات المائية.
 ٣. نادي الإسماعيلية البحري: (الشاطئ الشعبي سابقاً) على بحيرة التمساح وقد تم تطويره وإضاءته وعمل مرسى للأكوييس النهري.
 ٤. نادي الملاحة: تم إنشائه ١٩٨١ ويقدم أنشطة ثقافية - ترفيهية - سياحية - إجتماعية ورياضية إلى غير ذلك من النوادي ذات الشواطئ المطلة على بحيرة التمساح مثل نادي الشجرة والنادي الإجتماعي...^(١)
- ملحوظة: وجدير بالذكر أن نادي التخييل بحى الشيخ زايد بمساحة ٢٧ فدان يعتبر أول مجمع للأطفال على مستوى الجمهورية وبه نشاطات متنوعة لتعليم الكبار.

(١) محافظة الإسماعيلية: مركز المعلومات والتوثيق - إدارة النشر (النشرة ٥).

التخطيط السياحي لمنطقة البحيرات المرة

تقع البحيرات المرة فى الثلث الأخير من قناة السويس والتي يبلغ طولها ١٦٢,٥ كم من ميناء بورسعيد إلى ميناء بورثوفيق على خليج السويس.

تبدأ البحيرات المرة الكبرى من محطة الدفرسوار عند دائرة عرض ٢٥° ٣٠' عند الكيلو ١٠٠ حيث تضيق عند محطة كبريت مكونة البحيرات المرة الصغرى التي تنتهى عند جنيفه عند الكيلو ١٣٥ ودائرة عرض ٢٠° ٣٠' وتدخل فى نطاق محافظة السويس. ويبلغ طول البحيرات المرة حوالى ٢٥ كم وتقع على حافتها الغربية المحطات التالية: الدفرسوار - فايد - قناره - كسفريت - كبريت - وجنيفه ويتميز منطقة البحيرات المرة بمناخها المعتدل على مدار السنة ماعدا فترة الخماسين فى شهرى مارس وأبريل من كل عام، جوها ساحر ورمالها ناعمة فضلاً عن مياهها التركوازية الصافية المناسبة للإستحمام أغلب شهور السنة...

كما يعتبر سكان المنطقة من أهم العوامل التي تؤثر فى إتخاذها لطابع خاص بها وتجعلها مصدر جذب للسياح كخلفيه زراعية وبيئه جديدة بمعنى الكلمة عن حياه السائح فى وطنه الأصلي.

من المقومات السياحية الأخرى التي يتمتع بها إقيم البحيرات القرب النسبى من مدينة القاهرة مركز العمران والكثافة السكانية...

من هذه الدراسة التحليلية يتضح الإمكانيات الجمالية لإقليم البحيرات المرة الكبرى التي ترشحه لأن يحتل مركز ممتازاً ومرموقاً فى ميدان السياحة العالمية.

وتمشياً مع الخطة الشاملة لتخطيط منطقة محافظات القناة فقد كان لإقليم البحيرات المرة الكبرى نصيباً بارزاً فى المشروعات السياحية.

أهم هذه المشروعات^(١)

١. فايد: محطة فايد على دائرة عرض ٢٠° ٣٠' وخط طول ٣٢° ٣٠' تمر بها السكة الحديد التي تصل الإسماعيلية بالسويس والقاهرة، مناخها معتدل على مدار السنة الأمر الذي يجعلها مشفى ومصبفاً عالمياً. ونجد أن مدينة فايد بصيرة عامة قد كثفت فيها مشاريع التنمية السياحية لمقومات الجذب السياحي ومكانتها الجغرافية المعروفة.

(١) Ministry of Housing and reconstruction, Advisory for reconstruction, Ismailia master plan, Op. Cit.

المشروعات السياحية شمال فايد

تتمثل أهم المشاريع السياحية في مدينة الدفرسوار شمال مدينة فايد ومخصصة لشركة الإسماعيلية الجديدة للإستثمار والسياحة يفرض إنشاء قرية سياحية وسكنية وتشتمل على موتيل ٢ نجوم (١٢٠) حجرة + مطعم وملحقاته وملعب، وحدائق علاج طبيعي وكل مستلزمات القرية السياحية وجارى حالياً التعاون مع شركة هيلتون العالمية لإدارة هذا المشروع.

- مشروع الشركة العمرانية بالرياحية: عبارة عن قرية سياحية متكاملة الخدمات بمنطقة أبو سلطان على مساحة حوالى خمس أفدنة وتشتمل على ١١ فيلا دور واحد، ٢١ فيلا دورين + ١٢١ شقة ذات الغرفتين وثلاث غرف + حدائق عامة، وأماكن إنتظار السيارات.

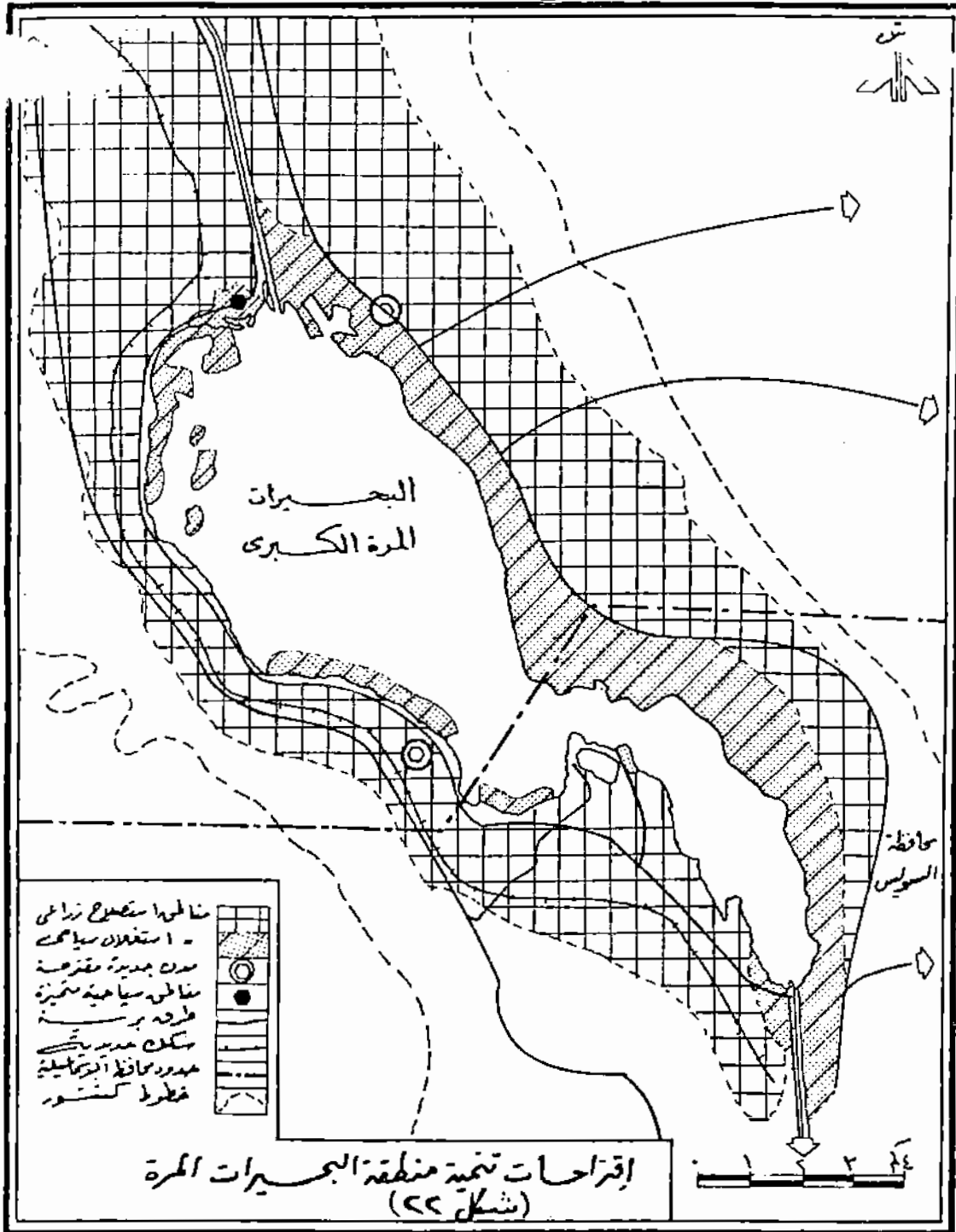
- مشروع شاليهات سيرايمم بقول فايد: وتشتمل على ١٦ شاليه، تم تنفيذها وإستقلالها.
- مشروع المشربية: ويتكون من ٨ فيلات لوكنس تم تسليمها لإصحابها وإعداد الشاطئ ليتلام مع طبيعة الموقف.

- مشروع الشركة النوبية للإستثمار والتعمير بفايد: (قرية المرجان)
يشتمل المشروع على ٤٠ فيلا سوپر لوكنس + ٥٠ شاليه فاخر مكيف وتم تجهيز المنطقة بسوبر ماركت + مطعم سياحى مع تجهيز الشاطئ بخرسانة بحرية للرياضة المائية، وتوفر كافة الخدمات العامة من إتصالات خطية وشبكات للموسيقى والفيديو الداخلى بالفيلات... وقد تم إنشاء الفيلات بالكامل وجارى تشطيبها. وللشركة مشروع اخر عبارة عن قرية سياحية على مساحة ٢ أفدنة.

- مشروع قرية جرين لاند: وهى قرية سياحية بمنطقة السعيدية شمال مدينة فياد يتكون المشروع من ٤٠ فيلا مختلفة المساحات وتتميز بمناطق خضراء ومجهزة بمركز تجارى يشتمل على مطعم وواقى الخدمات اللازمة.

- قرية أبو سلطان السياحية: بمنطقة السعيدية بمركز فايد على شاطئ البحيرات المرة والقرية مقامة على مساحة نحو ٨ أفدنة وتشتمل على ٤٦ فيلا دور واحد، ٤٢ فيلا دورين، ٢ عمارة سكنية بكل عمارة ٨ شقق، مزودة بوحدات إدارية وتجارية وخدمات متنوعة وتتولى إدارة القرية شركة أجنبية تكون مسئولة عن خدمات الصيانة والنظافة وحراسة الشاليهات والحدائق وغيرها مقابل أجر سنوى يسند للشركة.

(١) تقارير ونشرات مركز التخطيط الإقليمى بمحافظة الإسماعيلية، زيارات ميدانية لمواقع تلك المشروعات على طول الشاطئ على فترات متتالية.
+ أنظر خريطة إقتراحات تنمية منطقة البحيرات المرة (الشكل ٢٢).



المصدر: Ismailia master, Ministry of Housing and Reconstruction, Plan, op. cit.

بالاستعانة برؤوسيات وتوجيهات مدير مركز التخطيط الاقليمي بالإسماعيلية.

شركة كويكو - السعيدية: مشروع قرية السعيدية مركز فايد عند الكيلو ٢٢ طريق الإسماعيلية/السويس. تقع على شاطئ البحيرات المرة مباشرة بمساحة ٧ أفدنة وهي مزودة بكل مستلزمات القرية السياحية ومتمتزة في تجهيزها بأبنوات الرياضات المائية وجميع الخدمات اللازمة للقرية وهي تتكون من ٥٦ فيلا + ١٧ شاليه.

بدأ العمل التنفيذي للمشروع خلال شهر مارس الماضي (١٩٨٧) على أن ينتهى العمل بعد سنتين.

المشروعات السياحية جنوب مدينة فايد

مشروع جمعية العاشر من رمضان: وهي قرية سياحية تشتمل على مجموعة من الفيلات النور الواحد والدورين تم تقسيم المنطقة بشكل متميز متجانس تتوسطها الحدائق وشمل مواقف السيارات كما خصصت مساحات من الأرض لإقامة فندق سياحي ٢ نجوم.

القرية السياحية بمنطقة أبو سلطان (مارينا)

وتقع جنوب مدينة الإسماعيلية على بعد ٣٠ كيلو متر على مساحة تبلغ ٥ أفدنة وتشتمل على مجموعة من الموتيلات والشاليهات يبلغ عددها ١٠٠ موتيل مجهزة ويمتد شاطئ القرية بحوالى ٢٠٠ متر من الشمال إلى الجنوب ويزيد العرض على ١٠٠ متر فى إتجاه الغرب.

مشروع إنشاء قرية سياحية خاصة

يقع المشروع على مساحة قدرها نحو ٢٥ فدان تشتمل على ٨٦ شاليه دورين + فندق ثلاث طوابق + كافيتريا + مكان إنتظار السيارات + محطة بنزين الى أخره وكل الخدمات المطلوبة.

مارينا بيتش مركز سياحي قطاع خاص

ويقع على البحيرات المرة بمنطقة فايد ويشتمل على منتجع سياحي متكامل يمكن إستغلاله طوال العام ومقام على مساحة تبلغ ٩ أفدنة^(١).

واضح من هذا التحليل للتنمية السياحية بفايد مدى تكثيف الجهود والنهضة العمرانية العظيمة فى مجال التنمية السياحية بتلك الأرجاء لظروفها الجغرافية الملائمة وبنيتها الأساسية المناسبة فضلاً عن تمتعها بمقومات جذب سياحي كبير لسواحلها الممتدة على البحيرات المرة، ولقد لاحظت ذلك بنفسى أثناء تجولى فى تلك الأرجاء خلال الزيارة الميدانية.

محافظة السويس

تقع محافظة السويس هذه في المدخل الجنوبي لقناة السويس وهي إحدى المحافظات الحضرية وتتكون من مدينة واحدة.

ولقد زاد عدد سكان مدينة السويس إلى ربع مليون نسمة لأول مرة في تعداد ١٩٦٦. وبلغ عدد السكان بها في ١٩٨٦ ٢٢٦,٨٢٠ نسمة ونسبة ٦٨٪ من إجمالي سكان الجمهورية. وتجد أنه رغم زيادة عدد السكان بها بنسبة ٢٩٧٪ بين تعدادي ١٩٦٠، ١٩٦٦ تناقص عددهم بنسبة ٢٦٦٪ بين تعدادي ١٩٦٦، ١٩٧٦. ثم زاد بعد ذلك بنسبة ٦٨٪ بين تعدادي ١٩٧٦، ١٩٨٦ نظراً للظروف التي كانت سائدة في منطقة القناة وتعرض المدينة للعوان والتهجير بين تعداد ١٩٦٦ - ١٩٧٦ ثم البدء في إعادة تعمير المدينة بعد ذلك.

وتتكون مدينة السويس من ٧ أقسام تم إنشاء أربعة منها بعد تعداد ١٩٧٦ حيث تم إنشاء قسم فيصل من بعض مكونات قسم الأربعين وعنتاكة ، وقسم الجنانين يفصل شياخة خامس من قسم الأربعين، وقسم الدائرة الجمركية لشرطة ميناء السويس فصلاً من قسم ميناء السويس سابقاً كما تم نقل قسم الشط من محافظة جنوب سيناء إلى السويس.

ورغم فصل بعض مكونات قسم الأربعين فلا يزال يحتل المركز الأول من حيث حجم السكان حيث تبلغ نسبة المقيمين به ٥٢,٧٪ كما يحتل قسمي فيصل والجنانين المنشأتين حديثاً المركزين الثاني والثالث حيث تبلغ نسبة عدد السكان بكل منهما ١٩,٣٪، ١٤٪ على التوالي، وتراجع قسم السويس في تربيته إلى المركز الرابع بدلاً من المركز الثاني الذي كان يحتله ١٩٧٦.

وقد استحوذت الأقسام الأربعة المنشأة حديثاً في المدينة على ٨٢,٢٪ من نسبة الزيادة في عدد السكان في المدينة بين تعدادي ١٩٧٦ - ١٩٨٦ كما كان نصيب أقسام الأربعين والسويس وعنتاكة من هذه الزيادة ٨,٤٪، ٦,٤٪، ٢٪ على التوالي^(١).

ملحوظة: إن عيون موسى تتبع محافظة السويس قسم الشط ، وكذلك العين السخنة تتبع هذه المحافظة قسم عنتاكة ، أما رأس سدر فهي تتبع إدارياً محافظة جنوب سيناء ولكن جاء ذكرها في هذا المجال لأنها ضمن خطة تنمية شاملة قامت بها المجموعة اليابانية للشاطئ الشمالي لخليج السويس^(٢).

(١) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء: التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت ١٩٨٦ - النتائج الأولية ١٩٨٧.

(٢) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء: الوحدات الإدارية لجمهورية مصر العربية ١٩٨٦، القاهرة ١٩٨٧.

ثالثاً: معالم التخطيط الشامل لمحافظة السويس

لقد وضع التخطيط على إعتبار أن تعداد السكان سيبلغ نحو مليون نسمة سنة ٢٠٠٠، بينما بلغ عددهم نحو ٣٢٦.٠٠٠ نسمة طبقاً لتعداد ١٩٨٦ يتركز معظمهم في مدينة السويس بينما يتناثر أعداد منهم في القرى الصغيرة الموجودة شمالاً.

وستصل القوى العاملة نحو ٤٠٠.٠٠٠ نسمة سنة ٢٠٠٠ ستعمل في النشاطات المختلفة التي سيتم إنشاؤها أو تطويرها في المحافظة مثل المناطق الحرة والصناعة والزراعة والموانئ والتعدين وصيد الأسماك والسياحة وغيرها...

والملاحظ أن التخطيط الجديد للمحافظة يشمل تنفيذ المشروعات المقترحة التالية:
أن مدينة السويس تعتبر أكثر مدن القناة تأثراً بالعنوان الإسرائيلي منذ يونيو سنة ١٩٦٧ - حتى حققت قواتنا المسلحة إنتصارها في أكتوبر ١٩٧٣، فقد تحولت معظم مبانها إلى أنقاض وتهدمت مدينة بورثوفيق تماماً.

ولذا فقد وضعت خطة عاجلة لترميم المساكن والمرافق بها وبناء أحياء جديدة مثل حي "الملك فيصل" ودارت عجلة التعمير بسرعة فائقة حتى أمكن أن يعود إلى السويس أبناءها المهجرون.

ولقد وضعت خطة لبناء ٩٠٠٠ وحدة سكنية سنوياً حتى عام ٢٠٠٠ لمواجهة الزيادة الكبيرة المتوقعة خلال تلك الفترة، ووضعت هذه الخطة طبقاً لحسابات دقيقة.

وبالنسبة للمناطق الحرة فقد حولت بورثوفيق إلى منطقة حرة بالإضافة إلى بعض المناطق الحرة الأخرى حول ميناء بور إبراهيم إلى الغرب من السويس وأصبحت تجتذب هذه المناطق الحرة الكثير من المستثمرين العرب والأجانب لتنفيذ مشاريع عديدة صناعية وسياحية...

وفي ١٨ يناير ١٩٧٦ إستقبل جون لاتسيس رجل الأعمال اللبناني الملقب بصديق العرب وتمت الموافقة على العرض الذي تقدم به لاتسيس لإقامة عدد من المشروعات البحرية والصناعية في مدينة السويس وأهمها تشييد ترسانة بحرية لبناء السفن في ميناء بورثوفيق وإقامة مخازن ضخمة لحفظ المراد تحت درجات حرارة معينة وإنشاء مجموعة من الفنادق العالمية، ولقد أنجزت كثير من هذه المشروعات.

ويخصّص الموانئ نجد أنه حيث أن السويس تعد أهم ميناء للجمهورية على البحر الأحمر فإنها تعتمد عليه في التجارة مع أفريقيا والشرق الأوسط والاقصى بالإضافة إلى بضاعة الفرانزيت، لذلك فقد

وضعت خطة لتطوير ميناء بورا براهيم وتحسين ميناء الادبية لزيادة إمكانياتها فى الشحن والتفريغ ولقد قطع فى هذا المجال شوطاً كبيراً.....^(١)

والملاحظ أن العوامل الجغرافية قد أثرت فى تخطيط محافظة السويس ، فنجد أن هذه المنطقة تعد إحدى مناطق الجمهورية التى تبشر بمستقبل مرموق فى مجال التصنيع، فقد حبتها الطبيعة بثروات معدنية ضخمة، كما يتركز بالقرب منها معظم حقول البترول بالجمهورية، هذا بالإضافة إلى وفرة معادنها حيث الدولوميت، الحجر الجيري والجبس.

وعليه فلقد خُطط بإعادة بناء مصانع تكرير البترول، وهى تعمل الآن بكامل طاقتها حيث كان يوجد بها حتى حرب ١٩٦٧ أكبر معملين لتكرير البترول فى جمهورية مصر العربية، كذلك إعادة تشييد مصانع الأسمدة بعقاة حيث أن هذه الصناعة كانت تحتل المركز الثانى بعد صناعة تكرير البترول بالمحافظة، ولقد إستعادت مكانتها مرة أخرى فى الوقت الحاضر.

كما تقرر إقامة صناعات جديدة تشمل مصانع الأسمنت والجيز ومصنع الغزل والنسيج، هذا بالإضافة إلى إمكانية إقامة صناعة الزجاج والبتروكيماروات.

كما أنه مخطط بتطوير صناعة صيد الأسماك وزيادة عدد سفن أسطول الصيد وتجهيزها بالمعدات الحديثة، وقد قطعت المحافظة شوطاً كبيراً فى هذا المجال، حيث أن خليج السويس من أهم مناطق الصيد فى البحر الأحمر فهو خليج ضحل متوسط العمق صالح لنمو النباتات التى تتغذى عليها الأسماك، علاوة على أن الشعاب المرجانية لا تنتشر بكثرة كما هو الحال بالنسبة لمناطق أخرى من ساحل البحر الأحمر، إذ أن هذه الشعاب من العوامل التى تعوق عملية الصيد. كل هذا أدى إلى زيادة محصول السمك من البحر وهو يسهم لحد كبير فى حل أزمة اللحوم وارتفاع أسعارها.

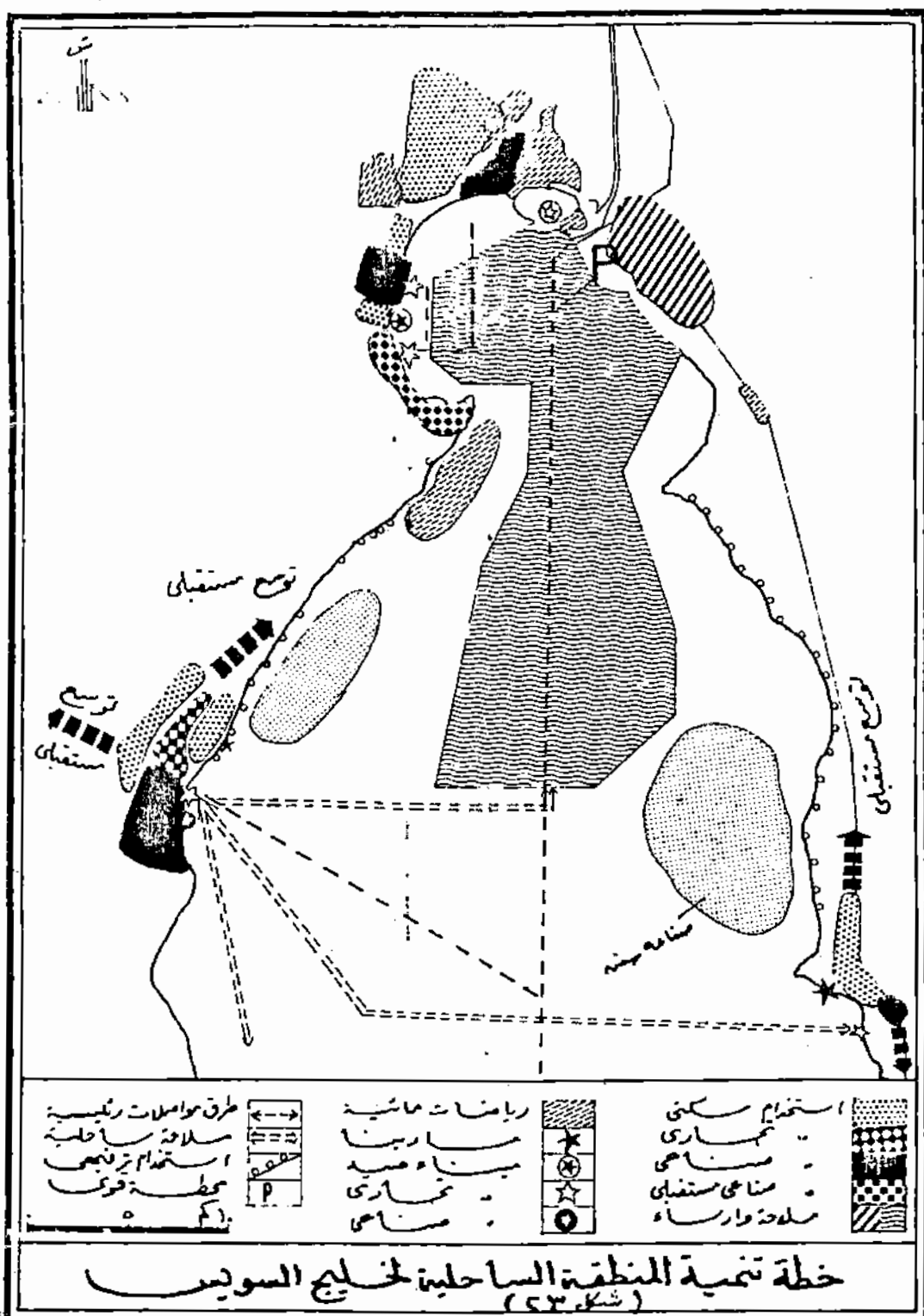
وفى مجال الزراعة فإنه قد تقرر إستصلاح وزراعة الأراضى شمال السويس وشرق القناة بمساحة تقدر بنحو ٥٠٠٠٠ فدان وزيتها من مياه النيل بعد توسيع ترعة السويس، وهذه المساحات تناسب زراعة الفواكه، خاصة الموالح والخضروات، وقد تم زراعة مساحات عديدة منها وتبع ذلك تشييد وإقامة قرى عديدة^(٢).

(١) Study on the Development Plan of Suez Bay, coastal Area-Draft Final Report, March, 1986, Vol. 1.

(Short-Team Development Plan - Japan International Cooperation Agency).

+ أنظر خريطة خطة تنمية المنطقة الساحلية لخليج السويس (شكل ٢٣)

(٢) Ibid



المصدر: Study on the development Plan of Suez Bay, Coastal area, draft final report, 1986, Vol. 1- (Japan International Cooperation Agency).

إشغالات الساحل الغربى والشرقى لخليج السويس^(١)

منطقة صناعات ثقيلة.	٢٢ حتى ٢٧	١. من كم
مصيف الهيئة العامة للبترول.	٢٨ حتى ٣٠.٨	٢.
نادى السماد تابع لشركة صناعة الأسمدة	٢٢.٣٠ حتى ٢٢.٥٠	٣.
قرية (بلوجواف) السياحية	٢٤.٥٠ حتى ٢٤.٨٥	
مشروعات سياحية للمحافظة	٢٥.٥٠ حتى ٢٥.٨٥	
جمعية منف	٢٦.٥٠ حتى ٢٦.٨٥	
فلانج كاريت	٢٦.٨٥ حتى ٢٦.٩٥	
الهيئة العربية للتصنيع	٢٦.٩٥ حتى ٢٧.٥٠	
مشروع الشاطئ الذهبى	٢٧ حتى ٢٨	٤. كم
إبتداء المنطقة السياحية للمحافظة	٦٨	٥. من كم
مصيف ضباط الجيش وعائلاتهم	٦٩ حتى ٦٩.٥٠	٦. كم
قرية سياحية	٦٩.٥٠ حتى ٦٩.٧٥	

إشغالات الساحل الشرقى

منطقة الكرنيتية: مركز شباب دولى وقرية شباب بين الكرنيتية وعيون موسى.

منطقة تنمية: محطة الكهرباء الحرارية الجديدة بطاقة ٦٠٠ ميجاوات.

الشريط الساحلى: من أول البحيرات المره الصفرى حتى مسافة ١٢ كم شرقاً
إستزراع وتنمية وتعمير المجتمع الزراعى شرق القناة والخليج

عيون موسى = منطقة سياحية للإستشفاء

منطقة رأس مسلة سياحة شواطئ (عطس)

(١) Ibid + الإستعانة بتقارير مركز التخطيط الإقليمى - محافظة الإسماعيلية.
+ خريطة إستخدامات الساحل الغربى والساحل الشرقى لخليج السويس (شكل ٢٤)

التنمية السياحية فى المخطط العام لمحافظة السويس حتى عام ٢٠٠٠

إن الفرص الرئيسية للتنمية فى محافظة السويس ممثلة فى المدينة ذاتها على طول شواطئ خليج السويس وواحة عين موسى...

والملاحظ أن محافظة السويس من الممكن أن تصبح من أهم مناطقنا السياحية حيث أنها تتمتع بمقومات جذب سياحي تتمثل فيما يلى:

١. إن هذه المحافظة تتمتع بمناخ معتدل مستقر لحد ما على مدار السنة حيث أنها لا تتعرض لأى عواصف أو أعاصير، حقيقة تصل الحرارة ذروتها فى يوليو وأغسطس وهو موسم السياحة والتصيف، لكن يعوض ذلك إنخفاض معدل الرطوبة النسبية خلال موسم الصيف عموماً والقرب من الشواطئ وممارسة الرياضات المائية، والرياح سرعتها معتدلة بوجه عام تزداد فى شهور الحرارة الأمر الذى يلف من حدتها، والأمطار قليلة وهناك فترة جفاف فى الصيف، فهذا لا يعيق حركة السائح أو المصيف، إضافة إلى الشمس الساطعة على مدار السنة^(١)، فهذه الظروف كفيلة بجذب السائح خاصة من دول الشمال وتعد فترة إقامته بالمنطقة طيلة العام خاصة وأن درجة حرارة المياه فى الخليج مناسبة والشواطئ هادئة ومياه بحرية زرقاء خالية من أى أمواج.
٢. كما لا يمكن إغفال جمال الطبيعة الساحر المثل فى جبل عتاقة حيث يمكن ممارسة رياضة تسلق الجبال.
٣. الشواطئ الرملية على ساحل خليج السويس ومرتفع الشاطئ المرجاني على الشاطئ الشرقى بين عين موسى ورأس سدر والشاطئ الأخضر فى الشمال.
٤. كما لا يمكن إغفال أهمية مدينة السويس وقناة السويس فى هذا المجال.
٥. وكذلك توجد منطقة العين السخنة وهي مصيف ومشتى فى آن واحد لما تتمتع به من شاطئ رملي ومياه هادئة وعين ساخنة تتدفق فيها مياه دافئة بها كثير من الكبريت، وهي تعد إحدى المنتجعات المصرية الرائعة خاصة للسياحة، مزودة بمواصلات سهلة بالسيارة من القاهرة ١٥ ساعة وهي لذلك منتجع للسياحة المحلية ومنطقة ترويجية لسكان مدينة السويس^(٢).

(١) انظر الجدول والرسم البياني المرفق لعناصر المناخية الرئيسية لمحافظة السويس.

+ خريطة مقومات السياحة بالمنطقة الساحلية لخليج السويس (شكل ٢٦).

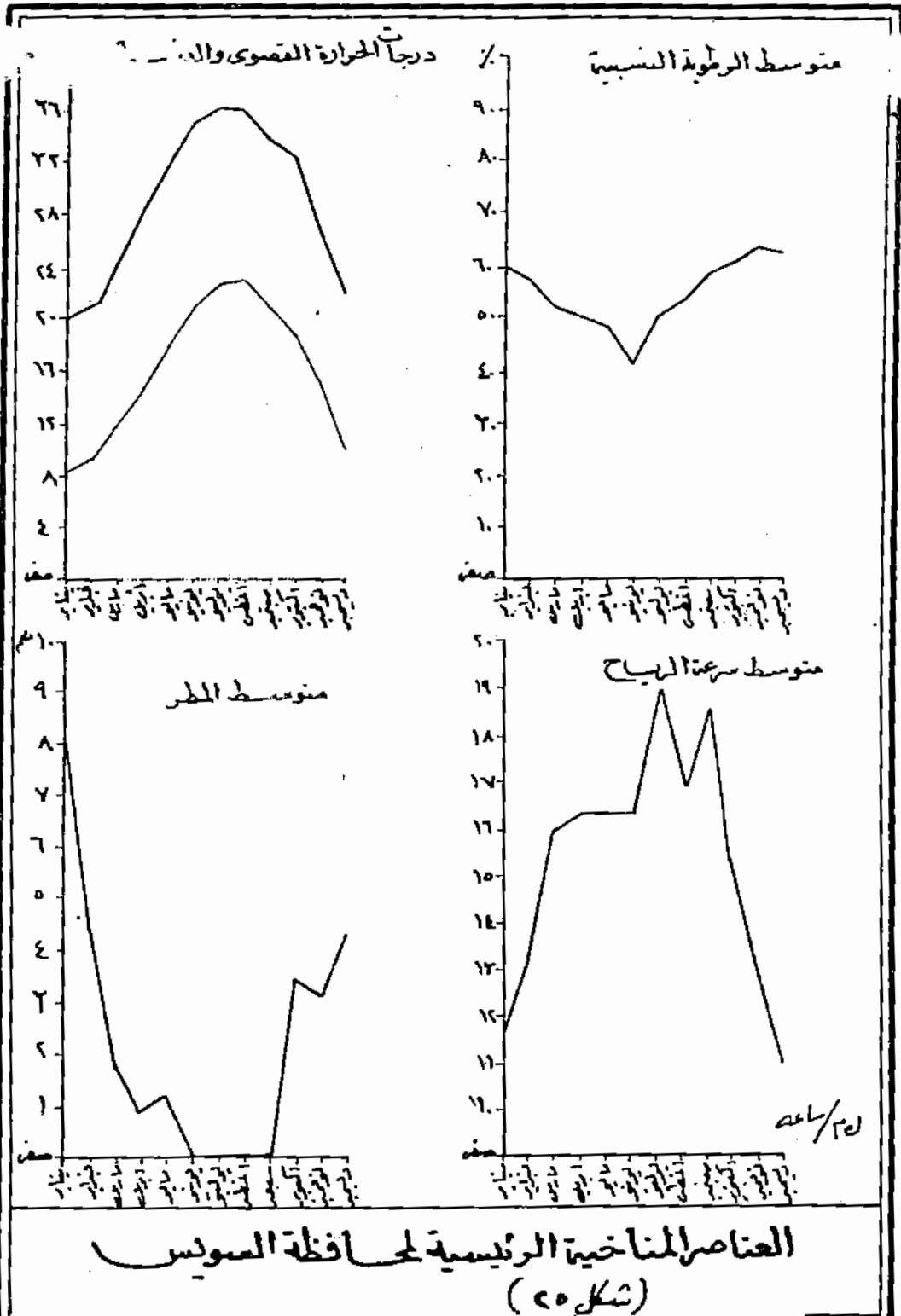
United Nations, development programme, tourism development in the Suez Canal Zone, A.R.E. (٢)

Draft Final Report, January, 1978, Vol. 2

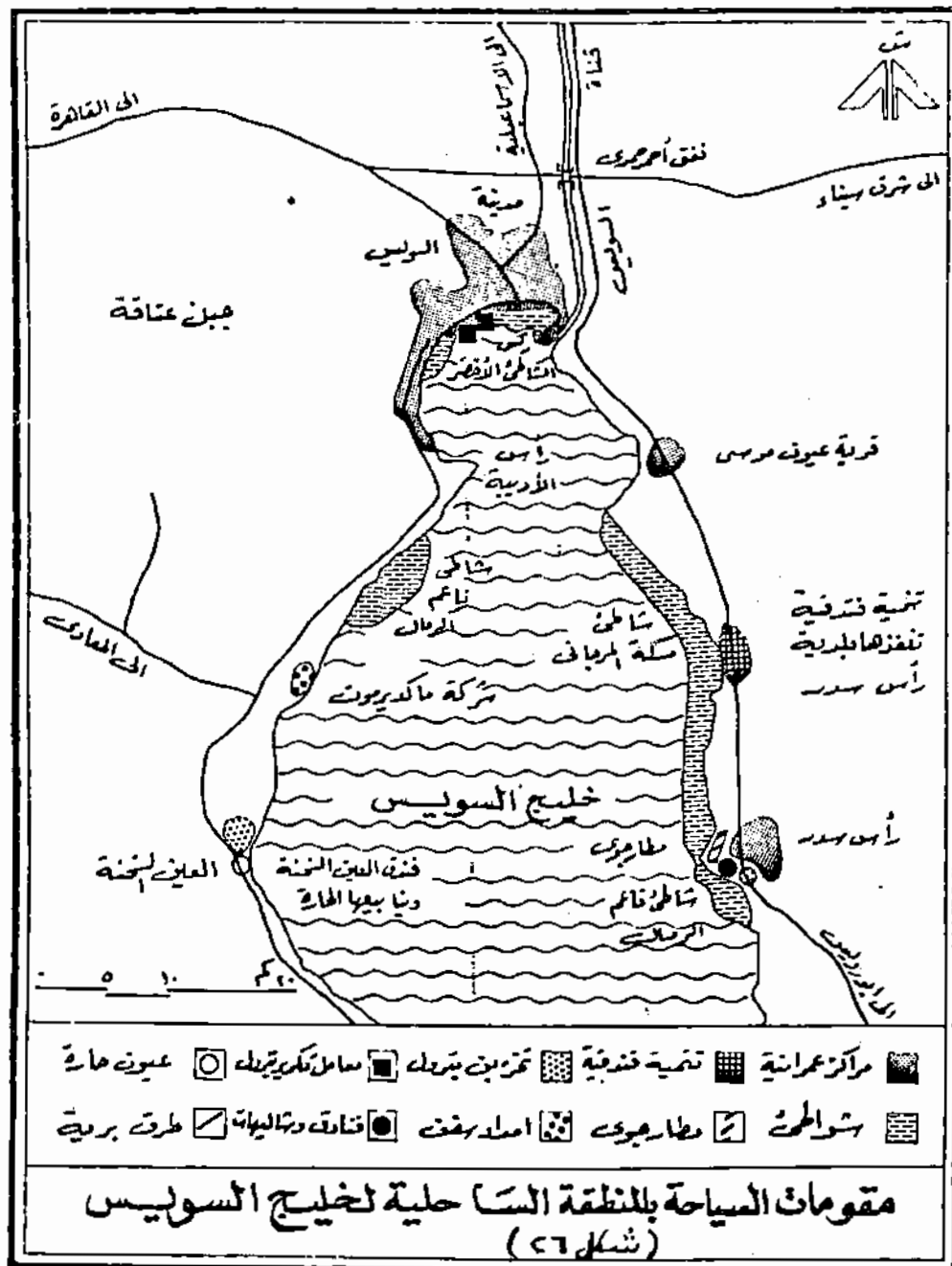
جدول مسميلي للمناخ في السويس

شهر	أقصى درجة مم	أقل درجة حرارة	متوسط الرطوبة حرارة	متوسط البخر %	متوسط السنة الأمطار مم
يناير	٢٠.٢	٨.٧	٦٠	٨	١١.٥
فبراير	٢١.٥	٩.٢	٥٧	٤.٤	١٢.٢
مارس	٢٤.٥	١١.٥	٥٢	١.٩	١٦.٢
أبريل	٢٨.٢	١٤.٤	٥٠	٠.٩	١٦.٥
مايو	٣٢.٥	١٧.٥	٤٨	١.٢	١٦.٥
يونيو	٣٥.٢	٢٠.٦	٤١	—	١٦.٥
يوليو	٣٦.٥	٢٢.٤	٥٠	—	١٨.٩
أغسطس	٣٦.٤	٢٢.٦	٥٢	—	١٧
سبتمبر	٣٢.٦	٢٠.٨	٥٨	٠.٨	١٨.٥
أكتوبر	٣١.٢	١٨.٦	٦٠	٢.٩	١٥.٤
نوفمبر	٢٦.٨	١٤.٧	٦٢	٢.٦	١٢.٢
ديسمبر	٢٢	١٠.٢	٦٢	٤.٢	١٠.٩

المصدر: محطة الأرصاد الجوية في محافظة السويس.



المصدر: الرسم البياني معتمد على الجدول الذي يوضح تفصيليا عناصر



المصدر: Study on the development Plan of Suez Bay, Coastal area- draft final report, op. cit.

وهناك تصور لخطة إستخدام الأرض لمنتجع العين السخنة سنة ٢٠٠٠ يمكن معرفتها بالنظر للخريطة الخاصة بذلك.. فيلاحظ أن هناك إتجاه لتنمية شاطئها وتكثيف بناء أماكن الإيواء من شقق سكنية، فيلات، بنجالوز وفنادق وكبائن شاطئية وكل الخدمات العامة والخدمات الترفيهية المطلوبة، إلى غير ذلك مما يوفر سبل الإسترخاء والقواعد الصحية وتسهيل وسائل النقل وسلامة الطريق^(١).

ولقد تم الإنتهاء من مشروع القرية السياحية بالعين السخنة بواسطة شركة فنادق مصر الكبرى وهي عبارة عن ١٠ شاليهات + فندق + ملاعب. وكل مستلزمات القرية السياحية. لكن إقتتاحها مرهون بالإنتهاء من بعض العقبات والمشاكل من أهمها مشكلة الأنغام حيث أن نطاق القرية لم يطهر بعد التطهير الكامل من هذه الأنغام، كذلك حشائش الهيش المليئة بالناموس وأيضاً مشكلات خاصة بالإدارة.. فلا بد من التغلب على كل هذه العقبات قبل الإفتتاح.

عيون موسى: إن عيون موسى ذات الشهرة العالمية غنية عن التعريف فقد جاء ذكرها في القرآن (وإذ إستسقى موسى لقومه، فقلنا أضرب بعصاك الحجر فإنفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل إناس مشربهم، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين). سورة البقرة الجزء الأول.. (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً ووحينا إلى موسى إذ إستسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فإنسحبت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل إناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى، كلوا من طيبات مآرزناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) سورة الإعراف الجزء التاسع...

كما ورد ذكرها في التوراة:

وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى، وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتيمتنا وأولادنا وجعشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجعونني. قال الرب لموسى مو قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت النهر خذها في يدك وأذهب.

هناذا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء يشرب الشعب ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل، الكتاب المقدس خروج ١٧^(٢)

لقد أعدت دراسات عديدة لإمكانية تخطيطها لتحويلها إلى مزار عالمي وذلك بإقامة قرية سياحية عليها. وهي تتميز بطابع الهيبة والتقدس لشهرتها الدينية كما وضحنا. فهناك إتجاه لإستغلال مياه العيون بإنشاء مصحة على البحر للإستشفاء وإقامة مصنع صغير لتعبئة هذه المياه المعدنية في زجاجات وتوزيع فرص عمل جديدة لأبناء السويس. وهناك إتجاه لتغطية العيون بزجاج شفاف لوقايتها من الرمال وإنشاء منتزهات من حولها وإقامة متحف صغير به لوحات رخامية منقوش عليها قصة سيدنا موسى عليه السلام

(١) أنظر الشكل الموضح لخطة إستخدام الأرض لمنتجع العين السخنة في سنة ٢٠٠٠ (شكل ٤٧)

(٢) مجلة السياحة، العدد ٢ - يونيو عام ١٩٨٧.

باللغات العالمية. ولقد تم إقتراح مصيف على شاطئ الخليج لراحة وإستجمام الزوار بطاقة ٢٢ شاليه مزودة بكل مايلزمها كمرحلة أولية للقرية السياحية الجديدة^(١). والملاحظ أن نفق أحمد حلمى لا يزال يجذب أعداداً كبيرة من الزوار إلى سيناء، ولما كانت عيون موسى تقع على مسافة ٢٠ كم جنوبى النفق، فمن المقترح أن يقام عليها مركز إستقبال تبدأ منه رحلات قصيرة الى الأماكن التاريخية المجاوره للطريق الى الجنوب، كما يمكن أن يصبح مركز خدمة للمسافرين الى الحدود فى رحلات طويلة، وكذلك يمكن أن يكون حجر الزاوية لمزيد من التنمية السياحية فى سيناء^(٢). والملاحظ أنه يوجد نقص فى الإيواء ذات المستوى العالمى فى منطقة خليج السويس الساحلية لقد ركز تشييد ٢٠ فندق فى مدينة السويس سعتها ٥٧٠ حجرة. هناك فندق سعته ٨٢ حجرة تحت التشطيب فى العين السخنة وخطة تنمية لتشديد فنادق وفيلات بشاطئ مسله بواسطة مجلس مدينة رأس سدر، وهناك توصيات يجب أخذها فى الإعتبار عند التنمية السياحية لمحافظة السويس تتمثل فيمايلى:

- يجب الأخذ فى الإعتبار تنمية الساحل الغربى لخليج السويس لمسافة ١٥ كم جنوب رأس الأدبية لهواء الرحلات اليومية من اسويس وماجاورها-لقضاء عطلات آخر الأسبوع وللسياحة الداخلية. وإعطاء الفرصة لتنمية المنطقة الواقعة جنوب شاطئ المرجان لما لها من مقومات سياحية هامة.

المنطقة من العين السخنة حتى رأس أبو دراج يجب الإحتفاظ بها للسياحة الدولية والداخلية على نطاق صغير.

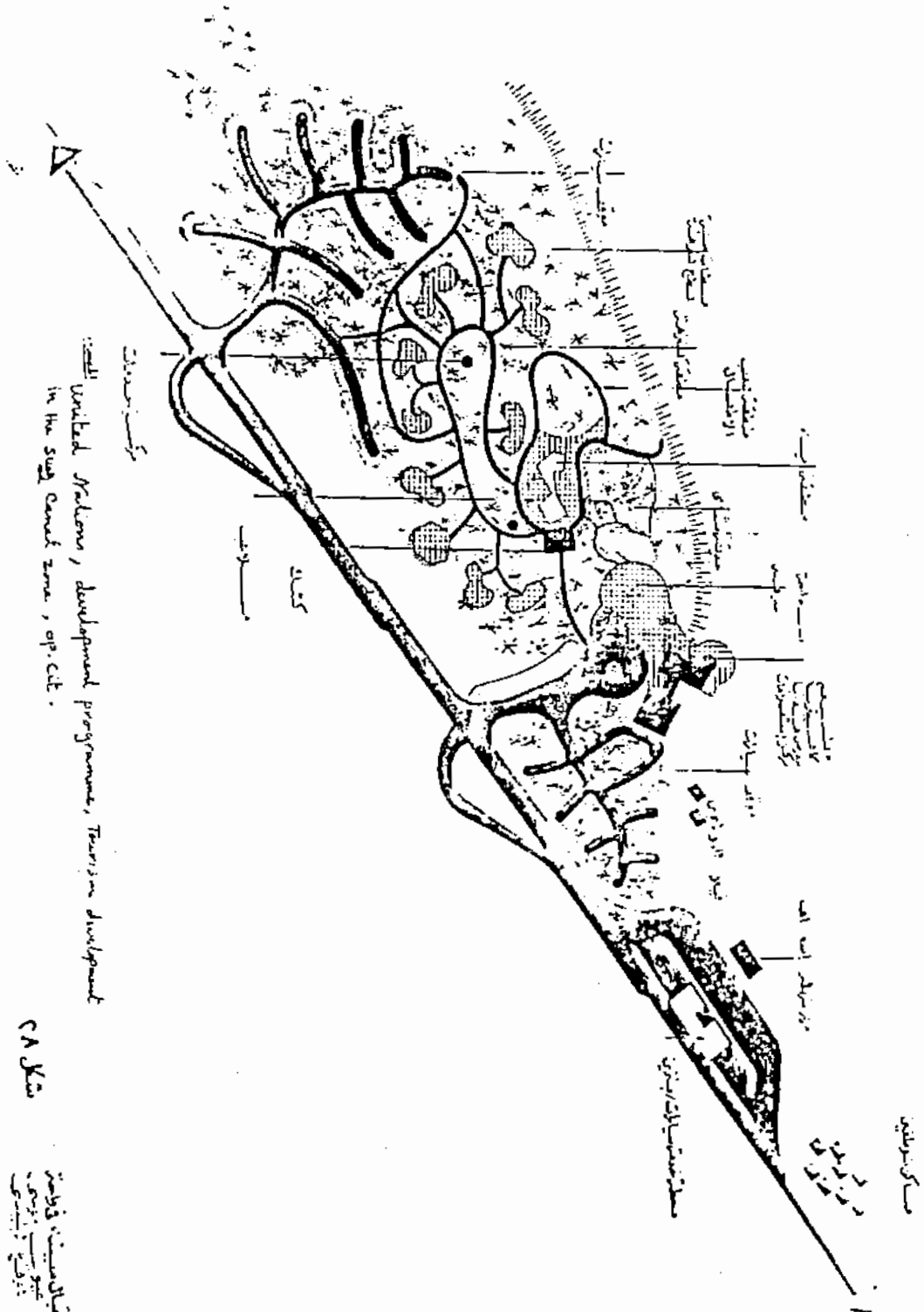
١. عيون موسى تنمى لتكون مركزاً للرحلات.
والجنوب الشرقى سيكون مركزاً للعواصلات لما وراء البحار كما هو موضح —
فى خريطة تصور التنمية السياحية لمنطقة خليج السويس سنة ٢٠٠٠.
إضافة الى نزهات برية وقوارب نزهات بحرية واليخوت مع الأخذ فى الإعتبار أن التوسع العمرانى سيتجه نحو الشمال^(٣).

ورغم هذه الإمكانيات والموارد الدسمة السياحية لهذه المحافظة، إلا أن السياحة بها تتميز بعدد من السلبيات، تتمثل فى أنها منطقة ملوثة فى أغلب أرجائها خاصة مناطق تركيز البترول والصناعات المتعلقة بها. فإن البترول ومخلفاته يترك بصماته فى الشاطئ الغربى خاصة إجزائه الشمالية فتهرب السياحة، كذلك مصنع الأسمنت وتأثيره السلبى على السياحة فى المحافظة .

(١) United Nations, development programme, Tourism Development in the Suez Canal Zone, Op. Cit.
(٢) أنظر الشكل التوضيحي لمركز إستقبال سيناء فى واحة عين موسى (شكل ٢٨).

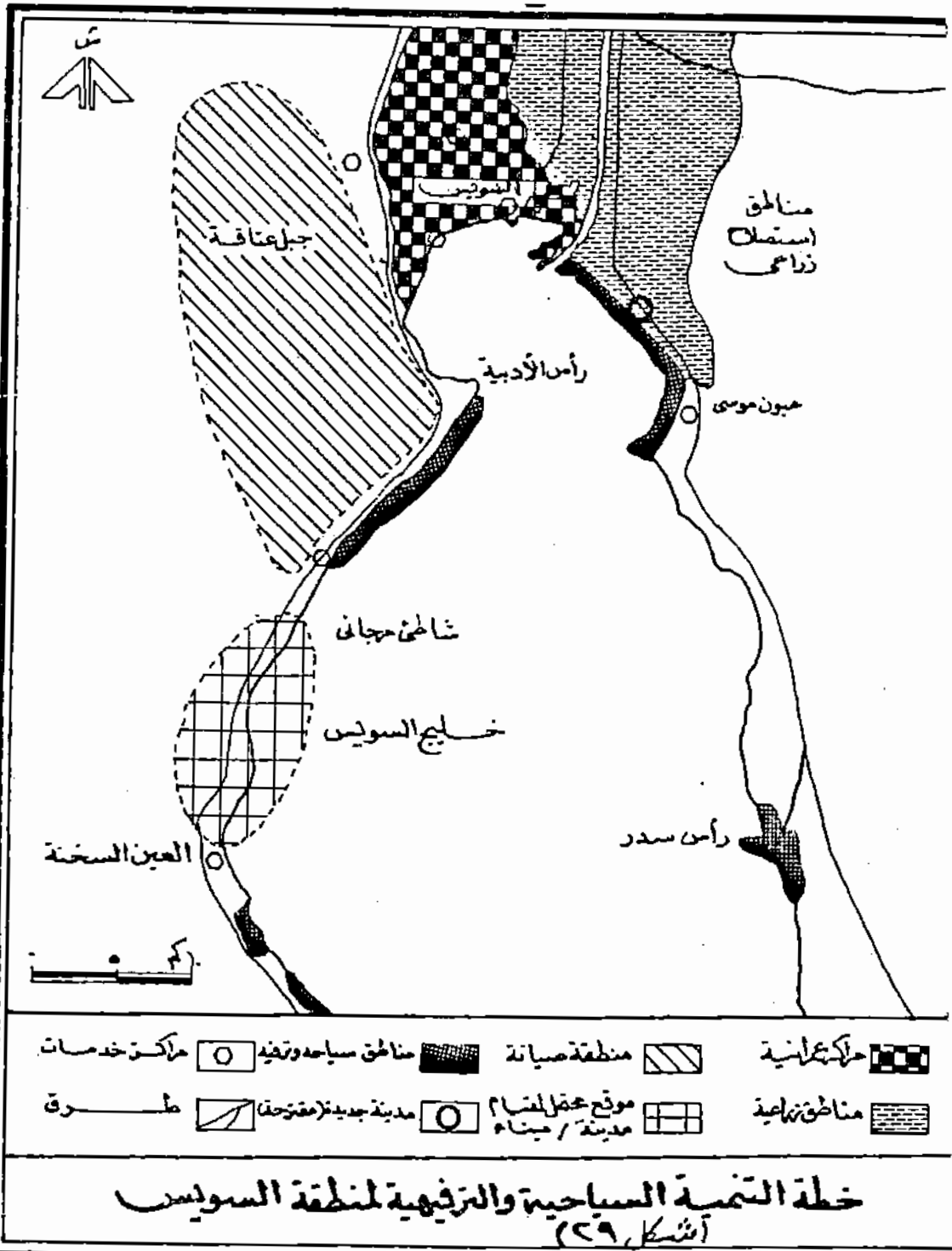
(٣) United Nation, Development Programme, Tourism development in the Suez Canal Zone, Op. Cit.
+ أنظر خريطة التنمية السياحية والترفيهية لمنطقة السويس (شكل ٢٩).
+ أنظر خريطة تصور التنمية السياحية لمنطقة شمال خليج السويس عام ٢٠٠٠ (شكل ٣٠).

إضافة إلى قصور الخدمات والمرافق الخاصة بالبنية الأساسية كما أن هناك بعض المناطق لم تطهر بعد التطهير الكامل من الألفام، بالإضافة الى أن المحافظة موجهة للتجارة لكثرة الموانئ بها واعتبار السريس ميناء له وزنه وأنه أهم ميناء للجمهورية على البحر الأحمر.. كل هذه الظروف والإعتبارات أخرت بل عوقت المحافظة عن أن تتبوأ مكانتها اللاتقة في مجال السياحة وعن أن تكون على قدم وساق مع جارتها من محافظات القناة في هذا المجال، فإقتصاد هذه المحافظة موجهة بالدرجة الأولى للتجارة والصناعة وأعمال البترول. فهل نوجه نداء للمسؤولين بإسراع الخطى نحو التنمية السياحية في المحافظة كي يتكامل إقتصادها...؟؟

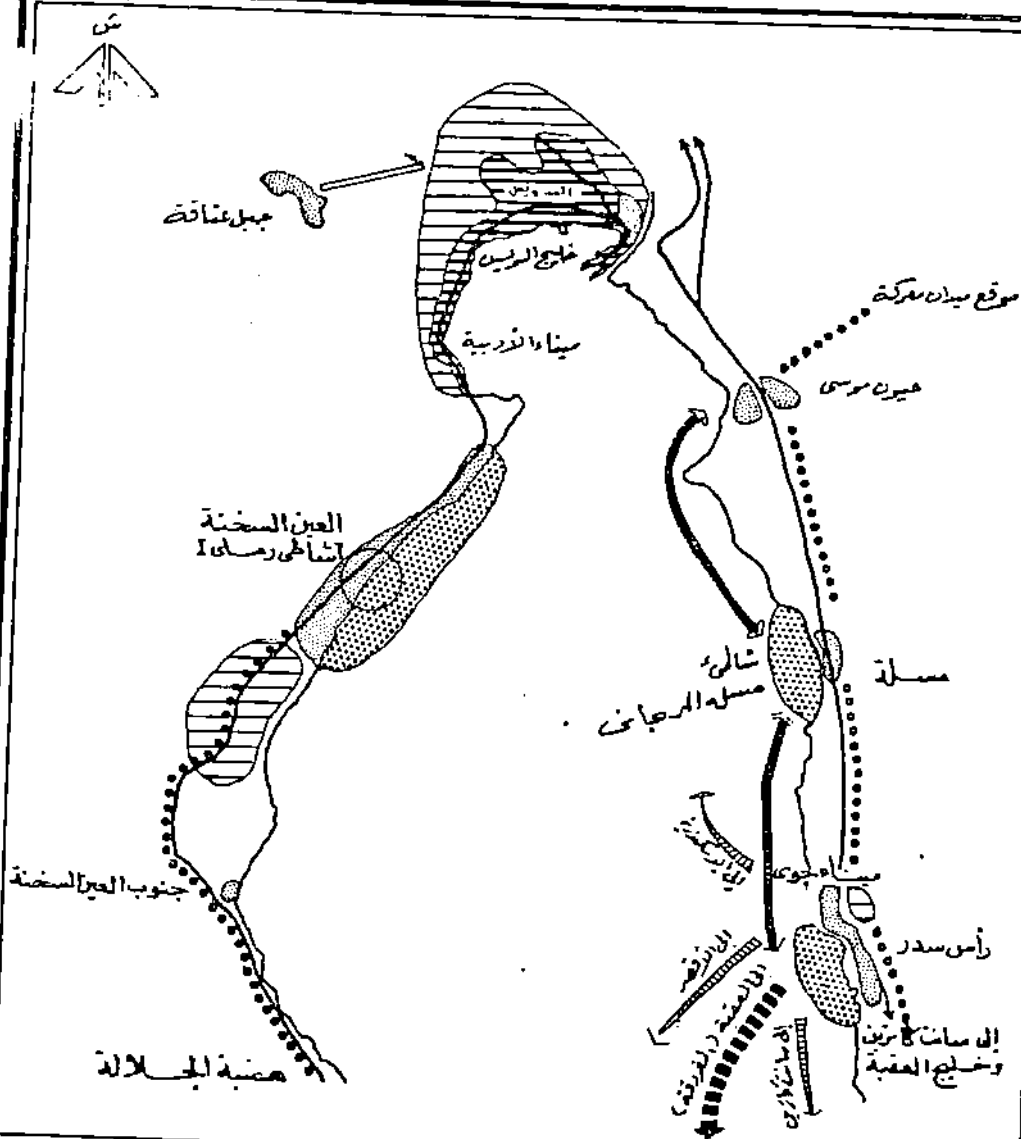


مركز التنمية

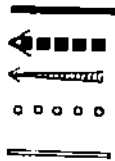
مركز التنمية السياحية
مركز التنمية الصناعية
مركز التنمية الزراعية
مركز التنمية الثقافية
مركز التنمية الرياضية
مركز التنمية العلمية
مركز التنمية الفنية
مركز التنمية الاجتماعية
مركز التنمية الصحية
مركز التنمية البيئية
مركز التنمية الاقتصادية
مركز التنمية السياسية
مركز التنمية القانونية
مركز التنمية التعليمية
مركز التنمية التكنولوجية
مركز التنمية الإعلامية



المصدر: Study on the development Plan of Suez Bay, Coastal area, op. cit.



قوارب النزهة (مجنون)
نزهات بحرية
طيران
نزهات برية
خطوط نقل كاهل
٢٠٠



نخبة شاطئية
نخبة تسهيلات سياحية
مراكز عمرانية
مراكز عمرانية مستقبلية



تصور التنمية السياحية لمنطقة شمال خليج السويس ع ٢٠٠٠
(شكل ٢٠)

الخاتمة

مما لا شك فيه أن التخطيط للتنمية السياحية في حاجة إلى أيادي قوية تشد أزره حتى يحقق أهدافه المنشودة للتنمية الإقتصادية المرجوة للبلاد.

ومن المؤكد أن سياسة الإنفتاح السياحي لابد أن تكون لها أولوية كاملة لرؤس الأموال العربية فهي القادرة وحدها على أن تحقق لها المستحيل في التنمية السياحية مما يذكرونا بفكرة التكامل العربي السياحي المنشود فهو القادر وحده على تحقيق المعجزات للوطن العربي، فالنول العربية المنتجة للبترول لديها فائض كبير من العملات الحرة، ونحن نعرف وليس خافياً أن الحكومات العربية والأفراد يخسرون الكثير بإحتفاظهم بهذه الأموال في البنوك الأجنبية بسبب عرض عملاتهم لتقص القيمة في أغلب الأحوال.

فعلاً سيخسر العرب الكثير مالم يقوموا متكاتفين في استثمار أرصدتهم من العملات الحرة الخزينة في بنوك أوروبا وأمريكا لتحقيق تكامل عربي سياحي سيكون أولاً في مصلحة أصحاب الأرصدة أنفسهم والموصول على عائد سريع من ناتج الإستثمارات السياحية لاسيما وإن الإحصائيات تبشر بنمو مذهل مرتقب في السياحة للمنطقة العربية عموماً. ومصر بالذات تلك المصادر السيلحية ومقوماتها من تاريخ وثقافة وحضارة عبر التاريخ القديم والحديث.

فهل تسرع الخطى نحو تحقيق التكامل العربي السياحي المنشود كي تحقق الیقظة الكاملة لإخراج التخطيط السياحي من دائرة النظريات الى دائرة الحركة الإيجابية والتخطيط العلمي السليم.

والملاحظ أن قطاع وكالة التخطيط بوزارة السياحة قد بدأ فعلاً بخطوات إيجابية وثابتة وتم إنجاز مشروعات عديدة في أرجاء المناطق المصرية التي تحت التنمية، وأكبر دليل على ذلك محافظات القناة. لكن رغم كل هذا أمامنا خطوات ليمت بالقليلة لإنجاز المشروعات المختلفة وإستكمالها وأن الإتجاه لتحقيق التكامل العربي السياحي سيقطع بلا شك خطوات فعالة واسعة على الطريق....

والله الموفق ...

تم بحمد الله

قائمة المراجع

(١) : المصادر العربية

أولاً: الكتب

١. د. جمال حمدان = جتروا العرب، القاهرة، ١٩٦٤.
٢. د. جمال حمدان = قناة السويس نبض مصر، القاهرة، ١٩٧٥.
٣. أ. جورج حليم كيرليس = قناة السويس والقنوات العالمية، القاهرة، ١٩٦٤.
٤. أ. فؤاد فرج = منطقة قناة السويس (بدون تاريخ).
٥. د. محمد صفى الدين أبو العز وآخرون = دراسات فى جغرافية مصر، القاهرة، ١٩٥٧.
٦. د. محمد عبد الغنى سعدى = الوطن العربى، القاهرة، ١٩٧٠.

ثانياً: هيئات وتقارير ودراسات

٧. ديوان عام محافظة بورسعيد : الخريطة الإقتصادية لسنة ١٩٨٦.
٨. ديوان عام محافظة بورسعيد : المخطط العام لبورسعيد. إعادة النظر لسنة ١٩٨٠ - البرنامج الإستشارى القنى.
٩. تقارير إدارة التخطيط العمرانى - محافظة بورسعيد.
١٠. تقارير إدارة الإنتعاش الإقتصادى - محافظة بورسعيد.
١١. تقارير إدارة التخطيط والتنمية العمرانية - محافظة الإسماعيلية.
١٢. تقارير مركز التخطيط الإقليمى بمحافظه الإسماعيلية.
١٣. نشرات مركز المعلومات والتوثيق - محافظة الإسماعيلية (إدارة النشر) أرقام (١، ٢، ٣، ٤، ٥).
١٤. نشرات مشروع حى السلام - محافظة الإسماعيلية.
١٥. نشرات مشروع أبوعطره - محافظة الإسماعيلية.
١٦. نشرات شركة بورسعيد للتقنية السياحية.
١٧. نشرات وتقارير إدارة السياحة بمحافظه الإسماعيلية.
١٨. الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء = التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت لسنة ١٩٨٦ - النتائج الأولية سنة ١٩٨٧.
١٩. الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء = إقليم قناة السويس ١٩٧٨.
٢٠. الجريدة الرسمية - العدد ١٥ فى ١٢ أبريل سنة ١٩٧٩.
٢١. دراسة تحليلية مقدمة من لجنة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية فى المؤتمر الثانى للعلميين لتنمية بورسعيد (محافظة بورسعيد).

٢٢. رسالة ماجستير مقدمة من د. محمد جلال الدين الجبل - بورسعيد - دراسة
العوامل الجغرافية الخاصة بنشأتها وتطورها - آداب القاهرة.

ثالثاً: خطط تنمية محافظات اللها

الخطة الخمسية ١٩٨٧/١٩٨٨ - ١٩٩٢/١٩٩١.

رابعاً: الزيارات الميدانية للمحافظات والمناطق السياحية بكل منها

BOOKS

1. Fisher, W.B. = The middle east, a physical, social and regional geography, London, 1952.

STUDIES

2. A.R.E., Ministry of Housing and Reconstruction, Advisory Committee for reconstruction: Ismailia master plan, draft master plan, 1976.
3. A.R.E., Ministry of Housing and Reconstruction, Port-Said master plan, draft master plan, 1976.
4. A.R.E., Ministry of Housing and Reconstruction, Advisory Committee for Reconstruction, Suez master plan, draft master plan, 1976.
5. United Nations development programme, Tourism development in the Suez Canal Zone Arab Republic of Egypt, draft final report, January, 1978.
6. Short - Team Development Plan - Japan International Cooperation Agency = Study on the development plan of Suez Bay, Coasted area, draft final report, March, 1986, Vol. 1.

تكوين النص الشعري عند

"حازم القرطاجنى"

للدكتور

حسن احمد البندارى

تكوين النسي الشعري

عند حازم القرطاجنى

يتردد فى المصادر الأدبية العربية القديمة، عدد من الأفكار النقدية التى تعنى بفحص بناء النسي الشعري، وتلفت النظر الى تكوينه، من حيث التماثل العناصر المشكلة لمرحلتين أساسيتين من مراحل انشاء القصيدة. وهما التخلق المسبب، والتنفيذ الواعى، على نحو ما يظهر عند نقاد الشرق كبشر بن المعتز فى " صحيفته "، والجاحظ فى " البيان والتبيين " وابن قتيبة فى " الشعر والشعراء "، وابن طباطبا فى " عيار الشعر " وابن سنان الخفاجى فى " سر الفصاحة " والقارابى فى " قوانين صناعة الشعراء "، وغيرهم. وعند نقاد المغرب مثل ابن عبد ربه فى " العقد الفريد "، وابن رشيق فى " العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده " وحازم القرطاجنى فى " منهاج البلغاء وسراج الأدباء ".

وفى تقديرى أن الحديث عن نظرة لهذا الناقد أو ذلك فى النسي الشعري بل النسي الأئبى عامة ينبغى أن يخضع لما يسمى بـ " القراءة الفاحصة " (١) التى تقصد فى جوهرها الى تغليب شمول النسي النقدى أمام عيني القاحص، واستنطاقه بوعى نقدى خاص به عن طريق قراءة متعمقة تكشف عن العلاقات الكائنة فيه، وتضىء جوانبهم الداخلة اضاءة تكشف

(١) الدكتور محمود الربيعى :- فى نقد الشعر، دار المعارف بمصر ط ١٩٧٣، ومقدمة كتاب حاضر النقد الأئبى (مقالات فى طبيعة الأئب) ص ١٢ - ١٣ دار المعارف ، ١٩٧٥.

عن معنات الألبى " وثقافة " لا تعلن عن نفسها فى نحو مباشر فج،
وانما تعلن عن نفسها فى صورة فهم افضل للنمى الألبى (والنقدى) أو
منحى أدق فى تحليله، أو تقدير أعدل به" (١) . وبذلك لا تطفـو
المعلومات النقدية فوق النمى موضع الدراسة، بل يجب أن تتخرط فى
نسيجه، وتظهر آثارها فى كيفية التناول وطريقة الفحص.

وإذا كان لكل نمى نقدى ناضج — وكذلك كل نمى ابداعى يتصف بهذه
الصفة — صوته المتميز وخصائصه المنفردة، فإنه من غير الطبيعى أن
تستخدم القواعد الجاهزة الموروثة، والمبادئ المقررة سلفاً استخداماً تغليباً
توصف وتحلل ظواهر النمى فى ضوءها ، لأن الناقد الحق هو الذى يجتهد
فى إبراز خصائص النمى المخروس وتعيين إمكاناته دون أن يأخذ الحديث
فى غيبة منه، وهو الذى كما يقول : مدليتون مرى : " يتوارث احساساً
بأن الصوت الداخلى هو الطلج الذى ينبغى أن يلجأ اليه آخر الأمر" (٢)
ذلك ان أهمية المبادئ العامة والتقاليد الثابتة والقواعد المقررة فى النقد،
ترجع الى كونها مرتكزات وثوابت، ولكنها لا تغنى عن ذلك الصوت الحميم
ولن تمنع سوءاً الا مثل " وما حاجة الانسان للمبادئ وعنده الصوت
الداخلى؟" (٣) ، الذى يكون أساس ميل هذا الناقد أو ذاك الى نمى بعينه

(١) الدكتور محمود الربيعى (الناقد العربى فى مفترق الطرق) مجلة

العربى الكويت ص ١٢، فبراير ١٩٨٦.

(٢) ت.س — البوت . مقالاتفى النقد الألبى ترجمة د/لطيفة الزيات ص ٢٦

الانجل المصرية.

(٣) السابق ص ٣٠.

ما يجعله في حالة نشاط ايجابي " صادق " ، متعدد التساؤل في صدق أيضا ، من جهة أن " الانسان ' الذي يسأل نفسه في صدق يسمع أخيرا صوت الله " (١) على حد تعبير ت.س. اليوت : فهذا الاحساس بالصوت الداخلي، أو توظيفه حال عملية الفحص، هو الذي سيفرض نظريته أو فلسفته الخاصة حينئذ في التكوين والبناء، حتى ولو تلاقى مع جهده صاحبه جهود نقاد آخرين في بحث ذات الظاهرة.

- ٢ -

وإذا احتكم الدارس الفاحص الى هذه " النظرة الخاصة " حال الوقوف على آراء نقاد المغرب مثل ابن عبد ربه، وابن رشيق، فإنه سيجدهم لا يكادون يختلفون مع نقاد المشرق أمثال : الجاحظ وابن قتيبة وابن طباطبا وغيرهم، ولكنه سيجد اختلافا بين مقالته هو " لا " وهو " لا " في تكوين منعة الشعر، وما قاله ناقد متأخر عنهم هو حازم القرطاجني (١٦٨٤هـ) وقد يراهم متفقين معه في الروية، ولكن جوهرها سيظل - رغم هذا - محتفظا بالخصوصية والتميز.

وتتمثل خصوصية رويته في أنه بحث منعة النص في تكوينيها أساسيين، يشتمل كل منهما على " خبرات " متميزة، وإن كانت متصلة مترابطة فيما بينها.

(١) السابق ص ٢٨ ، والدكتور ابراهيم حمادة : مقالات في النقـــد
الأنبي ص ١٧ دار المعارف.

" فالتكوين الأول " يضم أربع خبرات للشاعر يمكن أن نطلق عليها ابتداءً " الخبرات المهيئة الممهدة " أو قوى تخلق النص معنى ولفظاً وتراكيب قبل صياغته . وهى أصيلة وأساسية من حيث إنها تتعاون فى اتصال وتعاقب على جعل الشاعر ينطلق انطلاقاً صحيحاً فى التعبير عن تجربته المقصودة . فالخبرة الأولى هى " الخبرة بالبيئة " التى ينشأ وينمو فيها الشاعر . وقد عناها حازم القرطاجنى بقوله : " النشء فى بقعة معتدلة الهواء حنة الوضع ، طيبة الطعام ، أنيقة المناظر ، ممتعة من كل ما للأغراض الإنسانية به علة " (١) مفيداً أن ثمة عوامل ومقومات يجب أن تتدخل فى اختيار البيئة ذات تأثير " فيولوجى " أو مادى ، مثل اعتدال الطبيعة الحافلة بأنواع الغذاء وألوان الطعام الجيد ، فينتفى حينئذ الحرمان المادى ، مما يجعله وذلك متفرغاً ومهيئاً من الناحية (السيكولوجية) أو النفسية لرؤية مظاهر الجمال ، ورصد أدلة الابداع الطبيعى المحيطة به . وهذا بدوره يؤدى الى الكشف عن المعانى الشعرية التى تعلق بطاقة الخلق لديه وهى الطبع أو الموهبة الفطرية المتمكنة فى نفسه .

ومن البين أن مجموع هذه المؤثرات المتعاقبة تؤثر فى الشاعر الناشئ جسمياً ونفسياً ، بأن تدركها حواسه ، وتعبئها نفسه ، ويخترنهما

(١) حازم القرطاجنى: منهاج البلغاء وسراج الأنباء ، تقديم وتحقيق

محمد الحبيب بن خوجة ص ٤٠ - دار الغرب الاسلامى -

بيروت - الطبعة الثانية .

طبعه صورا واضحة المعالم، وتكون قابلة للاستخدام والتوظيف حينها يستدعيها حال عملية صوغ الشعر في المستقبل، إذ إن قوة الطبع عندئذ هي (استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام ... فاذا أحاطت بذلك علما قويت على صوغ الكلام عملا). (١)

كما أن مجموع هذه المؤثرات يمثل تهيئة تدفع : " طبع الناشئ" الى الكمال في صحة اعتبار الكلام وحسن الرؤية في تفضيله وتقديره ومطابقته ما خارج الذهن به، وإيقاع كل جزء منه في كل نحو ينحى به أحسن مواقع، حتى يكون حسن النثر مشبها حسن نثر المتكلم به" (٢) أي أن حصيلة هذه المؤثرات تؤدي الى كمال قوة الطبع أو الموهبة المتمكنة، فبينما عن هذا الكمال عمل من الشاعر ينحصر في دقة اختيار اللفظ الملائم للمعنى أو الغرض الشعري، وصحة التركيب وسلامته، والتوزيع العادل للقيم الجمالية على وحدات الصياغة وأجزائها، قصدا الى إحداث التأثير في المتلقي.

ولكن حازما ما يلبث أن ينص على أنه ليس من الضروري أن يكون هذا النوع من الخبرة سببا في نضج قوة الطبع الدافعة الى حسن الصياغة وسلامتها، ذلك لأنه " قد تكون النشأة حسنة على غير هذا النحو وذلك بأن تستجد الأهوية للناسئ، وترتاد له مواقع المزن ومواقع الكلام والنبات

(١) السابق ص ١٩٩

(٢) السابق ص ٤٠ - ٤١

الغنى ، ولا يخيم به فى الموضع الا ريثما يصوح كلوه ويغنى ماوه" (١)
أى أن مقومات الطبيعة الحسنة من اعتدال الجو وجريان الماء الصافى
ووفرة الخضرة الممتعة للنظر ومثول ألوان الغذاء الجيد، لاتمثل قاعدة
ثابتة لانفاج الطبع (أو لتتميم الموهبة) ، فقد لاتؤثر هذه المقومات فيه
بينما قد تنهض بذلك مقومات طبيعية ضادة لها كحرارة الجو أو برودته
بدلا من اعتداله، وجفاف الزرع والنبات بدلا من ترعرعه وازدهاره، ونقص
الماء أو انعدامه بدلا من تدفقه وجريانه.

ومعنى هذا ان الباعث على صوغ الشعر ليس عادة ثابتة، بل ان
الباعث عليه مجرد حالة توافق عطية الابداع، التى قد تختلف من شاعر
الى آخر. وقد سبق ابن قتيبة (— ٢٧٦هـ) حازما فى طرق هذه
الناحية بذكره أن كثير عزة كان اذا صعب عليه قول الشعر (بالرباع
المخلية ، والرباع المكنية) (٢) كما سبقه أيضا ابن رشيق (— ٤٥٦هـ)
بقوله فى الفرزدق (كان اذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته، وطاف
خاليا منفردا وحده فى شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخريبة
الخالية فيعطيه الكلام قياسه" (٣) وبقوله فى أبى نواس : " قيل

(١) السابق ص ٤١ تستجد : تتحول ميوله، لا يخيم به : لا يجذب

اليه . يصوح : يبس ويجف : يغضب : ينقص.

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر

ص ١٩٧٧ .

(٣) ابن رشيق : العمدة . تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبدالمعتمد

٢٠٧/١ — دار الجيل — لبنان، بيروت . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .

لابي نواس : كيف عمك حين تريد أن تصنع الشعر؟ قال : أشرب حتى
إذا كنت أطيب ما أكون نفا بين الماحى والسكران صنعت وقد داخلتنى
النشوة والأريحية" (١) .

فمن البين أن لكل شاعر من هؤلاء حالة خاصة لا تتفق مع الحالة
الخاصة بالآخر . وكل واحدة منها تمثل مشيراً لديه قادراً على صوغ تجربته
مهما كانت طبيعة هذه الحالة ، سواءً كانت مقبولة مستأفة عند غير الشعراء
أم كانت ممجوجة منفردة تأبأها نفوسهم وأنواقهم . ولعل هذا المعنى يفسر
قول هؤلاء النقاد ، وقول سبندر (Spender) عند

حديثه عن صناعة القصيدة (The Making Of A Poem)

ان الشاعر الانجليزى شيلر (Schiller) اعتاد أن يشم رائحة التفاح
القاسد ، فى أثناء نظم القصائد . (٢)

وتتوافق هذه الأفكار مع تعليل حازم لهذه الظاهرة بقوله : " فان
الطباع الناشئة ايضاً على هذه الحال وان لم تكن فى الأقاليم المعتدلة
جارية مجرى تلك فى سداد خاطر والتنبه لما يحسن فى هيات الألفاظ
والمعانى وما لا يحسن" (٣) يريدنا بهذا التفسير التأكيد على أن مظاهر

(١) السابق : ٢٠٧/١ .

(٢) الدكتور يوسف حسين بكار : بناء القصيدة فى النقد العربى القديم
فى ضوء النقد الحديث ، دار الاندلس ، بيروت الطبعة الثانية ،

١٩٨٣ - ص ٦٦ .

(٣) منهاج البلاغ ، وسراج الأنبا ، ص ٤١ .

" البيئات الطبيعية " المعتدلة لها دور فى تشكيل طاقة الخلق عند الشاعر ، وعلى أن البيئات الفاقدة لهذه المظاهر تتدخل أيضا بالايجاب فى تشكيله وتتميته . ولكن ثمة خاصية تميز طاقة شعراء البيئات الثانية ، وهى " الاختصاص " بصواب الفعل ذهنى ، الذى يجعل الشاعر قادرا على التمييز بين الجيد والردى ، من المعانى والألفاظ عند الصياغة .

والخبرة الثانية هى (الخبرة اللغوية) التى تكتسب عن طريقك (الترعرع بين الفصحاء الألسنة ، المستعطين للأناشيد ، المقيمين للأوزان) (١) أى ضرورة وقوف الشعراء الناشئين على الأناء اللغوى الفصح الصادر عن فصحاء بيئتهم ، والاصفاء الدقيق الى ماينشدونه من أشعار لهم أو لغيرهم ، تدريبا لأنهم على جوهر العمل الشعرى وهو (الوزن) . فهذه الخبرة تعتبر مهيتا ضروريا بوجه قوة طبع الناشئ (لحفظ الكلام الفصح وتحصيل المواد اللفظية ، والمعرفة باقامة الأوزان) (٢) أى أنفعالية قوة الطبع الخلاقة وهن بتحقيق اجراءين متصلين من قبل الشاعر الناشئ ، هما : حفظ المادة اللغوية واستيعاب أساليبها ، فيتم له حينئذ الثراء اللغوى الذى يمكنه من التعرف على أساس الصنعة الشعرية وهو الوزن الذى ينبغى أن يوظف توظيفا ملائما للمعنى المستهدف .

(١) السابق : ص ٤١

(٢) السابق : ص ٤١ .

والخبرة الثالثة هي (الخبرة النفسية) التي تشمل على احاسى بفعل
آني^{٤٣} هو : (الاطراب) واحاسى بفعل مستقبل هو : (الآمال) . فيجب ان
يدرب الشاعر الناشئ على الاحاسى بالاطراب أو بما هو كائن حاضر ليستوعب
مشرات الحنين النفسى الى من يحبه من البشر^{٤٤} والى ما يحبه من غيرهم
وليتعرف على الاحاسى بالانفعال الناتج عن الفراق والحرمان . وأن يدرب على
الاحاسى بالآمال ، أو بما هو متوقع حدوثه ، فيتعرف على كيفية توجيهه

ورغباته وميوله ، تجاه النافع من الأمور الممكنة والمتوقع وقوعها فى المستقبل ،
والعمل على تحقيقها على أساس تلك الرغبات ، يقول فى ذلك : "وكانت
البواعث تنغم الى أطراب وآمال ، وكان كثير من الأطراب انما يعترى أهل
الرحل بالحنين الى ما عهدوه ومن فارقوه ، والآمال تعلق بخدام الدول
النافعة" . (١) فكلا الاحاسين يعد مظهرًا لبواعث قوية تتضاف الى
الطاقة الخلاقة عند الشاعر ، فتجعله يعوِّد شعره صياغة حنة .

ولا يمنع هذا التقسيم الثنائى للبواعث من افتراض وجود قسم ثالث ،
أو عدد من الأقسام لم يشر اليها . حازم القرطاجنى ، فثمة حالات كالحنين
والأسى والشجن والغضب والقلق . فى مقابل الاطراب ، ومثل حالات
اليأس والقنوط والتعاسة والاحباط والخوف ، فى مواجهة الآمال ، وهذه كلها
بواعث تتضمنها الخبرة النفسية . ولكن من الممكن القول إن حازما لم يفته

(١) السابق : ع ٤١ - ٤٢ .

ذلك، فربما قصد أن هذه البواعث المتروكة ذكرها، وغير المنصوص عليها في
نصه النقدي - تخرج تحت الوجه السلبي لكلا القسمين .

الخبرة الرابعة وهي (التوثيقية) ، التي تعنى ضرورة افادة قوة
الطبع بالثقافة المتمثلة باللفظ المستعمل ، وبالمعرفة المتعلقة بالمعنى
المصوغ ، حتى يمكن ايجاد " الاطمئنان " النفسى لدى الشاعر والمتلقى معا .
ذلك انه (لما كان القول فى الشعر لا يخلو من أن يكون وصفاً أو
تشبيهاً أو تاريخاً - احتاج الشاعر ان تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي
من شأن الشعر أن يتعرض لوصفها ، ولمعرفة مجارى أمور الدنيا وأنحاء
تصرف الأزمنة والأحوال ، وأن تكون له قوة ملاحظة لما يناسب الأشياء
والقضايا الواقعة من أشياء أخر تشبهها ، وقضايا متقدمة تشبه التي فى
الحال) (١) أى أن من الضروري بعد حصول الشاعر على الخبرات الثلاث
(البيئية - اللغوية - النفسية) المتقدمة أن يقف على الأدوات أو المعرفة
الواضحة ب (العلوم المتعلقة بالألفاظ والعلوم المتعلقة بالمعاني) (٢) حتى
تكون معرفته بالعلمين ركيزته التي تحقق للمعاني الشعرية المحسنة
وتجنبها الوقوع فى الخطأ ، ولالألفاظ الدقة والسلامة ، والإحكام ، فيستمد
منها الوصف الملائم ، والتشبيه المناسب والمعلومات الحاثية . وتمده بدورها

(١) السابق : ص ٤٢

(٢) السابق : ص ٤٠

— بالقدرة على " التمييز بين المتشابهات " من القضايا والأشياء فتتجوز صيغه الشعرية من الخلط والاضطراب. (١)

ومن الملاحظ أن هذه الخبرات الأربع تلتقى على هدف واحد هو العمل على تكوين (الطبع الجيد) أو الموهبة الناضجة، ذلك ان تعبير الشاعر عما اختزنه طبعه من خبرات طبيعية ولغوية ونفسية وتوثيقية (تثقيفية)، يحتاج الى وعى بخمائص المعانى التى يزعم (الشاء—) استخدامها بما تتطوى عليه من مشرات مختلفة، والى وعى بتقاليد الألفاظ التى تناسب هذه المعانى من حيث الملاءمة والتشابه بين الموقف المعنوى والصورة اللفظية.

وقد ربط حازم القرطاجنى تحقيق هذه الخبرات " بطيب البقعة

(١) فكرة "التمييز بين المتشابهات" قريبة من فكرة محمد بن سلام الجمعى فى كتابه " طبقات فحول الشعراء " الخاصة بالحث على ضرورة وجود الخبير المنرب الذى يفرق بين المتشابهات فى مجالات الأصوات والألوان والعينيّات المحسوسة، فى مقابل الناقد المتخصص الذى يلاحظ الفروق بين الأشعار الجيدة والأشعار الرديئة. وان كانت فكرة حازم القرطاجنى — هنا — خاصة بصميم العناية الابداعية. وعلى أية حال فان هدف الفكرتين واحد وهو: اضافة الحس النقدى الى طاقة الشاعر المبدع.

ينظر: طبقات فحول الشعراء تحقيق الاستاذ محمود شاكر ، ط .
المدنى ١٩٧٤، ٥-٧ . والدكتور محمود الربيعى: نصوص من النقد العربى — دار المعارف، الطبعة الاولى: صفحات ١٠، ١١، ١٢، ١٤.

وفصاحة الامة، وكرم الدول، ومعاودة التثقل والرحلة" (١)، قاصداً بذلك الربط بين أن البقعة أو البيئة الطيبة التي نشأ الشاعر فيها واكتمل، تعينه على الوعي بالمعاني والتفنن فيها: " فقلما برع فى المعانى من لم تنشئه بقعة فاضلة" (٢)، ومخالطة أهل الفصاحة تجعل صابرا فى اختيار الألفاظ المناسبة. وتشجيع الدولة له بالمال والرعاية يدفعه على الاجادة، والحرمان من الأحباء وفراقهم يدعو الى التفنن فى التعبير عن ألم الفراق.

والتكوين الثانى : يختص بتنفيذ صنعة الشعر. فقد بحث حازم القرطاجنى قوى هذه الصنعة أثناء عمل الشاعر فى القصيدة من زاويتين: الزاوية الأولى هى التنبيه على أهمية القوى المشكلة لطاقة الشاعر الخلاقة وهى القوى " الحافظة - المائزة - والمانعة" أما عن " القوة الحافظة" فقد حدد مفهومها ودورها فى التشكيل بقوله: " أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازا بعضها عن بعض، محفوظا كلها فى نصابه، فانا أراد مثلا أن يقول عرضا ما فى نسيب أو مديح أو غير ذلك

(١) منهاج البلاغ، وسراج الأدباء ص ٤٢.

(٢) السابق: ص ٤٢، من الواضح أن ربطه براعة الشاعر فى توظيف المعانى بالبقعة الفاضلة المتميزة بالجمال يمثل اتجاهاً عالياً فى عملية الابداع، ولكنه لا يشكل قاعدة ثابتة ملزمة، ذلك ان للبقعة المضادة الرديئة دورها أيضا فى الاجادة والبراعة، وهناك من الشعراء من اثارته المناطق الجرداء والبيئات الخالية من الجمال، مثل كثير والفردق كما تبين.

وجد خياله اللائق به قد أهبطه له القوة الحافظة بكون الأشياء مرتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود . فإذا أجال خاطره في تمورها فكأنه اجتلى حقائقها . وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور . فإذا أجال خاطره في أوصاف الأشياء وخیالاتها اشتبهت عليه واختلطت ، وأخذ منها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه . الى ذلك " . (١)

ويتبين من تحديده مفهوم هذه القوة كـ أنها ليست الا الذاكرة الواعية التي تخزن ما يقع عليه بصره من صور متنوعة ، وما تشعر به نفسه من معان مختلفة تثيرها هذه الصور . حقا ان هذه الخاصية غير مقصورة على الشاعر ، اذ هي انسانية عامة يشترك فيها الناس جميعا ، ولكنها لدى الشاعر خلاقية أو صانعة أخيلة فنية ، من حيث قدرتها على مد وعيه بصور الأشياء مرتبة - لا الأشياء نفسها - كما وقعت في عالم الواقع والحقيقة ، وأثناء استهدافه الغرض المعين ، كالمدح والنسيب مثلا كـ فيتم له من ثم الوضوح والانتظام ، فلا تختلط عليه الصور المخزونة ولا تتشابه . وفي هذه الحالة يكون الشاعر " كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده ، فإذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء رعد الى الموضع الذي يعلم أنه فيه ، فأخذه منه ونظمه

وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فانه يقصد بملاحظة
الخطر منها الى ما شاء فلا يعدوه" (١) وتهدف المقابلة بين ناظم
الجوهر الخبير المتذكر لمواقع جواهره، والشاعر الشديد الحفظ - التأكيد
على أهمية صفاء " الذاكرة الواعية" ، التي تعين كلا منهما على الاختيار
الصحيح فكما أن هذه القوة تجعل الجواهرى عالما بآماكن جواهره المحفوظة
فينتقى منها فى سهولة لينظمه فى العقد على نحو من التلاؤم والمتناسب
فانها كذلك توجه الشاعر الى " المخزون " من المعانى والألفاظ والصور،
فيلتقط منه ما يتوافق مع غرضه الذى يقيم عليه شعره فى ترتيب وتنظيم
يميزان خياله حينئذ بالصفاء.

واذا كانت قوة الذاكرة سببا فى صفاء الخيال الشعرى ، فان "الخيال
المعسكر" أو غير الصافى لى الا ثمرة ذاكرة ضعيفة وحافظة واهيئة .
ويشير حازم القرطاجنى الى ذلك بقوله " والمعسكر الخيالات كناظم تكون

(١) السابق ص ٤٣ . تبدو هذه الفكرة قريبة جزئيا من فكرة عبد الله
ابن المقفع، حيث تناول مسألة الجمع بين المتشابه والمتوافق فى
عمل كل من ناظم الجوهر والأديب، فنى على أن عمل الأديب :
" لى زائدا على أن يكون كصاحب قصص وجد ياقوتا وزبرجدا
ومرجانا فنظمه قلائد وسوطا وأكاليل ، ووضع كل فى موضعه ،
وجمع الى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسنا " ص ١٢٦ ، ١٢٧
من كتابه (الأدب الكبير والأدب الصغير) دار الجيل - بيروت
وهى قريبة أيضا من فكرة ابن طباطبا الذى أراد أن يكون الشاعر =

جواهره مخططة، فاذا أراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه، وربما وقع على البغية فنظم في الموضوع غير ما يليق به، والمعتكر الخيالات في هذه أجدد بطول السرد، لكون الأشياء التي في الحس أوضح من التي في التصور والذهن" (١) . فتتم هذه المقابلة على أن ضعف هذه القوة يؤدي الى صعوبة البحث عن المطلوب المناسب، سواء أكان الباحث عنه جواهريا أم كان شاعرا. وإذا تم العثور عليه فإن كلا منهما - بسبب هذا الضعف - يوظفه في غير موضعه. وتبدو المشكلة جادة بالنسبة للشاعر "المعتكر الخيال"، حيث يكون اشد حيرة، لأن العناصر المشكلة لهذه القوة أقل وضوحا في التصور والذهن، بمعنى أن الاحساس بوجودها الواقعي أبرز من الإدراك الذهني أو الفني لها، وهذا يعني أن ثمة قاعدة يجب أن تراعى في هذه الحالة وهي الحذر من أن تكون "الأشياء

= " كناظم الجواهر الذي يوئلف بين النفس منها والشمين الرائق، ولا يشين عقوده بأنه يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها" .

ص ٢٠ من كتابه : عيار الشعر تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية طبعة ١٩٨٠ .

ويبدو أن حازما القرطاجني قد استند في صوغ فكرته على هذين النصين ولكن يبقى انه جعل فكرته - رغم ذلك - نقطة انطلاق الى تناول اساس الابداع الشعري وهو الخيال او التخيل .

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٤٢ .

التي في الحس أوضح من التي في التصور والذهن". (١)

وثمة قوة ثانية تنشأ عن فعالية " الذاكرة الواعية " ، وهي (القوة المائزة) ، التي تختص بالتمييز بين العناصر التي انتقاها الشاعر من الذاكرة الواعية ، حيث يعتمد الى توظيف الملائم للغرض الشعري المعالج بعد أن يفرق بين ما يليق بهذا الغرض وما لا يليق به ، ومن ثم يكون قادرا على حسن الاختيار وسلامة الانتقاء من مخزون القوة الواعية ، يقول حازم :
" والقوة المائزة هي التي يميز بها الانسان ما يلائم الوضع والنظم والأسلوب والغرض ما لا يلائم ذلك ، وما يصح ما لا يصح " . (٢)

ومن الطبيعي أن ينتج عن التعاقب السببي لهاتين القوتين ، قوة ثالثة وهي (القوة المانعة) ، فهي نتيجة أو استجابة للاجراء الذهني في القوة الحافظة والاجراء العطي في القوة المائزة . وقد حددها بقوله :
" هي التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الالفاظ والتركيبات النظمية

(١) السابق ص ٤٣ ، هذا التحذير يبنى فكرة حازم القرطاجني - هنا - من فكرة المحاكاة ، التي تحدث عنها أرسطو ، حيث فرق أرسطو بين الحقيقة او الشيء الواقعي المادي ، صورة الحقيقة أو صورة هذا الشيء الواقعي المادي . والعمل الفني (قصيدة ، أو مسرحية) يعني اساسا بتصوير الحقيقة - بعد أن تمثلها الذهن واستوعبها - في صياغة جديدة مخالفة لما كانت عليه الحقيقة ، او الواقع المادي .

(٢) منهاج البلاغة وسراج الأديباء ص ٤٣ .

والمذاهب الاسلوبية الى بعض، والتدرج من بعضها الى بعض ، وبالجملـة
التي تتولى جميع ما تلتئم به كليات هذه الصناعة" (١)

ويقصد بهذا التحديد أن يبين أن نشاط القوة المانعة، يتعين في
نهوضها باحكام النص وربطه، عن طريق ضم بعض الصيغ الجزئية المنفردة
الى صيغ جزئية أخرى تقتضيها وتتطلبها، وضم عدد من التراكيب والأاليب
الى أخرى تتوافق معها، وعن طريق مراعاة تحقيق نمو الفكرة واتصالها
التدرجى بما يعدها من افكار. ويكون الشاعر بذلك قد نفذ فكرة النقاد
الذين سبقوا حازما القرطاجنى وهى تحقيق " التئام الشعر وترباطه" (٢)
عقب الفراغ منه.

[ولم ينكح حازم القرطاجنى على فعالية هذه القوى المتطلبة
المتعاقبة الا ليحدد عناصر " الطبع الجيد"، أو الموهبة الشعرية الخلافة
القادرة على صوغ الشعر صياغة جيدة. يقول : " وهذه القوى التى هى:
الحافظة، والمميزة، والمانعة، وما جرى مجراها فى احتياج الشاعر أن

(١) مثل أبى هلال العسكري : فقد قال : " وتخبر الألفاظ وابدال
بعضها من بعض بوجوب التئام الكلام (يقصد الشعر والنثر) ، وهو
من احسن نعوته، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها مقرونة بلفقها،
فان تنافر الالفاظ من اكبر عيوب الكلام " ص ٤١ ، ٤٢ من كتاب
الصناعتين ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلى محمد
البجاوى ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ - دار احياء الكتب العربية.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأنبا ص ٤٣.

ولم ينس حازم القرطاجنى على فعالية هذه القوى المتعلة المتعاقبة
الا ليحدد عناصر " الطبع الجيد" ، او الموهبة الشعرية الخلاقة القادرة
على صوغ الشعر صياغة جيدة . يقول : " وهذه القوى التى هى :
الحافظة ، والميزة والمانعة ، وما جرى مجراها فى احتياج الشاعر أن تكون
موجودة فى طبعه . . . هى المعبر عنها بالطبع الجيد فى هـــــ
المناعة" . (١)

والزاوية الثانية فى تنفيذ صنعة الشعر هى تطبيق الشاعر مبدأ
" الروية" الذى يعد عاملا مكملا لتجويد هذه الصنعة ، لكونه ينشد
تنقيتها وتصفيتها ليصل بها الى ذروة الكمال الفنى ، وقد نص على هذا .
المبدأ فى مجال المقارنة بين المرتجل والمروى فقال : " وماخذ القول
فى الارتجال قريبة سهلة ، لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب فى
ذلك . . يتخيل المرتجل ما يريد أن يقوله فى وصف الشئ ، ثم يأخذ
فى نظم ذلك الشئ . . ويتسامح فى كثير مما يأتفق فيه المروى ، ويقبل
ما لا يقبله المذهب المنقح ، لضيق الوقت عليه واتساعه على ذلك ، فأما
الروية فان المباحث فيها كثيرة والمذاهب بعيدة ، لكون الزمان فيها يتسع
لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على أصناف محاسن الألفاظ
والمعانى ، وابداع النظم والتأنق فى احكام الأسلوب" . (٢)

(١) السابق ص ٤٣ .

(٢) ص ٢١٣ - ٢١٤ .

القرطاجنى (فى القرن السابع هـ) قد عمد الى تقنيه وتقعيده بأسلوب المقارنة التوضيحية، فاذا كان " المرتجل " لشعر ما لايتوقف للنظر فيما قاله، لأنه خاضع لطلب انفعالى وسريع فى زمن قصير لايسمح بالنظر المتأنى والمراجعة البطيئة، فان الشاعر المروى خاضع لموقف مضاد يعمل فيه النظر فى عزلة - منفردا او مخالطا - فى زمن أطول . وهو فى هذه الحالة مرتبط بنهج يعمل فى ضوءه وهو البطء والتأنى فى صنعته .

ويترتب على اختلاف النهج عند الشاعرين ان الأول (المرتجل) " يتسامح فى كثير مما يتأنق فيه المروى " ويقبل كثيرا مما لايقبله المذهب لضيق وقته، وأن الثانى (المروى) يذهب الى غير ذلك، لكون الزمن فى صالحه " يتسع لطلب الغايات المستطاعة"، ومن ثم اتجه عمله فى النص الى بنائه على قيم جمالية بارزة، والتعاضد الأسباب التى تحكم النص وتربطه وبعبارة حازم القرطاجنى بناء الشعر على " أصناف محاسن الألفاظ والمعانى ، وابداع النظم، والتأنى فى احكام الاطلوب " .

= على نفسه " ، من كتاب البيان والتبيين ٩/٢ ، فهو هنا ينسب على أن هذا المبدأ يتيح لشاعر الصنعة المتأمل أن يختبر صياغة القصيدة خشية التزيد والانحراف . وقد وسع ابن قتيبة هذه الفكرة وفصلها بذكره أن (الزمن) بوجهيه المحدد والمتصل، يتدخل فى تشكيل صياغة النص الشعرى والأدبى صياغة صحيحة، يقول : " وللشعر اوقات يصرع فيها أتية ويسمح فيها أبيه، منها اول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير . ولهذا العلل تختلف اشعار الشاعر ووسائل الكتاب " من الشعر والشعراء ص ٨٧ .

وقد قوى هذه الفكرة ونماها بوضعه خطة دقيقة للشاعر المروى ،
تتضمن مبادئ لتجويد النسي الشعرى ، وقد مهد لها بطرح أربعة مواطن
للبحث وعلى بالترتيب .

١- موطن قبل الشروع فى النظم

٢- وموطن حال الشروع

٣- وموطن عند الفراغ يبحث فيه عما هو راجع الى النظم

٤- وموطن بعد ذلك متراخ عن زمان القول ، يبحث فيه عن معان

خارجة عما وقع فى النظم لتكمل بها المعانى الواقعة فى النظم
وتستوفى بها اركان الانغراض ويكمل بها التثام المقاصد^(١) فهو يرى أن
الموطن الاول والثانى وهما " قبل الشروع " و " حال الشروع يعتمدان
على قوة ضرورية اساسية فى بدء عطية الابداع الشعرى ، وهى قوة
" الخيال المبدع " ^(٢) ، "Creative Imagination"

أو التخيل ، التى استوعبت منجزات
الخبرات الأربع (الطبيعية - اللغوية - النفسية - التوثيقية) ، تلك
المنجزات المنحصرة فى المعانى والأحاسيس والصيغ الجزئية والصور الكلية ،
التي جرت فى عالم الواقع ، قصد الى تشكيلها فى صورة لغوية جديدة معادلة
على اعتبار أن هذالقوة الفعالة الناضجة تجعل الشاعر " لايغنى بتصوير

(١) منهاج البلاغ ص ٢١٤

(٢) الدكتور محمود الربيعى ، فى نقد الشعر ص ١٩١ .

ماهو كائن فعلا، وانما يهتم بتصوير ماينبغى أن يكون . أو بعبارة أخرى
لايصور الحقيقة الحرفية، وانما يقدم لها مقابلا حيا ممثلا ادخل في باب
الحقيقة من الحقيقة الحرفية نفسها" (١)

وأن الموطن الثانى وهو (عند الفراغ) الفورى من الصياغة، يعتمد
فيه الى استثارة القوة الملاحظة او (البصيرة الشعرية) poetic insight (٢)
التي تسدد الى جميع جهات النص ومختلف جوانبه، اعتمادا على تلك الخبرات
وأن الموطن الرابع وهو (متراخى عن زمان القول . . .) أى انقضاء زمن
غير قصير على الفراغ من الصياغة - تتعاون فيه مع قوة الشاعر الملاحظة
قوة أخرى وهى (القوة المستقصية) التي تدقق بها فى تفاصيل الصنع
وجزئياتها، رغبة فى اكتمالها والوفاء بكل جوانبها الفنية، مستعينا أثناء ذلك
بضروب المعارف ، وأنواع الثقافات الخاصة بصناعته . يقول فى ذلك : " فأما
الموطن الاول فالغناء فيه لقوة التخيل ، والموطن الثانى : الغناء فيه
للقوة الناعمة، ويعينها حفظ اللغة، وحسن التصرف، والموطن الثالث :
الغناء فيه للقوة الملاحظة ^{على} كل نحو من الأنحاء التي يمكن أن يتغير
الكلام بها، ويعينها حفظ اللغة أيضا، وجودة التصرف والبصيرة بطرق
اعتبار بعض الالفاظ والمعانى من بعض. والموطن الرابع : الغناء فيه

(١) السابق : ص ٤٠

(٢) السابق : ص ١٩٠

للقوة المستقصية الملتفتة، ويعينها حفظ المعاني والتواريخ وضروب المعارف." (١)

ولكن الشاعر المروى من جهة الحرص على الوفاء التام بصنعتة، ما يلبث أن ينهى بخطوة أخيرة براها مكملة لخطته الموضوعية، حيث يعرض صنعتة - التي فرغ منها - على نفسه، معطيا لها فرصة تصفيتها من الشوائب وإصدار الحكم النهائي عليها، حتى تتحقق لها السلامة، فربما احتاج النسي حينئذ الى (الحاقيات) و (ابدالات) و (تغييرات) و (حذف) يقول:

" ويعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة وكما انتظام القصيدة المرواة - قد يعرضها الناظم على نفسه، فتظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه، من الحاقيات وابدالات وتغييرات، وحذف، وقد يعرض للشاعر موضع يرى انه خلق بالتغيير او الزيادة فيتعذر عليه ما يليق بالموضع من التغيير او الزيادة فيرجى النظر فيه الى وقت آخر، وقد يعاود النظر في ذلك المرات الكثيرة، فلا يتيسر له ما يريد الا بعد معاونات كثيرة قد

(١) منهاج البلاغة وسراج الأدباء ص ٢١٤. لعل حازما القرطاجني في هذا النص د أفاد من فكرة التعديل والتوفيق التي تستخلص من نبي ابن طباطبائي الخاص بضرورة النظر بتأن في القصيدة عقب الفراغ منها طلبا للكمال وتحقيقا للجودة. فقد حث الشاعر على أن " يتأمل فيصنعها مقدأدا طبعه وانتجبه فكرة قبيحة انتقاده، ويرم ما وهى منه"، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية، ص ١٩ من كتاب عيار الشعر، فمن اليسير ملاحظة بعض العناصر التي أفاد منها حازم القرطاجني في نمه، ولكن لا يمكن أنكار جهده في توصيف هـ العناصر وسلوكها فيما يشبه القواعد او القوانين، التي ظهرت في حديثه عن خطته المقنعة.

تطراً عليه (عند) معاودة النظر" (١)

وينى حازم القرطاجنى — استكمالاً لهذه الفكرة — على الفائدة الفنية المتحصلة من هذا الجهد المتواصل الذى يبذله الشاعر المروى ، فيقول :
" ومن أصحاب الروية من يجهد فى استجداد العبارات . . . والتأنق فيها من جهة الوضع والترتيب . . . وأعنى بالاستجداد : الجهد فى ألا يواطئ من قبله فى مجموع عبارة أو جملة أو معنى ، وبالتأنق طلب الغاية القصوى من الابداع فى وضع بعض اجزاء العبارات والمعانى من بعضى وتحسين هيات الكلام فى جميع ذلك فان العبارة ، اذا استجدت مادتها ، وتأنق الناظم فى تحسين الهيئة التأليفية فيها ، وقعت من النفوس أحسن موقع ، وكذلك الحال فى المعانى فتأمل ذلك" (٢)

فالفائدة المتحصلة من هدف الشاعر المروى تنحصر فى أمرين بوئدى كلاهما الى ثالث ، الأمر الأول هو " الابتكار " الذى يتمثل فى " استجداد " التعبير أو ابتداع أساليب جديدة وطريقة ، والاختصاص به ، مما يجعله متميزاً فى ألفاظه ومعانيه عن سبقه من الشعراء ، والأمر الثانى هو " تنمية الأنا " اللغوى " على نحو سبى ، بأن يعتمد الشاعر الى

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢١٤ — ٢١٥ .

(٢) السابق : ص ٢١٥ — ٢١٦ .

توليد بعض الصيغ الجزئية من معنى فى إطار العبارة والتركيب، بغرض تحقيق الترابط والاحكام لبناء القصيدة، مع مراعاته تجميل هذا البناء الكلى أو الهيئة التركيبية بالمحسن اللغوى أو المعنوى، أو بهما معاً، وينتج بالضرورة عن هذين الأمرين الأمر الثالث : وهو " استجابة المتلقى " فى النهاية للنمى وتأثره به لوقوعه من نفسه أحسن موقع، بسبب هذا الجهد المتواصل المتنوع، فتضيف هذه " الاستجابة " - حينئذ - الى النمى الشعرى قيمة تنضاف الى تكوينيه الأساسيين : " التخلق المسبب " ، و " التفتيش الواعى " على نحو ما تبين .

=====

المصادر والمراجع

- ١- أرسطو : فن الشعر : ترجمة وتحقيق د/عبد الرحمن بدوي
النهضة المصرية ١٩٥٢ .
- ٢- البيوت (ت - س) مقالات في النقد الأدبي ، ترجمة
د. /لطيفة الزيات - الانجلو المصرية .
- ٣- البيوت (ت - س) مقالات في النقد الأدبي ترجمة د/ ابراهيم
حمادة - دار المعارف .
- ٤- بشر بن المعتمر : صحيفته ص ١/١٢٨ من كتاب البيان
والتبيين للجاحظ ، و ص ١٢٥ من كتاب الصناعتين
لابي هلال العسكري ، و ص ١/١٨٦ من كتاب العمدة
لابن رشيق .
- ٥- الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق : عبد السلام هارون ،
الخانجي بصر ١٩٦٨
- ٦- حازم القرطبي : منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق محمد
الحبيب بن خوجه ، دار الغرب الاسلامي - بيروت -
الطبعة الثالثة .
- ٧- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده . تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت -
ط (٤١) ١٩٧٢ .
- ٨- ابن سلام الجهمي طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد
شاور ط المعنى ١٩٧٤ .

المصادر والمراجع

- ١- أرسطو : فن الشعر : ترجمة وتحقيق د/عبد الرحمن بدوي
النهضة المصرية ١٩٥٣ .
- ٢- البيوت (ت - س) مقالات في النقد الأدبي ، ترجمة
د. /لطيفة الزيات - الانجلو المصرية .
- ٣- البيوت (ت - س) مقالات في النقد الأدبي ترجمة د/ ابراهيم
حمادة - دار المعارف .
- ٤- بشر بن المعتمر : صحيفته ص ١/١٣٨ من كتاب البيان
والتبيين للجاحظ ، و ص ١٣٥ من كتاب الصناعتين
لابن هلال العسكري ، و ص ١/١٨٦ من كتاب العمدة
لابن رشيقي .
- ٥- الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق : عيد السلام هارون ،
إلخانجي بصر ١٩٦٨
- ٦- حازم القرطبي : منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق محمد
الحبيب بن خوجه ، دار الغرب الاسلامي - بيروت -
الطبعة الثالثة .
- ٧- ابن رشيقي : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده . تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت -
ط (٤) ١٩٧٢ .
- ٨- ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد
شاذكر ط المني ١٩٧٤ .

٩- ابن طباطبا العلوى : عيار الشعر، تحقيق د/ محمد زغلول.
سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ط ١٩٨٠.

١٠- عبد الله بن المقفع : الأئب الكبير والأئب الصغير . دار
الجيل - بيروت.

١١- ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر،
ط (٣) دار التراث العربى ١٩٦٧

١٢- د. /محمود الربيعى فى نقد الشعر ، دار المعارف بمصر ط ١٩٧٣

١٣- د. / محمد الزبيعى مقدمة كتاب : حاضر النقد الأئبى-
مقالات فى طبيعة الأئب ل جورج ستيرن واخريين
ط ١٩٧٥.

١٤- د. / محمود الربيعى نصوص من النقد العربى طبعة (١)
دار المعارف ١٩٧٧.

١٥- د. /محمود الربيعى الناقد العربى فى مفتقر الطرق مجلة
العربى - الكويت ، عدد فبراير ١٩٨٦.

١٦- ابو هلال العسكري : كتاب الصنائع تحقيق: محمد ابو الفضل
ابراهيم وعلى محمد البجاوى ط (١) دار احياء الكتب
العربية ١٩٥٢.

١٧- د. /يوسف حسين بكار. بناء القصيدة فى النقد العربى القديم
فى ضوء النقد الحديث - دار الاندلسى. بيروت ط ٢

بين اعلان النـسـم وفرض الحمايـة

على ضوء الوثائق البريطانية

دكتورة : فاطمة علم الدين عبد الواحد

مجلس النواب
البرلمان
البرلمان
البرلمان

بين اعلان الخس وفرنس الحماينة

مقدمة
مقدمة

بعد تفجر الحرب العالمية الاولى بين دول التحالف ودول الوفاق لم يكن سلوك الدولة العثمانية صاحبة السيادة القانونية على مصر واضحا في البداية ، الا انها بدأت تهبط جيوشها امصارا من ٢ أغسطس ١٩١٤ بحجة الاحتياط للجواري ، وكانت الحكومة البريطانية تجهل ارتباط تركيا وألمانيا بمعاهدة سرية وقعت في ٢ أغسطس ١٩١٤ ، عرفت فيما بعد انها تمكنت قيام ألمانيا بتقديم المساعدات الحربية اللازمة لتركيا في حالة نشوب الحرب وأن تقوى الدفاع عنها اذا هددت الحرب أراضيها . وتبعاً لذلك أرسلت لها ألمانيا بحقة عسكرية بقيادة " إيمان كون ساندل " (١) ، في الوقت الذي كان فيه أنور باشا وزير الحربية العثمانية يحلن تصميم بلاده على البقاء على الحياد . وعندما دخلت بريطانيا الحرب في ٤ أغسطس ١٩١٤ أصدرت تركيا قرارا بخلق مدق في الدردنيل والبوسفر في وجه سفن الحربيين المتحاربين كأحد الأدلة على ذلك الحوادث .

ولم تكن الحكومة البريطانية من الناحية الواقعية تجهل ميل السئولين الأتراك نحو ألمانيا ، وأن حياد تركيا - بالرغم من أطها في استناره - إنما هو حياد ظاهري برف ، إلا أن أهمية قناة السويس الحيوية بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية دفعها الى اعتبار الدفاع عن الاراض المصرية في نفس مستوى الدفاع عن الجزائر البريطانية ، وركزت جل اهتمامها في محاولة الحفاظ على السيطرة السياسية والعسكرية على مصر بأي شكل من الاشكال .

ولما كان الاستقرار الداخلي في مصر ايمان تلك الحرب من أهم العوامل التي تعتمد عليها لضمان النصر ، لذا كانت تفضي دائما دخول تركيا الحرب الى جانب الألمان لما تعتقده من مدى العلاقة التي يكتسبها السعبد المصري المسلم

لنسلطان العثماني بصفته خليفة المسلمين ، ولذا أخذت تعلن المرة تلو الأخرى
في اسطنبول والقاهرة ولندن أنها لا تنوي تغيير الحالة القائمة في مصر آنذاك
إذا وقعت تركية على الحياد . وعندما قررت أمكن الحرب مثل عكسها
تركيا ، كان لبلاغ "الحبيب المصري" ذلك القوام من أكبر المشاكل التي واجهتها والتي
دفعتها إلى ذلك الجود الدائم في اتخاذ قراراتها المتعلقة بالوضع السياسي في
مصر ، ووضع تلك القرارات موضع التنفيذ .

نقد كانت السلطات البريطانية في القاهرة عند قيام الحرب
الدائمة الأولى تدرك تماما حقائق الموقف في مصر ، وكان رأيها دائما في
التعامل مع الحاسم في غالبية قرارات وتعليمات وتصريحات وزارة الخارجية
البريطانية في ذلك الوقت .

لقد كانت تلك السلطات تدرك تماما أن مسألة الشعب المصري
بحكم تاريخه في الاعلام الطويل ما زالوا يقاتلون بأيدٍ موحدة " الجامعة الإسلامية " ^١
التي تدعو إلى الاستقلال في إطار الترخية للدولة العثمانية ، وأنه ما زال
تتعاثر متعلبا بدولة الخلافة ، وقد تأكد لها هذا في حادثة طابا
عام ١٩٠٦ ، كما تأكد لها أيضا خلال الحرب الإيطالية العثمانية التي بدأت
في ١٣ سبتمبر ١٩١١ والتي ظهر خلالها مدى لoyalty غلبة المصريين مع
الدولة العثمانية ، ورغبته في مساعدتها (١٢) ، ولذا كان هذا التدخل
دائما في حسابهم عند اتخاذ أي قرار خفية نظرة العظماء الذين في الرأي العام
المصري .

وكان كitchner يرى أنه بالرغم من ميل الحريين الذين من ناحية الدولة
العثمانية ، إلا أنه لا يوجد مبرر لثبوت من تأثير ذلك التحيز الذي على
خطط بريطانيا في مصر ، بدليل أنه استطاع أن يثبت الرأي العام المصري
خلال الحرب العثمانية الإيطالية عام ١٩١١ ، كما نصحت مصر هادئة خلال حروب
بلقان عام ١٩١٣ ، وأن هذا كله وأن هذا ان رجال الحرب الوطنيين الذين كان
ينسبهم استقلال انظهر الذين نظام العرب ، للقيام بالقوى قد فتدوا تأثيرهم (١٣)
الأن الشرف من استقلال هياج الرأي العام المصري ، وخاصة القام الاسلام منه
في حالة الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ، والذي كان حسين رشدي باشا
أنه ، قام الخديوي برئيس "نظار هو راعضا" نظاره ، والأمير حسين داما ، العرب
لغلي منصب الخديوة عند عزل الخديو عباس الثاني قد بالغوا في قدره وضخموا
في أثره ، هو الذي دفع تلك السلطات البريطانية في القاهرة وبالتالي

٢ - انظر د. جمال زكريا قاسم : موقف مصر من الحبيب الطرابلسي - المجلة التاريخية
١٩٦٧ م ٢٠٧ - ٢٢٢

وزارة الخارجية البريطانية الى التردد والتأني ودرااسة قراراتهم بدقة بالغتة حتى أن بعض القرارات الساعية كانت توجس لعجزه الرغبة عن تغيير كلمة أو عبارة أو شطب فقرة واعادة صياغتها بشكل آخر يمكن مقبولا لدى الرأي العام المصري ، لا فرق في ذلك بين الاعلانات والبيانات العسكرية التي يصدرها القائد العام للقوات البريطانية في القاهرة بحيث الاتصال بالبريد ككتشنر وزير الحربية البريطانية ومثيلاتها التي يصدرها السفير في القاهره القائم باعمال المصعد البريطاني في القاهرة بعد الاتصال بالسفير ادمارد جيمس وزير الخارجية البريطانية أو تلك التي تصدر بعد التنسيق بينهما .

ولا شك في أن قياس الرأي العام المصري لمعرفة حقيقة الاتجاهات والتهارات المؤثرة أو السر يمكن أن تومنر عليه كانه من أهم المشاكل التي واجهت السلطات البريطانية منذ بداية الحرب وحتى اعلان الحماية على مصر .

قياس بريطانيا للرأي العام المصري والتهارات المؤثرة عليه

بعدما نشبت الحرب العالمية الاولى كان أخشى ما تخشاه السلطات البريطانية في القاهرة وبالتالي وزارة الخارجية البريطانية في لندن ، هياج الرأي العام المصري وخاصة التيارات الإسلامية منه اذا دخلتها تركيا الى جانب ألمانيا والنسب والمجس ، وكانت تصرفاتها وسلوكياتها حتى اعلان الحماية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ . صبية على الخوف من ذلك الهياج ، وكان العامل الأساسي الأول الذي دفعهم الى ذلك التردد والتذبذب في اصدار القرارات والاعلانات ، بين الامدار الثوري والتأجيل وبين الاعلان الدماجي والالغاء ، وبين الاصدار العاجل والتدبر على الاصدار ومحاولة الالغاء .

والذي يدرس التقارير التي كانت السلطات البريطانية تودعها اليها الى لندن يلاحظ ذلك التناقض الغريب الواضح في تقييمهم لحقيقة الشعور المصري ، فهو تارة يعاد لبريطانيا موالا لبريطانيا وتارة معاد لبريطانيا موالا لبريطانيا ديا ، وهو تارة كفة واحدة في عداوته وولائه وتارة أخرى تقسم الى فئات بعضها معادي وبعضها الاخر موالا وهو تارة عادي ينظر الى الحرب نظرة لا يباله وتارة أخرى في حالة ثورة كاخنة من السهل اتارته واعاجته بحكم الولاء القلبي لدى السلطان العثماني باختياره لثلاثة المسلمين والمعاد القلبي لبريطانيا بحكم احتلالها للبلاد ، كما أنه من السهل تحويل اتجاهه المعادي الى العكس اذا يستر له الظروف المادية للمعيشة وأرضيت مقتضيه برعدهم بالحكم الذاتي والغاء الامتيازات الأجنبية .

ولعل ذلك التناقض هو الذي دفع بريطانيا الى توجيه جزء كبير من اهتماماتها الى قياس الرأي العام المصري والعمل على المحافظة على مودته واحبابه أمة محاولة لاثارته ، خلال فترة الحرب على الاقل ، وذلك لتضمن عدم حدوث معوقات قد تومنر على نهجته تلك الحرب التي كانت تأمل أن تكتسب لصالحها ، وتخرج الفئات الطائفة بعضها من تفاهيل هذا القياس ، واقع الروافق البريطانية خلال الفترة موضوع البحث .

حالة الرأي العام في مصر عند قيام الحرب

في أوائل أغسطس ١٩١٤ كان "مان شيتهم" القائم بأعمال
المستند اليوراني في القاهرة يرى أن الموقف الداخلي في مصر مادي تماماً وأن
"الحالة العامة سلمية والاستقرار متجسدة إلى الأبد" وأن الرأي العام المصري قابل
إعلان الحرب بين بريطانيا والتمسا بلا مبالاة (٤) . وكان يرى أيضاً أنه
في صبره أيضاً . وأنه إذا قامت الحكومة البريطانية بتولي الحماية على مصر
فإن إدارتها ربما بأن التقدم نحو الحكم الذاتي لن يتأخر كثيراً وأن الحماية هي
التي ستجعل يتقدم . فإن الحماية ستكون المبرر في مستقبلها . هذا الإعلان
بالاستحسان والتأييد . وذكر أنه يجب اختيار العبارات التي تذكر في الإعلان
بذاتة بالغة حتى لا يتسبب ذلك الإعلان في الإضرار بالخطأ البريطانية في مصر
كما وضع أن بالرغم من أنه سيجب التوضيح للرعية البريطانية إلا أنه يجب
أن يفسر "الشخصية المصرية" . كما كان يرى أن أهم ما يشغل السكان
الزراعيين في مصر هي مشكلة بيع محصول القطن . وأنهم جميعاً موافقون بأن
انجلترا هي التي في موقف يملكها من انتقال البلاد من الكارثة التي تحيق
بها وذلك بتدبير سور لاقتلهم (٥)

وفي تقرير رفعة السير "روالد ستروس" السكرتير الشرقي لدار
المستند اليوراني . تجده يفسر الشعب المصري إلى فئات بعضها منذ وبعضها
موال لبريطانيا . فليست جاء إليه " أنه في بداية الحرب ظهر بوضوح في بعض الدوائر
شعور معاد لبريطانيا وأن هذا الشعور كان متوقفاً من جانب المتطرفين من رجال الحزب
الوطني وثالوية المسلمين والعائلات المتساوية اليهودية الناطقة في الإسكندرية الذين
يدينون إلى التحالف الانجليزي الروسي بعين التفضيل والكراهية . الأمر الذي أصبحت
معد مصيبة الألمان لهاية من حيث الكم والنوع .

وذكر أن نشاط الأتراك والجراكمة المحليين والطلبية والمتطرفين من رجال
الصحافة يتخذ في اتجاهات الأسماء أن مصلحة مصر إنما هي في إتمام ألمانيا
على الدولة المصرية التي تعصب الإسلام والمسلمين بذليل أنها لا تهلك حتى يكتفوا
من أراضيهم . وأنشأ زار قديمها سوريا وكان كريمة يفتح تركيا يفتح تركيا فترقاتين حريتين
دين مقابل .

أما نشاط الألمان والسكان الناطقين في مصر فيطعن في ما ألتوه
من اتهامات مدقها المصريون من أنه في حالة كسب الحلفاء في الحرب ستحتل روسيا
استطبول . وأن البلاطات الجربية التي طبعها انجلترا وربما أنها هي مجموعة من
الخزبيات الكاذبة . وأن نصف البحرية الانجليزية قد أفرقت وأن الألمان قد أحطوا
باريس . وفي ذلك من الإشاعات التي لن تقتبس إلا بطردهم من مصر .

وأكد ستروس أن الفئات الدنيا من المجتمع هم وأفراد الفئة العليا منه
باعتبارها الحالة التخريبية . فليست اليوراني . أما فئة الأثرياء والمالكون
فيكونوا في الأمور فائداً تقول : " مهما بلغ في الإطير التي يوجها الألمان من وحشية

الاستعمار البريطاني . فان دخول الألمان مصر يحل احلال المجهول محل شيطان معروف .
وأصبح أنه لا يوجد نهر للثغر من المسلمين الذين . تمزقوا بالرغم من أنهم ليسوا
عند الأتراك . لا أنهم يرفعون أيديهم إلى السماء تقبلين لهم الشر على أن يكون بعيدا
عنهم .

وأغيرا ذكر أنه قد وصلتته تعليقات من الدوائر المصرية المستقلة أنه
من المستغرب في هذه حرج الكرامة المصرية والشعور الوطني بين المصريين في أي
قرار يتخذ سواء بالذم أو بالحماية . وأن تحويل السيادة الدبلوماسية من السلطان إلى ملك
بريطانيا سيؤدي إلى التخلي عن الولاء للمواطنين . مثال إلى حد انتفاخ تأثير جاذبية
الجامعة المصرية إذا افترض هذا القرار بتأكيد بريطانيا يمنع مصر الحكم الذاتي
ويحسب قراره بالناء الامتيازات الأجنبية . وعموما يمكن القول بالرغم من هذا
أن هناك تحسرا واضحا في الاتجاه العام نحو الولاة لبريطانيا (٦)

أما المستر جراهم مستشار الداخلية فقد كتب تقريرا كاملا مفصلا عن
حالة الأمن في مصر والتغيرات الرئيسية المؤثرة عليه . علق عليه بتهتمام بقوله أن الموقف
العام في مصر مرن . وعزا مدو الشعب المصري إلى :
١ - نهات الحسدو عماين الثاني الذي مكن انتظار المصريين من التعاون مع السفطات
البريطانية وأسهم بجهد مشترك في تحقيق الهدنة والمصلحة داخل البلاد .
٢ - حضور قوات كبيرة من الهند أدت إلى ثقة الشعب في قوة بريطانيا العسكرية .
٣ - إيمان الشعب بأن إنجلترا هي التي يكتبها بطرد ما شرا . حصول القطن وإيجاد
سوق له وانتفاذ البلاد من التعرض للاغتيال . (٧)

وإن تقرير جراهم يدل على أنه كان متفائلا عن حالة الموقف العام
في مصر باعتباره متفائلا مرنيا . وذكر أنه من الطبيعي أن يسبب العصر المالي صيق
وأرباك وظهور حالات بخلية وعجز ويسبب . إلا أن الأهالي المصريون يواجهون مشاكلهم
ومعاناتهم بالنسبة - جريئة . ويدركون أن بعض الدول الأخرى تتوغل في ظروفهم .

ثم ذكر أنه يرى مكن ما يشاع بين اليونانيين والسوريين بأن الشعور
الاسمي في مصر يتعاظم الاتراك والألمان معادى له . وأنه لمعرفة الحقيقة
على وجهها الصحيح يجب رسم حد فاصل بين المدن الرئيسية مثل القاهرة والإسكندرية
وبورسعيد . وبين الأقاليم الزراعية التي تشكل الجزء الأكثر أهمية في البلاد

الحالة في الأقاليم الزراعية

والواقع أن - رآهم كان متفائلا أكثر من اللازم فيما يتعلق بالأقاليم الزراعية
إلى أن ظهرت له الحقائق فيما بعد . ففي تقريره هذا ذكر أنه قام بجولة في مديريات
الدلتا است. لتباين الشعور المحلي . حيث قابل أعضاء مجالس المديريات والعمال المحليين
بعضهم أمان كل مديرية لمناقشة الموقف معهم . وأنه كان في كل لقاء يلقا أحمد كبار الأمان
في كل مديرية ليتبين أن جميع الحاضرين يستذكرون محاولات الطمأنينة من بعضهم من بعضهم
وأنهم يدعون من لديهم وأرباعهم بصورة القوات البريطانية .

يذكر أنه هناك موضوع ذو مغزى خاص ، وهو أنه كان على رأس
الاعيان في ديسمبر " عبد اللطيف الحواس " الزعيم المتكبر من رجال الحزب الوطني
والذي كان يتفادى عادة التعامل مع المسؤولين البريطانيين في مصر ، إلا أنه في هذه
المرّة ألقى ضيافة وديا للغاية دار حول أنه بينما أن المصريين يفتخرون في الحرية والتخلص
من الغزو الاجنبي ، إلا أنهم إذا خيروا بين بريطانيا العظمى وألمانيا وتركيا ظن
يترددوا لحظة واحدة في اختيار الحكم البريطاني ، وخرج جراهام من ذلك بأنفسه
لا يوجد شك في أن ما ذكره الحواس إنما يمثل في الحقيقة الشعور العام في المناطق
الزراعية في الدلتا وأنه بالرغم من عدم زيارته لندريات الوجهه القبل إلا أن عددا
كبيرا من أعيانها قاموا بزيارته ليعبروا له عن نفس الشعور .

ولقد برز جراهام هذا الشعور لأكرا أنه يجب ألا ينصب الى وجود
عائشة وجدانية نحو بريطانيا ، ولكنه يرجع الى ايمان جميع أفراد الاقاليم الزراعية
بأن بريطانيا هي أطمح الوصي في تصرفات حصول القطن وأن تجلب الكارثة التي
ستصيبهم إذا وقع على اتفاق بريطانيا ، وخرج من هذا الى أنه إذا ساعدتهم
بريطانيا على بيع رايونهم بغير من مسونهم فانه وأثق تماما من وقوف الشعب المصري
الى جانب بريطانيا في حالة الهجوم التركي على مصر .

أما الطبقات الدنيا من الفلاحين فيخرج فكان جراهام يرى أنه لا يوجد
لديهم أي تصور أو اهتمام بالحزب ، وأن كان هناك خوف وقلق قد هم جميع أبناء البلاد
نتيجة انماضت روجت بأن السلطات البريطانية ستتولى الاستيلاء على دجاجهم وأغنامهم
لارسالها الى فرنسا لتوفير الطعام للارام لقوة الحملة البريطانية هناك ، وأن هذه
الاشاعة قد أدت الى قيام الفلاحين ببيع أعدادا كبيرة من تلك الاغنام والدجاج بلا
مهر ، وبالرغم من ذلك كان يرى أن الموقف العام في الاقاليم الزراعية مرض وفي صف
بريطانيا (١)

ولكن جراهام كان في الحقيقة واعيا ، ففي ٢٥ أكتوبر ١٩١٤ بدأ
بيل الحكومت البريطانية ان حالة الشعور الممتازة التي سادت جميع اقاليم مصر الزراعية
نحو بريطانيا قد تحولت فجأة عكسا ونشأ ذلك الشعور اني :
١ - عدم ايمان فئات الفزارعين بغير قسطنطين بآي سعر معقول وشعورهم بأن الحكومة
المصرية تعترضهم بعنف لحدول حتى كل منهم من الخوالب دون أن تفعل شيئا
تساورتهم .

٢ - انهيار المبيعين الاعيان والأتراك ورجال الحزب الوطني وأصهار الخديو عباس الثاني
الفرجة للامانة بايلاسهم الفلاحين أن الضيق الذي يعانون منه سببه بريطانيا
التي لم تسمح لألمانيا والنصا بشراء محصول القطن المصري بأكثرية بالرغم من
الاسعار العالية المعروضة للشراء والتي قيدت تصدير القطن الى إيطاليا وموسرا
بأن فرنسا بريطانيا من ذلك تخفيض الاسعار الى أدنى حد لصلحة مصالح الفحل
في لاكتسبهم ، كما أشاعوا أن بريطانيا ترهب في تدبير البلاد حتى تتركها للاتراك
وهي في حال فقر مدقع ، وذكر أن جميع فئات الفزارعين قد صدقوا هذه الاشاعات
وعكس تحول المواقف بسهولة وسرعة الى العداء لبريطانيا (١)

٨ - F.O. 407/183 No. 147 - Cheetham to Grey - Sept. 7, 1913
Enclosure - Note from the Adviser of Interior to His Majesty's
Acting Consul General on general situation in Egypt.
٩ - F.O. 407/183 No. 168 - Cheetham to Grey - Sent Oct. 26, 1914
Rec. Nov. 6, 1914 - Enclosure - Note from the Adviser of
Interior to Mr. Cheetham

ذكر جراهام أنها في ظهره الأول الذي كان بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩١٤ أن الشعور العام في المدن مرنى يعني الشراء وأنه لا شك في أن الدبقات التي ليس لها في البلاد شيئا للتفكره كانت تؤيد الألمان وتعادى البريطانيين ، وكان رأيه أن الثقات التي يتكون منها الرأي العام في المدن يتلخص في :

١ - دوائر الحزب الوطني والدوائر الوطنية بوجه عام

في سبتمبر الحروب كان هناك دافع ضمني في هذه الدوائر للاعتقاد بأن السامعة قد حانت لتحرير بلادهم ، وكان وجود بعض الفاطنين من الألمان في البلاد يعزز هذه الفكرة .

٢ - دوائر المثقفين والطلبة

كان الشعور العام في دوائر المثقفين مؤيدا للألمان بشكل واضح في بداية الحرب إلا أنه أخذ يتأخر تدريجيا حتى بين رجال السياسة المصريون فقد أدى الانتاع بأن هزيمة بريطانيا إنما تعنى احتلالا ألمانيا أو تركيا إلى رد فعل كس في الشعور العام ، باستثناء فئة الاندية العربية الكبيرة الخدد والكتبة الذين يرددون على مقاصد الأزكية ويبدآن التجروسة والتي يحكم اندالاسها بالعناصر الأجنبية لا تغنى شعور التأييد للألمان بل وتعبر عنه بخاصة ، وفي هذه المقاصد تشأ الاشاعات القوية من هزيمة بريطانيا ومن الغزو التركي لمصر ، وتتأقل الاحاديث عن الثورة والمصيان والذامح التي تشعربها الأبدان ، يذكر أنه بصفة عامة فهذه الثقة ليست خطيرة ولهم لها القدرة أو الشجاعة على ترجمة أقوالها إلى أفعال وأما الطلبة فقد استمر هدوهم حتى ذلك الوقت .

٣ - فئة الشمال في المدن الكبرى

يوضح جراهام أن الفطيرة إنما تكن في فئة العمال التي لذت أعمالها وبصفة خاصة فئة أغلق عليها اسم " فئة السفاحين وقطاع الطرق " والتي اعتبرها كبيرة العدد بشكل واضح ويمكن اثارتها للقها بالاعمال العبدية وحرب مثالا حدث في الاسكندرية في أول سبتمبر ١٩١٤ حيث حدث هياج بين عمال أحواش السفن الذين استغل من شذامهم فجأة ، وذكر أنه بالرغم من أنه أمكن اخفاء ذلك الاضطراب بسرعة إلا أن الاسكندرية بما تحتويه من سكانها من طامر شرقية كبيرة العدد تنص إلى الطبقات الدنيا من المجتمع تعتبر أفضل صرح للاضطرابات واليهاج .

كما ضرب مثالا آخر بما حدث في القاهرة حيث قامت أربع مظاهرات تم خلالها تدمير ونهب محتويات ثلاث مخازن وقد في أحد الدواميات بالحجارة ، وذكر أنه اليوم من طبيعة هذه المظاهرات أنها ترجع إلى تحريض سوى لأن فالبية من قبل عليهم فلا لم يكونوا في حالة بظالة فعلية ، بل كانوا من

لغة العمالين وسائقى عربات القارو الذين ليست لديهم مصلحة حقيقية فى الاشتراك فى
الشغب والاخلال بالامن .

وبالرغم من أن جراحام لم يوضح السبب الحقيقى لهذه المظاهرات
التي استهدفت المخازن والتي كان واحدا منها أنها بسبب نقص المواد الغذائية وخاصة
الخبز ، إلا أنه عاد وأكد أن أصحاب الحوانيت وخاصة بائعة المواد الغذائية
ماروا على حالة قلق شديد وأن اضطرابهم كان يرتفع بعد غلق القنصلية الواردة من
خزير أو عدم حضور قوات بريطانية من الهند وكان من رأيه أن تزايد حضور هذه
هذه القوات سيؤدي إلى أثر مهدد بلا شك .

٤ - مدن الاقاليم الزراعية

وقدما يتعلق بـ مدن الاقاليم ذكر جراحام أنه من المعروف أن طنطا
والمينا تعتبران عادة من المناطق الخطورة بالنسبة لبريطانيا من حيث
خزيرهما الدينى . وبالرغم من هدوء الحالة لهما إلا أنهم اضطروا لتوضع
قوة كبيرة من الشرطة السودانية فى طنطا لتكون تحت تصرف السلطات عند
الضرورة ، أما المينا فقد نالت أكثر هدوءا لدا لم توضع بها أى قوات .

٥ - البطالة

ذكر جراحام أن الحكومة المصرية قد أوقفت لأصحاب البنية جميع مشروعات
البناء والتعمير الصحريه وغيرها من المشروعات العامة مما أدى إلى الاستغناء
عن أعداد كبيرة من العمال . ولها يتعلق بالعمل الأجانب تدخل شريكهم
وقام قديم بطنيا العام فى مصر بتحويل غالبية العمال الايطاليين الماطلين
إلى بلادهم أما العمال الأجانب الآخرين فقد تولت جالياتهم تقديم المعون
للمحتاجين منهم .

أما فيما يتعلق بالبطالة بين العمال المصريين ، فقد تشكلت لجان مخططة
فى القاهرة والاسكندرية لدراسة أسباب البطالة وتنظيم وسائل
علاجها ، لدى الاسكندرية مثلا بدأت أعمال امانة بتشغيل حوالي ٣٠٠٠
رجل وامرأة ونظا ، يوما بأجور بسيطة ولكنها كافية ، وانخفضت الاجرات
الضرورية لتشكيل لجان حاشية فى فواص المدنيات التي تعاني من الشدة
والفقر . أما فى القري حيث توجد حالات خطيرة من العوز والحاجة فان
طبيعة الحياة الاجتماعية فيها تجعل استحالة حدوث مجاعة فيها .

٦ - الدخمين الألمان والنمساويين

حين مولاه ذكر استخبار الداخلية أنهم كانوا يشكلون مشكلة خطيرة
لقد كانت سائرهم وتعليقاتهم مراكز للدعاية ضد بريطانيا بين المواطنين المصريين
بالإضافة إلى نشر الاشاعات والأخبار المزعجة التي تروجها المصادر الألمانية
ولذلك فان تعزيز القوات القبلية أزال مصدرا كبيرا للاثباتات والعواطف الخطيرة
التي كانت تواجه السلطات البريطانية .

أما عن سلوك الدخمين الألمان والنمساويين فانه - باستثناء عدد قليل منهم
لم يكن ذو طبيعة هوى لهم لمحاولة استغاثية شاذة . فقد كان نشاطهم

مقتسماً على ما يريد الداديا ، وإذاعة الاشاعات والاخبار الكاذبة التي كانت تملهم عن شرق مواسلين سريين أو بائعين دهم اجيزة لاسكينة محظون استخذامها ، وأعلن أنه سيعاد الشرف للمرفق بأكمله ، مع جميع الامان والسازيين المقيمين في مصر في حالة نشوب الحرب مع تركيا .

وذكر أنه ثارت مخبات كبيرة بسبب عدم تمكن بنك ألمانيا الشرقي The Deutsch Orient Bank دفع سوى نسبة صغيرة من قيمة ودائع المودعين لديه مما أدى الى حدوث حالة عسر كبيرة بين عدد من كبار الملاك المصريين الذين كانت لهم ودائع فيه . مما أدت بدورها الى عدم تمكن بعضهم من الحصول حتى على السارد اللازمة لفتحهم البنوك اولجمع محصول اقطاعهم ، وبالمثل يعاني بنك روما Banco di Roma من المساعب لدرجة أنه لم يستطع أن يرد للعملاء في ذلك الوقت أكثر من ٥ ٪ من قيمة ودائعهم .

٧ - سلوك وتصرفات تركيا

ثم وضع المستشار البريطاني لنظارة الداخلية رأى السلطات البريطانية في القاهرة في سلوك وتصرفات تركيا ، وأنها هي التي شكل السبب الخطير للقلق في الدوائر البريطانية . فقد نشأ شعور قوي بين الزعماء المصريين بهجوم أفعال بعض أفراد العائلة الحاكمة التركية بأن تركيا ستدخل في أي لحظة ، وأنها ستدخل حملة حربية الى مصر ، وذكر أن الاستعدادات في غزة وفي كل مكان على الجبهة الشرقية دهم مناقشتها علناً بحرية تامة وأن الاشاعات حددت يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٤ باعتباره اليوم المحدد للهجوم التركي على مصر . وأعلن أن التدخل التركي سيخرب ميادينا دينية كبيرا ويؤدي الى توتر العلاقات بين المسؤولين المصريين ورجال السلطات البريطانية في مصر ، وأنه إذا حدث وأمكن للاتراك التدخل داخل البلاد لسيحدث الكثير ويصبح الامر الذي لا يمكن تجنبه بين اليونانيين والمجنوعات المسيحية الوطنية مصدر قلق للمشاكل ، وأخيراً وبالرغم مما سبق ذكره كان جواهرهم يرى أن الموقف في أيدي السلطات البريطانية في القاهرة وأنه لا يوجد أي مبرر للقلق . (١٠)

ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً ، فقد كان قلق السلطات البريطانية في القاهرة من عياج اثرأى العام المصري أكثر مما قدره جواهرهم ، ولذا فقدت سمعة الى اتخاذ اجراءات استثنائية لكبت الشعور الوطني المعادي لبريطانيا كما عمدت الى وسائل الدعاية والاعلان والمظاهرات الشخصية والصحافة لتحقيق الهدوء في مصر .

لكن هذه الاجراءات ما غيرها جواهرهم نفسه عن وضع رقابة على جميع البرقيات الداخلية وعلى جميع الخطابات الواردة والصادرة ، كما كلفت مصلحة الجمارك ورجال الشرطة بتفتيش الركاب والبضائع وخاصة الواردة من الشرق ، وكانت النتيجة ضبط أعداد كبيرة من المنشورات وعن خطابات ومطبوعات كانت مرسلة

عن فريق سوريا من السفير الألماني في القسار ببيشة ، وقد ذكر جراحهم أنه يوجد ما يدل على تهرب بعض المنشورات والكثافات المحروقة على الفتحة الى داخل البلاد لتوزيعها في تلك الجنوب مع تركيا .

كما أعلن أنه تم اتخاذ رقابة صارمة على برقيات وأخبار الحرب وعلى جميع وسائل الاتصال الحربية والبحرية مما كان لعدم نشرها في الصحف وأن كانوا قد تركوا للصحف الحرة في تتر وجهات نظرها التي رأى أنها كانت تؤيد بوضوح المصلح البرلمانية ، خاصة بعد الاذارات القوية التي ارسلت للصحف الأجنبية والوطنية ويحد ايضاً دور صحيفة الاخبار الألمانية (Der Nachrichten) (١١)

وفي سبيل تحقيق الهدوء في مصر قامت السلطات البريطانية في القاهرة بشرب بعض برقيات وأمره وجميعات هندية إسلامية ملية بالحاس والتضيق التليفي لبريطانيا بالنصر . وكان من رأى شيتها أن هذا النشر قد أثر على الرأي العام المصري الذي كان مقتنعاً بالقص التي كانت تروجها صحافة الحزب الوطني منذ أيام مصطفى كامل والتي بلغت درجة نجاحها أن عدداً كبيراً من علماء المصريين كانوا عند مناقشتهم مستقبل نظام الحكم في مصر يطالبون بالألا يكون صاحبها لنظام الحكم في الهند ، وزعم أن الولا الذي أظهره المسلمون البنود ازاء بريطانيا كان له أثر واضح على بعض رجال الحزب الوطني حتى أن صحافتهم قد خفتت من هذه القص (١٢)

وكان تفهيد الاشاعات المغرقة أو الاخبار المبالغ فيها من الوسائل التي اتبعها السلطات البريطانية في القاهرة لتحقيق هدوء الرأي العام في مصر فعندما قامت القسارية بالاحتجاج على تسوية القيود والاعراض التي تتبعها مصلحة الجمارك والمعاملة المهيبة التي تعامل بها النساء المصريات ، دفعت حسين رشدي باشا القائم الخديوي الى اجراء حديث صحفي مع صحيفة " ايتاليا " L'Italia حيث أعلن أن الهدوء المطلق يسود البلاد وأن الشعور العام يريده النظام القائم . وتقدم بعض الأدلة على ذلك منها عبارات الولا لبريطانيا التي ذكر أنها كانت تسدر من المصريين بؤن وقت وآخر . ومنها البرقيات للسلطان الامير البريطاني ومنها عرض بعض الخطايط المصريين التذوق للخدمة مع القوات البريطانية ، وذكر أنه كان من الضروري اتخاذ بعض الاجراءات الامنية من أجل السيطرة على تصرفات بعض وعابها الاعداء . وبين أن قسوة القيود التي تروجها بعض الاوساط المبالغ فيها (١٣)

وبالرغم من هذه المبهذلات كان قلق السلطات البريطانية من احتمال مباح الرأي العام المصري في تزايد مستمر مع تزايد نسبة احتلالات دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وخشور الخديو عباس الثاني على رأس حطة موجهة ضد مصر . لقد كانت أية اشاعة أو أي خبر صحيح عن تركيا أو الخديوي تكتب حساباتهم رأساً على عقب .

Ibid.

P.O. 407/183 No. 150 - Cheetham to Grey - Sept. 11, 1914 - ١١

P.O. 407/183 Private - Cheetham to Grey - Oct. 20, 1914 - ١٢

No. 208

فمجرد اناعاة أن عربات الخديوي عباس الثاني قد أرسلت له إلى أماسية في دوليا Asia Minor بالاضول Anatolia ، استفتجوا منها أنه سيحضر على رأس حملة إلى مصر واستعرتهم بالخطر على كيانهم لأنها ستحول عنهم ولا عندا كيزا من القباط المصريين . وبالرغم من أنهم كانوا يطمحون أنفسهم بذكر أن محاولات الأمير محمد على لأحداث هياج في مصر من أجل عودة الخديوي قد قهلت به عيالة من الرأي العام المصري ، إلا أن قلقهم دلفح ماسريل القائد العام للقوات البرية البوابة إلى مصر إلى الاتصال بكتنصر وزير الحربية وشيخام للاتصال بحجراي وزير الخارجية لاتخاذ اللازم (١٤)

كما أنفقهم الأخبار التي وردت لهم من تقارير مخابراتهم وتقارير المسئولين في السفارة البريطانية في تركيا وعملهم المصريين التي أكدت لهم أن عباس الثاني كان على اتصال بمحمد فريد وزعماء الحزب الوطني ، وأنور باشا والسفير الألماني في القنصلية ، وأراد أرسل أحد أعضاء أسرته للحصول على أسما غياطه الجيش المصري ورجال الدولة والموظفين المصريين الذين يمكن الاعتماد عليهم للقيام بالعمليات في حالة الهجوم التركي على مصر ، بل لقد اقلقهم مجرد الارتياح الذي عبر عنه الأمير محمد على وعزيز حسن للاشاعات المنتشرة أن بريطانيا قد بدأت تخطط شجيتها في مصر .

وكان شعور الرأي العام المصري كما توضحه الوثائق البريطانية قد بدأ يتغير فجأة ليكون ضد بريطانيا منذ أواخر أكتوبر ، وأن كان جراحام قد عزاه إلى عدم إكثار تصريح محمود القطن في وقت كان فيه الزارعون يأملون أن تتولى السلطات البريطانية مساعدتهم فيه ، وكان هذا هولس ما ذكره شيخهم في برقيته التي وصلت وزارة الخارجية البريطانية في اليوم التالي لإعلان الحرب على تركيا ، أي في يوم ٦ نوفمبر ١٩١٤ (١٥)

هناك تناقض عريب

والواقع أن أنه كان ~~لهذا التناقض العريب~~ في تقييم السلطات البريطانية في القاهرة حقيقة الشعور المصري أفره في الفطر اليه كنعب في حالة عداة مستتر من الألام شرا ، مدونه بأى زمن (١٦) ، وأدرك أن أفره على العديد من القرارات والبيانات والتصريحات والاعلانات التي أصدرتها بريطانيا خلال تلك الفترة سواء في ذلك العسكرية منها أو السياسية .

ومن أمثلة تلك القرارات والاعلانات والتصريحات العسكرية ذلك القرار الذي أصدره على رئيس القطار حنين رشدي باشا بإصداره في اليوم التالي لدخول بريطانيا الحرب أي في يوم ٥ أغسطس ١٩١٤ بمنح التعامل مع ألمانيا ورجالها وتحويل السلطات البريطانية الحربية والبحرية حقوق العرب في الأراضي والموانئ المصرية والذي سمي مشددا على النمسا والمجر في ١٢ أغسطس ١٩١٤ ، ثم قرار الجنرال ماسويل القائد العام للقوات البريطانية في مصر بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٤ بمرافق مشغولة على تركيا ، وظل قرار إعلان الأحكام الحربية في ٢ نوفمبر ١٩١٤ ثم إعلان

P.O. 407/183 - Private - Cheetham to Grey - Oct. 28, 1914 - ١٤
P.O. 4073183 - No. 166 - Cheetham to Grey - Dec. 6, 1914 - ١٥
and Enclosure - Note from the Adviser of the Interior to
Sir Cheetham - Oct. 25, 1914
P.O. 4071163 No. 104 - Sir R. Wingate to Sir A. ... ١٦
١٩١٧

٦ نوفمبر ١٩١٤ الذي أعلن فيه ، اكبول أن إنجلترا تأخذ على عاتقها جميع أعباء الحرب ولا تطلب من الشعب المصري سوى الامتناع عن أي عمل عدائي لهذا ذلك الاعلان الذي دعيت بريطانيا على إصداره وأخذت تحاول أكثر من مرة الخفاء بمصرتها أو دفع الوزارة المصرية أو السلطان حسين كامل - بعد اعلان الحماية - إلى الخفاء دون حدود كما ستوضح فيما بعد .

ومن القرارات الهامة التي أخذت وقتا طويلا في الدراسة موضوع تغيير الوضع السياسي الدولي لمصر أو بمعنى آخر موضوع إلغاء الحماية العثمانية على مصر واستبدالها بسيادة بريطانيا سواء بوضعها تحت الحماية أو بضمها إلى المملكة البريطانية .

ولعل التردد الواضح والوقت الطويل الذي استغرقه إصدار هذا القرار كما توضحه الوثائق البريطانية يعود بشكل كبير إلى عدة عوامل أهمها الخوف من هياج الرأي العام المصري الذي كانت تسعى إلى تهدئته خلال محطتها وتهديد الفشار المصريين ورؤسهم حسين رشدي باشا بعدم الاستمرار في مطالبتهم إذا لم تعلن بريطانيا دعم قرار تغيير وضع مصر الدولي أن في ليبيا منح مصر حكما ذاتيا واسع النطاق . وتورد الأوساط حسين كامل في قبول منصب الخديوية الذي عرض عليه هذا فضلا عن خشيتها من احتمال منه عدم قبول توليتها فرنسا وروسيا تغيير الوضع القائم في مصر وتحتل .

وكانت مشكلتها الاساسية أي القرارات تتخذ ؟ ضم مصر أو فرض الحماية عليها ، وما من الاجراءات التي تتبع ؟ ، ومن يصد هذا القرار ؟ وما هي الالفاظ والجميل التي تذكر فيه بحيث تحفز الرأي في نخبة الرأي العام المصري ولا تتردى إلى اثاره ؟ ، وهذا بالإضافة إلى عدة مشاكل أخرى فورية عطلت على حلها بالبحر والتأجيل بالالفاظ وتأجيل اتخاذ قرار بخصوصها منها على سبيل المثال مشكلة اعلان الاعتراف العربية وإصدار تصريح ٦ نوفمبر ١٩١٤ ومشكلة انعقاد الجمعية التشريعية ومشكلة الاتفاقيات الأجنبية والقضاء الاجنبى ومشكلة ملاقات مصر الخارجية وأخيرا مشكلة الواجهة المصرية للحكم في مصر .

تخطيط بريطانيا لتغيير وضع مصر الدولي

بالرغم من أنه كان من المعروف عالميا عند قيام الحرب العالمية الاولى ، أن بريطانيا حتلن في المستقبل الترتيب ضم مصر إلى سلطتها أو على الأقل فرض الحماية عليها " (١٧١) وبالرغم من أنه كان هناك تنازع هروني من الرأي العام المصري بشارك الفشار المصريون وجهات نظرهم في تولع اعلان الحكومة البريطانية ذلك الاسم تلك الحماية ، إلا أن فكرة تغيير وضع مصر الدولي لم تكن عند نشوب تلك الحرب

من الموضوعات التي خطت لها الحكومة البريطانية بل لم يكن لدى السلطات البريطانية في القاهرة أية فكرة عن أي قرار للحكومة البريطانية في هذا الشأن (١٨)

ولقد فعلت ذلك أن فكرة ضم مصر إلى الامبراطورية البريطانية لم تكن لها قبل نشوب عظم تلك الحرب أنصارا من الساسة البريطانيين أو لم يهتق آثارها عالميا أو داخل بريطانيا نفسها . بل الواقع - كما سنوضح في حينه - أن تلك الفكرة قد نوبت عدة مرات في فترات الحكومة البريطانية بل كذبت ما أعلن في الصحف عنها . ثم كانت تلك الحكومة في جميع تصرفاتها أراء مصر ففعلت دائما إثارة الرأي العام المصري الذي وُل إلى أوجه قبل تلك الحرب وكما كانت تسعى دائما إلى عدم إثارة استياء الدولة العثمانية أو نحو الدول الأوروبية وخيرها على ما لها من أخبار حروب الج في مصر .

وعسوما نحن "مراسلات التي تبادلتها وزارة الخارجية البريطانية في لندن والقائم بأعمال الممثل البريطاني في القاهرة والتي استغرقت حوالي الأربعة أشهر بدأت بالرسالة الشكوية التي أبلغها حسين رشدي باشا إلى طين شحاتة القائم بأعمال الممثل البريطاني في القاهرة في ١٣ أغسطس ١٩١٤ برأيه " في شأن سندير أعمال بلال مصر من تركيا يمكن أن يخله المصريون إذا منحوا الحكم الذاتي " (١٩) وانتهت بسندير الإعلان بمرعى الحماية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ (٢٠) ، بعد أن بذت فكرة "ضم" كان واضحا أن نزع الحماية أو الضم كان أمرا خارقا لم يهتق لهم التدخل بطله . وأن الحكومة البريطانية كانت مترددة بين حكم البلاد مباشرة عن طريق حاكم يهتني تعاونه في الحكم هيئة حكومية بريطانية أو نظارة مصرية يديرها ذلك الحاكم . أو حكم البلاد كما كان سابقا بتعيين أحد أفراد أسرة محمد علي بعد ائذان قرار بلال مصر من تركيا وعزل الخديوي عباس الثاني على أن تعاونه نظارة مصرية تتدخل في اختيار وتعيين أعضائها .

لقد كان الحائق "الجمهور أممها التخليط مخطئتها " عطية بل مصر من تركيا . فقد كانت تعلم - كما سبق القول - أن الحياد الذي أعلنته تركيا في بداية الحرب - كما هو حياد ظاهر زائف ، وبالرغم من ذلك كانت تتبنى الحياد ذلك الحياد الزائف حتى تمنع استقرار الوضع الداخلي في مصر وتضمن سلامة خط المواصلات الامبراطورية عبر قناة السويس . وكانت تصرفاتها في مصر بالرغم من توقعها دخول تركيا الحرب مبنية كما ظهر من وثائقها على الأمل في أن تحافظ تركيا على ذلك الحياد .

وهناك أدلة عديدة تذكر في فترات تالية أن أكثر هذه الأدلة ونوعا وصراحة أنه حريصا نظرا لحيثيات الحقيقة يتقابل الأسلوب البريطاني ، أصر الرأي بإبلاغ عتباتهم أن يطلب من القيادة العامة القوات البريطانية في مصر عدم تعليق ذلك القرار حتى تقرر أعمال عدائية ضد مصر خاصة وأن السير " بالث سفير بريطانيا في القسطنطينية ما زال موجودا هناك وأبلغه أن الحزب المعتدل في تركيا لم يهزم بعد وما زال يعمل للسلام " (٢١)

P.O. 407/183 No. 139 - Cheetham to Grey - Sept. 10, 1914	- ١٨
P.O. 407/183 No. 78 - Cheetham to Grey - Aug. 14, 1914	- ١٩
P.O. 407/183 No. 211 - Cheetham to Grey - Aug. 14, 1914	- ٢٠
P.O. 407/183 No. 314 - Grey to Che. & an - Nov. 1, 1914	- ٢١

وحق حينما طلب السفير التركي في لندن جواز سفره في ٤ نوفمبر ١٩١٤ ليتقدم لندون في اليوم التالي ، كانت بريطانيا ما زالت تأمل في انهاء العداء بينها وبين تركيا ، إذ أبلغت جوازي انه يمكن انهاء ذلك العداء إذا ما قامت تركيا بترحيل البعثات العسكرية والبحرية الألمانية . (٢٢)

والواقع أن انحياز تركيا انما هو الى جانب ألمانيا ظهر حينما سمحت للفرقاطتين الحربيتين الألمانيتين " جوبين و برسانو " Goeben & Breslau " بالمرور خلال مضيق الدردنيل والبوسفور بالرغم من قرارها الذي اهدرته يوم ٤ أغسطس ١٩١٤ باحلالهما في وجه سفن الدول المتحاربة وقد أصبح وقفه انما قد ابتاعت الفرقاطتين من ألمانيا (٢٣) ، ثم قيل بعد ذلك أن امبراطور ألمانيا " كان كيرما لدرجة أنه منح تركيا هاتين الفرقتين دون مقابل " (٢٤) ، ثم ظهرت حقائق الوقف فيما بعد هي ان ذلك في يوم ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ حينما أطلقت سفن الاسطول التركي ليرتد على سفن الاسطول الروس في البحر الاسود ، وفات الفرقاطتين ليطيرتكن بتدمير سياسي . يقول بقا انهما ، مما دفع بريطانيا الى الاحتجاج وكشف السير مالت سفيرها في القسطنطينية يوم ٢٠ أكتوبر ١٩١٤ بتقديم انذار بطلب لينة من تركيا تقصيرا لهذا العمل في ظروف اقصى عسكرة ، واجتمع مجلس الوزراء العثماني في نفس الليلة لبحث ذلك الانذار الا أن روسيا قامت باعلان الحرب على تركيا مما اغلظ حليفها فرنسا وبريطانيا الى اعلان الحرب بدورهما رسميا على تركيا في ٥ نوفمبر ١٩١٤

وما بين اعلان الحرب العالمية الاولى في ٢٨ يوليو ١٩١٤ و اعلان الحرب رسميا على تركيا في ٥ نوفمبر ١٩١٤ فان السلوك التركي هو العامل الرئيس الثاني الذي أدى هو وعامل الخوف من اثاره الزأى العام العصري الى العديد من التغيرات والمشاكل التي عانت منها السلطات البريطانية في القاهرة خلال مرحلة التخطيط للحرب الحامية على مصر ، والتي جعلت قرارات تلك السلطات هي وقرارات وزارة الخارجية البريطانية تتذبذب - كما سبق القول - بين الامداد الفوري والعاجل ، ومن اعلان الفلاحين والالقاء ، ومن الامداد العاجل والتقدم على ذلك الامداد .

مرحلة التخطيط للحرب الحامية على مصر

أدت اجماعة نأى بيع ألمانيا للفرقاطتين جوبين و برسانو الى تركيا الى ظهور وانتشار التشنجات عن احتمال دخول تركيا للحرب ضد بريطانيا وكان لها أثرى على حسن رشدى ماها اللاتمام الخديوى وعلى أعضاء نظارته الذين كانوا - طبقا لما ذكرته الوثائق البريطانية - في حالة هلع من هذا الاحتمال وكان شديداً يعتقد أنهم لن يقبلوا البقاء في مناصبهم إذا أعلنت تلك الحرب وخاصة قبل وصول القوات البريطانية من الهند الى مصر .

وبالرغم من أن شجبهم قد ضمانهم بان هذا الجبح لا يمس أى تغير في موقف الحكومة العثمانية ، الا أن حسن رشدى ماها أبلغه أن المصريين

٢٢ - Z.O. 407/183 No. 323 - Grey to Cheetham - Nov. 4, 1914 also - to Bordeaux No. 877 - to Petrograd No. 976 and to Tokyo No. 164
٢٣ - Z.O. 407/183 No. 81 - Cheetham to Grey - Aug. 13, 1914
٢٤ - Z.O. 407/183 Private - Cheetham to Sir E. Crow - Sept. 1, 1914 - Enclosure - Note respecting the state of Public Opinion in Egypt.

القائمين من القسطنطينية قدروا أنه أن ألور باشا والتعت بك يملكان إلى الانضمام إلى
المائيل ، وأن الحرب ستشعب حتما بين بريطانيا وتركيا ، كما أبلغه أنه يعتقد أن
هذه الحالة ستدفع لصالح مصر من تركيا ، وأن هذا الدول سهو يوز الرئيس من
المصريين إذا قامت الحكومة المصرية بإعلان على مصر نوصيا من الحكم الذاتي في
الأور الداخلية تحت اشراف وتوجيه بريطانيا ، إلا أن شيتهام : أن الجسيم
موقفا بأنه لا يوجد أي احتمال لدخول تركيا الحرب ضد بريطانيا (٢٥)

وأيد هذا القرار السراييفارد جواس وزير الخارجية يوم ١٢ الذي طلب
من شيتهام أن يترك القائما الخديوي نظار أنه لا توجد هناك أي دليل على
احتمال قيام تركيا بإعلان الحرب على بريطانيا العظمى وبمباشرة مصر ، وإذا حدث
هذا فلا يوجد أي خطر للمصريين لأن الحكومة البريطانية مستعدة تماما لمواجهة
هذا الحدث " (٢٦)

على أن الحكومة البريطانية بدأت تدرك منذ منتصف أغسطس
تقريبا احتمال دخول تركيا الحرب ضد ها ، وأن جواس يرى بقليل. شيتهام يبحث صحة
الاعلان الذي صدره في هذه الحالة ، وهل يكون مطابقا لالاعلان الذي صدر عند
شوب الحرب المائيل ، وعلى صبح نفس الخطوط العامة التي صدرت عند نشوب الحرب
مع النمسا والمجر ، وعلى صبحو تحظر التجارة مع تركيا ، الخ " (٢٧)

ورد شيتهام ببرقية مطولة كان ما جاء فيها الايمان الذي يثبت عليه
التعهدات التي ادخلت عليها فيما بعد لاعلان الحماية على مصر . وكان
رأيه يتلخص في أن هناك قطاع عريض من الرأي العام المصري بما فهمه النظار
يتوقع قيام بريطانيا بإعلان ضم مصر إلى ممتلكاتها أو فرض الحماية عليها ، وأنه
بدراسته المتنوع مع مستشار المالية ومستشار الداخلية وجدوا أنه من الضروري أن يصدر
اعلان الحماية على مصر في نفس وقت اعلان الحرب مع تركيا ، وإلا نقا موقف
لا يمكن من خلاله ضمان استقرار الادارة الداخلية ولا هبات النواحي المالية في مصر .
كما رأى ضرورة العمل على فصل مصر عن الدولة العثمانية لان استمرارها تحت
السادة العثمانية سيعر كبار وحال الدولة المصريي المتعاينين مع بريطانيا التي تقبل
تعاونهم مع السلطات البريطانية في مصر يشكل خطير لانهم سيجدوا أنفسهم
في موقف الولاء المتفرق ، ويذكر أنه يغله في قبول النظار المصريي البقاء في
مناهم في هذه الحالة لان هذا يعني مجازفتهم بحياتهم ، كما أنه من
المتحتمل أن يقلل مصرهم على مناصب النظار في مثل هذه الظروف وستتضرر السلطات
البريطانية في القاهرة إلى حكم البلاد بعرقها في ظل الاحكام العرفية دين سادة
من المصريي .

" يوضح شيتهام أنه إذا قامت الحكومة البريطانية من جانبها
باصدار اعلان ضم مصر من قبلها بإعلان الحماية على مصر بدلا من السيادة
العثمانية فمن المحتمل أن يلق النظار في صف بريطانيا ، وبرطانيي
في حاجة طمحة إلى تعاون القائما الخديوي والنظار حتى تمكن من السيطرة
على الحركة الدينية التي ستثور حتما عند اعلان الحرب ضد خليفة المسلمين

P.O. 407/183 No. 87 - Cheetham to Grey - Aug. 14, 1914

P.O. 407/183 No. 100 - Grey to Cheetham - Aug. 15, 1914

P.O. 407/183 No. 170 - Grey to Cheetham - Sept. 6, 1914

- ٢٥

- ٢٦

- ٢٧

" كما كان يرى أنه إذا أصدرت الحكومة البريطانية في نفس وقت إعلان الحداثة تصريحاً بأن التقدم في مصر هو الحكم الذاتي لن يتأخروا كثيراً وأن الحداثة هي التي ستجعل بطلانها ، لأن لفظة الشك في المصريين سيقتلون هذا الاعتراف بالاعتراف والتأييد ، وحذر جاري من الماس " بالشخصية المصرية " بالرغم من أن هذا الاعتراف منضم على المصريين الرغبة البريطانية .

ثم اقترح شيتام على جاري نصاً للإعلان الذي يصدر في حالة الحرب مع تركيا كان اسم ما جاء فيه أن تركيا قد أعلنت الحرب بالرغم من عدم وجود عملية لها فيها ، وذلك بناء على نصيحة مستشارين عسكريين أجانب ثم يستوعبوا الضمانات التي تقدمتها بريطانيا وحلفائها ، وأن مصر معرضة للخطر من قبل ذلك ، مثل الأراضي البريطانية ، وأن حقوق الاحتلال التي كسبها يومئذ الأسرة الخديوية في مابين القتل بلا ممانعة إلى الأعلامات التي تمت خلال الثلاثين عاماً السابقة أصبحت في خطر ، وذلك لثروت الحكومة البريطانية هي مصر العديدة تحت حكم العائلة الخديوية ، كما تظل بريطانيا المسؤولة الكاملة في الدفاع عن مصر ضد العدوان الأجنبي .

" واقترح شيتام أيضاً أن يصدر في الإعلان أن الحكومة البريطانية تسمى إلى التعجيل بالتقدم نحو الحكم الذاتي وأنها ستسمح باستقرار العقائد الدينية والسياسات الشخصية ، وأنها ستساعد على بيع وتصريف معمول القطن ، وأنه بالنسبة للمهاجرة التي يتقربها لغير اللطائف بين العديد من وعاءها من ضحايا المسلمين ، فإن استخدام حوكمة هذه المنظمات الخيرية تحت تركية حثيئة في أعين الحسدود ، وختم بريقته بأنه يجب الطعن إلى مطالبات القائد العام للقوات البريطانية في مصر بتهارات رجاء مخلصه أنه لن يلجأ إليها إذا ما كبح الفصح المصري زمام أنفسهم (٢٨)

على أن جاري كان من رأي أنه " إذا لم تصب تركيا في تعهد السلام فإن الحكومة البريطانية ستعاقب على السلام معها وأنه لا يوجد أي مبرر لاحتلال في شدة مثل هذه المبررات إلا إذا كانت الحرب معها " (٢٩)

والواقع أن سلوك وتصرفات تركيا كانت في ذلك الوقت تشكل العامل الخطر لثق السلطات البريطانية في القاهرة ، لأنه كان هناك شعور قوي بأن تركيا ستدخل الحرب وأنها ستحتل حلة عربية ضد مصر وكانت الاستعدادات التركية في ليرة مصر في كل شأن على "حسدود الشرقية يتم طاقاتها علناً داخل البلاد حتى لقد حدد يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٤ باعتباره اليوم المحدد للهجوم التركي على مصر (٣٠)

- F.C. 407/163 No. 140 - Guethan to Grey - Sept. 10, 1914 - ٢٨
F.C. 407/163 No. 191 - Grey to Guethan - Sept. 11, 1914 - ٢٩
٣٠ - من الناحية الواقعية تصور في يوم سبتمبر ١٩١٤ قوة تركية بلغت ٢٠٠٠٠ مقاتل تعاونياً ؟ بشارتات من قبة سيدان بشارية حاوية ٩٠٠ بومة ، وكانت وحداتها الاساسية القوة ٢٢ عرب والآي من القوة ٢٢ والقوة ١٠ والآي لفرسان بومعة بليكات حياطة وبدور الكمين ، ورافق القوة ١٠٠٠٠ رجل لسلك التعيينات والمياه والدخيرة وبدأ هجومهم الفرض الخداعي يوم ٢٧ سبتمبر على القنطرة والكبرى وتم ٢٧ أعمال السوء - أما الهجوم الرئيسي فكان يوم ٢٨ سبتمبر ١٩١٤
المطلة بين سربهم والفردان - نظير
Palestine Campaigns - 3rd ed. 5th impression - Passim

بعد ذلك وعلى مدى شهرين تقريباً دارت ثنائية الاتصالات بين السلطات البريطانية في القاهرة ووزارة الخارجية البريطانية في لندن حول التواقيع الإسرائيلية التي تنص على حالة دخول تركيا للحرب ضد بريطانيا ، وهذه يمكن عدها من :

- ١ - أنه تم في لندن تشكيل لجان تضم بعض فيه وضع مشروع حماية بريطانيا وليس - معاً - تركيا ، على أن يمدد من لندن فور الحاجة تركيا لمصر .
- ٢ - بعد انقراض الحماية يحاول شيوخها بمقابلة امير حسين كاش ليمرر عليه تولى منصب الخديوية فاداً وان لم يمددوا من آخر في القاهرة يعلن فيه بأن الحكومة البريطانية قد سمحت منصب الخديوية لأمير حسين ام .
- ٣ - إذا حدثت الحرب بالمدون التركي يجب إعلان الانسحاب البريطاني من مصر وإعلان يعلن فيه قيام حالة الحرب مع تركيا مطلقاً كجزء التجارة معها باعتبارها دولة معادية ثم يمدد بعد ذلك بمرور من لندن يعلن فيه وضع مصر تحت حماية بريطانيا على أن يكون استخدام اذاعة لقيس البدر في مصر " بانغ ورسى مصادر من لندن : (٣٦) "

ثم أخذت وزارة الخارجية البريطانية تعيد ترتيب أوراقها ووجدت بعد التحقق في الدراسة تطلب أي شأخ في إعلان الحماية على مصر ، ولتوت قوية إعلان تلك الحماية سواء كانت تركيا حراً أو كانت على يد عدائي ضد بريطانيا في أي مكان آخر غير مصر أو في لوائح بريطانيا بإعلان الحرب عليها لا يجب ترواه ، وأرسلت إلى شيوخها عيفة فوري تلك الحماية مع فائز بدائل يمكن بواسطتها تغيير عيفة الاعلان لتطفي في :

- ١ - في حالة نهاية ترتيبها لمصر " البديل الاول "

يكون الاعلان " يعلن وزير خارجية بريطانيا أنه بالنظر إلى حالة الحرب التي بدأها تركيا ضد مصر ، فقد وضعت مصر تحت حماية جباله ، وتكون من الآن فصلاً معادية بريطانية ، وهذا زالت سيادة تركيا على مصر ، وستتخذ الحكومة البريطانية الاجراءات الضرورية للدفاع عن مصر وحماية سكانها وسكانها "

- ٢ - في حالة قيام تركيا بأن عمل عدائي ضد بريطانيا في أي مكان آخر غير مصر " البديل الثاني "

يكون دواجت الاعلان " يعلن وزير خارجية بريطانيا أنه بالنظر إلى حالة الحرب التي بدأها تركيا ، فقد وضعت مصر تحت حماية جباله . الخ " . الخ "

- ٣ - في حالة قيام الحكومة البريطانية بإعلان الحرب على تركيا لا يجب " البديل الثالث "

تكون دواجت الاعلان " بالنظر إلى حالة الحرب التي تاروت نتيجة لا حال تركيا فقد وضعت مصر تحت حماية جباله . الخ " (٣٧) "

وكانت هذه البدائل الثلاث تعدى بشكل واضح أن الحكومة البريطانية تطلب في التفاوض معها أنها اضطرت إلى ضمان الحماية نتيجة لأعمال تركيا العدائية

٢١ - F.O. 407/183 No. 231 - Grey to Cheetham - Sept. 7, 1914 and No. 243 - Grey to Cheetham - Oct. 7, 1914

٢٢ - F.O. 407/183 No. 250 - Grey to Cheetham - Oct 12, 1914

ومعاً اعلنته لها فيما بعد ، وصوبوا نقد قامت بايلاغ لمراتها في فرنسا
وروسيا وتركيا واقام بالمال المعتمد البريطاني في القاهرة " انه في حالة الحرب
مع تركيا ستكون مضطرة الى تأمين الوضع في مصر باعلان الحماية عليها بدلا من
السادة التركية ، وتعبب اندور بديت في شخص الامير حسين كلف (١٢٦)

والخبر قد تمت تركيا المرو الذي كانت لتظهر الاعراض الحرب عليها .
وقد كما سيرة القول - حيث لقت بين الانجليز التركي لمراتها على الاطلاق
التي في البحر الامور وبما الخواصين منسوخ بدمير سياتبول يوم ٢٦
سبتمبر ١٩١٤ ، الامر الذي دفع روسيا الى اعراض الحرب رسميا على تركيا في
٢ أكتوبر ١٩١٤ . ذلك ان كان الذي توجبته وزارة الخارجية البريطانية من
حيث التوايت فقد - فقد - فقد تتركبه بعد ان يطلبها ردا على اندورها
لتركيا الذي البت فيه غميرا ما حدث . الا ان النمرات ما جل الذي اتخذته
هو بايلاغ حيثما ان الصريح على افعال تركيا الددانية التي اجبرت الحكومة البريطانية
على الوقوف سواء في الاراض البريطانية أو في مصر بعد اشتدادات او الهجمات
التي تقوم بها تركيا خطير في مصر اول نوفمبر ١٩١٤ ، واقترح جواي ان يصدر
اعلان الحماية البريطانية على مصر يوم الاثنين (٢ نوفمبر ١٩١٤) (٢٤٤)
ثم اطلق مع فرنسا واعلنا سيرا الحرب رسميا على تركيا يوم ٥ نوفمبر ١٩١٤ .

والواقعة انه حتى من قبل ابلانغ وزارة الخارجية البريطانية لمراتها
في فرنسا وروسيا وتركيا بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩١٤ بليتها على اعلان
الحماية وحتى صدور ذلك الاعلان فعلا في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، حدثت بليته وتردد
لصحب في جميع القرارات والبلات التي أصدرتها وكانت تتعلق بمصر .

لقد احدثت وزارة الخارجية البريطانية بالنواحي الشكلية والاجرائية
في تلك القرارات والبلات تاركة للسلطات البريطانية في القاهرة مهمة تخطيطها
تماما عليها على ان يطلع بها لندن وتصدرها كما لو كانت صادرة من لندن ، ولما هذا
قرار ضم مصر الى الامتلاكات البريطانية الذي أصدرته في ١٢ نوفمبر ١٩١٤ .
والذي ادرجت في الغالب هو والقرارات الاجرائية المتعلقة به بعد امتراني
لك السلطات عليه ، واعلان البفرال ما سويل في ٦ نوفمبر ١٩١٤ بأن بريطانيا
تأخذ على عاتقها مسؤولية الدفاع عن مصر دون ان تطلب من الشعب المصري
أية مشاركة في ذلك الاعلان الذي تمت على اصداره بعد استمر حتى نهاية الحرب
كانت السلطات البريطانية في القاهرة لديها الامور التي كانت ما وراء من اجراءات
وكانت موالفة لندن مثل اليها انما .

وكانت تلك السلطات متأثرة دائما برئيسها في تعيين الامير حسين
كامل بدلا من الخديو عباس الثاني في شعب الخديوية ، وكان الامر يتروك في
التسليم ، كما كانت متأثرة أيضا برئيسها في الابهاء على نظارة حسين رفدي باشا
التي تظمن اليها ، وهذه كانت تهدف دائما بالاستقالة الدائم تملن بريطانيا في قراراتها
على مصر الحكم الذاتي .

P.O. 407/153 No. 771 - Grey to Sir F. Bantie and No. 875 to - ٢١
Sir Buchanan and also sent to Cairo and Constantinople No's
261 and 672 resp. - Oct. 15, 1914
P.O. 407/153 No. 306 - Grey to Cheetham - Oct 31, 1914 - ٢٢

وإن أي تغيير في مذهب المؤرخين بهذا فعلا تلك السلطات وبضارها
 إلى تأجيل قراراتها ، وإن وأضعا أن مؤلف السبع سواه أفراد السلطات البريطانية
 في القاهرة ~~تحت إشراف~~ أو أفراد الواجهة المصرية التي ترى تلك السلطات وبمعها في
 الحكم بوجعه الخوف من مباح الرأي العام المصري من ناحية ومحاولة المحافظة
 على موارثه ورضاه من ناحية أخرى . وتبرأ أفراد في العديد من المشاكل منها
 إعلان الأحكام العرفية وتصريح ٦ برلماني ١٩١٤ ومثلها انعقاد الجمعية التشريعية ~~وال~~
 والما ات الخارجية والأمم المتحدة واللقاء الأخير . وأخيرا مشكلة الواجهة
 المصرية للحكم كما تبينه الفقرات التالية :

المشاكل التي واجهت الخسائط البريطانية

أولا - مشكلة إعلان الأحكام العرفية

كانت السلطات البريطانية في القاهرة تعتقد في بداية الحرب
 أن الرأي العام المصري حاد ، تماما وأنه قابل إعلان تلك الحرب بلا مبالاة . الأمر
 الذي لا يذهب معه التعجيل بإعلان الأحكام العرفية ، وكان جوامع مستشار
 الداخلية يعمد ذلك السدود إلى حفيروا بريطانيا من الهند أو بعض حد
 قوله كما سبق ذكره " أن الخشيان أصحاب الحمايت وخاصة بأمة المواد الغذائية في
 القاهرة يتأرجح بين الارتعاج والانقلاب مع البيانات التي تصدر من حفيرو أو عدم
 حفيروا بريطانيا من الهند ، ولذلك فإن حفيرو تلك القوات يكون له أثر سدي (٢٥)

وكان شيهام يشارك في الرأي بما ذكره في تقرير من حالة الأمن
 الداخلي والخارجي الموجهة في الرأي العام من أن " حفيروا كبرية من الهند كان
 عاملا هاما في ثقة الشعب المصري في قوة بريطانيا العسكرية ما أدى إلى صدور
 الرأي العام المصري (٢٦)

وكان كلامها يعني أنه كان هناك حدود في الرأي العام المصري
 وتكسبه عدوه الخوف من بطش القوات البريطانية الواردة من الهند بأعداد متزايدة
 ولذلك مع تطور الموقف العربي بدأ التفكير في احتمال دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا
 وبدأ ظهور حشوية الشعور الذي أدى إلى تكسبه الشعب المصري وخاصة الفئات الإسلامية
 منه للاحتلال . ترايد حق بريطانيا عما ينتظر أن يحدث لو نشبت الحرب بينها وبين تركيا
 ولذا تلقى شيهام من وزارة الخارجية البريطانية تعليمات بحفيرو إعلان الأحكام العرفية
 قبل صدور بلاغ قيام الحرب مع تركيا وأنه يجب على القائد العام أن يصد ذلك
 الإعلان بملئى ذكره من شيهام دون الرجوع إلى لندن . (٢٧)

على أنه بعد ذلك لحقت أن أعلنت روسيا الحرب على تركيا في
 ٨ أكتوبر ١٩١٤ ، وبوفت حفيرو دخول بريطانيا الحرب ضدما وبالتالي حفيرو صدور
 إعلان يلزم الحماية على مصر . ثم شيهام بالتشاور مع القائد العام واستشارى دار

To
 F.O. 407/183 No. 147 - Cheetham to Sir E. Crow - Sept. 7, 1914 -
 Enclosure - Note from the Adviser of the Interior to His Majesty's
 Acting Consul General on the general situation in Egypt .
 F.O. 407/183 - Private - Cheetham to Sir E. Crow , Sept. 11, 1914 - ٢٦
 F.O. 407/183 No. 231 - Grey to Cheetham - Sept. 27, 1914 , - ٢٧
 and No. 266 - Grey to Cheetham - Oct. 17, 1914

لقد أثير هذا الموضوع عندما بدأت تظهر مشكلة الصاصة التي قد
تطلب من مصر فيما يتعلق بنفقات الحرب والروم الجبركية وأجور الملك الحديدية
والنفقات المستحقة لمصر والتي كانت الحكومة المصرية تلدها على حساب الجبر
البريطاني ، وكان رد السير إدوارد سبيل المستشار الثاني في مصر في ذلك الوقت
" أن دريم ٦ نوفمبر قد أعطى ليهدي البهاج الشعبي ، وهو عهد دعا في
لجنتهم بمعنى إذا تمولى الشعب المصري باخلاص ويؤكد فان الحكومة البريطانية
لن تطلب منهم شيء ، وأنه بالرغم من ذلك انصرح فقد أصدرت الحكومة
المصرية تعليماتها إلى مصالحها بأن تلتزم فوراً بجميع مطالب السلطات العسكرية البريطانية
على أن تسجل النفقات في حساب العهد والأمانات المتعلقة بوزارة المالية للتصوية
في نهاية الحرب (١١)

أثارت وزارة الحرب البريطانية موضوع هذا التصريح مرة أخرى عند
مناقشة مدى الصاصة التي تقدمتها الحكومة المصرية في الحرب ، وكان رد ونجت
على القائد العام للقوات البريطانية في مصر ونظراً لـ " السير أرنالد مورى " أنه
يجب أن تذكر أنه عند نشوب الحرب مع تركيا كان ينظر إلى أكثر من ١٢ مليون مواطن
في وادي النيل كأعداء ، سترين يدعى "مرا" عدوهم بالنسبة ، ولهذا أصدر ماكمول
هذا التصريح الذي لولا لكان في الاكثان القول بأن نصيب مصر في نفقات الحرب
مهم كاف إذا تم على أساس تعداد سكانها (١٢)

كما أثارت وزارة الحرب البريطانية نفس الموضوع مرة أخرى عندما بدأت
السلطات العسكرية في القاهرة طم على ضرورة تدبير العمال المصريين اللازمين للعمل
في تلك السلطات ، وكان رأيها أن هذا التصريح كان حجة مشوة في سبيل الاستخدام
الكافي لموارد مصر لفرنسا الحرب ، وتشال الأيرل أوف ديس عما إذا كان من الممكن
الغاء هذا التصريح (١٣) ، إلا أن وزير خارجية بريطانيا ماري هذا الانباء ، وعندما
طلب من ونجت العمل على تدبير العمالة اللازمة كان عليه مقترناً بضرورة مراعاة الشعور
الوطني المصري (١٤)

وكان ونجت يرى أنه لن يحتاج تدبير ١٠٠٠٠٠ عامل لاستخدامهم
في تلك السلطات العسكرية بالوسيلة التي اقترحتها تلك السلطات في التجديد الإيجارى
بالقصر والأكراه إلا إذا المي صرح ٦ نوفمبر ١٩١٤ ، وذكر أنه بالرغم من أنه
يرى أن يكون للخدمة أي قرار يندس في هذا السند ، إلا أنه يود أن يوضح
أنه يعارض إلغاء هذا التصريح ، لأنه مع هذا الإلغاء لن تستطيع السلطات
البريطانية في القاهرة تجنب الكراهية العريضة بين اليهود ، والتي ستعبر عن
نفسها على شكل اضطرابات داخلية وستطلب الامتزاج واضحة في القوات البريطانية في مصر
وستظل أن لم تترك تماماً المساعدة التي كانت تقدم لهم في ذلك الوقت (١٥)

- ١١ F.O. 407/183 No. 93 - Sir H. Mc Mahon to Mr. Balfour - June 6, 1916 - Enclosure - Lord E. Cecil to Sir H. Mc Mahon May 16, 1916
- ١٢ F.O. 407/183 - Enclosure in No.104 - Sir E. Sington to Sir A. Murray - May 23, 1917
- ١٣ F.O. 407/183 - Enclosure in No.105 - The Earl of Derby to Sir R. Graham - July 2, 1917
- ١٤ F.O. 407/183 - No.106 - Mr. Balfour to Sir E. Sington July 5, 1917
- ١٥ F.O. 407/183 - No.113 - Sir H. Graham to Sir E. Sington Aug. 22, 1917

والترجى جراحاً على وجبت البدء في حلة نشطة لتدبير العمال
الآزبيين بين أن برحانيا تأمل شطب الغاء هذا التصريح (٤٦) وقالت قد شكلت لجنة
في القاهرة حقراً نائب المستشار المالي "لندساي" واستشار الداخلية "هيفز"
ومدير مصلحة الشكك الحديدية "ماكولس" ولباحين من القوات البريطانية في مصر
لبحث المعاداة التي يمكن لمصر تقديمها للجيش البريطاني. وكان من رأى هذه اللجنة
أن تصريح نوابير المتحدة كيريمتو معوق أمام تقديم العون للجيش البريطاني سواء في
التجديد الإيجارى أو غيره (٤٧) إلا أنهم كانوا يروا بالرغم من ذلك أن ذلك التصريح
قد ولد ميتاً منذ البداية إذ أن الحكومة المصرية قد قامت بجهد كبير في تقديم
المساعدة العاجلة للجيش البريطاني وأن أثر هذا التصريح من الفائدة العملية أنه
قلل المساعدة التي كانت تكتسب مصر تقديمها طواعية. وكان من رأيهم أيضاً
أنه من الخطأ إلغاء التصريح (٤٨)

وعندما طلب البريطانيون مساهمة مصر المالية في الحرب أكد
الوزراء المصريون وقبضهم في تقديم تلك المساهمة دون أن يقتضى الأمر إلغاء التصريح
وذلك ووجبت على ذلك أنه سبق وأرسل رئيس الوزراء المصري في يناير ١٩١٦
مذكرة إلى المستشار المالي وضع فيه أنه بالرغم من هذا التصريح فإن الحكومة
المصرية لديها الرغبة الأكيدة في المساهمة المالية بذلك، اقترحوا تقديم عديده
أدعاء ٥٠٠ و ٥٠٠ جنيه مصرى وهو نفس الرقم الذى قدرت عليه لقطات الحرب (٤٩)

وهكذا استمر هذا التصريح بالها حتى نهاية الحرب. وكما هو واضح
كان الخوف من هياج الرأى العام المصرى هو العامل الأساس في رفق الغائه.

ثالثاً - مشكلة انعقاد الجمعية التشريعية

من المعروف أن وزارة الخارجية البريطانية كانت قد وافقت في ١٠ أبريل
١٩١٢ على إدماج الجمعية المصرية ومجلس شورى القوانين وجميع منظماتها في هيئة
واحدة باسم الجمعية التشريعية (٥٠) ومن المعروف أيضاً أن كاتشور قد أرسل إلى جواي
بعد أن وقع الخديو عباس الثاني القانون الأساس لها يستأذنه في موعد النشر (٥١)
الذى تم فعلاً في ٢٦ يوليو ١٩١٢ بدور القانون رقم ١٩١٢/٢٩، وأنه قد تم
افتتاحه في ٢٢ يناير ١٩١٤ وأن الفصل التمهيدي الأول لها قد انقضى في يونيو ١٩١٤

ومع قيام الحرب العالمية الأولى أصبح مشروع دور انعقاد الفصل التمهيدي
الثاني الذى كان معدداً له أول نوفمبر ١٩١٤. عندما بدأت تثار موضوعات التشريعات
المالية المقترحة والتي كانت تتضمن زيادة رسوم طوابع البريد والتحاكم وتحديد ساحات
الأراضي المزعم زواعتها قللاً عام ١٩١٥. وشعر ذلك، وكانت هذه التشريعات
تتطلب تعديل بعض القوانين القائمة ثم يبدو بها مراسم بعد استشارة الجمعية التشريعية

F.O. 407/153 No. 112 - Sir E. Wingate to Mr. Balfour	— ٤٦
Aug. 20, 1917	
F.O. 407/153 No. 117 - Sir E. Wingate to Mr. Balfour	— ٤٧
Aug. 21, 1917	
F.O. 407/153 - Enclosure in No. 117 - Committee's Report	— ٤٨
on Man Power in Egypt. Aug. 21, 1917	
F.O. 407/153 No. 117 - Sir E. Wingate to Mr. Balfour	— ٤٩
Aug. 21, 1917	
F.O. 407/150 - No. 57 Sir Edward Grey to Viscount	— ٥٠
Kitchener - Rec. Apr. 10, 1913	
F.O. 407/150 - No. 81 Viscount Kitchener to Sir Edward	— ٥١
Grey - Rec. July 2, 1913	

- والتي هناك ثلاثة اقتراحات أمام نظارة حسين رشدي باشا :
- ١ - إصدار القوانين الخاصة بكونية الجمعية التشريعية ، والسياسة التي
تتبعها عند إصدار القوانين التشريعية ، والتي منها قرار "الوزراء يوم" ، والقرار
الرسمي بتأجيل دفع المدينين المستحقة ، والقرار المعلق بإبقاء العمل بصورة
التي ، وقرار شيخ أسرار المواد الغذائية
 - ٢ - استشارة الجمعية التشريعية
 - ٣ - حفظ الجمعية التشريعية بكونها مستقلة

وكان شيخها يومئذ بالرسالة من أنه سيتم أن الجمعية أصبحت
المعالم الوطنية والمفاهيم القديمة ، على أساس القوانين التي بعض
القوانين عليها ، بل لا بد من العمل على أن تكون هذه القوانين
في حالة الجمعية التشريعية ، وذكر أن المعالم الوطنية قد اعتبرت قوانين القوانين
التي كانت رشا والتي صدرت قبل قيام الحرب العالمية ، وليس قوانين طرقة ، وأنه بالرغم
من استمراره ، يجب أن تكون القوانين المعمول بها في حالة الجمعية التشريعية ، وأنه بالرغم
الوطنية ، إلا أنه إذا كانت بعض القوانين من التوجه إلى الجمعية التشريعية وأثيرت
مسألة شرعية ، فإن الجمعية التشريعية من بطلان تلك القوانين .

أما النظار فكان من رأيهم عدم استشارة الجمعية التشريعية في ظروف
الحرب لتأخرهم بالتصريح ، والنتائج التي حدثت في فترة الانتداب الأولى ، وهذا إلى
جانب احتفال بعض الأعضاء في فهم أهمية القوانين المطلوب إدارتها ، بالإضافة
إلى أنه هناك احتمال توتر لمعارضة القوانين المالية التي قد تؤثر على مصالحهم
وغيره ، وبعد ذلك لا تتراجع القوانين المالية التي لم يتسنى له التفسير في
فترة الانتداب الأولى لعدم حصوله على الأصوات اللازمة لأصدوره .

وقد كان من رأي شيخها وجب التمسك بالتي عند تحديث خلال الانتداب
الجمعية التشريعية والتي من أهمها "التبني" بكونها ذاتها في بعض القوانين خاصة
وأنه من المتوقع أن تحتاج تلك الجمعية بعض القوانين كجيرة للقيام عند نظارة
حسين رشدي باشا التي تعهدت بالتعاون مع بريطانيا ، كما أن ذلك الاقتراح سيتم
المعالج بتدخل من الناحية الأجنبية ، ولما كانت ظروف الحرب تتطلب تحفظاً
احتمالاً لكونه يقوم بها السلطة التشريعية ، والدة وقد "تتج" لأجل انتداب الجمعية
التشريعية إلى أول يناير ١٩١٥ ، على أن يكون العمل بالقوانين المعمول بها في فترة
التأجيل ، إلا أنه ١٥ يوماً من ذلك التاريخ ، أن تقدم الجمعية التشريعية لمناقشتها (٥٢)

وكان من رأي وزارة الخارجية البريطانية عدم تحديد تاريخ معين للتأجيل
بل يذكر أن انعقاد الجمعية التشريعية سيعقد عند توفر الظروف المادية الموجهة
بعد عشر ، وأنه من المحتمل التأجيل بأن يصبح القوانين التي، عن خلال فترة التأجيل
تقدم مرة أخرى إلى الجمعية التشريعية بدلاً من التأجيل بأنه سيتوقف العمل بها بعد
خمس عشر يوماً من أول يناير ١٩١٥ (٥٣)

إلا أن النظار المصريين كانوا - كما ذكر شيخها - يفضلون تعديل
مواثيق الجمعية التشريعية بتبعه تعديلات متتالية حسب الظروف لأن هذا سيكون أكثر

فجاء لدى الرأي العام الذي قد يخفى الغاء الجمعية نهائيا . وأرسل الى عراى
 في المادة الثانية من المرسوم المقترح صدوره والذي جاء فيه " كل مرسوم
 يوافق لا يكون له - سعة جوهرية وتدرسية يصدر دون عري على الجمعية التشريعية
 بنفس أثره بموجب القانون الا ان يوافق القانون بعد خمسة عشر يوما من اجتماع
 الجمعية الا اذا عرض عليها خلال المدة المذكورة " (٥٤) ، ولقد وافق مجلس عراى
 على تعليمات شتمها بمجلس بارقة التاجيل التي يرادها الدثار المصري (٥٥)

وفعلام صدر أمر حال في ١٨ أكتوبر ١٩١٤ بتأجيل دور الاعتقاد الثاني
 الذي كان محدد الى أول نوفمبر ١٩١٤ ، في أول يناير ١٩١٤ ، وفي ٢٩ ديسمبر
 ١٩١٤ صدر مرسوم بتأجيل دور الاعتقاد الى ١٥ فبراير ١٩١٥ ثم صدر مرسوم آخر
 بتأجيله إلى ١٥ أبريل ثم الى أول نوفمبر ١٩١٥ ثم إلى أبريل ١٩١٦ ثم إلى
 بموجب المرسوم الصادر في ٢٧ أكتوبر ١٩١٥ ، ولم تدع الجمعية بعد ذلك للاجتماع

وكان واضحا صابا أن الرغبة في عدم اثاره الرأي العام المصري
 كانت وراء التأجيل بالطريقة التي اتبعت فيها .

رابعا - مشكلة العلاقات الخارجية المصرية

منذ الأيام الأولى للتخطيط للفرق الحماية على مصر انطلقت خطوات
 الاحتلال البريطاني في القاهرة من وزارة الخارجية البريطانية على حكومة الغاء نظارة
 الخارجية المصرية (٥٦) ، ، بالرغم من أنه من الفاحية الواقعية كان المعتمد
 البريطاني في القاهرة منذ بداية الاحتلال هو المشرف على فالية العلاقات الخارجية
 المصرية الهامة وكان دور نظارة الخارجية في فالية تلك العلاقات لا يعتمدى تنفيذ
 " لصالحه الالتزامات " أو تدوين ما يكون قد أجراه من اتفاقات مع تلك الدول .

ولعل ما جاء في قرار مجلس النظار برئاسة حسين رشدي بأنها يتأخر
 ٥ المجلس ١٩١٤ " يمنع التعامل مع ألمانيا وبما لها وتحويل القوات البريطانية
 الحربية والبحرية حقوق الحرب الى الاراضى والعواصم المصرية واعتبار الفن الألمانية الرامية
 في " لشغور المصرية سقا معادية وحجزها في تلك الشغور " ما يعطى مثلا لتلك
 النماذج الالتزامية فقد ذكر في ديباجته " أمضى على الحكومة المصرية أن تتخذ
 الخ " ولم تستطع الحكومة المصرية بالرغم من رغبتها في المحافظة على
 حيادها إلا أن توافقت .

ولم تكن تلك السلطات البريطانية في القاهرة تخفى من الفاحية
 الواقعية هياج الرأي العام المصري أو حدوث رد فعل لذلك الإلغاء الذي يمكن اعتباره
 صعب أحد مظاهر الحرية التي كانت تتمتع بها الحكومة المصرية من حيث استقلالها بالدول
 الأجنبية أو اتصال الدول الأجنبية بها في العديد من العلاقات الأجنبية . ولذا
 كانت المشكلة الرئيسية التي واجهتها هي كيفية تنفيذ العلاقات الخارجية المصرية
 بعد ذلك الإلغاء . فقد اخطفت الآراء فيما يتعلق بهذا الامر ولقد كان

F.O. 407/163 No. 196	- Cheetham to Grey - Oct. 12, 1914	- ٥٦
F.O. 407/163 No. 257	- Grey to Cheetham - Oct. 15, 1914	- ٥٥
F.O. 407/163 No. 197	- Cheetham to Grey - Oct. 12, 1914	- ٥٦

هناك رأى بأن تشرف السلطات البريطانية بالقاهرة بنفسها على العلاقات الخارجية المصرية مباشرة على أن تبقى أجهزة النظارة لتقوم بأعمالها الإدارية (٥٧) . كما كان هناك رأى آخر بأن تحول تلك النظارة إلى إدارة للشئون الخارجية تشجع رئيس النظارة المصرى على أن يكون لها اتصال مباشر مع مثل بريطانيا (٥٨)

على أنه عندما أثار كل من مثل فرنسا وبروسيا في القاهرة مشكلة ونسبها في مصر بعد إعلان الحماية ، كان من رأى محتمل " أنه لما كانت الدول صاحبة الامتيازات مستلقة نفوذها الذى كانت تتمتع به من قبل في عدة سائل مثل العقود والاتصالات الشخصية ، هذا بالإضافة إلى أن دار المصنوع البريطانى لا تلك العدد الكافى من الموظفين لمواجهة هذه الاتصالات فإنه يقترح أن يتصل مثل تلك الدول بوكيل الخارجية في كل الامر التى يكون فيها عدم ضرورة الاتصال بالمثل البريطانى بمأنها (٥٩)

وأخيراً حست وزارة الخارجية البريطانية مشكلة تنظيم العلاقات الخارجية المصرية بعد شهرين من المفاوضات المتعددة مع السلطات البريطانية بالقاهرة ببرقية يتلخص في كانت ترجعها :

" أن روح الحماية ، أن الدولة الحامية هي المسئولة وحدها وبمباشرة عن العلاقات الخارجية للبلد الموضوع تحت الحماية ، وأن حكمة بلانك تمنى أن التدبیر السامى البريطانى يهدف زبوا للخارجية ، كما هي الحال في تونس ومراكش ويمكن أن تستمر إدارة الخارجية انقائمة بالرغم من ضرورة حدوث تغيير فيها بعد الحماية ، على أن تتغير الاتصالات الرسمية لمثل الدول الأجنبية على التدبیر السامى وفي حالة الحماية يتم الاتصال مع القائم بأعماله وليس بوكيل الخارجية أو رئيس النظارة . والتدبیر السامى بمسئله زبوا الخارجية يتولى إرسال المراسلات التى تصل إلى تلك الإدارة موضعاً عليها تعليماته الخاصة ، ولذا يجب أن يوضع نظام دائم للاتصال بين التدبیر السامى وطك الإدارة (٦٠)

خامساً - مشكلة الامتيازات الأجنبية والقضاء الاجنبى

ومن الملاحظات التى رأيت بريطانيا أنها ستواجهها أيضاً ، مشكلة الامتيازات الأجنبية والقضاء الاجنبى ، ولقد "إن التران العام المصرى يطالب بالغاءها وكانت بريطانيا ترى منذ احتلالها لمصر أن هذه "مسئله من أكبر المشاكل التى تدور أعمالها في مصر ، ولكن خفيتها من "أثاره "دول الأوربية وعلى الاخص في موضوع احتلالها لمصر دفنها إلى "عمل على إرضاء تلك الدول بعدم اتمامها أى اراء لعمال يدل على رفضها في حل تلك المسئلة بالرغم من أن معتديها في القاهرة أدوا يملكون بين حين وآخر أن هذه الامتيازات وطك وذلك القضاء الاجنبى يحيلان أعمالهم في تطوير الأحوال الادارية والمالية في البلاد

حقيقة أن كثرتم كان يفكر قبل قيام الحرب العالمية الأولى في اتخاذ اجراء حثيف للقضاء الامتيازات الأجنبية بالعمل على ضم مصر للامبراطورية البريطانية

P.O. 407/183 No. 266 - Grey to Cheetham - Oct. 17, 1914	- ٥٧
P.O. 407/183 No. 286 - Cheetham to Grey - Nov. 23, 1914	- ٥٨
P.O. 407/183 No. 318 - Cheetham to Grey - Dec. 14, 1914	- ٥٩
P.O. 407/183 No. 425 - Cheetham to Grey - Dec. 15, 1914	- ٦٠

ألا أن وزارة الخارجية البريطانية لم توافق على وجهة نظره وأرسل له كرومر بيلغمه أن الشئ لن يحل مشكلة الامتيازات ، وهذا لئلا من أن الدول الأجنبية لا يمكن أن تتنازل طواعية عن حقوقها " (٦١)

وعندما ظهر احتمال دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا بدأت تدافع على المطح من جديد مشكلة إلغاء الامتيازات الأجنبية والمعاهدات الأجنبية كعامل من عوامل إرضاء الرأي العام المصري ، ففي ٣١ أغسطس ١٩١٤ قدم المستر رولاند ستورس المستشار الشرقي للوكالة البريطانية تقريرا جاء فيه " أن تحويل القيادة الدنيوية من السلطان إلى ملك بريطانيا إذا صاحبه الوعد بفتح مصر حكما ذاتيا بقرار بإلغاء الامتيازات الأجنبية ، سيؤدي إلى تخليص شعائر المصريين من كابوس الولاة للدولة العثمانية وسيهيئ طريقا تأخير جاذبة الجامعة الإسلامية (٦٢)

وبالرغم من أن وزارة الخارجية البريطانية كانت في البداية ترى عدم المساواة بالامتيازات الأجنبية ، حتى لا تتأثر أي تعقيدات أخرى في مواجهة بريطانيا وخاصة مع إيطاليا (٦٣) ، إلا أن هذا الموضوع وضع في الاعتبار وأرسلت إلى سلطاتها في القاهرة تلغرافيا أنها ستعمل لها فيما بعد ماذا سيكون عليه موقف بريطانيا (٦٤)

وكان شيتهم يرى أن الحل العظمى بالنسبة للمحاكم المغطاة هو ألا يحدث أي تغيير في الوضع القائم وقتل حتى تنتهي الحرب (٦٥)

ويمكن شخص دراسة وزارة الخارجية البريطانية لهذه المشكلة في أن وجود حالة الحرب مع تركيا وحلفائها سيهيئ من الناحية النظرية المعاهدات التي تعتمد عليها حقوق الامتيازات لهذه الدول في مصر ، ولن يكون لمحاكمها القضائية حيث أن أي أسس قانونية للبقاء ، وستكون جميع الأعمال القضائية طبقا للإجراءات التي يتخذها القائد العام للقوات البريطانية في مصر في حالة الأحكام العرفية ولكن لما كان من المناسب الساج باستمرار بعض الأعمال القضائية ، لذا يجب على القائم بأعمال الممتمد البريطاني في القاهرة استصدار مرسوم خديوي يوزع على القضاة معلن فيه استمرار المحاكم القضائية وغيرها من المحاكم الأجنبية في عملها أثناء المادي في مصر على ألا تتعارض مع الإجراءات التي يستلزمها إعلان الأحكام العرفية (٦٦) ثم قام جراي بإبلاغ ممثلين روسا وفرنسا في لندن وبلغاريا في فرنسا وروسيا والقسطنطينية والقائم بأعمال الممتمد البريطاني في القاهرة أن بريطانيا ستضطر إلى إعلان الحماية على مصر في حالة دخول تركيا الحرب ضدها وأن الامتيازات الأجنبية والمحاكم المغطاة ستستمر إلى حين إجراء مباحثات بخصوصها (٦٧)

ولارضاء المصريين كلفت وزارة الخارجية البريطانية شيتهم بإبلاغ الأمر حين كامل أن الحكومة البريطانية قد أوضحت مرارا أن المعاهدات المعروفة باسم

- Magnus, Philip : Kitchener - Portrait of an Imperialist p.273 - ٦١
 P.O. 407/183 - Private - Cheetham to Grey - Sept. 1, 1914 - ٦٢
 Enclosure by R.S. - Note respecting the state of public opinion in Egypt - Aug. 31, 1914
 P.O. 407/183 No. 191 - Grey to Cheetham - Sept. 10, 1914 - ٦٣
 P.O. 407/183 No. 231 - Grey to Cheetham - Sept. 27, 1914 - ٦٤
 P.O. 407/183 No. 197 - Cheetham to Grey - Oct. 12, 1914 - ٦٥
 P.O. 407/183 No. 251 - Grey to Cheetham - Oct. 12, 1914 - ٦٦
 P.O. 407/183 No. 771 - Grey to Sir F. Bertie and no. 875 to - ٦٧
 S.O. Buchanan and 261 to Cairo and 672 to Constantinople Oct. 15, 1914

المتيازات الأجنبية القبيحة بها الحكومة المصرية أصبحت لا تتسجم ، بل مع تطور البلاد ، وأنه لم يبق للقول أن الحكومة البريطانية في نسبتها مراجعة تلك المعاهدات وتعديلها ، وأن ذلك يكون أكثر ملاءمة لو تأجل حتى نهاية الحرب " (١٦٨)

سادساً - مشكلة الواجبة المصرية للحكم في مصر

كانت السلطات البريطانية في القاهرة ترغب في الإبقاء على واجبة مصرية تحكم البلاد من خلالها منتهية في خديوي من أسرة محمد علي بعد خلع عباس الثاني بوقع اختيارها في ذلك على الأمير حسين كامل على أن تعاونه نظارة مصرية قررت أن تكون هي نظارة حسين رشدي باشا القائمة في الحكم وقتئذ ، وكان يواجهها في ذلك ثلاثة مشاكل هي خلع عباس الثاني والإبقاء على نظارة حسين رشدي وقبول حسين كامل للحكم مع لقب سلطان كما ترضحه الفترات التالية :

١ - خلع الخديوي عباس الثاني

لم يكن موضوع خلع عباس الثاني في حاجة إلى دراسة واتخاذ قرار للتصديق الفوري فيه ، فهذا ما كان يسمى اليه ككتنر منذ أن قاد إلى لندن في صيف عام ١٩١٤ لقياء أجازته يبحث عدة مشاكل متعلقة بمصر من بينها مشكلة خلع الخديوي عباس الثاني الذي يكن له كراهية خاصة منذ سنوات العقاق ١٩١١ - ١٩١٤ والذي سبب للسلطات البريطانية في القاهرة وخاصة في السنة السابقة على قيام الحرب متاعب لا حصر لها ، وكان عباس يشك في نوايا كتنر أرام ، وأن كان وافق أنه لن يستنبح سوى دفع حكومته إلى الاتصال باستقبال لا مستمدار لمرمان من السلطان بخلعه ، ولذلك قام بتدوير السفر إلى استنبول لاستقبال لقياء أجازته ولا يحاط بأي محاولات تجربتها بريطانيا من هذا القبيل .

على أنه بعد أن نغبت الحرب وظهر احتمال دخول تركيا فيها مع رغبة بريطانيا في فصل مصر عن تركيا ولمرض الحماية عليها ، قررت في التمهيد بهذا الخلع شأنه لعدم إثارة المشاكل والمتاعب للسلطات البريطانية في القاهرة في وقت هي تحتاج فيه إلى هدوء الرأي العام وإلى رقيتها في الاستئثار بالسلطة في مصر كاملة ، وهذا غير ممكن مع وجود عباس صاحب السلطة الشرعية على رأس الدولة ، هذا بالإضافة إلى تعييدها لحاكم جديد سيجعل منه شخصاً رهن اختيارها يمكنها أن تولى عليه ما شاءت من فعليات وتجيره على تنفيذ ما شاءت من طلبات .

ولما كانت بريطانيا ترغب في المحافظة على حياد تركيا في الحرب وبالتالي على هدوء الرأي العام المصري ، إذ لم تطأ إلى احتفاء أي قرار عاجل بخصوص خلعها ، بل أخذت تلغ ذلك تدريجياً ابتداءً من منع صودته إلى القاهرة حتى صدور قرارها بخلعه بعد إعلان الحماية على مصر ، وبالرغم من أنه يمكن القول أن وجود كتنر في وزارة العربية البريطانية في ذلك الوقت هو الذي دفع المطالبة البريطانية إلى احتفاء قرار الخلع ، إلا أن الوثائق البريطانية توضح أن السلطات البريطانية في القاهرة هي التي كانت المحرك الأساسي لهذا العمل .

لقد كان حسين رشدي باعاً بتوقع فصل مصر عن تركيا في حالة نشوب حرب

بمنها ومن يريد انهاء ، لذا أرسل الى عباس يستحثه للعودة الى مصر وأبلغ
شيتام أنه لعمل ذلك لرغبته في عرض وجهة نظره في أن منح مصر الحكم الذاتي
مع ذلك الفصل سيجوز الرض من المصريين (٦٩) ، إلا أن جرای كان من رأي
أن سيرد الاتصال لطلب عودة عباس قد يسبب عوا ومهاجا شديدين داخل البلاد
والخطة شيتام أنه أصدرت تعليماته الى عقل بريطانيا في القسطنطينية
ليبذرة بعدم العودة الى مصر (٧٠)

أما السلطات البريطانية في القاهرة فقد كانت دائما في عطف
عدم عودة عباس الى الحكم . فقد كانت على يقين بحكم تواجد! حذل فترة
الشقاق بين كاشور وعباس أن عودة عباس ستؤدي الى العديد من المشاكل أمامها
ولذا نجد شيتام يكرر دائما في كل مراسلاته مع لندن أن الموقف في مصر هادي
جدا وأن هذا الهدوء يرجع الى غياب الخديو ، ذلك الغياب الذي يكن
النظار المصريين من التعاون مع تلك السلطات وأسهم بجهد مشترك في تحقيق الهدوء
والسكينة داخل البلاد (٧١) ، وأرسل ينظر بما إذا كان قد تقرر حذف الخديو
الى إيطاليا مودعا أن هيابه من مصر دفع النظار المصريين الى زيادة الاعتماد
على سلطات الاحتلال وأن ولاهم لن يتفوق بين الخديو وتلك السلطات كما كانت
الحال خلال العام السابق (٧٢)

بالرغم من أن حسين رشدي باشا قد أرسل الى عباس يبلغه بأنه
على يقين من أن الحكومة البريطانية ليس لها أية نوايا عدائية ضده ووجه أن
يستدعي لرمقاتها ، بالرغم من أن شيتام قام بالاتصال بوزارة الخارجية البريطانية لاهلاد
عن طريق سفير بريطانيا في القسطنطينية أنها ترفض من سوء أن يتجه الى أي بلد
محايد وأنها لا ترفض في إجراء أي تغيير في مركزه (٧٣) ، إلا أن عباس كان ينظر
الى موضوع احتجازه في استنبول على اعتبار أنه إجراء تصيدي لخدمته وأن بريطانيا
ستتولى خلعهم سواء بقي في استنبول أو فارتحا الى أي بلد محايد ولذا رفض الاذعان
للمطالب البريطانية . وظهر من الوثائق البريطانية أنها بعد أنها كانت قد
قررت فعلا عزله وأرسل جرای الى شيتام في ١٢ أكتوبر ١٩١٤ يطلب منه تجهيز
صودة اعلان بمسدر في حالة الحرب مع تركيا يعزل عباس ويضع منصب الخديوية الى
الامير حسين كامل (٧٤) الذي لم يكن حتى ذلك التاريخ يعلم عن هذا الترتيب شيئا
واستمر لا يعلم منه شيئا حتى ثوبن به في ٢٠ أكتوبر ١٩١٤

وكان نص صودة ذلك الاعلان " ان وزير خارجية بريطانيا يرى أن
المصالح العام يتطلب خلع صاحب السمو عباس عليا باها من منصب الخديوية الذي
عزى على صاحب السمو حسين كامل باها أكبر أبناء الخديو السابق اسعاعل باها
الباقين على الياه وأنه قبل المنصب " ، وكان رأي شيتام أن يكون الخلع
ومسدر المنصب قرارا بريطانيا (٧٥) ، وقد راقه جرای على ذلك بعد أن عدل
مهمة الاعلان لتكون " كلفت من وزير خارجية بريطانيا أن أعلن أن حكمة جلالة
قد قررت خلعها " (٧٦)

F.O. 407/183 No. 67 - Cheetham to Grey - Aug. 14, 1914	- ٦٩
F.O. 407/183 No. 100 - Grey to Cheetham - Aug. 15, 1914	- ٧٠
F.O. 407/183 No. 147 - Cheetham to Grey - Sept. 7, 1914	- ٧١
F.O. 407/183 Private - Cheetham to E. Crow - Sept. 11, 1914	- ٧٢
F.O. 407/183 No. 178 - Cheetham to Grey - Sept. 24, 1914	- ٧٣
F.O. 407/183 No. 249 - Grey to Cheetham - Oct. 12, 1914	- ٧٤
F.O. 407/183 No. 199 - Cheetham to Grey - Oct. 13, 1914	- ٧٥
F.O. 407/183 No. 266 - Grey to Cheetham - Oct. 17, 1914	- ٧٦

على أنه ظهرت في يوم ٢٧ أكتوبر ١٩١٤ اشاعة قوية أن عرش
الخديوي عباس قد ارتات له إلى املاكه في دولوما بالانغول وكانت هذه الاشاعة
تعني أنه سيعود إلى مصر على رأس حملة لتخليصها من الاحتلال البريطاني ، الامر
الذي أثار الرهبة في كلوب الأفراد السلطات البريطانية فاصبح القائد العام للقوات
البريطانية في مصر بالاقبال يكثف وزير الحربية لا تغال الا لازم لان حضور الخديو
سيعمل التأثير على ولاء عدد كبير من الضباط المصريين ، كما أرسل شيتام إلى
جراي وزير الخارجية في لندن لولا غياب عباس لما تصرف لنظام المصريين مع السلطات
البريطانية بهذه الروح المثبة بالاخلاص وثولا ، وأوضح له أن نجاح التخليط
البريطاني يعتمد إلى حد كبير على قبول الامر حسين كامل منصب الخديوية ،
وبالتالي ستحصل تلك السلطات على مائدته ونفوذه الذي يمكن النظام من الاستمرار
في مناصبه (٧٧)

وعمرها انضوت مشكلة تلعب عباس ونعمين حسين كامل معلقة لاسباب
سردجيا في حقه ، حتى اعلنت الحماية البريطانية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤
وفي اليوم التالي ظهر في الرقائع الرسمية النص التالي : " اعلان بخلع مو عباس
حلي باغا من منصب الخديوية وارتقاء عاصبه العظمة السلطان حسين كامل على عرش
السلطنة المصرية " يعلن ناظر الخارجية لدى جالسة ملك بريطانيا العظمى أنه
بالنظر إلى اقدام مو عباس على باشا خديو مصر السابق على الانضمام لاعداء
الملك فقد رأت حكومة بلاده خلعه من منصب الخديوية ، وقد عرض هذا المنصب
السام مر لقلب سلطان مصر على سمو الامر حسين كامل أكبر الافراد الموجودين من
حالة محمد علي قبله " (٧٨)

٢ - الاقلاء على نظارة حسين رشدي باشا

من الناحية الواقعية لم تكن هناك شمة مشكلة تواجه السلطات البريطانية
في مصر فيما يتعلق بشخص حسين رشدي باشا سواء بصلته قائما للخديو عباس
الثاني او بصفته رئيسا لمجلس النظار .

لقد كانت تلك السلطات تؤمن أنها لن تستطيع حكم البلاد الا من خلال
نظارة مصرية ، وكانت تثق أن حسين رشدي باشا وأعضاء نظارته هم أفضل من يساعدونهم
خلال محنتهم من الحرب ، ولذا خططت لتجعله من ونظارته القوة الوحيدة الباقية
على صرح الاحداث السياسية في مصر ، بطع عباس من العودة وتأجيل انعقاد
الجمعية التشريعية وانهاك قوى الاحزاب السياسية المصرية وخاصة الحزب الوطني
بحيث لا يكون لها تأثير على ذلك المرح ، وهذا ما عبر عنه شيتام بقوله
" انه عمل كل ما يمكن عمله لوضعهم (أي حسين رشدي باشا) في النظار في خدمة
رغم شعبيهم ، وأن غياب الخديو سيؤدي إلى اعتداد النظار على السلطات البريطانية
ولن يتزق ولا هم في اتجاهاين كما كان في العام السابق بين الخديو وتلك السلطات (٧٩)
ومزا شيتام هدفه الرأي العام - كما سبق القول - إلى غياب الخديو الذي يمكن
النظار المصريين من التعاون الوثيق مع السلطات البريطانية وأسهم بجهودهم في تحقيق
الهدوء والسكينة داخل البلاد (٨٠)

ولم يكن حسين رعدى باعاً أو أصفاء نظارته مجهولون ذلك الموقف ولذا كانوا يحاولون دائماً الاستئذان منه بالحمل على توسيع قاعدة الحكم الذاتي في البلاد ، في الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تسعى للاستفادة من تلك العظارة لضمان مدور الرأي العام المصري وخاصة التيار الاسلامي منه من ناحية ، وتثديد هيبتها على البلاد من ناحية أخرى . ولذلك كان هناك صراع مكثف يظهر ويخسو بين حسين رعدى باعاً الذي كان يبتعد دائماً بالاستقالة ، عالم تجيبه تلك السلطات التي يطلبه الرقيص في توسيع قاعدة الحكم الذاتي بين السلطات البريطانية في القاهرة التي كانت تحصل دائماً على ارضائه وحققه هو وأعضاء نظارته على البقاء في مناصبهم .

لقد كان عيبتهم يعتقد أن النظار على استعداد للاستمرار في الحكم ، ولكنهم يخفون من استطاعتهم السيطرة على الحركة العامة المعارضة لبريطانيا داخل البلاد ، وأنهم يخشون أن الأحداث ستؤدي البلاد حتماً الى اعلان ضم مصر الى بريطانيا أو غزى الحماية عليها ، ولذا فهم يرغبون في تأمين أنفسهم في اراء مذهب الاحصاليين (٨١)

وعندما ظهر جلياً أن بريطانيا ستدخل الحرب ضد تركيا بعد اعلان روسيا الحرب عليها حدثت حسين رعدى باعاً بحفلة التماهي الخديوي مع السير جراهم مستشار الداخلية بصفة شخصية يوم ٢٠ أكتوبر ١٩١٤ ثم مع عيبتهم بصفة رسمية موضعاً لغيرة ارفاق اعلان الحرب مع تركيا باعلان منح مصر حكم ذاتي واسع النطاق ووضح له أنه اذا تم ذلك سيبقى في منصبه بكل سرور وسيقدم معاونته المخلصة للسلطات البريطانية ، وفيما بعد اذ ذلك سيتخلى عن منصبه ، وأعلن أنه يخشى أن يخلق الجمهور الذين العويد لتركيا موقفاً قد لا يكون من الممكن السيطرة عليه بدون الوعد بقيادة حقوق الحكم الذاتي .

وكان عيبتهم يدعى لغيرة بقاء حكومة حسين رعدى باعاً في الحكم وأن ارضائه في أمرهم بأن ذكر موضوع الحكم الذاتي في أي اعلان سيكون له أهمية في التأثير على الفئات المختلفة من الرأي العام المصري ، ولذا اقترح على جراي أن يذكر في فترة الإدارة الداخلية من الاصلان المزمع اصداره عند قيام الحرب بين بريطانيا وتركيا لفترة التعجيل بالتقدم نحو الحكم الذاتي (٨٢) ووافق جراي على ذلك (٨٣)

ولا شك في أن الرغبة في استمرار حسين رعدى باعاً في نظارته هي التي دفعت عيبتهم قبل اعلان الحرب مع تركيا الى التشاور مع القائد العام للقوات البريطانية والمستشارين البريطانيين في القاهرة ثم محاولة التماسه بالبقاء ولعلنا وافق وأعلن أن على استعداد للاستمرار في منصبه اذا أعلنت الاحكام العرفية وتم اعتقال الاتراك وادخلت القاهرة الحام بعض الاجراءات للسيطرة على الحرق كما أعلن أنه سيكون مستولاً من أعمال الضمان والفترة التي قد يتسببها قبول الحماية وبعد ضمان السلوك الذي كان من جانب النوصاء الدينيين ، وهي نقطة اعتبرها عيبتهم على جانب عظيم من الأهمية (٨٤)

F.O. 407/183 No. 147 - Cheetham to Grey - Sept. 8, 1914	- ٨١
F.O. 407/183 No. 232 - Cheetham to Grey - Oct. 30, 1914	- ٨٢
F.O. 407/183 No. 307 - Grey to Cheetham - Oct. 31, 1914	- ٨٣
F.O. 407/183 No. 237 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914	- ٨٤

على أن حسين رشدي باشا والنظار أبلغوا شيتهم بحكم تصميمهم على عدم الاستمرار في مناصبهم إذا أعلنت الحرب مع تركيا معلنين لهم قد وطنهم مملوكتهم أن الشهيو عباس قد أرسل ابراهيم لافضال الامير حسين كامل ورئيس النظار وكان من رأى شيتهم أنه في ظل هذه الظروف لا يمكن الاعتماد لا على النظار الحاليين ولا حتى على امثال تشكيل نشأة جديدة ، وذكر أنه يحاول اقتناعهم بتغيير وجهات نظرهم ، وأنه يرى في ازاء هذا الموقف تأجيل اعلان الاحكام التعريفية ، على أن يصدر القائد العام تصريحاً يعلن فيه أنه بالرغم من أن الموقف القائم يتطلب سيطرة عسكرية إلا أن الحكومة البريطانية ليس لديها النية للتدخل في أعمال النظارة المصرية أو بوجه عام في أعمال أى مؤسسة قائمة فعلاً ، وأن كان المستأثرون يعتقدون أن الادارة الداخلية يمكن أن تتم بواسطة وكالة النظارات وأن يتولى القائد العام توقيع أى تشريعات يراها ضرورية (٨٥)

وفي ٣ نوفمبر ١٩١٤ أبلغ شيتهم جواى أنه احتطاع اقتاع حسين رشدي باشا والنظار بالبقاء في مناصبهم على أساس أن يصدر القائد العام اعلاناً يعلن فيه قيام الحرب مع تركيا وأنه سيتولى المسؤولية الكاملة في الدفاع عن البلاد ويطلب من الاهالى عدم مساعدة العدو ، ثم يقم حسين رشدي باشا بالرد بأن مجلس النظار سيكون مسئولاً عن الادارة المدنية وقد جاء في ذلك الرد " انه نظراً لغياب سمو الجنب الخديوى الذى يستند عليه سلطته اتفقوا ببلانكم بأننا سنستمر أنا ووزلائي النظار في ادارة أعمال نظاراتنا المدنية تجنباً للخضار التى طرقت بالبلاد اذا تعطلت ادارتها المدنية " (٨٦)

٢ - مشكلة رفيع الامير حسين كامل الحكم

وكما سبق القول كان التخطيط البريطاني لمواجهة الحكم في مصر تدور ضمن ما يدور حول قبول الامير حسين كامل منصب الخديوية ، وقام شيتهم بتجهيز مسودة اعلان بطلان هذا المنصب بهذا المعنى يصدر في حالة الحرب مع تركيا أرسلها الى وزارة الخارجية البريطانية في ١٢ أكتوبر ١٩١٤ (٨٧) وافق عليها جواى بعد تعديل كلمة اعلان لتكون بلاغ وصى (٨٨) ثم أرسل اليه في ٢٠ أكتوبر يبلغه بأن المحظة قد حانت لبلاغ الامير حسين تعيينه في منصب الخديوية في حالة قيام تركيا بالحرب ضد بريطانيا (٨٩)

وحق ذلك التاريخ لم يكن حسين كامل يدور في هذا العرنه هذا على أنه بعد مفاوضات سريتين بينه وبين شيتهم أرسل ذلك الاخير الى وزارة الخارجية البريطانية يبلغها أن الامور ابلغته أنه لا يستطيع قبول منصب الخديوية دون منح أر ومنع مصر كما ذاتها تحت المباداة البريطانية ، وذلك لمواجهة هياج وثورة القوم الاسلام في أنحاء مصر نتيجة اندلاع الحروب ضد خليفة المسلمين (٩٠)

F.O. 407/183 No. 239 - Cheetham to Grey - Nov. 3, 1914	- ٨٥
F.O. 407/183 No. 244 - Cheetham to Grey - Nov. 5, 1914	- ٨٦
F.O. 407/183 No. 198 - Cheetham to Grey - Oct. 13, 1914	- ٨٧
F.O. 407/183 No. 276 - Grey to Cheetham - Oct. 20, 1914	- ٨٨
F.O. 407/183 No. 300 - Grey to Cheetham - Oct. 30, 1914	- ٨٩
F.O. 407/183 No. 235 - Grey to Cheetham - Nov. 1, 1914	- ٩٠

وكان حسين رشدي باشا قد عاين في نفس اليوم مع جواسيس بمسقة شخصية ثم مع شيتهم بصفة رسمية وبين أنه من الضروري اطلاق اعلان الحرب مع تركيا بادلان آخر يطمح مصر حكما ذاتيا واسع النطاق وأنه بدون ذلك لن يبقى في منصبه بلدا أنه يخشى الشعور الديني القومي لتركيا الذي سيخلق "وقفا قويا" يمكن استيلاء عليه بدخول الوعد بزيادة حقوق المسلم الذات (٩١) وقد وثق شيتهم أنه بالرغم من اتفاق رأي حسين رشدي باشا ميراث الامور حسين كامل إلا أن هذا الاتفاق لم يكن نتيجة تخطيط أو اتفاق سبق بينهما ، وكان من رأيه أن اليهم كان تأثيرا بحالة الخوف من الاخطار التي ستعرضان لها في حالة هزيمة بريطانيا من تركيا (٩٢)

وعنما أدى رئيس الامور حسين كامل منصب الخديوية الى اوتياك في التخطيط البريطاني مما اضطر جواي الى استشارة كشتنر فيما يجب عمله واعطاء شيتهم الطلوي ياتخذ ما يراه مناسباً لمواجهة هذا المأزق (٩٣) . وقام شيتهم بالشكر من القائد العام البريطاني والمستشارين في دار المعتد البريطاني وأجمع رأيهم على ضرورة تأجيل اعلان الحماية وعدم اتخاذ تلك الخطوة الا اذا كانت ضرورية موضحين أن أغلبية هذا التأجيل اذ سمحطي بريطانيا الوقت الكافي الذي يمكنها من اتخاذ الاجراءات التي يتطلبها اعلان الحماية وخاصة اذا أصبحت بريطانيا في موقف أفضل مما هي عليه في ذلك الوقت (٩٤) وكان من رأيهم اعلان الاحكام العربية لجزء .

وفي نفس اليوم (أول نوفمبر ١٩١٤) وافق جواي على تأجيل اعلان الحماية وطلب من شيتهم ابلاغ الجنرال ماكسويل الذي كان يلح على كشتنر تأجيل ذلك التأجيل ، أن كشتنر قد وافق أيضا على ذلك التأجيل (٩٥) وكان من رأيهم تأجيل اعلان الحماية حتى يتم قطع العلاقات مع تركيا وأنه لا يرى أي مبرر لتأجيل اعلان الاحكام العربية (٩٦) . ثم الحق ذلك ببرقية في ٤ نوفمبر ١٩١٤ نصها " سحدر بالكرشالبا اعلان يعلن فيه أنه نظرا للاعمال العدائية التي قامت بها القوات التركية تحت قيادة عياط النان فقد نشأت الحرب مع تركيا " وأبلغه أنه لن يعلن الحماية حتى يحل منه ما يدل على انها اجراء لا بد منه (٩٧)

وهكذا كان لرئيس الامور حسين كامل قبول منصب الخديوية وتبريد القائمتان الخديوي بعدم الاستمرار في منصبه الا بخروط خاصه أهمها عدم نصر الحكم الذاتي أخرى في اوتياك التخطيط البريطاني نحو فرض الحماية وبدأ التفكير يتطور نحو التخلص من هذه المشاكل باعلان ضم مصر .

تكررة ضم مصر الى الامبراطورية البريطانية

وليس معنى ما سبق أن التفكير في ضم مصر الى الامبراطورية البريطانية

F.O. 403/183 No. 233 - Cheetham to Grey - Oct. 30, 1914	- ٩١
F.O. 407/183 No. 235 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914	- ٩٢
F.O. 407/183 No. 311 - Grey to Cheetham - Nov. 1, 1914	- ٩٣
F.O. 407/183 No. 237 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914	- ٩٤
F.O. 407/183 No. 313 - Grey to Cheetham - Nov. 1, 1914	- ٩٥
F.O. 407/183 No. 314 - Grey to Cheetham - Nov. 1, 1914	- ٩٦
F.O. 407/183 No. 323 - Grey to Cheetham - Nov. 4, 1914	- ٩٧
also to Bordenaux No. 877 - Petrograd No. 978 and Tokyo No. 184	

كان ولابد تلك الفترة أو أنه لم يكن لها من قبل أنصار من الساسة البريطانيين أو لم يسيق أنارتها عالميا أو داخل بريطانيا نفسها سواء على المستوى الرسمي في صورة مناقشات أو مراسلات متبادلة داخل الأجهزة المختصة في بريطانيا أو على المستوى الجامعي في صورة مناقشات داخلية أو خارجية قد تكون مغرضة أو قد يكون لها ظل من الحقيقة ، إلا أنها كانت تقابل ذلك دائما بالنفي والكذب بمرمرة وانحمة من وزارة الخارجية البريطانية التي كانت كما سبق القول تغش في جميع تصرفاتها إثارة الرأي العام المصري أو إثارة استياء الدولة العثمانية أو تلقى الدول الأوروبية وخولها على ما لها من امتيازات في مصر .

ومن أمثلة تلك الإشاعات ما انتشر داخل مصر عام ١٩٠٨ عندما أعلنت النساء في الولايات العثمانية " البيعة والهوسك " الختان كانت النساء تحتلها منذ عام ١٨٧٨ ، فقد سوت الإشاعات وتشد أن بريطانيا تتولى إخراج نفس النهج وتعمل في الولاية العثمانية بمصر التي تحلها منذ عام ١٨٨٢ ولما كانت هذه الإشاعة تؤدي إلى إثارة الرأي العام المصري الذي كان قد وصل إلى قمة عداوته للاحتلال البريطاني في ذلك العام تحت تأثير صحافة الحزب الوطني وخطب زعماء فقد يادر السردن جورست إلى التصريح بأنه " لا توجد هناك نوابا لنتم مصر " وأرسل صورة ذلك التصريح إلى لندن حيث وافقت عليه وزارة الخارجية البريطانية (٩٨)

ومن أمثلة تلك الإشاعات ما انتشر عالميا عام ١٩١١ عندما تناقلت صحيفة ألمانيا والنمسا نيا ظهور في صحيفة " Neue Forera Presse " المادة في يومنا صباح يوم ١٨ أكتوبر ١٩١١ جاء فيه أنه وردت إليها برقية من لندن في منتصف الليلة السابقة بأن بريطانيا قررت إعلان تم مصر يوم الاثنين التالي ، وأخذت الصحف الألمانية والنمساوية الأخرى تعيد نشر النيا دون تعليق " (٩٩)

ولما كان هذا النيا سيؤدي إلى إثارة استياء تركيا ونيماح الرأي العام المصري فقد سارعت الحكومة البريطانية إلى إرسال برقية إلى مطبها في القسطنطينية جاء فيها " بدأت إمامة في بينين ورومنا مادها أن الحكومة البريطانية تعترف بمصر ، وقد كذبت هذه الإشاعة في صحفنا هنا ، ولكن في حالة عدم بشر ذلك الكاذب في القسطنطينية ، فتراء لك حرية التصرف ليعرف الجميع أن هذه القصة لا أساس لها من الصحة " (١٠٠)

وبالرغم من هذا النفي والكذب المستمرين لانيابا نوابا بريطانيا تم مصر إلى سيطرتها إلا أن هذا لم يمنع من وجود نوابا لدى بعض الساسة البارزين في بريطانيا أولئك رجال السلطة البريطانية في القاهرة ، ومعارلات دارت حولها عدة مناقشات وبرايلات تدور في مصر ، فمضد عام ١٩١٠ دلي

Further Correspondence Respecting the Affairs of Egypt and the Sudan - PLIX No. 107 - Oct. 23, 1908 - ٩٨
F.O. 407/178 No. 165 - Carterright to Grey - Vienna - ٩٩
Oct. 19, 1911
F.O 407/178 No. 399 - Grey to Lowther - Oct. 19, 1911 - ١٠٠

وتمتحن تشوشل فكرة ضم مصر الى الامبراطورية وكان الزعيم الاساسى للغة التي يادت وخاصة خلال الصراع الذى نشب فى الوزارة البريطانية عام ١٩٢١ عند مناقشة مقترحات لجنة طنر التي حث فيها حكومتها على الاسراع فى عقد معاهدة مع الحكومة المصرية تقبل لمصر استقلالها وتضمن لبريطانيا مصالحها الجوهرية فى مصر . وكان ما قاله تشوشل لالفريد سكاون بلمت عام ١٩١٠ " أرجو ألا تذهب من اذا كنت بضم مصر " (١٠١) وكان ما قاله عند مناقشة مقترحات لجنة طنر " أنا لم أسمع مستعد للجلوس هنا بكم وأخوس وأنا أرى شعب مصر يتجه الى خسارة ذلك الصرح الرائع للادارة البريطانية " (١٠٢)

وكان كثر من الزعماء البارزين الساعين الى التوسع فى السيطرة البريطانية على أملاك الدولة العثمانية ، وكان يرى الغاء سيادة تلك الدولة على مصر وأن تعلن الحكومة البريطانية ضم مصر الى أملاكها ، وقد بحثت فعلا فكرة ضم مصر داخل وزارة الخارجية البريطانية من حيث البدا فقط ، إلا أن اللورد أدوارد جراى كان يرى الابقاء على السياسة البريطانية فى مصر على ما هى عليه فقد كان يقدو بعكس كثر أثر هذا الاجراء على المسلمين فى العالم وعلى موقف الدول صاحبة الامتيازات فى مصر ، فعلا عن أن الفهم كان ميسر الى علاقة بريطانيا بتركيا فى وقت كانت هى تضع فيه الى كتب ودعا ، كما حذر الابرل أوف كرومر - الذى كان البريطانويون يعتبرونه أكثر ماساتهم خبرة بمشئون مصر - ككثرت فى رسالة بعث بها اليه فى ٢٠ يوليو ١٩١٢ من غطوة ضم مصر للامبراطورية البريطانية

ولما كان كثر يدافع عن وجهة نظره بأن الامتيازات الاجنبية فى مصر هى التي تعرق عمل بريطانيا فى ذلك البلد ، فقد كتب اليه كرومر يوضح له أن مسألة الفهم لن تحل مشكلة تلك الامتيازات فضلا عن أن الدول الاجنبية لا يمكن أن تسلم طواعية بالتنازل عن حقوقها ، وأن فكرة استبدال صندوق الدين بمجلس استشارى - التي طالب بها كثر - لن تجد ترحيبا لا فى إنجلترا ولا فى خارجها لان العواقب عليها أنها تمنح وضع السلطين المالية والتشريعية فى يد كثر (١٠٣)

يلم تصل الحوادث كثر لوضع نوابها موضع التفويض ، فقد صادو مصر الى إنجلترا فى صيف عام ١٩١٤ لقضاء اجازته وبحث وجهات نظره المذكورة مع الحكومة البريطانية ، وإذا بالحرب العالمية الاولى تعلن فى ٢٨ يوليو ١٩١٤ . بالرغم من عدم عودته الى القاهرة ودمية وزيرا للحربية البريطانية إلا أنه كان له دورا كبيرا فى عدة موضوعات تتعلق بمصر ، فبعد كان جراى يستقيره فى هالبيه الموضوعات المتعلقة بمصر (١٠٤) ، وخاصة فيما يتعلق باثارة الشعور الاساسى عند اعلان الحرب ضد خليفة المسلمين والاخطار التي يحتل أن يتعرض لها القاطنات الخديوى والامر حسن كامل اذا انهزمت بريطانيا فى الحرب ، ورفوع فصل مصر عن تركيا والتمويه الذى يجب عمله لمصر مقابل ذلك الفصل (١٠٥) بموضوع منزل الخديو عباس الثانى وموضوع تأجيل اعلان الحماية نتيجة لرفض الامر حسن كامل غضب الخديوة (١٠٦) وأخيرا ذلك القرار الملجأ الذى أصدرته وزارة الخارجية البريطانية فى ١٢ نوفمبر ١٩١٤ بنضم مصر الى الصلطات البريطانية

- Blunt, W.S. : My Diaries Vol II - London 1919 - P.337 - ١٠١
Entry for Oct. 14, 1910
Churchill to Curson - June 13, 1921 - Quoted in Lord - ١٠٢
Beaverbrook ; " The Decline and Fall of Lloyd George " London 1963 P.42
Wagman, Philip ; Kitchener - Portrait of an Imperialist P. 273 - ١٠٣
F.O. 407/183 No. 235 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914 - ١٠٤
F.O. 407/183 No. 237 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914 - ١٠٥
F.O. 407/183 Nos 311 and 313 Grey to Cheetham - Nov. 1, 1914 - ١٠٦

قرار بريطانيا المفاجئ بضم مصر

في ١٢ نوفمبر ١٩١٤، وبعد تبادل عدة مراسلات بين وزارة الخارجية البريطانية ودار المعتصم البريطاني في القاهرة - كما سبق أن ذكرنا - لفكرة استمرت أكثر من ثلاثة أشهر عن إجراءات لمحي الحامية، وبعد أن أنقذت السلطات البريطانية في القاهرة مع القلائد الخديوي وكانت على وشك أن تنزع الأمير حسين كامل، فوجدت تلك السلطات، دون سابق اذار ببرقية من وزارة الخارجية البريطانية تدل على أنها ترى أن أكثر الخدوات أثراً هي اعلان ضم مصر، وذلك يمكن التخلص من المشاكل المتعلقة بنظام توارث عرش الخديوية وبضم المصريين لغيرا الرعية البريطانية، ويحدد يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٤ كقوت مناسب لذلك الاعلان حيث تكون القوات البريطانية قد وصلت الى مصر من الهند.

وكان واضحاً من البرقية المذكورة أن الحكومة البريطانية بالرغم من قرارها المذكور إلا أنها كانت لا تزال تخشى إثارة الرأي العام المصري، فكتبه: "لقد خليت من سمعهم أن يمين وجهة نظره هو والقائد السام للقرات البريطانية في مصر من تأخير ذلك القرار على الموقف الداخلي المصري، قبل إصداره (١٠٧)

وقد كان لهذا القرار المفاجئ وما اتخذ بعده من إجراءات تنفيذية أثره على كل من حلفاء بريطانيا - فرنسا وروسيا - وعلى السلطات البريطانية في القاهرة وأن أخطأت النتائج كما توضيحها الوثائق البريطانية.

١ - أثر قرار الضم على كل من فرنسا وروسيا

في يوم ١٢ نوفمبر ١٩١٤ أرسل جرائ الى كل من السوفييت في بريطانيا في باريس وإلى السربوكانان غيرها في سان بطرسبرج ببرقية متطابقة في نصوصها فيما عدا حاشية صغيرة اشرفت في البداية على السخية المرسلة الى فرنسا وطلب من كل منهما ابلاغ وزير خارجيته الدولة التي يمثل بها مطمئن تلك البرقية التي يكون شديد أهمها جاء بها في:

"أ" - وصلت معلومات الى الحكومة البريطانية أن الخديوي سيقع نفسه على رأس خطة ضد مصر، وهذا حيواني الى ارباب الوقت ويجعل الكثير من الاميان المصريين في حالة خوف وقلق.

"ب" - وجدت الحكومة البريطانية أن الشخصيات المصرية البارزة التي يمكنها القيام بالحكم في ظل الحماية جبناء ومترددون، وهذا علاوة على أنه اتضح أن الأمير الذي كانت تأمل في أن يخلع منصب الخديوية لغير حال شاماً الى تولي هذا المنصب.

"ج" - تحبيل المصريين من رعايا دولة اسلامية كبرى هي الدولة العثمانية الى رعايا دولة صغيرة نسبياً هي بريطانيا سيجعل المسلمين في باقي أجزاء العالم الاسلامي يشعرون بأن بريطانيا قد وقعت المصريين في مستوى أدنى شأناً من المستوى الذي كانوا عليه تحت السيادة التركية.

"د" - لاجل تعزيز الموقف الداخلي رأيت الحكومة البريطانية أنه من الضروري منح المصريين حقوق رعايا بريطانيا الكاملة وهذا لا يمكن أن يتم الا بضم مصر الى الامبراطورية.

"هـ" - لن تفرح الحكومة البريطانية إلغاء المحاكم المخططة أو الاستشارات الاجنبية حتى يتم انشاء نظام لقائي صحيح صحيح يمكن أن يضح الجانب في مصر جميع الضمانات اللازمة

أما الحاشية التي أعيدت إلى الوثيقة الموجهة إلى باريس فقط فقد
 "أدت" أن الاعتبارات الحسنة والمحاكم المخططة تكون موضوع مناقشة في المستقبل
 مع الحكومة الفرنسية، وأن بريطانيا سوف تقدم في مواكبة تعازلات مثل تلك التي يتم
 اتفاقها في مصر (١٠٨)

ولكن قبل وصول رد سفير بريطانيا في باريس أوستان بطرسبرج على
 قرار القسم المذكور كانت بريطانيا قد أعدت انظر ووجدت أن أمن الحماية
 مناسب أكثر من الذم لضمان سلامة "العقود" الداخلي الذي اعتبره أهم هدف لها
 في ذلك الوقت، ولا شك في أنه كان لرأي السلطات البريطانية في مصر أثره
 البالغ في عدول بريطانيا عن ذلك القرار المقترح كما سيتضح فيما بعد

أما رد سفير بريطانيا في باريس فكان يحمل عن معناه رفض الوزارة الفرنسية
 المشرب بالثوم والجناب والانتقاد مع التصفد، فقد جاء فيه أن الوزارة الفرنسية
 ترى أن ذلك القسم سيعطي فرصة للقول بأن إنجلترا قد بدأت العمل على تحقيق
 المكاسب التي حققتها من الحرب، وسيظهر أمام الشعب الفرنسي أن فرنسا قد
 استعادت كعقلها لا إنجلترا، ويستغف الألمان من هذا الموضوع المادة الكافية للاحاق
 الاذى بإنجلترا، وطلب من إنجلترا أن تراعى حالة الشعب الفرنسي الذي
 سيكون ضم مصر بالعصبة له صفة ثانية خاصة بعد أن عشت إنجلترا تقطعت قريص
 ثم قامت باحتلال منطقة الشيخ سعيد (١٠٩) ثم تسال وزير خارجية فرنسا عما إذا كان
 في أمم الحكومة البريطانية تصيب خديوي آخر في مصر وإعلان الحماية بدلاً من القسم
 وبالتالي من ذلك إذا وجدت الحكومة البريطانية أن القسم لا يفي عنه فانه يقترح
 أن يكون هناك تبادل مذكرة بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حتى يعرف الرأي
 العام الفرنسي أنه كان هناك اتفاق بين الحكومتين.

وفيما يتعلق بمواكبة وزير خارجية فرنسا أن فرنسا لا ترغب في ضمها
 في ذلك الوقت وأنه يفضل تأجيل مثل هذه المسائل حتى نهاية الحرب، وكان رد سفير
 بريطانيا في باريس على وزير خارجية فرنسا بأن بريطانيا لم تسمح أبداً أن لفرنسا مطالب حقبة
 في منطقة الشيخ سعيد وأنها كانت تعظر اتيناها كقطعة من أملاك تركيا وعاملتها على هذا
 الأساس، وأن الحكومة الفرنسية قد حولت الحماية على مدقشقر التي تم دوين تبادل
 وجهايات العظمى مع بريطانيا (١١٠)

أما فيما يتعلق بموقف روسيا فلم تفر الوثائق إلى ما جاء في رد سفير
 بريطانيا في سان بطرسبرج على برقية القسم المذكورة ولكن جاء في رد سفير بريطانيا في باريس
 أن وزير خارجية فرنسا أبلغه أن السفير سارافوف بطوك بدوره طلبا بمعرفته اتجاه بريطانيا
 بضم مصر لأن ذلك سيعمل "عكسة" ولكنه من ناحية مشكلة الضمايق (١١١)

ومعنى على ٢١ ديسمبر ١٩١٤ أرسل جري إلى برنكمان يبلغه أن
 بريطانيا لا تنوي إجراء أي تغيير في الوضع السياسي الدولي لمصر أكثر مما هو مطلوب لتجنب

108 - F.O. 407/183 No. 982 - Grey to Sir F. Bertie and No. 1038 to Sir G. Buchanan and No. 350 to Mr. Cheetham Nov. 17, 1914

109 - تم منطقة الشيخ سعيد عند باب المدب وكان سلطانها الشيخ سعيد قد شارك
 معها لفرنسا إلا أن تركيا قامت باحتلالها ثم استولت عليها إنجلترا عام ١٩١٤

110 - F.O. 407/183 No. 491 - Sir F. Bertie to Grey sent Nov. 19, 1914 - Rec. Nov. 20, 1914

Ibid

- 111

الاضطرابات الداخلية وأن أي تغيير عليهم يمكن تجنبه تأجيله حتى تتم تهيئته في نهاية الحرب مع شروط السلم . وأنه نذرا لأن السلطات البريطانية في مصر ترى أن إعلان الحماية سيكون كالمسا لتكليف الصالح البريطاني لذلك . فإن بريطانيا لن تتخذ إجراءا إلّا عند الضرور إذا حدثت ظروفا معادية في المرفأ الداخلي (١١٢)

من هنا ترى أن عدول إنجلترا عن قرار الضم والعريضة التي غرض الحماية لم يكن بسبب معارضة فرنسا أو بوافقة روسيا وإنما بسبب خشيتها من اضطراب الأمن الداخلي في مصر الذي اعتبرته صديقا أساسيا . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى أوتحتها السلطات البريطانية في مصر كما ستوضح في حده

١١٢ - قرار تقسيم على السلطات البريطانية في مصر

مصر حينها لم تكن في ذلك القرار عند اتخاذ قرار دون دراسة لحقيقة المرفأ الداخلي في مصر ولا المشاكل التي ستعترض لها بريطانيا في داخل البلاد ، ولا لرغبة الحكم الذي سيتبع . لذا كان ردّه القوي . ويقل أن يناقش ذلك القرار مع القائد العام للقوات البريطانية في مصر أو مع مستشاريه من موظفي الوكالة البريطانية أو مستشاري المالية والداخلية . على شكل تساؤل من شكل الحكومة التي ستولى الحكم على ذلك الأمر . من حيثين الضم إلى حكم مصر . بريطانيا محل حوسبات الحكم القائمة وتحت في مصر والتي يطلبها الخديوي والظنارة المصرية وأوضح لوزير الخارجية البريطانية أن ذلك القرار يتطلب دراسة دقيقة للموافقات المطلوبة (١١٣)

ألا أن جرى لم يطمح الفرصة الكافية للدراسة بل أرسل له أنه يجب على الحكومة المصرية أن تتصرف في مطلبها بواسطة الظنار المصريين على أن تعمل تحت طاعة مثل ملك بريطانيا . وأنه يحق بمصر أن يعلن على الرأي العام المصري عند إعلان الضم ما كان مطلبه عليه عند إعلان الحماية من جهة طبع المصريين امتيازات الحكم الذاتي (١١٤) . ثم الذي ذلك القرار بقرار الضم الصادر من مجلس بلاط ملك بريطانيا والذي جاء فيه ما طمحه أن بريطانيا كانت تحتل مصر من أجل المحافظة على أمن الحدود المصرية وتنظيم عمل الحكومة المصرية وأنه بسبب نشوب الحرب بين ملك بريطانيا وسنار تركيا أصبح من الضروري حماية المصالح المصرية والمعاظ على ساحة عمل الحكومة المصرية الخاء سيادة تركيا على مصر وأنه قرارا اعتبارا من ١٧ نوفمبر ١٩١٤ تم مصر التي أصبحت من ذلك التاريخ جزءا من املاك جبال ملك بريطانيا (١١٥)

ثم أخذت البرقيات تتوالى في نفس اليوم ، ووجهة الاجراءات التي اتبعتها أو ستبناها به أيضا بعد الضم لها :

- ١ - أن يكون نشر إعلان الضم في مصر في نفس الوقت الذي ينشر فيه في لندن وأن يقض التأخير على وثوقها الإدارية الداخلية والظنارة المصرية والمحافظة على سياسة بريطانيا المتعلقة بالامن الدينية والاصلاح الداخلي وأنه سيكون للمصريين بعد ذلك التاريخ الحقوق التي يتمتع بها رعايا بريطانيا . وكان يرى يستدل أن هذا الأمر سيكون له وقع طيب على الرأي العام الاسلامي الخارج (١١٦)

P.O. 407/183 No. 1075 - Sir Edward Grey to Sir G. Buchanan - 112
Nov. 21, 1914

P.O. 407/183 No. 266 - Che than to Grey - Nov. 14, 1914 - 113

P.O. 407/183 No. 344 - Grey to Che than - Nov. 15, 1914 - 114

P.O. 407/183 No. 353 - Grey to Cheetham - Nov. 17, 1914 - 115

P.O. 407/183 No. 354 - Grey to Cheetham - Nov. 17, 1914 - 116

٢ - أن يشرع في إنشاء نظام يوضح فيه أنه نظرا لانعدام الخديوي عباس حلمي باشا إلى أعداء ملك بريطانيا فقد أصبح غير جدير بشغل منصب الخديوية . لذا تم خلعهم بناء على أمر من الحكومة البريطانية ، على أن يتولى أعماله ويتحمل مسؤولياته في المستقبل حاكم عام بريطانيا نابيا عن الملك ، سيتم اختياره فيما بعد لشغل هذا المنصب " (١١٧)

ولا أن السلطات البريطانية بالقاهرة تطلبت إلى أثر النص على الموقف الداخلي لفترة حذرة وكانت تحاول ما أمكنها عدم إثارة الرأي العام المصري كما كانت تحاول إرضاء القائمان الخديوي والقطار والاسر حسين كامل وكانت تقصرون العلف والدعاء في إصدار ذلك القرار ستكون له عواقب وخيمة . ولذلك اجتمع فيتهام مع القائد العام للقوات البريطانية واستشاري الداخلية والمالية وبعد مناقشتهم لقرار التزم أرسلوا الر جواب بتفصيله ما يليه :

- ١ - أن القطر المصريين قد قبلوا فعلا مسؤولية الإدارة المدنية التي أصبحت تتم بطريقة برهنية بالرغم من إعلان الحرب مع تركيا ومن إعلان الأحكام العرفية وعن طريقهم أمكن السيطرة على العناصر الدينية بكم بسيطة وحتى رجال الحزب الوطنى صاروا لا يعارضون نظام الحكم القائم وأصبحوا يعطون إلى الهدوء
- ٢ - قبول إعلان القائد العام مقابلة ودية وخاصة الإشارة التي ذكرت فيه من حفظ الحقوق التي اكتسبها محمد على والنسب أنه بالنظر إلى شعور المسلمين المصريين نحو الخلافة فإنه لن يطلب منهم المعاونة في الحرب .
- ٣ - أن الموقف الداخلى في مصر سيمر بمرحلة جديدة من المزاويع المصريين بالنظامية بعد أن تمكنوا من تصريف محصول قطنهم ، وليس أدل على ذلك التحسن من أمر

- ٤ - أصدر القائمان الخديوي والقطر على نفس النهج الذي كانوا يتبعونه منذ بداية الحرب وهم على استعداد للاستجابة في ظل الامبراطورية البريطانية دون زوال " الشخصية المصرية " . وكان واضحا من المقترحات التي قدموها لمجتمهم في الحماية هناك أدلة واضحة أن الاسر حسين كامل يعتمد للمواطنة ولكنه يرغب إلى لقب سلطان وعظم شخصي وقبلة عائلية وكلها مطالب إذا ما أصبحت لا يمكن اعتبارها مثل أى تغيير ذكر في مركز الخديوية
- ٦ - سيومدى التزم القديري إلى بيلة ومدة استقرار . وسنظر إليه القطر والرأي العام نوع من التماثل مع الموقف الذي اختبر حتى ذلك الوقت " الحماية " كما سيومدى إلى أن العديد من المشاكل أمام بريطانيا يجب :

- " أ " - توقع استقالة النظارة . وهذا سيجعل السلطات البريطانية في القاهرة مضطرة إلى تولي أعمال تلك النظارة والإدارة المختلفة تحت سيطرة القائد العام . ولن يتمكنوا من تفويض ذلك بدجاج إلا إذا كان الموقف الحرس في ميدان القتال في صالح بريطانيا .
- " ب " - يجب اتخاذ إجراءات وقائية دقيقة نظرا لأنه من المتوقع تحول رجال الحزب الوطنى وسجودهم من الخطر من العمل العدائى . على أن الخطر سيعب الحكم بدون لقطر المصريين هي تلك التي ستخرج من انقطاع الاتصال بالعناصر الدينية التي لا يمكن معرفة ماذا سنفعل في المستقبل
- " ج " - سيومدى التزم إلى استبدال الوظائف المصريين بأخرين بريطانيين وسيومدى هذا بدوره إلى نشأة طبقة حاكمة بالغة ذات نفوذ قوى

وخطم ديكتام يونيتيه الى جواى جلفا اياه أنه والقائد العام
يستشاروه يجمعون على أن القسم ينتج منه ضغط واستياء عام ومن المحتمل
أن ينشأ قلق موكث مدائم يجعل من الصعب حكم البلاد . هذا فضلا عن أن
النظار والرأى العام المصدق المتكثف مضمون على بقائه " الشخصية الممروية " التي يمكن
للحماية أن تحققها لهم بهذا القسم بموجب ذلك التي أجل تيرسمي . وعلى ذلك
لأن رأيهم بطخري أن يكون الحكم من طريق سلطان مصر مع الاحتفاظ باليوميات
الحكومية القائمة لدينا ، وإذا تبين فيما بعد أن الحماية غير رغبة يمكن للجسوة
الى سياسة القسم (١١٨)

وبالرغم من أن جواى قد اختلف تماما بما جاء في رد ديكتام جليل
أنه عوفيه في العمل كما يتراءى في اللحظة التي يراها مناسبة (١١٩) ، إلا أن ديكتام
أرسل له خطبا شخصيا التباهي به فخطبه بهذه الوثائق التي تتطلب التفكر ويضا أن
الوثائق التي تصدر من الخارجية البريطانية لها في تلك الأمور تلك التي تصدر من دار
الاعتماد البريطاني في القاهرة ثم ذكر أنه أن أفضل الدلائل لجعل قراره مؤثرة مع
المحافظة على احترامها هي التي اضطرت الى اثارة عدة تساؤلات عما جاء في
قرار القسم بهذا :

١ - مسألة الامتيازات الاجنبية واقتناء الاجنبى

- "أ" - في اجراءات المحاكم المتخططة هناك نفرتة بين ما هو اجنبى
"Indigenes" واهلى "Indigene" ، وفي حالة القسم يبقى
البحريون امسالى بينما يتحول العثمانيون الى اجانب ، أما رعايا بريطانيا
لكن يتحولوا اجانب وفي نفس الوقت لا يمكن اعتبارهم اهلى
"ب" - أحكام المحاكم القسطنطينية على أمر عثمانى حفظ حق اللجوء اليه
بإزالة السيادة العثمانية ، ولم يوضح قرار القسم هل هي النية إعادة اصداره
بأمر وزيرى بريطانى أو بقرار تصدره السلطات البريطانية في القاهرة
"ج" - تعطى للاحتياط الامتيازات الاجنبية لسكان الاجانب حرمة لا يمكن
التيابها الا بحصول تدوين من قطاعات المتهمين منهم ، ولم يوضح القرار
هل يحتاج العامل خذ من بريطانيين أم لا
وخرج منهم من هذه التساؤلات بأن أفضل ما يمكن اتخاذه لحلاي هذه المشاكل
هو اصدار تشريعات مؤقتة للابقاء على الوضع القائم وقتلا كما هو .

٢ - منحوتة تمثيل حاكم مقام بريطانى

تسأل ديكتام عن سلطة اصدار القوانين بعد عزل الخديوى والى
والذى سيجعله حتما من الداحية القانونية سقوط النفاذ ، ووحدا أن السلطة
التشريعية الوحيدة المختصة حتى وصول الحاكم العام البريطانى ستكون
مجلس بلاط الشان ، وفي مسألة لم يوضح قرار القسم طريقة التصرف فيها . هذا
من ناحية ومن ناحية أخرى يرى أنه من الصعب الاستغناء عن خدمات النظار
دون لضم عامل الاستقرار في الحياة الحكومية . ولم يوضح القرار ما يصح في
هذه الحالة التي تتطلب حثا إعادة تشكيل نظارة أخرى تتولى تنفيذ
الامعمال الادارية .

٢ - موضوع الاعتماد على سلطات القائد العام في ظل الأحكام العرفية

انضم نيتهم الاعتماد على سلطات القائد العام في ظل الأحكام العرفية بين أن الترحيبات التي صدرت في ذلك الوقت كانت لها صفة الاستمرار بل تنقش بمرور الأيام الأحكام العرفية ، ويوضح أن خبرته تدفعه إلى ذكر أن كثير من العمل العسكري والعمل المدني يشمل رقبة المسئول عنه بالكامل وأنه يبدأ بالاعتماد على خبرته في نظام التعليم في مصر التي قامت ببريطانيا بالخطبين أعمال القائد العام في ظل توظيفه العسكري الخاص ومن السلطات المدنية التي طمح له في ظل الأحكام العرفية ، وخرج نيتهم من هذا السؤال إلى أنه يستشيره يرى أن استمرار الإدارة المدنية القائمة رقابة بدون التدخل من الأحكام العرفية ستقابل بالترحيب بوجه عام (١٢٠)

وهكذا أبدت بريطانيا نيتها لكسرة الشك وعادته إلى محاولة

تفكيك مخططاتها لغزو الحماية والذي كانت قد بدأت منذ إعلان الحرب

المسودة إلى قرار ائتي المحاكمة على مصر

بالرغم من أن قرار الحكومة البريطانية بالعودة إلى ترقى الحماية يمكن اعتباره قد تم طبقاً للوائح البريطانية يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٤ (١١١) ، إلا أنها لم تستطع إعلان ذلك القرار إلا في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، فقد حال دون ذلك الإعلان عدة مشاكل كان لابد لها من حلها وخاصة ما يتعلق منها بالأوجه المصونة للحكم بقول الرأي العام المصون لذلك الإعلان ، وللمذكرة التي قرروا إرسالها إلى الأمير حسين كامل لدعوته إلى تولي منصب الخديوية ، تلك المذكرة التي يمكن إيجاز ما جاء بها دستور العمل خلال فترة الحماية .

لقد كان أهم ما جاء في هذه المذكرة أن تركيزت على العرب ضد بريطانيا وأن ذلك يعرّض مصر وممتلكاتها للغزو ، وأن بريطانيا رأت أنه من الأفضل لها وضع البساط تحت الحماية الروسية ، وأنها لذلك قد اختارت الأمير حسين كامل لدفع طلبة الخديوية ، وأن بريطانيا تقبل المسؤولية الشاملة للدفاع عن الأراضي الواقعة تحت حكمه ، سواء في مصر أو في أي مكان من مصر ، وبين العلاقات الخارجية ترى الحكومة البريطانية أن يتم الاتصال بين الحكومة المصرية ومجلس الدول الأجنبية عن طريق ممثل جلالته بريطانيا في مصر ، وأنها ستعيد التفكير في نظام الامتيازات الأجنبية بعد انتهاء الحرب ، وبين الإدارة الداخلية تعمل بريطانيا مع السلطات المصرية على إشغال "بريات كدينية والمخدرات وترقية التعليم وزيادة نسبة الموارد المالية في البلاد وعلى إشراك المحكومين في الحكم طبقاً لما تسمح به درجة استنارة الرأي العام المصري ، ولها ما يتعلق بشخص السلطان العثمان بصفته الخديوية وذلك الحكومة البريطانية درجة "تجديد والمهابة التي يشتملها ، ولذا ليس مستبعد عن استخدام مصر كقاعدة للعمليات الحربية ضد تركيا (١٢١)

والواقع أن خشيته من إثارة الرأي العام المصري ، وولجته في

تفكيك ذلك ما يمكن تفكيكه ، من مطالب الأمير حسين كامل وحسين رشدي باشا

يرغبهم في ألا تصدر كلمة في ذلك الاعلان لو تلك العبارة يمكن أن تتخذ
ذريعة للمطالبة بالاستقلال أو بأي امتيازات معينة لا يتوزن تقديمها لمصر من التي
دأبتهم إلى إجراء عدة تعديلات في هذه الظرة والدخول في تفاصيل غير
جوفية أدت بهم إلى تأجيل اعلان الحماية حتى يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ كما سبق
القول وما توضحه الفقرات التالية .

١ - مسألة الحماية المصرية

كانت بريطانيا في اعلان الحماية تتجاهل بأن المصريين شعب يمكن
أن يكون له جلسة ، وليس أن تستدل على ذلك بما تم حينما أرسل كيتشنر إلى جاري
مطالباً إياه بالواناسة على يد الجمعية المصرية التي مجلس خوري الثوارين في مصر . واحد
أهم " الجمعية التشريعية " . وكان يرى باستطاعة رأي كرومر الذي أرسل
بذوره إلى كيتشنر يقول له " بالنسبة للحشيش الذين للمصريين فإن أحكم فعل
نقوم به هو تجاهل المسألة كلها ، فالتمثيل النهائي في مصر بالنسبة التي
أمره حسن أمره يتجه بعيد عن الحكمة ، وذلك لأنه لا يمكن اعتبار المصريين
شعب ولا يمنح الديمومة بالتاريخ الذي يمكن أن يصبوا إليه شعباً ، ولهم غلبتهم
مذاخر حتى " (١٢٢)

لما اتروا تغيير وضع مصر الدولي رأيت السلطات البريطانية في القاهرة
أوراقه الرأي العام المصري ، وخاصة الواجبة المصرية لتسليم في ظل الحماية
قلبت أن يذكر في الدكرة التي ترسل للأمير حسين كامل ، ما نصه " أن أصل مصر
عن تركيا ينتمى إياهم " الجنسية المصرية " التي توفرت حكومة جالده لسعوم
خيرية مدعياً لجميع الوعايا العثمانيين الذين كانوا يقيمون في مصر واعتادوا الاحتفاظ
بهذه الجنسية دون تفرقة في الاموال أو الجنس ، وحكومة جالده ستعده أن تطعم
الحماية التي تتطلبها هذه الجنسية " (١٢٤)

وإن من رأى جاري أن هذه الظرة عند تفتح الباب للأشخاص الغير مصريين
لهم المزايا بهذا الحق ، ولذا قام بتعديل نهاية الظرة لتكون " وقد لوبس
الحكومة البريطانية لابلانكم بأنه بعد اعلان الحماية البريطانية سينال جميع المصريين
أيضا كانوا حماية جالده " (١٢٥)

٢ - حوض سدكيل الدلتا

كانت السلطات البريطانية في القاهرة قدما في القول - تونس بأنها
لم تستطع حكم البلاد إلا من خلال نظارة عسكرية ، وكانت تقول في أن حسين وعدي
بأعما وأعضاء نظارته الطائفة لهذا في ذلك الوقت هم أفضل من يساعدهم خلال مستقيم
في الحرب ، وإذا خلت من وزارة الخارجية البريطانية العمل على أرضه (١٢٦)
وتأيد مطالبه لنفسه بذلك استمراره في الحكم ، وحكمت فعلا من القامه بذلك
" جينا لأمنار الذي قد طفق بالتوجه بالبلاد إلا وظلت إدارتها المدنية (١٢٧)
على حد قول حسين وعدي بأعما .

Arthur, Hodges : Life of Lord Kitchener P. 331	- ١٢٢
F.O. 407/183 No. 284 - Cheetham to Grey - Nov. 23, 1914	- ١٢٤
F.O. 407/183 No. 369 - Grey to Cheetham - Nov. 25, 1914	- ١٢٥
F.O. 407/183 No. 232 - Cheetham to Grey - Oct. 30, 1914	- ١٢٦
F.O. 407/183 No. 244 - Cheetham to Grey - Nov. 5, 1914	- ١٢٧

على أنها بعد قبوله رأت أنها طعنه فويافى أعلاه نظارته لها
يتعلق بطلب أى مزاي لمصر باليهامهم أن تغيير وضع مصر الدولى لا يمكن أن يخضع
أى من له صفة الصلطة مع الحكومة البريطانية (١٢٨)

ولما كانت مسألة تعيين وهزل النظر من أهم المشاكل التى واجهت
السلطات البريطانية مع الخديوى فى الماضى فقد تقرر أن يبلغ الأمير حسين كامل
عند موافقته على تولي منصب الخديوية أن الحكومة البريطانية تنظر إلى هذه
المسألة باعتبارها مسألة من الضرورى أخذ رأيها فيها وأن تكون وجهة نظرها هى
الغالبية (١٢٩) ، ولم يعترض حسين كامل على هذا القرار بل أبدى استعداد
أن يقدم موافقته للسلطات البريطانية كتابة إذا رغبوا فى ذلك (١٣٠)

وفعلًا قام شيهام بلصح الأمير حسين كامل بقبول استمرار بقاء نظارة
حسين رشدى باشا ، ولم تردد حسين كامل إلى الموافقة وأن كان قد أبدى اعتراضه
على منصب باشا ناظر الأوقاف لسلوكه السيئ ، ولشايهته للخديوي عباس الثانى
وقبلت السلطات البريطانية اعتراضه ، بل لقد اقترح شيهام تفكيك النظارة
التي سيقدمها حسين رشدى باشا عندما يطلب منه حسين كامل تفكيكها ، وكان اقتراحه
بأن يعين حسين رشدى باشا للرئاسة والمعارف ، واسماعيل سر باشا للأشغال
العامة والحربية وأحمد طي باشا للزراعة وبوسلوصية باشا للمالية وهذا يمكن باشا
لداخلة وعهد الخالق ثروت باشا للحقانية واسماعيل صدقي باشا للأوقاف .

الا أن وزارة الخارجية البريطانية اعترضت على تعيين عدلى يكن
باشا فى الداخلة موضحة أنه وصل إلى ملها أن له حول ونزاعات تركية
وتناقص هل القائد العام البريطانى فى مصر وستتأثر الداخلة مرتاحين لهذا
التعيين ، وطلبت أن يعين حسين رشدى باشا للرئاسة والداخلة تاركًا التعليم إلى
عدلى يكن باشا (١٣١) ، وبمعلنا نظم شيهام تشكيل النظارة كما أراد جواى (١٣٢)

أما لما يتعلق بنظارة الخارجية التى تقرر إلغاؤها ، فقد ابلغت
وزارة الخارجية البريطانية مصلها فى النامرة أنه قد تقرر تعيين المهر هنرى
مكسجيج كمأمون مدياً عاماً لها فى مصر ، وأنه طالب من جميع الدول التى لها
ممثلين فى مصر إبلاغ هؤلاء الممثلين بمغزاة الاتصالات الرسمية بالحكومة المصرية
من طريق المندوب الساس (١٣٣)

وكان حسين كامل وحسين رشدى قد أبدىا رغبتهما فى عدم سعد زقلول
باشا للنظارة بغير كسب لظلم من الراى العام المصرى إلا أن شيهام اعترض
نظراً للمعارضة الحزبية المتعالية التى كان يتولاها سعد فى الجمعية التشريعية
ولعلاقته السائلة مع الخديوي عباس الثانى فى ذير انعقادها الأخير (١٣٤) ،
وكان رأى جواى قاطعاً فى هذا الموضوع إذ جاءه " أما عن سعد زقلول فتكلم
ناكيد لا يحسن فى أى نظارة (١٣٥)

F.O. 407/183 No. 283 - Cheetham to Grey - Nov. 23, 1914	- ١٢٨
F.O. 407/183 No. 30 Urgent - Cheetham to Grey Dec. 2, 1914	- ١٢٩
F.O. 407/183 No. 304 - Cheetham to Grey - Dec. 3, 1914	- ١٣٠
F.O. 407/183 No. Private - Grey to Cheetham - Dec. 15, 1914	- ١٣١
F.O. 407/183 No. 320 - Cheetham to Grey - Dec. 16, 1914	- ١٣٢
F.O. 407/183 No. 426 - Grey to Cheetham - Dec. 17, 1914	- ١٣٣
F.O. 407/183 No. 316 - Cheetham to Grey - Dec. 12, 1914	- ١٣٤
F.O. 407/183 Private - Grey to Cheetham - Dec. 15, 1914	- ١٣٥

٢ - مطالب حسين "امل"

كان موضوع موانعة حسين "امل" لتولي السلطة بدلا من "الخديوي عباس الثاني" من أهم المشاكل التي واجهت السلطات البريطانية في القاهرة التي كانت تعتقد أنه هو الشخص الوحيد من أفراد أسرة محمد علي الذي يمكنه أن تفرق في قدراته على معاونتها في حكم البلاد خلال فترة الحماية ، إلا أن حسين كامل أبدى عندما عرض عليه الموضوع - كما سيه القبول - بخلافه من رد لعل الرأي العام المصري وظالب أن تصح بريطانيا مصر ومعدا بالحكم الذاتي حتى يمكنه القبول (١٢٦) على أنه بعد أن ظهر شدوه بعض في بولف الرأي العام المصري بعد إعلان الاحكام العرفية واعلان قيام الحرب مع تركيا - أثارت معارضة تتلخص تدرجها (١٢٧)

ولكن عموما على السلطة على معلقا على بعض المطالب التي دارت حولها عدة مراسلات بين السلطات البريطانية في القاهرة التي كانت قلقة دائما في حال تنفيذ مطالبه وبين وزارة الخارجية البريطانية التي كانت تتخوف من تقديم أية تنازلات له قد يتصور منها أنه يمكن أن يكون من الناحية العلية الحاكم المفضل لمصر (١٢٨) كما كانت ترى أن التأثير التصاعدي لجميع التنازلات التي يطلبها ستؤدي إلى مزيد بالمسيرة البريطانية على البلاد (١٢٩) ، ولذلك كانت دائما تجرى التعديل طو الآخر على سودة المذكرة التي كانت تنوي بقتضاها تقديمه بتولي السلطة كتعديل مجلة "العرش الخديوي" لتكون "العركل الخديوي" وتعديل عبارة "الدفاع عن الاراضي التي تحت حكم سوكم" لتكون "الدفاع عن الاراضي التي تحت سوكم" وتعديل عبارة "المعتقدات الدينية لوفاءكم" لتكون "المعتقدات الدينية للرفاهية المصريين" (١٣٠)

والواقع أنه لم يكن هناك أي مورد لذلك الخوف ، لقد كان حسين كامل يدرك تماما أنهم كما عمنوه فمن السهل عليهم ظفحه (١٣١) ، كما أعلن أنه ليس من الغيباء للاعتقاد بأن بريطانيا لا ترغب في إدارة البلاد بالكامل ، وأن وجود أحد المسلمين على رأس الدولة سيخدم لها مساعدة فعالة ، ولذا يجب أن يكون له هيبة واعتباره ، وأنه يجب على بريطانيا أن تنظر اليه بامتنان أكثر من مونتسكوسكي كبير (١٣٢) ، ومن هنا كانت مطالبه تتسم بالعلنية أكثر منها بالوشوشية ، وهذه بطبيعة الحال هي :

"١" - لقب سلطان مصر والسودان

كانت من ضمن مطالبه الحصول على لقب سلطان مصر والسودان ، ولكن وزارة الخارجية البريطانية اقتصرت في بادئ الامر بأن انشاء لقب جديد مثل لقب سلطان ، اجراء يمكن أن يقيد أيدي بريطانيا في مصر أكثر من اللازم (١٣٣)

F.O. 407/183 No. 235 - Cheetham to Grey - Nov. 1, 1914	- ١٢٦
F.O. 407/183 No. 247 - Cheetham to Grey - Nov. 16, 1914	- ١٢٧
F.O. 407/183 No. 369 - Grey to Cheetham - Nov. 25, 1914	- ١٢٨
F.O. 407/183 No. 380 - Grey to Cheetham - Dec. 1, 1914	- ١٢٩
F.O. 407/183 No. 369 - Grey to Cheetham - Nov. 25, 1914	- ١٣٠
F.O. 407/183 No. 312 - Cheetham to Grey - Dec. 11, 1914	- ١٣١
F.O. 407/183 Private - Cheetham to Grey - Dec. 8, 1914	- ١٣٢
F.O. 407/183 No. 362 - Grey to Cheetham - Nov. 21, 1914	- ١٣٣

إلا أن السلطات البريطانية كانت ترى أن هذا اللقب وأن كان يبدو كما لو كان تعبيراً إلا أنه في مضمونه لا يحتوى على أي مزاعم لمن يحمله كما أنه سيرضى الرأي العام المصري (١٩١١) وأخيراً وافق جاري على أن تشطب كلمة السودان من اللقب (١٩١٥)

ب) - لفظة التعظيم

كان من ضمن مطالبه أن يسبق لقبه لفظة تعظيم تخطى عن لفظة "سمو" لتعزى نفسه عن ذلك. "العهد الكبير من آثاره والبالغ عدد من حوالي المائة من سادة محد على بالإضافة إلى عدد كبير من النظار السالكين ومشايع الاسلام في تركيا" ووافق جاري على مطلبه بأن يسبق لقبه لفظة "عظيمة" (١٩١٦)

ج) - علم خان الحسرة وعلم مصرية معيزة

كان من ضمن مطالبه أن يكون هناك علم خاص لمصر وأن تملأ علمة مصرية معيزة (١٩١٧) ولكن جاري اعتبر مقترحاً بأنه ليس من الضروري ذلك (١٩١٨) وبالرغم من أن السلطات البريطانية في القاهرة كان من رأيها أن هذا الموضوع سيروق للمصريين ، فضلاً عن أن الفصل بين تركيا ومصر سيكون كاملاً عندما يختفى شعار سيادتها على مصر (١٩١٩) إلا أن جاري طلب تأجيل البحث في هذا الموضوع لتأمين وصول القندوب الثاني الجديد السرى من مصرى شامسون .

د) - ورقة عرض السلطنة

وكان آخر ما أثير برفوع ورقة العرض ، ولم يكن هذا الموضوع قد اثير في أي من المراسلات السابقة ، وقد بدأها حسين كامل بإرسال مذكرة إلى شهبام جاء فيها " أنه علم أن الحارمة البريطانية تتعوز لتولى حق الوراثة في أسرة محمد على خطا لانتقام الورثة لاجل مركز خديوى مصر بلقب سلطان وأنه يقبل العرض " ثم قام ببيت هذه المسألة بالادعية الدعية موضحاً أنه لا يمكن قبول مسؤولية تحويل مصر إلى دولة مسيحية بدون إرضاء الشعب الذى ينظر إلى حقوق الوراثة باعتباره ونعماً ينبغي به من إقراره .

وكان من أهم ما يرى أن نظام الوراثة لن يقرب مستقبل بريطانيا في مصر لأنه لا يتعدى كونه مجرد تعيين أمر (١٩٠٠) ، إلا أن جاري الذى كان يخطط لما بعد الحماية كان يرى أن مسألة الوراثة لها أهمية كبرى لبريطانيا وتحتاج إلى دراسة عميقة ، وذكر أنه هناك فرق بين تأمين ورقة مستمرة للخديوية أو السلطنة في ظل الحماية البريطانية وبين إنشاء مطلب وراثى دائم للسلطنة في مصر ، على أنه لا إرضاء حسين كامل تقدر أن يذكر في المذكرة التى أرسل له أنه اخترع لعصب الخديوية بلقب سلطان باعتباره عضواً في العائلة الخديوية الأكثر كلالاً لشغل هذا المنصب ، وبالعالمية مصر فى ظل الحماية البريطانية لأن نظام ورقة السلطنة سيخلق في العائلة الخديوية ، وعوضاً عن نظام الوراثة الدعية سيكون مرفوعاً للحاققة بين الأمر والمصر هنرى كهامون عند وصوله إلى مصر (١٩١١)

F.O. 407/183 No. 283 - Cheatham to Grey - Nov. 23, 1914	- 111
F.O. 407/183 No. 376 - Grey to Cheatham - Nov. 27, 1914	- 110
F.O. 407/183 No. 420 - Grey to Cheatham - Dec. 13, 1914	- 111
F.O. 407/183 No. 292 - Cheatham to Grey - Nov. 26, 1914	- 112
F.O. 407/183 No. 367 - Grey to Cheatham - Nov. 27, 1914	- 118
F.O. 407/183 No. 293 - Cheatham to Grey - Nov. 26, 1914	- 119
F.O. 407/183 No. 306 - Cheatham to Grey - Dec. 8, 1914	- 120
F.O. 407/183 No. 410 - Grey to Cheatham - Dec. 10, 1914	- 121

بعد الوصول الى هذه النتيجة مما يتعلق بموضوع الوثيقة أوصل
جراي الى شيتهام موضحا له ان المذكرة التي ستوصل الى الانور حسين كامل قد
موقعت بما فيه الكفاية ولا يوجد غيرها. تأخير في اعلان الحماية لمناقشة
تفاصيل اخرى غير حوسنة (١٩١٢) ، وقد رد عليه شيتهام انه لا يوجد فمما
ا. س. ب. آخر يدعوا الى التأخير بأن اعلان الحماية سيتم فعلا في الساعة الثانية بعد
المر يوم الجمعة ١٢ ديسمبر ١٩١٤ (١٩١٤)

وهكذا وفي تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ١٨ ديسمبر
١٩١٤ وضعت مسودتها تحت حماية بريطانية وأُعلنت ١٠١ ساعة من الساعة لاعلان
ذلك الحدث مقبوعين في ذلك اجراء تعود عليه الشعب المصري لابلانهم بالاحداث ذات
الاهمية البالغة ، وان كان الاعلان قد ابلغهم في الصباح بحيث أن تنظر المصري
كان علم به قبل الاعلان الرسمي ونجمه في اليوم التالي اعلان بخلع عباس
جلس دائما من منصب الخديوية رضى الانور حسين كامل ذلك المنصب بلقب سلطان
مصر (١٩١٤)

خاتمة

بالرغم من أنه كان من المعروف عالميا ودوليا عند اتم الحرب العالمية
الاولى أن بريطانيا ستدلين تم مصر أو على الأقل تفرس حمايتها عليها ، الا أنه كان
واضحا من المواقف المتبادلة بين حكومت بريطانيا في القاهرة ووزارة الخارجية البريطانية
والتي استغرقت حوالي الاربعة أشهر أن تقرر وضع مصر الدولي كان أمرا طارئا لم يحق
لهم التخطيط له ، ووصلت بريطانيا بعد هذه الفترة من المفاوضات الى نتيجة
هامة وهي أن تفرس الحماية على مصر الطفل بكثير من محاولة نصبا الى امواج طوريتها

والواقع أن هذا التفضيل جاء بعد دراسة متأنية لآراء المؤيدين
والمعارضين لما يمكن أن يكون عليه أثر ذلك القرار على مختلف القوى الممثلة فيه
ولذا كان قرارا متصفا بالعروة والخير في التفسير يمكن أن يتقبله جميع الأطراف باستثارة
اجزاء موقعتا التمسكه ظروف الحرب ، فهو يعطي المصريين الامل في الحكم الذاتي
اذا ما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء وتعطى الدول الاممية الاسان والنفق على عالمها
من امتيازات ومعالج لم مصر ، ويتخذ رغبات منطقيا في مصر : من كانوا يروا أن
كل من العلم أو الحماية يجعل مصر من الناحية الواقعية جزءا من الامبراطورية ، الا أن
ارتباط مصر بالحماية أخذ من ارتباطها بالعمل لانه يحافظ على الشخصية المصرية ويكفيها
من الابهاء على واجبة صرية للحكم يمكن بواسطتها غلب أن رد فعل اسلام محتل
وذلك سيقبل بدوره الى حد كبير مسؤولياتها في مصر خلال فترة الحرب على الأقل

ثم كان اعلان حمايتها على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، ذلك الاعلان
الذي كان مقدمة للاحداث السياسية واسعة المدى في العلاقات المصرية البريطانية
سواء من الناحية المبدئية أو الناحية الفعلية - خارجة عن نطاق هذا البحث ولكن يهنا
عليها ذكر أن تعيين الحاكم الجديد أصبح يتم بوثيقة بريطانية بدلا من الفرمان العثماني
وتم استبدال لقب مصر خديوي مصر والسودان بلقب مظلة سلطان مصر وأصبح وكيل وقنصل
عالم من انما في مصر حدها ساهبا لها ، ونحو اسم الدخالة المصرية الى الوزارة المصرية
وأصبح تعيين الوزراء مسألة من الشورى أن يكون لبريطانيا فيها الرأي الاخير

F.O. 407/183 No. 424 - Grey to Cheetham - Dec. 15, 1914

- ١٥٢

F.O. 407/183 No. 320 - Cheetham to Grey - Dec. 16, 1914

- ١٥٣

F.O. 407/183 No. 211 - Cheetham to Grey - Dec. 21, 1914

- ١٥٤

كما ظهر الغاء نظارة الخارجية المصرية وأن يكون اتصال وكلاء الدول الأجنبية بالحكومة
 المصرية من خلال التدريب الخاص باليهود أو نائبهم . وبالرغم من أن هذا كان
 إجراءً شكلياً في حقيقة الأمر إلا أنه أدى إلى ردود فعل مديقة لدى المصريين الذين
 نظروا اليه كطمع لا يليقهم في الاستقلال وأن كانوا لم يستطيعوا اتخاذ أي إجراء بشأنه
 حتى أعلنت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي ألغى اللت فيه تلك الحماية والذي اعترفت
 فيه برسم دولة مستقلة ذات سيادة فكان أن انضمت وزارة الخارجية المصرية تحبراً من
 الاعتراف بذلك الاستقلال وطن السيادة .

=====

=====

١٩٢٢

محتويات

بين إعلان النسم وفرض الحماية

على ضوء الوثائق البريطانية

- ١ - مقدمة
- ٢ - ترأس بريطانيا للرأى العام المصرى والسياسات المؤثرة فيه
- ٣ - تخطيط بريطانيا لتغيير وضع مصر الدولى والمشاكل التى واجهت تلك الخطط
 - أولاً - إعلان الأحكام العرفية
 - ثانياً - تصريح 7 نوفمبر ١٩١٤
 - ثالثاً - مشكلة انعقاد الجمعية التشريعية
 - رابعاً - مشكلة العلاقات الخارجية المصرية
 - خامساً - مشكلة الامتيازات الأجنبية والقضاة الاجنبى
 - سادساً - مشكلة الواجهة المصرية للحكم فى مصر
- ٤ - عودة ضم مصر الى الامبراطورية البريطانية
 - قرار بريطانيا المتأجل بشم مصر
 - "أ" - أثر قرار ضم على كل من فرنسا وبريطانيا
 - "ب" - أثر قرار النسم على السلطات البريطانية فى مصر
- ٥ - العودة الى قرار فرض الحماية
 - "أ" - مسألة الجلسة المصرية
 - "ب" - موضوع تشكيل النظم
 - "ج" - مطالب حسين كامل
- ٦ - خاتمة

مكتبة جامعة القاهرة

مكتبة جامعة القاهرة

مكتبة

قائمة المراجع

أولا - وثائق غير منشورة

1. F. . 407/178 Oct. 1911
2. F.O. 407/180 Mar. Apr. July 1913
3. F.O. 407/183 Aug. Sept. Oct. Nov. Dec 1914
4. F.O. 407/183 June 1916
5. F.O. 407/183 May. July. Aug. 1917

ثانيا - وثائق منشورة

6. Further Correspondence Respecting the Affaires of Egypt and the Sudan PLXI - 1908
7. الوثائق المصرية : عدد غير اعتيادي - نوفمبر ١٩١٤
8. الوثائق المصرية : ٤ أعداد نوفمبر - ديسمبر ١٩١٤

ثالثا - مراجع أجنبية

9. Arthur Hodges : Life of Lord Kitchener .
10. Beaverbrook , Lord : The Decline and Fall of Lloyd George.
11. Blunt , W.S. : My Diaries Vol II
12. Hurewicz , J.G. : Diplomacy in the Near and Middle East Vol II
13. Magnus , Philip : Kitchener - Portrait of an Imperialist.
14. Wavel , Col. A.P. : The Palestine Campaigns - 3rd ed. 5th imp.

رابعا - مراجع عربية

- ١٠ جمال زكريا قاسم : مؤلف مصر من الحرب الطرابلسية - المجلة التاريخية ١٩٦٧

ادب الناشئة القصصى وعلوم المستقبل

للدكتورة

عزة الغنسى

أدب الناشئة القصصى

وعلوم المستقبل د. عزه الغنم

حتى أطفالنا - رجال الغد وصانعو المستقبل الأمة - باهتمام العلماء فى مجالات التربية وعلم النفس والأدب على مر السنين . لقد صارت الطفولة فى عصرنا مهمة صعبة باعتبارها أهم مرحلة فى بناء الانسان ، وصار الأدب الذى يقدم للأطفال أبرز مايطرح لإعداد هذه المرحلة ، وظهر أن " أدب الأطفال ، أيسر طريق لتبصير الطفل بالحياة ، وذلك عن طريق تقديم خبرات السلف وتطلعات برؤى المستقبل الذى يحمل بين طياته كل طريف يطلق خياله ويفتح ظفاته الإبداعية . والمعروف أن الطفل بلا خيال يفتقد الابتكار والقدرة على العمل الإيجابى . ومن ثم يجب أن ننمى خياله بطريقة موجهة صحيحة ، وليس أعظم من تقديم الخيال العلمى له ،

على أنه من الضرورى أن نعترف بأن خيال الطفل كما يقول " بيير بيلثيه " قد أصيب بالمرض ، ولابد له من علاج سريع . أما سبب مرضه فهو تأثير الإعلانات وحلقات الإذاعة والتلفزيون ومغامرات السوبرمان والكومكس . أو بمعنى آخر تزييف الكبار للخيار واتخاذهم وسيلة الى الإثارة ، وأما العلاج فهو أن ندع الطفل يكتب ويرسم كل ما ترسب فى عقله الباطن فيتخلص من قلقه وإمخاؤه . وقد جرب " بيلثيه " هذا العلاج واستطاع أن يستدرج خيال الأطفال ويطلقه من داخلهم على هيئة دراكولا وزورو ، وحلقات الرعب والشيطان فى صور يرسمونها بأنفسهم (١) .

إن الخيال أثمن ما يمتلكه الفرد فى رأى ولتون Y welton ذلك أن " رقى النوع الإنسانى يرجع إلى شيئين هما : تخيل أمور أفضل من تلك التى فى بيئتنا ، وبذل الجهود فى سبيل إبرازها إلى عالم الحقيقة ، وما الكنوز التى ورثناها عن

(١) أنظر د. على الحديدى: فى أدب الاطفال ١٠٢ ومابعدها (ط الانجلو ، ١٩٧٦)

الماضى إلا صورا موجهة للتخيلات ، سواء فى العلوم ، أم الآداب ، أم الموسيقى ،
 أم القانون ، أم الأنظمة الاجتماعية أم الأخلاق أم العقائد الدينية ، إذ أنه من
 المستحيل أن يتصور الإنسان كائنا أعلى منه منزلة بدون قدرته علميـ
 (١)
 التخيل .

هكذا يلعب الخيال دورا بارزا حتى في أكثر العلوم جدية ، فهو روح الفنون والعلوم والآداب ، ومحرك الابتكار وهو القوة التي رافقت تطور البشرية دافعة ، ومفسرة ، وملهمة. وهو الأساس في كل نشاط إبداعي.

وإذا كان لأدب الأطفال نصيب كبير فى تنمية الغدرات العقلية والفكرية للطفل فإن أدب الخيال العلمى يتمتع للخيال المبدع الذى يبشر بالانجاز العلمى ويمهد له السبيل ، وهو وثيق الصلة بالتطور التكنولوجى السريع فى العالم ، ويتنبأ بما سوف تكون عليه الحادة فى المستقبل.

وهذا النوع من الأدب ارتبط بالأساطير والحكايات الخرافية التي عبرت عن نزوع الإنسان إلى المآل وإلى الفضاء في محاولة لسبر أغواره هذا قبل ان يعنى واقعه، والآن وبعد أن تغيرت العقلية نتيجة للثورات التكنولوجية انطلق الكتاب بخيالهم ليكتبوا قصصا تتحدث عن الآتى والمحتمل ، وتتخذ من الانجازات العلمية مضمونا لها . وقد ارتبط هذا النوع من القصص بأديبين: الأول فرنسى وهو جول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٤٥) .

والثاني انجليزى وهو جورج ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦) وقد حاز الاثنان على إعجاب الكبار والناشئة الى اليوم على حد سواء ، لما يقدم لهم من الإثارة والمتعة . وقد تنبأ بأشياء أصبحت حقيقة واقعة فى عمرنا كالوصول إلى سطح القمر واختراع العواصة والطائرة !!٠٠

(١) حامد عبد القادر: دراسات في علم النفس الأدبي ٢٨ (لجنة البيان العربي).

وإذا كان قصص الخيال العلمى القائم على خيال منطقي مدروس يتيح لنا تلمس الصورة المرتقبة لتطور مستقبلنا ، فإنه يعتبر أنسب الأنواع الأدبية لتعليم الطفل عن طريق إثارة خياله وتقديم المعلومات من خلالها لاسيما ونحن على أعتاب القسرون الحادى والعشرين . والتفاضل بين الدول يتم عن طريق العلم وتقدمه وبجهد العلماء ، على أن يتم ذلك بحورة مبسطة تبعا لكل مرحلة من مراحل العمر . وكلما تجاوب الطفل مع هذا النوع من القصص اتسعت مداركه وتعود عقله على التفكير المثمر بما يقدمه من تنوع المعلومات فى شتى المعارف ، وبانطلاقه الى عوالم جديدة والى أجواء مثيرة للمعاطف والأحاسيس والقدرات الإبداعية الكامنة فيه (١) .

ولا يقتصر الخيال العلمى على ما يقدمه من قصص فحسب بل كذلك يبدو مايعرض الآن من أفلام على أشرطة الفيديو أشد هولا وأكثر تأثيرا من القصص المقروءة ، إذ تستغل كل إمكانات الإخراج الواسعة والخدع والمؤثرات الصوتية بحيث تبدو الصورة أكثر إبهارا وأقوى تأثيرا على عقلية الطفل .

ويشير " جورج لوكاش " الذى أخرج فيلم " حرب الكواكب " فى إجابته عن أسباب الاهتمام البارز بأفلام قصص الخيال العلمى فيقول : " لقد انتهت موضة أفلام القراصنة ورعاة البقر والقصص التى تبحث عن المجرمين ، ولذلك فقد فكرت فى إحياء هذا اللون من الأفلام العلمية التى تعتمد على أسلوب الخيال والتى لا يعرف الشباب عنها إلا القليل " (٢) .

على أن ثمة اعتراضا يوجه الى كتاب الخيال العلمى - لاسيما فى مرحلتنا الراهنة من جرائ المنافسة فى تقديم أبطال يتمتعون بقدرات خارقة وصفات بدنية

(١) أنظر : فى أدب الأطفال ١٠٣ وما بعدها .

(٢) د . هادى نعمان الهيتى : ثقافة الأطفال ٢٠٠ ط سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .

وذهنية لاحت لها كحلقات السوبر مان ، وجريندايزر ، والرجل الوطواط ، ورجل
الستة ملايين دولار ، ورجل الأطلانطيس Atlantis ، حيث نرى الأبطال يرتدون
ملابس غريبة ويأتون من الفضاء بأطباق طائرته ، بعضهم يتم بالقسوة وبعضهم الآخر
يأكل الزواحف والفئران ويلخ جلدته ، وبعضهم يستخدم التكنولوجيا للقضاء على البشر
ومن ثم يصاب الأطفال أو الكبار ذوو الخبرات المحددة بنوع من القلق والتوجس
ويستسلمون للمخلوقات الفضائية المرعبة وهذا ما دعا "بيلقيه" إلى أن يتبع علاج الأطفال
بالطريقة السابقة.

إن هذا لا يعني أن كل ما يقدم للأطفال ينجم عنه ضرر محقق وينعكس تأثيره
على سلوكهم ، فهناك أعمال جادة وناضجة يجب أن نقدمها باستمرار . وهذه نجدها
فى عشرات المجلات والمحف المتخصصة ممثلة فى مئات القصص والروايات التى تهتم
بالتجاذبات العمرية ، وتندد بالحروب والتفرقة وتدعو الى السلام.

ولقد كان للأجانب فضل السبق فى هذا المجال من أمثال " روجيه بوكيسه " ^(١)
الذى يرى أنه ليس هناك ما يحرك خيال الطفل أكثر من كتاب يقرأه أو ورقة بيضاء
يكتب ويرسم عليها ، ويقدم هو والكاتبة " مونيك برنارد " كل أسبوع كتاباً جديداً
للأطفال يطل منه على المستقبل . وأما " هيرج " مبتدع شخصية " تان تان " الذى
ترجمت مغامراته الى ١٥ لغة ، ويقرأه الأطفال من السابعة الى السابعة والمبشرين
على حد تعبيره - فى كل بلاد العالم فهو يعبر عما يدور فى أعماق كل طفل ،
فيحطم أعداء الأطفال من أول الثعابين السامة الى الشيطان نفسه ماراً بالصوص
والفاحين وقطاع الطرق ^(١)

وخير قصة عندنا قدمت لأطفالنا وعبرت عن روح العصر - في رأيي - هي قصة كتبها مجيد طوبيا وهي بعنوان " مغامرات عجيبة " ^(١) والقصة طويلة نسبياً تضمنت معلومات مفيدة للكبار والصغار عن اختراعات حديثة تخترق المجال الجوي ، وأيضاً معلومات عن الزمن والفضاء والتاريخ وأحداثه وكلها مما يشد إنتباه الطفل لغرابة الفكرة ولشغفه بما يحدث في العالم الخارجى ، والقصة تحكى عن الطفل " وليد " الذى أحب صديقه " الروبوت " واعتاد أن يوقفه بجانبه فى أثناء الاستذكار ويدعه يبيت معه فى غرفته ، لقد أحضره له والده عهد عودته من اليابان ، وكإنسان آلى علمه والده طريقة تشغيله . وينبهر الطفل عندما يعلم أن بكل " روبوت " حاسباً آلياً صغيراً أو عقلاً الكترونياً يخزن معلومات كثيرة فيه يرددها عندما تطلب منه .

ويتوطد العلاقة بين وليد والروبوت ينسى وليد كتبه ، فينبهه الأب إلى ضرورة المحافظة على الوقت ، فيتبرم وليد من نصائح والده ، ويلج بخياله فيحلم بأنه خرج فى رحلة مع الروبوت لزيارة عائلة الزمن ، ليقدّر قيمة الوقت ويعرف معناه . لقد إستقلا فى رحلتهم المثيرة مركبة فضائية تسير بسرعة خائفة ويشاهد أشياء أثارت فكره : كالرعد ، والبرق ، وشاهد الكرة الأرضية وهى تدور سابعة فى الفضاء الهائل ، وفى أثناء ذلك يلقنه الروبوت معلومات عن الكون والفضاء واكتشاف التلسكوب والأقمار الصناعية وأقمار التجسس وفائدة كل منهما ، كما حدثه عن رحلات الفضاء التى أقدم عليها الروس والأمريكان منذ عام ١٩٥٧ .

ثم يصلان إلى قمر الزمان ، وهو ساعة ضخمة لا مثيل لها فى أى مكان ، ويقابلان الجدة الكبرى أو الملكة صاحبة قمر الزمان وعميدها " القرن " وقدم قدماههما إلى أولادهما وأحفادهما ، أى السنة ، والشهر ، واليوم ، والساعة ،

(١) صدرت عن الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ .

والدقيقة ، والثانية • وتحدث وليد إليهم جميعا كما تحدث إلى الأعوام النائية فى فندق التاريخ منذ الأزل ، وهو ملحق بقصر الزمان • وقابلا حارس الفندق الذى يسخر منه وليد ومن ملايه ، وينتقم الحارس منه فيرسل عليه برد شهر يناير ثم حـر شهر أغسطس وهكذا تقلب بين البرد القارس ، والحر اللافح حتى شعر بالإعياء •

وهنا يستنجد " الروبوت " بالملكة ويقدم وليد اعتذاره لها وللحارس ، الذى يفتح لهما البوابة ليريا جميع الأعوام التى إنتهت نائمة ، ويمرا عليهما ويتأملوا بعضها كعام ١٩٧٣ وكان وجهها مشرقا - قوى الملامح - كما شاهدوا أعواما أخرى فى حالة سيئة لهذه التى تقع بين الأعوام ١٩٤٥ و ١٩٣٩ وكانت تئن ألما وجميع أجسادها مثقلة بالجراح • ويعلم وليد أن تلك الأعوام هى سنوات الحرب العالمية الثانية •

ثم أراد وليد أن يعرف شيئا عن الأهرام فأيقظ الأعوام التى بنيت فيها الأهرام ، والأعوام التى إحتل الفرنسيون فيها مصر وإكتشف حجر رشيد • وفـك شاميليون الغاز اللغة الهيروغليفية بعد دراسة إستمرت عشرين دورة شمسية تمكن بعدها علماء التاريخ من قراءة ما نقش على المعابد المصرية وما تضمنته أوراق البردى التى حفلت بالكثير عن قدماء المصريين •

وفى تمام السابعة صباحا أيقظ الروبوت صديقه وليدا فيستعيد مسـا رآه

فى أثناء الليل ثم يتساءل : أكان كل ما رآه حلما أم حقيقة ؟

- أحقا كنا معا فى رحلة علمية إلى قصر الزمان ؟

وهل حقا قابلنا ملكة الأوان ؟ ثم زرنا فندق التاريخ حيث

الرئيس بندق حارس الفندق ؟

- تلك تالك • تلك تالك •

ضحك وليد وقال :

لعلنى كنت أحلم •

ويتبين من جو القصة أنها من نوع الفانتازيا المقبولة تربويا ، ومن ثم فهي تبدو مطلوبة للطفل في سن معينة وقد حبكت على نحو قرب المسافة بين القصة الواقعية والقصة اللاواقعية ، وقد أقامها المؤلف على شخصيات مطحة أو جاهزة منها الروبوت ، والملكة نفسها ، وكذلك الأعوام مع أنها في الواقع المعيش مجرد حركة محسوبة ومقدرة وجدها المؤلف لابرز ما يهم من عنمر التقدم العلمى المذهل حتى ولو كان خيالا لا تثبت صحته عمليا ومن جانب آخر حفلت القصة بقيم أخلاقية بعدت تماما عن المباشرة أو التوجيه إلآلى الذى يصعب على الطفل أو الحدث قبوله والانصياع لمضامينه ، فضلا عن تقديم سهل لمقولة فلسفية معقدة تقرر أن العلم لا يمكن أن ينهض وحده لخدمة البشرية ، إذا لابد معه من الإيمان بقيمة الإنسان وبأخلاقياته ، وأما ما جاء - عن الوقت - الذى هو كالسيف - فمستهلك تماما كما إستهلكت العادات المصاحبة للقلق ومنها قضم الأظافر الذى قرر الروبوت أنه عادة سيئة وضارة بالصحة .

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يبند كثيرا بخياله - وربما كان أبعد ما قدم هو تجسيد الزمن - فإن القصة فى مجموعها لم تقع فى السردية إلى مدى كبير ، مع أن هناك إجماعاً على أن القصص العلمى عادة لا ليميز فنيا بين الوصف فيها واطراد الوقائع القصصية وبين الهدف الأخلاقى والحوار ، فقالبا ما يضع كل ذلك فى " طرافة " السياق ويتداخل بعضه فى بعض الآخر على نحو لا يلزمنا بخائنات نعزل فيها نقدنا للمقصد السردى عن جماليات التخيل .

لقد أعطانا المؤلف كونا كائناته معقولة ومقبولة ، وعن هذه الطريقة التخيلية وضع أماننا " فلسفة " محددة أمام الإنسان فى روتين الحياة المطرد ،

وما مصيره والكومبيوتر - من حيث هو آلة صماء مفكرة - يدفع به إلى المجهول ؟
هل نستطيع أن نواجه غيرنا بسلام والعقل الالكتروني يمتننا أو يريد أن
يبتلعنا إلى الأبد ؟

لقد فطن " جول فيرن " من قبل إلى خطورة هذا الاحساس فقال فى أول
كتبه " خمسة أسابيع بداخل منطاد " ١٨٦٣ : ستكون فترة مؤلمة جدا تلك التى
تمتص فيها الآلة كل شئ لصالحها . فالابتكارات والآلات التى يخترعها الرجال
سوف تبتلعهم يوما ، وإننى أتوقع أن آخر يوم فى حياة هذا العالم سيكون ذلك
اليوم الذى تنفجر فيه الأرض بواسطة مرجل ضخمة درجة غليانه ثلاثة مليارات
وحده جوية (١)

لقد حذر هذا الكاتب من الاعتماد على الآلات وحدها ومن اختراع الإنسان
لأشياء تكون نهاية العالم بتدبير منها فهل نراه تنبأ بما يحدث الآن ؟
ومع ذلك فإنه إذا كانت العقول الالكترونية تسخر لخدمة الإنسان على نحو
بسطته قمة مجيد طوبيا فهناك قصص أخرى تعكس لنا مدى الخطورة الناجمة عن
التطورات التكنولوجية السريعة ، فإن تلك الآلات فى إمكانها اليوم التمرد على
مخترعيها ، ومن ثم تعيث فى الأرض فساداً .

ويسمى الكاتب الأمريكى إسحاق اازيموف فى كتابه Three Laws of Robots

فيقول : " لا يمح لروبوت أن يلحق الأذى بإنسان أو يتسبب له فى ضرر نتيجة
لامتناعه عن إتيان عمل ما . ويجب على الروبوت أن يصدع للأوامر التى يصدرها
إليه الإنسان ما لم يكن فى ذلك تعارض مع القانون الأول . ويجب على الروبوت
أن يتولى بنفسه أمر المحافظة على حياته ، ما دام ذلك لا يتعارض مع القانون
الأول والثانى (٢) .

(١) د . نبيل راغب . دليل الناقد الأدبى ١١١ مكتبة غريب ١٩٨١ .

(٢) أنظر رسالة اليونسكو العدد ٢٨٢ نوفمبر ١٩٨٤ .

ماذا يمكن أن يحدث لو قررت العقول الإلكترونية يوما التمرد ثم السيطرة على العالم ؟ إن هذه الفكرة يعرضها الكاتب د . نبيل فاروق في رواية له بعنوان " العقول المبدنية " ، وهي رواية تدور أحداثها في قالب بوليسى ، والعنصر البوليسى لا يغيب عن تلك القصص الخيالية العلمية ، إذ غالبا ما يكون هناك شيء ما يجب الكشف عنه أو العثور عليه ، وقد يكون هذا الشيء شخصا ما ، أو مكانا بعينه ، أو دافعا مجهولا من خلال أحداث مثيرة تأخذ بلب القارئ .

وللكاتب نفسه مجموعة أخرى من الروايات تثقلنا إلى الكواكب البعيدة ، أو تبحث عن سر الخلود ، يفكر أيضا فيما يسمى بلعنة الفراعنة ، أو بمن يملكون قوى عقلية خارقة وغيرها من الأفكار المثيرة . كل هذا من خلال مجموعة من الأفراد يكونون فريقا تم اختيارهم بدقة للعمل في القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية من أجل حماية التقدم العلمى في مصر ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التي هي مقياس تقدم الأمم .

وأعضاء الفريق في كل رواية من رواياته هم الرائد نور الدين محمود وهو من أكفأ ضباط المخابرات العلمية ، وزوجته المهندسة سلوى خبيرة الاتصالات والتتبع ، والطبيب رمزي المتخصص في الطب النفسى ، ومحمود الأخماتى في علم الأشعة ، وكل هؤلاء يعملون على تحدى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية التى تقف في طريقهم .

وتدور أحداث رواية " العقول الإلكترونية " في القرن الواحد والعشرين بعد أن تقدمت الآلات تقدما هائلا ، وأصبح محور الاعتماد الرئيسى في جميع المجالات على العقول الإلكترونية ، وظهرت أنواع متطورة منها : أجهزة الكمبيوتر الناطقة ، ثم المفكرة ، ثم المفكرة ذات الذاكرة البصرية ، وأخيرا الأجهزة ذات المشاعر . وقد ربطت كل أجهزة الكمبيوتر في الدولة بجهاز واحد قوى يضم أجهزة التحكم الرئيسية وهو ما يعرف بالخلية الأم تماما كما تترايط خلايا المخ البشرى بعضها ببعض .

فماذا يمكن أن يحدث لو زودت الخلية الأم بمشاعر إنسانية كالحب ،
والكرهية ، والرحمة والغرور أو الشعور بالعظمة • إذن لاند أن تشعر بأهميتها ،
وتتمرد على صانعها من البشر ، وهذا ما حدث فعلا في هذه الرواية •

يضعنا الكاتب منذ البداية أمام اللغز مباشرة ، فقد أنهك المهندس
" محمود " خبير الأشعة في حل بعض المعادلات ، ولم يلبث أن أدار أحد أجهزة
الكمبيوتر العديدة التي تملأ الحجرة ليساعده على حلها ، ولكنه يفاجأ بالكمبيوتر
الناطق يقول في تحد : " لست أرغب في اجابة هذا السؤال ، ولن أجيب على أسئلتك
إلا عندما أريد " • تملك محمود الدهشة فقفز إلى كمبيوتر آخر ليسأله هل عيث
أحد في أسلاكه أو أضاف إليه شيئا ؟ وكان ينتظر منه إجابة شافية بالأرقام ولكنه
يفاجأ بالجهاز الثانى يقول : معذرة • لا يمكننى أن أخون زميلا " • وهنا يتراجع
محمود في ذعر ، فقد وقع ماظنه العلماء يوما مستحيلا " لقد تحدت علينا
العقول الآلية التي صنعناها بأيدينا " (١) .

ثم ينتشر الخبر وتعم الدهشة وكان هناك من يتخن أن الموضوع نوع من
العبث ، وثمة من يرجح أن العلم تمكن من صنع الكلى الصناعية والرتة الصناعية
والقلب الصناعى ، فما ذا يمنع ظهور المخ الصناعى ولو بطريق الصدفة ؟

ويتولى فريق القيادة العليا للمخابرات المصرية برئاسة الراحل نور مهمة
إماطة اللثام عن اللغز الخطير ، وذلك بأمر من القائد الأعلى ، قبل أن تسيطر
العقول المعدنية على ملايين البشر ، ويبادروا بالذهاب إلى مبنى التحكم الآلى
لمعاينة العقل المفكر للعقول الالكترونية في مصر •

ويذهل الجميع عندما صرح لهم الكمبيوتر بأنه ينوى أن " أصبح أمبراطور
العقول المفكرة على الإطلاق المعدنية والبشرية أيضا " ويطلب بأن يعترف به

امبراطورا وإلا حطم كل ما يمكنه بلا رحمة .

وتجرى مباحثات مع المسؤولين فى المبنى ليعترف أحد المهندسين ويدعى "أسعد سمير" لنور بأنه حاول تطوير الجيل الثامن عشر من الكمبيوتر فأنشأ برنامجا جديدا إلى الخلية الأم ليمتحنها ما يعرف باسم المشاعر البشرية ، وليمنع بذلك جهاز الكمبيوتر المتكامل أعظم منجزات العصر . ولم يكن فى تصويره أن يصاب الكمبيوتر بالغرور أو يخلق منافسا جديدا للبشر .

وهنا يأمر " نور " بالقبض عليه لأنه خالف قواعد البحث العلمى وحمله مسئولية أكبر كارثة متواجه الجنس البشرى . كل هذا والفريق يعمل فى سرية تامة . كان على الفريق أن يضع تصويره لهذا الموقف ويحاول نور أن يجد شفرة ينفذ منها فى البرنامج الذى وضعه المهندس أسعد سمير . وظل نور يتعهد هذا الموثوق بكل حماس بالرغم من تلقيه أمراً من القائد الأعلى بالتوقف . وأخيراً استعان بالمهندس " جلال " خبير الكمبيوتر الأول فى المركز وأكثر الجميع خبرة بالخلية الأم ، وهو الوحيد القادر على هزيمتها . وعندما يعرض نور عليه المساعدة يقول له : تريدنى أنا أن أتحدى امبراطور الآلات المفكرة ؟

وكانت كلمة " امبراطور " هذه بمثابة الخيط الأول الذى تمكن نور من خلاله حل اللغز ، فلا يعرف هذه الكلمة إلا هو وأفراد فريقه فقط ، فكيف عرفها هو ؟ .

وتنحصر الشبهة فى المهندس " جلال " وكان هذا ضوئاً أنار الطريق أمام المحقق ليقدّم لنا نقطة التحول فى اطار مناقشة اللغز وقيل الحل .

ويستعين الرائد نور أيضاً بالدكتور رمزى باعتباره خبيراً فى الطب النفسى لوضع خطة لمواجهة تمرد الآلة لأنها تملك الآن مشاعر بشرية . وطلب منه إحضار حقنة " بنتونال الصوديوم " أو مصل الحقيقة ، ويعترض جلال على خطة نور ولكنه يصر على اصطحابه إلى جهاز الكمبيوتر الأم ويبدأ خطته فيطلب من الكمبيوتر

السماح له بالدخول ويدور بينهما حوار يعرف منه أن الكمبيوتر يريد أن يصبح امبراطورا وأن يعاونه المهندس جلال لطفى . وهنا يدرك نور حقيقة الموقف فيتقدم نحو جلال لطفى وينرس حقنة البنتوثال فى ذراعه ليعرف منه الحقيقة كاملة . وبأنه وضع بذكائه برنامجا آخر جديدا مخالفا لبرنامج المهندس أسعد سمير ، اذ يتضمن شخصيته بحيث يمكنه السيطرة وتحقيق طموحاته وقد زوده ببرنامج للدفاع عنه مواجهها أى إعتداء . ثم يعترف بالرقم الكودى الذى يسمح له بفتح البرنامج الجديد ، وما إن نطق به حتى استقبله جهاز الكمبيوتر فاستلم فى الحال .

لقد سبق أن بينت طبيعة تلك الرواية ، فهى بنية تجمع بين " رواية الخيال العلمى " و " الرواية البوليسية " أو " رواية اللغز " وبناءً وحبكة الرواية يقوم أساسا على إمطة اللثام. عن اللغز وتحدد الإطار العام بتقنية العلم وانجاز الحضارة ، بل كان هناك نوع من التنبؤ بما يمكن أن يحدث فيما بعد ، فقدم لنا المؤلف تصورات عن الحياة المقبلة المعتمدة كلية على الآلة وبث فيها جوانب من الطموح الإنسانى الذى قد يتسلل إليه الشر تسلله إلى كل حى من البشر .

وهنا يزداد وعى الناشئة بذواتهم ، ويلفتون إلى المنجزات العلمية فى تطورها المذهل . وفى الوقت نفسه يحذرهم من سيطرة الآلة إذا غفلت قدراتنا العقلية وحدت مهارتنا اليدوية . ويثور من هنا السؤال الأبدى إلى أين يقودنا التقدم العلمى المستمر ؟ أ تكون الغلبة والسيطرة على الأرض لحقنة من العقول الالكترونية ، وتحقق بنى الانسان ؟

يقيم الكاتب أساس الصراع داخل الرواية على هذه الشاكلة ، حيث يؤسس دراما الانسان بين طرفين : الانسان الفطرى وقد تسلح بعقله والانسان المبرمج

أو الآلة المبرمجة ومن وراثها حلم بالسيطرة والطموح تمثله رغبات ونزعات متمردة .
وكان من الممكن أن ينتهى الأمر بمأساة لولا إصرار البطل نور على كشف الخـمـسـوس ،
واكتشاف من خطط لجريمة ذكية وقدرات الآلة المبرمجة .

ومن وجه آخر بدأ الصراع عنيفا بين المحقق نور والمهندس " جلال لطفي "
وكان كل منهما يمثل فكرة تقف فى مواجهة حاسمة مع الفكرة الأخرى المجرم وضع
خطة عبقرية لبرنامج تمرد الآلة ، ذلك البرنامج الذى أنفى بها إلى التمسرد
والسيطرة على كل شئ . وأما المحقق فرجل يحمى الدولة من التلاعب بمصيرها
وهذا ما دعاه أيضا إلى إلقاء القبض على " أسعد " الذى زود الكمبيوتر بمشاعر
الحب والكراهية دون الرجوع إلى الجهات المسئولة مستندا فى ذلك إلى قاعدـة
أخلاقية .

والمحقق يتميز بذكاء وبفضول واحترام لآراء أعضاء فريقه ، وبإصراره على
مواصلة التحقيق لحل اللغز معتمدا على قوة الملاحظة والربط بين الجزئيات خطوة
خطوة ، مع الانتباه إلى كل كلمة تقال ، وكل هذه مراحل لتعليم الناشئة .

تحول المؤلف إلى راو جعل اللنة واحدة فى كل المواضع لأنها مفروضة من
العقل ، وهى مناسبة لمستوى الناشئة مبتعدا عن التعقيد ، ويظهر هذا من الحوار
الذى دار بين نور والكمبيوتر ، فعندما بدأ خطته يطلب منه بخضوع فتح باب
الغرفة قائلا : خادمك " نور " وزميلاه يطلبون الإذن بالدخول يا جناب الامبراطور "
ويفتح باب الغرفة بعد أن سر الامبراطور من لهجة نور الخائفة . ويتقدم نور
نحوه وينحنى أمامه بشكل مسرحى قائلا :

- هل يسمح لى جناب الامبراطور بالحديث ؟

- أجابه الصوت المعدنى البارد .

- تحدث يا فتى .

- اعتدل نور وقال :

لقد وافقت الأمة على مطالب جلالـتكم وأسندت إلى مهمة إبلاغك بذلك .

قال الصوت المعدنى :

سأختار معاونى بنفى

لجليه " نور " وهو يهتم إبتسامة غامضة :

- رقيبلك الأوامر يا مولاي الامبراطور .

تردد صوت الكمبيوتر المعدنى الرنان قائلاً :

- إبتنى أختار المهندس جلال لطفى (١) .

• وكلفت للفرقة أمام الكاتب مهينة لعرض بعض المعلومات العلمية مثل الكتلة الذرية للنيترون ، والكتلة الذرية لذرة البلوتونيوم . كذلك عقد مقارنة بين وظائف المخ البشرى وقدرات أجهزة الكمبيوتر من خلال آراء الطبيب النفسانى ، يقول : " المخ البشرى عيلة عن جسم هلامى يحتل تجويف الجمجمة ، ويحتوى على ملايين الخلايا المتواصلة والتي تؤدي كل منها وظيفة خاصة ، وإلى هنا فهناك تشابه كبير بين المخ البشرى ومجموعة العقول الالكترونية المتملة فيما بينها عن طريق الكمبيوتر الأم ، ولكن تركيب خلايا المخ البشرى تفوق مجموع هذه العقول المعدنية تعقيداً وساطة فى آن واحد ، وذلك لأن هذه الخلايا تموج بالتفاعلات الحيوية التى تمنحنا أكثر من مجرد الحركة والتفكير . إنها تمنحنا المشاعر والأحاسيس والحواس . تمنحنا الحب والكراهية ، والتحدى والإصرار ، والسعادة والألم " (٢) .

وقد عمد للكاتب - بجانب ذلك - إلى وصف تطور أجهزة الكمبيوتر وتحكمها فى كل شيء ومدى تأثير الدولة لو نجحت ثورة الآلات .

وهناك قروب من الأعمال القصصية التى تقدم عادة للناشئة متعة لهم ووصولاً بهم إلى الفاعلة العرجوة ، هذا الغرب هو الذى يمزج عناصر الطبيعة بالنسيج الفنى اللطيفة ويحتاج من ثم إلى معرفة شاملة وعلم واسع بقوانين الطبيعة والأحياء .

(١) السابق ٧٥ .

(٢) السابق ٢١ .

وقد شغل الكاتب منع الله ابراهيم بهذا البعد المتميز الى حد كبير ، وجعل منه موضوعاً لعدد من الروايات تهم الناشئة وتبهيء أذهانهم الى استيعاب الكثير من المعلومات العلمية الدقيقة بطريقة جذابة ، وقد صدرها بمجموعة من الصور انتقاها بعناية من أحدث المصادر للاستعانة بها أثناء قراءة أعماله القصصية .

وتعد رواية " الدلفين يأتي عند الغروب " نموذجاً طيباً لهذا النوع من الكتابة العلمية . وقد استوحى صاحبها فكرته من رواية " حي بن يقظان " لابن طفيل ، كما تأثر الى حد كبير برواية " موبى ديك " للكاتب الأمريكى هيرمان مليفيل . والمعروف أن مليفيل أورد الكثير من المعارف العلمية عن حياة الحيتان في المحيطات وسلوكها وعاداتها المرتبطة بعناصر الطبيعة وتغيرات البيئة .^(١)

ركز منع الله ابراهيم في روايته (الدلفين يأتي عند الغروب) على شخصية واحدة وهي فتاة في الثانية عشرة من عمرها تدعى نادية اصطحبها أبوها بعد انتهاء الدراسة فوق ظهر سفينة الأبحاث العلمية في رحلة بحرية ، وعندما عبرت السفينة خليج عدن هبت عاصفة على السفينة فدمرتها وألقت الأمواج بفادية فوق إحدى جزر المحيط فاقدة الوعي .

فماذا تفعل نادية عندما تسترد وعيها ؟ وما مصيرها على هذه الجزيرة المهجورة ؟ كيف ستواجه الحياة وحدها ؟ وما المخلوقات الغريبة التي ستقابلها وهي بلا سند ولا معين ؟ هل ستنجح في الخروج من هذا المأزق ؟ ، ومن الذى سوف ينقذها ؟ . أسئلة كثيرة تراودنا ونحن نعيش هذا العمل ونشفق على سى الفتاة منذ اللحظات الأولى .

يصفها الكاتب عندما تسترد وعيها ، فهي مذعورة وتنادى أبويها ، ولكن أحداً لم يجيبها . وقفت جامدة تنظر أمامها في ذهول فلا ترى حياة سوى أنواع

(١) منها " يوم عادت الملكة القديمة " صدرت سنة ١٩٨٢ ، وزعقة الظاهر يقابل الفك المفترس صدرت سنة ١٩٨٢ ، وعندما جلست العنكبوت تنتظر والحياة والموت في بحر ملون ، والدلفين يأتي عند الغروب ، ط بيروت

عدة من الأسماك كانت تزحف على الأرض وسراطين مختلفة داخل أصداف وسلاحف ضخمة تخرج من الماء ، وطيور الفرقاط المتوحشة .

ويعرفها أيضاً عندما تملكها مشاعر الخوف والقلق من وجود أشباح أو مخلوقات خفية بهذه الجزيرة بالرغم من إيمانها بأن كل أولئك حديث خرافة .

وهنا تقارن حالتها تلك بحال " حى بن يقظان " الذى ولد فى إحدى الجزر دون أب ولا أم ، وتقارن بين الموقفين ستواجه الوحوش نفسها التى كان حى يدفعها بعضاه ؟ - تذكرت حياً أيضاً عندما غالبها إحساس مفاجئ بالعطش والجوع فقد عثرت عليه ظبية تولت رعايته وإطعامه ، فمن أين لها هى بظبية ترعاهما - أو سلاحاً تمطاد به ؟ وهذا جوعها عندما أكلت بيضة طائر " الخرشنة " أو السنونو البحرى وروت ظمأها من أحد الجداول التى أرشدتها إليه طيور الخرشنة " .

تمالكت الفتاة نفسها ، وكان عليها أعمال عقلها واستغلال ذكائها وخبراتها التى اكتسبتها خلال سنوات عمرها القليلة . لتظهر لنا فتاة جادة تحاول التكيف مع الوضع الجديد الذى فرضته الظروف عليها . ففي النهار يستريح كل شئ انتباهها من مظاهر الطبيعة حولها ومن الحيوانات الغريبة التى تعيش على هذه الجزيرة ، والهاكل البطيئة التى استوقفتها وتبينت أنها " لدفين " ربما مات فى البحر وألقى به المد الى الشاطئ وصار جسماً طعاماً للوحوش . وتتساءل : وأين هى إذن هذه الوحوش التى جردته من لحمه ؟

وهى فى الليل تتمنى تنفيذ فكرة حى بن يقظان وحصوله على النار بعد أن حك قطع الزلط فتولد منها الشرر ، وفعلاً تنجح فى الحصول على النار التى تستخدمها لامتصاص الطعام وإبعاد الحيوانات عنها .

كانت تفتش الرمال الناعمة وتلتحف بالسماء وتتأمل نجومها الساطعة " وكأنها كانت السماء تدنو منها أو هى التى تندفع نحوها لتلتحم بها وتصبح هى

وهذا الكون الهائل العجيب كتلة واحدة (١) ولتكون القمرة سائحة للكاتب لاستعراض معلوماته عن النجوم والمجرات باستفاضة .

كان يداعبها الأمل بين لحظة وأخرى بقدم سفينة تقل أباهما لينقذهما ، فأرادت أن تلفت النظر بوجودها على هذه الجزيرة فبحثت عن غصن قوى " وخلصت صدارها الموصى الملون ، وربطته الى طرف الغصن من كُمية فرفرف فى الهواء كالراية " (٢) .

ظلت الفتاة تتأرجح بين الأمل واليأس والرجاء الى أن ظهر لها دلفين صغير طفا فوق سطح الماء ، وبظهوره وجدت من يملئها وتتبادل معه الحديث بمسوت مسموع وتحكى له عن ذكرياتها ويصغى هو كالمفتون لصوتها . ينام معها فى كهفها وتعنقه عندما يصرخ ، أسمته " غِنْ غِنْ " واذا نادته تقول له : " اطلع يا غِنْ غِنْ " كما كان يقول على بابا " افتح باسم سم " .

وشيئاً فشيئاً تتجاوب الفتاة مع البيئة الجديدة ، بل نجدها تشارك فى بعض الممارك التى كانت تنشب بين طيور النورس وصنار الخرشنات وتهب هبى لنجدة الصغار دائماً .

ثم تبدأ فى إجراء عملية تخريج لسرطان بحرى حبسته ولم تقدم له أى طعام فمات . قفز الى ذهنها ما فعله حتى عندما ماتت الطيبة التى ربهته . واستطاعت اجراء عملية تخريج بواسطة قطعة من المصفيح ، وفكرت فى الاجابة عن عدة أسئلة تميزت بطابع علمى ، وقامت بتسجيل ملاحظتها واكتشافاتها التى توصلت اليها على جدار الكهف الذى كانت تعيش فيه كما يفعل كبار المكتشفين ، ولتفاجئ بالاكشافات أيوبها عندما يأتیان لإنقاذها ولتساهم أيضاً فى صرح العلم .

(١) السابق ٦٢ .

(٢) السابق ٥٠ .

نجحت أيضاً في عمل جبيرة لطائر كسر جناحيه وأنقذت حياته وتولت رعايته حتى تم شفاؤه وأصبح صديقها هو الآخر وأسمته " مينو " .

وأخيراً أبمرت مشهداً لايفارغ في روعته فكان ثمة قارب تجارى يشق الماء بسرعة مقترباً من الشاطئ ، وخلفه سفينة كبيرة أسرعت نحوها ، وهبط منها بعض البحارة لتحاصرها الأسئلة ، وبأنفاس لاهثة تحكى لهم عن مفامراتها واكتشافاتها بعد اطمئنانها على سلامة أبويها ، وتصطحبهم الى كهفها ليقفوا مبهورين أمام جدرانها التى امتلأت بالنقوش ، وأرتهم مشرط التشريح والملابس الغريبة التى صنعتها من ريش الطيور .

وكان من الممكن أن ينهى الكاتب الرواية عند هذا الحد أى عند مشهد انتقادها ، ولكنه واصل تقدمه فى الرواية حيث قدم لنا مشهداً أكثر روعة وإثارة مزجه بالمشاعر والأحاسيس ، وكان هذا المشهد بين الفتاة وبين صديقها " مينو " فى البداية ، فقد حرصت ألا تنظر نحوه عندما استقلت القارب حتى لاتضعف أمامه ، كان يتبعها هو بنظره دون أن يجرؤ على الاقتراب منها خوفاً من مرافقها ، وماكاد القارب يبتعد حتى طار نحوها واستقر فوق كتفها لتخمنه فى انفعال وهي تفكر أنه اختار ألا يفارقها فانها صارت جزءاً من بيئته الطبيعية .

ثم تذكرت الدلفين فنادت عليه بأعلى صوتها على طريقة على بابا " اطلع يافن فين " وسبح خلفها ، والبحارة فى ذهول من هذا المشهد العجيب .

كانت الفتاة تشعر بسعادة غامرة وفجأة تُصدم فى مشاعرها عندما تقابل قوة قبطان السفينة الذى كان يرقب المشهد من بعيد ، فأصدر أمراً للبحارة بالبقاء شبكة على الدلفين ولم يحتجب القبطان لتوملات الفتاة بأن يدعه وشأنه . واستسلم (فين فين) لهم وبدأ أنه يعانى من صعوبة فى التنفس فأسمرت نادية اليه ورشته بالباء وربتت على رأسه وقدمت له سحكة لكنه رفض فتح فمه .

وفجأة ارتفعت صيحات لدلفين كبير يقترب بسرعة من السفينة كان ثمة رتسة
توسل ورجاء وتبعته مجموعة أخرى من الدلافين . وكان الصغير يسمع هذه الصيحات ،
ونادية تواصل توسلاتها . وهنا يتراجع القبطان أمام هذا المشهد مقررّاً الافراج عنه .
وتدافعت الدموع الى عيني نادية وهى ترى الحيوانين يتبادلان اللمس ثم يقفزان عالياً
فى الهواء كأنما يعبران عن سرورهما ثم غاما فى الماء .

ومن الواضح أن الرواية بعيدة عن قصص الخيال العلمى ولاسيما فى اتكائه على
" المخترعات " الآلية ومجاوزة الفضاء الخارجى والتعامل مع الخوارق ، إلا أنها مع
ذلك لا ترفض التسمية من قبيل التوسع ، وتبدو عادية جداً بمواقفها الانسانية العميقة
وحفلها بالمشاعر العميقة التى تربط بين البشر والحيوان ، وبين صنف الحيوانات
نفسها ، بجانب أنها تظهر لنا قسوة الانسان فى بعض المواقف .

وقد أتقن الكاتب توظيف معارفه عن البيئات الساحلية البعيدة ، فوصف
طبيعتها ، وحيوانها وأسمائها العجيبة وصف خبير بها ، ودارس لمفاتها وألوانها ،
وأشكالها ، وأسلوب الحياة لكل منها . كحديثه عن أنواع الأسماك مثل الكوكل ،
والبرونق ، والحلزون البحرى ، والبطلينوس^(١) ، والبَيْدُوك ذى الصدفتين الذى " أعفى
نفسه من مهام التجوال والبحث عن الطعام ، فقبع فى حفرة التى ثقبها بالأشواك
الدقيقة فوق مدفتيه ، ومد منها أنبوبتين طويلتين تتحدان قرب سطح الصخرة فسى
أنبوبة واحدة ، يتلقى بها الماء ثم يطرده ، بعد أن يحصل منه على المواد اللازمة
لعمليتى التنفس والتغذية " .

واستقطب الكاتب بجانب قمة حى بن يقظان حكايات السندباد البحرى
ومن أبرز ذلك حلمها الذى راودها بعد أن استبد بها اليأس ، فكان بمثابة الأمل
والمنقذ لها ، " ومن المحتمل أن يسمع السندباد البحرى بالأمر ، فيهم به ويعرج

بدفينة لانقاذها ، ثم يذهبان سوياً لانقاذ أبيهما أو العكس وإذا كان السندباد فى بحار الصين ، فكم يستغرق من الوقت حتى يصل الى جزيرة واق واق هذه ، قسّد لايمتغرق الأمر غير بضع ثوان ، اذا كان مازال يحتفظ بالباط السحري ، لكن أهو ذلك الذى كان لديه الباط السحري " (١) .

لقد غلب على الرواية الوصف والرد وقل فيها الحوار وان تكن اعتمدت على المنولوج الداخلى فى أكثر المواقف ، ويتبين ذلك من المشهد الذى ظهر فيه الدلفين " التقت نظراتهما وخیل اليهما أنها رأت تعبيراً غريباً يلمع فى عينيه كما لو كان بينهما سر مشترك لايعرفه أحد سواهما ، أیكون هو الدلفين الذى أنقذها وحملها الى الجزيرة ؟ وهل جاء الآن للاطمئنان عليها " .

وعندما حل الظلام وشعرن بالاعياء والرغبة فى النوم قالت له :

" سأتركك الآن لأنام ، تصبح على خير "

واستيقظت فجأة على أصوات حادة صدرت منه وعندما هرعته اليه . لزم الصمت فخطبته معنفة " لماذا تصرخ ؟ ألا يمكننى أن أنام قليلاً ؟ أیجب أن أبقى بجوارك طوال الوقت " (٢) .

وهناك أيضاً ثلاثة مستويات من الصراع مراعى البطلة ضد البيئة الجديدة لاثبات وجودها وتعلقها بالحياة ، وحراع بين الطيور وبعضها ويكون البقاء للأقوى فى البداية ثم تتدخل هى لانقاذ منار الطيور كما حدث عندما هاجم نورس عشاً للخرشنة والتقط كتكوتاً بمنقاره رغم الصرخات الغاضبة للأم التى حلقت غير بعيد " هبت نادية الى نجدة الكتكوت البائس ، فأحاطت النورس بساعديها حائلة بينه وبين الطيران ، وأجبرته على التخلّى عن فريسته " وأما الأخير فصراع الاثنان ضد الحيوان ورغبته فى اصطياده غير مهتم بصيحات أهله .

(١) السابق ٢٤ .

(٢) السابق ١٠٦ ، ١٠٧ .

إن قصص الطبيعة الممنوعة يعلم الحياة مجال لاقت يحد إليه الناشئة في كل زمان ومكان . وفي ظني أن تحميل المتعة العلمية عن هذه الطريقة أفضل بكثير من التوغل مع الفانتازيا واللاواقعي المطلق . ويجوز لكاتب هذا النوع من القصص - كما فعل صنع الله ابراهيم - أن يهمل الحكمة القصصية التقليدية تاركاً مقتضيات اصطلاحاتها كالحكي والحوار والشخصية والاقتمار على الوصف الهادف .

وفي ظني أيضاً أن " القمصية " غالباً لاتعنى بهذا الجزء أو ذاك من أجزاء العمل القصصى ، وإنما تعنى بالبنية متكاملة ودالة ، وقد وضحت الدلالات تماماً عند صنع الله ابراهيم .

وأنا لا أقر هذا الكاتب بذلك ، وإنما انبه فقط الى ضرورة التصرف فى عدد من القيم النقدية ، طالما كانت البنية صالحة لأن تفضى أو تبث أو تمنع .

وعلى هذا فان " أدب الناشئة القصصى وعلوم المستقبل " يستهدف أساساً تربية الانسان المفكر الإيجابي منذ الصغر .

وإن القصص فى هذا الحقل متنوعة حتى إننا نعجز عن حصرها فضلاً عن بيان تقنياتها ، ومع ذلك فهى تتفق فى شيئين :

أولهما : تنشيط خيال الناشئة وتوجيهه الى ما ينفع الناس .
ثانيهما : امتاع الناشئة بأسلوب الحكى المبسط الذى لاتنفع أفكاره فى بلاغيات الكتاب الكبار .

وأخيراً إن " الحكمة " فى قصص الناشئة القائمة على الخيال العلمى " أقل " غرابة وعنفاً مما يمدد عنه الكتاب الذين يتجهون الى الكبار ، واعتماد " الحكاية المثيرة " فيها أساساً جعل الاتجاه الى السرد الوصفى واجباً لبيان وضوحه أو استوائه أو غموضه فى بعض الجوانب ، وفيما عدا ذلك لامجال لتطبيق الأحكام الفنية التى خصصت لتقويم فن القصة بوجه عام .

الزراعة المحمية فى جمهورية مصر العربية
مع التطبيق على محافظة القليوبية

د. مجدى عبد الحميد محمد الترسى
مدرس بقسم الجغرافيا - كلية البنات
جامعة عين شمس

المفحة

٣٣٦	مقدمة
	أ. : التوزيع الجغرافى للموب الانتاجية فى محافظة
٣٧١	القليوبية
٣٧٢	 (١) حسبالمحاحة
٣٧٤	 (٢) حسبالتبعية
٣٧٥	 (٣) حسب نوع المحمول
٣٧٧	 (أ) الخيار
٣٧٨	 (ب) الطماطم
٣٨٠	 (ج) الفلفل
٣٨١	 ثانيا : الأهمية الاقتصادية للموب الانتاجية
٣٨٤	 (١) تكاليف انشاء تكاليف الموية الانتاجية ..
٣٨٧	 »» تسميد الخفروات داخل الموب
٣٨٩	 »» التقاوى والمبيدات المستخدمة
٣٩١	 »» العماله
٣٩٥	 (٢) انتاجية الغدان فى المزارع المحمية
٤٠٣	 (٣) اقتصاديات الزراعة المحمية
٤١٣	الخاتمة
٤١٧	 قائمة المصادر والمراجع

"بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمة:

تعانى مصر فجوة غذائية تزداد شفتها يوما بعد يوم . وتعهد الزيادة السكانية أهم أسباب هذه الفجوة . ولذلك تعمل الدولة - في أكثر من اتجاه - لسد هذه اللجوة ، والقضاء عليها ، أما بحل المشكلة السكانية بخفض نسبة المواليد ، أو بزيادة الانتاج ، أو بالاثنيين معا .

وتعد الزراعة عنصرا هاما من عناصر التنمية وزيادة الانتاج في مصر ، ان لم تكن أهمها على الاطلاق . ولذا فقد سعت الدولة جاهدة نحو التوسع الأفقى باستصلاح المزيد من الأراضى الزراعية ، وإضافتها الى الرقعة القديمة فى الوادى والدلتا . كما سعت أيضا الى زيادة غلة الفدان (التوسع الرأسى) اما بتحسين أحوال التربة المصرية ، أو بتطوير نظم الري والمرف عن طريق ادخال نظم حديثة وتحسين النظم الحالية ، أو باتباع طرق وأساليب وأنماط زراعية حديثة .

ومن أهم الأنماط الزراعية الحديثة : الزراعة المحمية التى استطاعت أن تجد مكانة مرموقة - نسبيا - لها على خريطة الزراعة فى العالم فى فترة وجيزة . ويعد ذلك أكبر دليل على مدى أهميتها ، ودورها فى تكثيف الانتاج الزراعى ، باعتبارها نمطا من أنماط التوسع الرأسى وزيادة الانتاج الزراعى .

وعلى الرغم من أهمية الزراعة المحمية فى تكثيف الانتاج ومفاعلتها ، إلا أن انتشارها يتميز بالحذر والحيطه والتخوف فى

بعض الأحيان . والحذر ناتج عن حجم استثمارات المرتفعة
والذى يتمثل فى ارتفاع تكاليف إنشاء العوبة من ناحية، وارتفاع
أحور العمالة، وباقى تكاليف الانتاج الأخرى. والتخوف ناتج عن
انتشار كثير من الأقاويل حول آثارها الجانبية الفارة بالزراعة
التقليدية، سواء برفع أسعار منتجاتها (نظرا لارتفاع النسيب فى
أسعار منتجات المزارع المحمية)، أو بزيادة معدلات الإصابة
بالبق، وانتشار الأمراض عن معدلها الطبيعى، نظرا لارتفاع معدلات
الإصابة بالأمراض داخل الموب .

ويمكن أن نقسم دول العالم التى بدأت تعمم نظام الزراعة
المحمية الى قسمين أساسيين : دول افطرت الى تعميم هذا النظام
بسبب أحوال البيئة القاسية بها سواء تمثلت تلك الأحوال فى
قوة الظروف المناخية من برودة شديدة وتجدد الى حرارة مرتفعة
جدا، أو تربة فقيرة لا تشجع على قيام حياة نباتية أو زراعية
مناسبة تحت ظروف الزراعة التقليدية (المكشوفة) . وبالطبع
فإن تكاليف الانتاج المرتفعة لا تتم فى هذه الحالة . فلا بد من
الانتاج مهما كانت التكاليف وخاصة أن منتجات الموب هى أساسا
من الخضروات سريعة التلف ومن ثم لا تشجع على تمديدها لمسافات
بعيدة من بلد الى آخر، ومن ثم فلا بديل عن استخدام وتعميم الزراعة
المحمية .

أما القسم الآخر فيتمثل فى تلك الدول التى بدأت فى تعميم
الزراعة المحمية - على الرغم من تحسن الظروف البيئية بها -
بغرض الاستفادة من إنتاجيتها المرتفعة . وتشار هنا العديد من

التساؤلات حول الجدوى الاقتصادية للزراعة المحمية، كما تثار أيضا التساؤلات حول توزيع مناطق الزراعة المحمية : الأراضي الطينية المنتجة، أم الرملية المجدبة. وتثار أيضا حول أسعار بيع هذه المنتجات، ومدى تأثيرها على أسعار بيع المنتجات نفسها في الزراعة التقليدية (المكشوفة). وعموما يكثُر الجدل والاستفسار الذي يمل إلى حد الاستنكار، حول هذا الموضوع في هذه النوعية من الدول، ومنها مصر.

وقد حاول الباحث تحديد مزايا وعيوب الزراعة المحمية في مصر، من خلال اجراء دراسة تطبيقية ميدانية على إحدى المحافظات التي تنتشر بها المزارع المحمية، وهي محافظة القليوبية، فقام بدراسة توزيع الموب الانتاجية بالمحافظة المذكورة حسب مساحتها وتبعيتها ونوع المحصول بها. ثم تناول بدراسة تفصيلية كل صنف من أصناف الخضروات السائدة داخل موب المحافظة على حدة، موضحا ظروف الاستزراع والانتاج. وانتقل الباحث إلى دراسة الأهمية الاقتصادية للزراعة المحمية، فقام بحساب تكاليف انشاء وتشغيل الموب الانتاجية، وذلك بالتعرف على تكاليف انشاء الموب (الأمول الثابتة) ثم تكاليف التشغيل ومن أهم عناصرها العمالة، والبذور، والتسميد. فير أنه كان لابد - لاستكمال الصورة - من دراسة انتاجية الغدان في المزارع المحمية. ويفيد ذلك كثيرا في التعرف على اقتصاديات الزراعة المحمية وجدواها الاقتصادية في دولة مثل مصر. وتوكل الباحث إلى مجموعة من النشائج والتوصيات تضمنتها خاتمة البحث.

هذا، وقد استعان الباحث باستماره استبيان للتعرف على بعض
ظروف الانتاج داخل العوب في المحافظة المذكورة كما استعان ببعض
الاشكال الكارتوجرافية، التي تبرز اركان الظاهره محل الدراسة.

أولا : التوزيع الجغرافي للعوب الانتاجية

في محافظة القليوبية

بلغت المساحة المزروعة بالخضروات بالمزارع المكشوفة في محافظة القليوبية عام ١٩٩٠/٨٩ نحو ٤٨٩ الف فدان^(٢). وهي نسبة توازي نحو ٢١٪ من اجمالي الزمام المزروع بالمحافظة وتوضح الأرقام أهمية المحافظة كمصدر هام لانتاج الخضروات التي تعد سكان مدينة القاهرة باحتياجاتهم منها. وقد شجع على ذلك قرب المحافظة من القاهرة . بل من المعلوم أن القاهرة الكبرى تضم الأجزاء الجنوبية من محافظة القليوبية . ومما لا شك فيه أن عامل القرب هذا قد شجع على انتشار نمط حديث من الزراعة بالمحافظة وهو الزراعة المحمية ، فانتشرت العوب في معظم

(١) فؤاد محمد العقار (ترجمة) الزراعة في دولة الامارات العربية المتحدة، المجلة الجغرافية الكويتية، قسم الجغرافيين، جامعة الكويت، العدد ٥٢، لسنة ١٩٨٣، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) وزارة الزراعة، قسم الاحياء، المساحة المزروعة وانتاج وانتاجية المحاصيل الزراعية في محافظة القليوبية لعام ١٩٩٠/٨٩، بيانات غير منشورة .

مراكز المحافظة تقريبا لانتاج الخضروات التي تجد رواجاً في أسواق مدينة القاهرة وخاصة أنها تظهر مبكرة عن مثيلاتها المزروعة في الأراضي المكشوفة.

(١) توزيع الموب حسب المحافظة:

بلغ عدد الموب الانتاجية في محافظة القليوبية - عام ١٩٩٠ - ٤٥٢ موبه تستخدم في انتاج الخضروات، بالإضافة الى ٢٧ موبه تنتج نباتات الزينة . والجدول التالي يوضح توزيع الموب المنتجة للخضر في المحافظة.

جدول رقم (١)

(١) توزيع الموب الانتاجية في محافظة القليوبية في عام ١٩٩٠

المركز	عدد الموب	المساحة متر ^٢	% من مساحة الخضر
بنها	٥٥	١٩٤٠٠	١٧.٠٢%
كلر شكر	—	—	—
الخانكة	٢٢٦	١١٣٠٠٠	٢.٥٠%
شبين القناطر	—	—	—
طوخ	١٥٥	٧٦٩٠٠	٢٣.٠٢%
قليوب	٨	٤٠٠٠	١.٠٠%
القناطر الخيرية	٨	٢٩٥٠	١.٠٠%
الجملة	٤٥٢	٢١٦٢٥٠	١١.٠١%

(١) مديرية الزراعة بمحافظة القليوبية (بنها)، قسم الاحصاء، بيانات غير منشورة.

على الرغم من أن الزراعة المحمية لا تشكل نسبة تذكر — بالمقارنة بالزمام المزروع في محافظة القليوبية — أو حتى في سائر أنحاء الجمهورية — إلا أن هذا لا يعنى تجاهل دورها الفعال في تكثيف الانتاج الزراعى نظرا لارتفاع انتاجية الموبة بالمقارنة بانتاجية الوحدة المساحية ذاتها قس على حالة الزراعة المكشوفة . ويرجع انخفاض اعداد الصوب — على الرغم من قدرتها على زياده الانتاج — الى ارتفاع تكاليف انشائها من ناحية ، وملائمة الظروف المناخية للزراعة المكشوفة من ناحية أخرى . إلا أن إقامة المزيد من الصوب — وخاصة في دولة مثل مصر — يعنى الاستفادة بالانتاج المكثف داخلها ، أو ما يعرف بالتوسع الرأسى .

وعلى مستوى محافظة القليوبية التى تضم ٤٥٢ موبة لانتاج الخضروات يوجد بمركز الخانكة ٢٢٦ موبة تمثل ٥٠٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة ، وتمثل أيضا نحو ٥٢٪ من المساحة المزروعة داخل الصوب بالمحافظة (١) . أما مركز طوخ فيحتل المرتبة الثانية بالمحافظة حيث توجد على أرضه ١٥٥ موبة تمثل نحو ٣٤٫٢٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة ويمثل مركز بنها المرتبة الثالثة بنسبة ١٢٫٢٪ ، بينما

(١) تبلغ مساحة الموبة "شائعة الاستعمال في مصر ٥٠٠ مترا مربعا ويضم الفدان الواحد ثمانى صوب مساحتها الاجمالية ٤٠٠٠ مترا مربعا . وتخصص باقى المساحة للخدمات الأخرى التابعة للصوب كالمخازن ، ومبانى الايوان ، والمعدات .

يتساوى كل من قليوب والقناطر الخيرية بنسبة ١٨٪ لكل منهما وتختفى الموب فى باقى مراكز المحافظة (كفر شكر وشبين القناطر).

ويرجع تركيز نحو ٥٠٪ من موب المحافظة فى مركز الخانكة الى عدة ظروف أهمها قربها من مدينة القاهرة - بل واعتباره جزءا من القاهرة الكبرى - كذلك ساعدت رخص الأراضى بالمركز على جذب زراعة الموب لتقليل تكاليف انشائها. وأخيرا فان الانتاجية المنخفضة لتربة مركز الخانكة قد ساعدت فى التفكير على محاولة رفع انتاجيتها بوسائل أحدث ومنهها الزراعة المحمية.

أما مركز طوخ فيحتل المرتبة الثانية على مستوى المحافظة اذ يضم ١٥٥ موبة . ويرجع ذلك أساسا الى وجود عدد غير قليل من الموب التابعة لوزارة الزراعة وبعض الجهات الحكومية الأخرى (٧٢ موبة) . وهى فى الغالب موب ارشادية انشئت بغرض اجراء التجارب والتدريب . غير انها موب منتجة وذات انتاجية مرتفعة .

(٢) توزيع الموب حسب التبعية:

أما من حيث التبعية فيتأثر القطاع الخاص بعدد ٣٧١ موبة تمثل ٨٢٪ من موب المحافظة . وهى نسبة مرتفعة تدل على مدى الاقبال على هذا النمط الحديث من أنماط الزراعة

وهذا مؤشر يدل على الربحية المرتفعة للزراعة داخل المصوب
مما شجع على الاقبال عليها من قبل الأفراد.

وتتبع جميع المصوب المزروعة في مركز الخانكة القطاع
الخاص أما موب مركز القناطر الخيرية (٨ موب) فتتبع
القطاع العام الحكومي المتمثل في المركز القومي للبحوث
بالإضافة الى بعض المؤسسات التعليمية، وأهمها كلية الزراعة
جامعة عين شمس . ويوجد في مركز طوخ ٧٢ موب تابعة للقطاع
العام تمثل ٤٦٪ من جملة موب المركز . ويشرف على هذه
المصوب الادارة الزراعية بالمركز ، وكلية ومدرسة الزراعة
بمشتهر . ولا يوجد في بنها سوى موب واحدة تابعة للمدرسة
الثانوية الزراعية . معنى ذلك أن نحو ١٨٪ من جملة المصوب
في المحافظة تابعة للقطاع العام " الحكومي " . ومن الواضح
أنها انشئت بغرض التدريب والاسترشاد .

(٣) توزيع المصوب حسب نوع المحصول :

تملح المصوب لزراعة جميع أنواع الخضروات . غير
أن العبرة في اختيار المحصول المناسب ترجع الى الأهمية
الاقتصادية ، أو العائد الناتج عن هذا المحصول . وقد اثبتت
الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث لخصر أنواع الخضروات
المزروعة داخل المصوب أن أكثر الخضروات شيوعا داخل المصوب
بمحافظة القليوبية هي الخيار ، يليه الطماطم ، ثم الفلفل
بينما تزرع بعض الخضروات الأخرى بشكل محدود مثل الملوخية

والكنتالوب والكوسة . والجدول التالى يوضح توزيع أعداد

الموب فى المحافظة حسب نوع المحصول لعام ٨٩ / ١٩٩٠ . (شكل ١)

جدول رقم (٢)

توزيع أعداد الموب فى محافظة القليوبية حسب نوع المحصول

(١)
عام ٨٩ / ١٩٩٠

م	المركز	عدد الموب حسب نوع المحصول				الجملة
		طماطم	خيار	فلفل	محاصيل اخرى	
١	بنها	١	٣٦	١٨	—	٥٥
٢	طوخ	٤٣	٥٦	٥٦	—	١٥٥
٣	قليوب	—	—	—	٨	٨
٤	القناطر الخيرية	٢	٢	٣	١	٨
٥	الخانكة	٧٣	١٠٣	٤٠	١٠	٢٢٦
٦	شبين القناطر	—	—	—	—	—
٧	كفر شكر	—	—	—	—	—
	الجملة	١١٩	١٩٧	١١٧	١٩	٤٥٢

(١) تم الحصول على أعداد الموب من مديرية الزراعة فى بنها .
أما نوع المحصول فقد تم احصره من جميع المواقع المذكورة
خلال شهرى اغسطس وسبتمبر عام ١٩٩٠ . وتقتسم المحاصيل التى
ثلاث عروات هى الشتوى، والصيفى يليه الصيفى المتأخر
(النيل) . وقد تم حصر الخضروات التى زرعت فى شتاء
٨٩ / ٩٠، ثم خضروات العروة الصيفية لعام ١٩٩٠، وأخيرا خضروات
الصيفى المتأخر لعام ١٩٩٠ .

يوضح الجدول السابق أن ثلاثة محاصيل خضر فقط تستحوذ على ما يزيد عن ٩٥% من أعداد الموب بالمحافظة . وهذه المحاصيل هي على التوالي حسب الأهمية الخيار (٤٣٦%) من أعداد الموب، والطماطم (٢٦٣%)، والفلفل (٢٥٩%) . أما باقى الموب (٤٢%) فيزرع فيها باقى الخضروات . وهى الكنتالوب والملوخيه والكوسه . وستناول دراسة كل محصول على حده .

(٢) الخيار:

يزرع الخيار فى ١٩٧ موبه انتاجية بالمحافظة . يستأثر مركز الخانكة منها بـ ١٠٣ موبه تمثل نحو ٥٢٣% من اجمالى عدد موب الخيار بالمحافظة ويطى الخانكة فى الأهمية مركز طوخ وبها بنسبة ٢٨٤%، ١٨٣% على التوالي . وتقتصر زراعة الخيار فى مركز القناطر الخبريه فى موبتين فقط تمثـلـان نحو ١% فقط من اجمالى عدد موب الخيار بالمحافظة .

هذا، ويعتبر الخيار من محاصيل العروة الصيفية، والصيفية المتأخرة فى الزراعة المكشوفة . أما داخل الموب فقد يزرع الخيار أيضا فى عروتين متتاليتين (١) . ولكن تبدأ الأولى من منتصف أغسطس وتبدأ الثانية من منتصف يناير . كذلك يزرع الخيار زراعه مستديمة داخل الموبه (عروة واحدة على مدار العام) حيث تستمر فترة وجوده فى

(١) يزرع الخيار على مدار السنة فى الموب المكيفة خارج مصر نظر لامكانية التحكم فى ظرف الجو داخل الموبه . أما فى مصر فان الظروف المناخيه فيها لا تحتاج الى استخدام الموب المكيفة لعدم الحاجة اليها من ناحية وارتفاع تكاليف الانتاج من ناحية اخرى .

الأرض والانتاج لمدة تسعة أشهر كامله . وينتج عن ذلك ظهور
الانتاج من الخيار في غير موسمه مما يشجع على الإقبال عليه
رغم ارتفاع اسعاره بالمقارنة بخيار الزراعة المكشوفة .
ويزرع الخيار داخل المويه عن طريق الشتل، حيث تزرع
البذره في مشاتل خاصة في الفترة من أول أكتوبر وحتى
منتصفه . وتستمر لمدة تتراوح بين اسبوعين وثلاثة أسابيع
ثم تنقل الشتلات بعد ذلك إلى المويه المعدة للزراعة .
ويستغرق نمو الخيار من بداية الشتل وحتى الحصاد فترة
تتراوح ما بين ٤٠ إلى ٥٠ يوماً (١) . أما عن الحصاد فيستمر
عدة شهور على دفعات .

(ب) الطماطم:

تزرع الطماطم في ١١٩ مويه، تمثل نحو ٢٦,٣٪ من اجمالي
موب المحافظة . وتتركز الغالبية العظمى من موب الطماطم
في مركز الخانكة الذي يضم ٧٣ مويه طماطم تشكل نحو
٢٦,٣٪ من اجمالي موب الطماطم بالمحافظة . أما مركز طسوخ
فيحتل المرتبة الثانية حيث تزرع الطماطم في ٤٣ مويه به
تمثل نحو ٣٦,١٪ من اجمالي موب الطماطم بالمحافظة . ولا يزرع
في مركز القناطر الخيرية سوى موبتين فقط . أما مركز بنها،
فتزرع الطماطم في مويه واحده به .

(١) الدراسة الميدانية السؤال رقم (٩) من أسئلة الاستبيان .

وتعد الطماطم من أهم الخضروات - ان لم تكن أهمها على الإطلاق - ولذلك يزداد الطلب عليها ويستمر على مدار العام .
مما دعا الى احتلالها لنسبة كبيرة من الاراضى الزراعية -
المشكوفة سواء على مستوى المحافظة ، أو على مستوى الجمهورية
فقد زرعت محافظة القليوبية نحو ١١٥٩٠ فداناً من الطماطم
تمثل نحو ٧٢٣٧٪ من جملة مساحة الخضروات بالمحافظة -
عام ١٩٨٩ خلال العروات الثلاثة . غير أن النسبة الكبيرة
من هذه المساحة تمثلت أساساً فى العروة الصيفية ، فقد بلغت
مساحة الطماطم الصيفية فى المحافظة فى السنة المذكورة
٩٥٤٩ فداناً . تمثل نحو ٨٢٤٪ من اجمالى مساحة الطماطم .
أما الطماطم الشتوى فلم تحتل سوى ١٩٣٧ فداناً بنسبة
١٦٧٪ . ولم تزرع الطماطم فى العروة الصيفية المتأخرة
(النيلية) الا فى ١٠٤ فداناً بنسبة ٧٩ فقط (١) .

وتوضع الأرقام السابقة لتذبذب انتاج الطماطم على
مدار السنة مما ساعد على وجود فترات تتميز بنقص الانتاج
فى الأسواق ، وهى فترات ما بين العروات . وهذه هى المشكلة
الرئيسية التى تميز انتاج الطماطم فى مصر ، والشئ استفاد
منها منتجوا طماطم الصوب . فقد تخير المنتجون الأوقات
التي يقل أو ينعدم فيها الانتاج من الزراعات المشكوفة
ليطرحوا انتاجهم بالسعر الذى يحقق ارباحاً مناسبة لهم .
وبالتطبع فإن سعر الطماطم هنا سيكون أعلى بكثير من طماطم

(١) وزارة الزراعة ، قسم الاحماء ، مرجع سابق .

المزارع المكشوفة . الا أن الطلب يزداد عليه نظراً لنقص المعروض من ناحية وسوء حالة الشمار بالمقارنة بشمار الموب من ناحية أخرى.

وغالباً ما تزرع طعاطم الموب في موسم واحد يستمر على مدار السنة بطريقة الشتل. فتبدأ فترة الانبات في العشتل خلال النصف الأول من سبتمبر ولعمدة شهر تنقل بعده الشتلات الى المويه المجهزه للزراعة . ويستغرق نمو نبات الطعاطم من بداية الانبات وحتى الانتاج حوالي ١١٠ يوماً (١).

(ج) الفلفل : الفل

يحتل مركز طوخ المرتبة الأولى بين مراكز محافظة القليوبية من حيث عدد الموب المنتجة للفلفل . فيوجد بالمركز ٥٦ صوبة لانتاج الفلفل تمثل نحو ٤٧٩٪ من جملة موب الفلفل بالمحافظة . أما مركز الخانكة فيحتل المرتبة الثانية، حيث يوجد به ٤٠ صوبة لانتاج الفلفل تمثل ٣٤٪ ويحتل مركز بنها المرتبة الثالثة (١٨ صوبة تمثل ١٥٤٪) . ثم مركز القناطر الخيرية في المرتبة الرابعة (ثلاث صوب تمثل ٢٢٪).

والفلفل من أكثر محاصيل الخضروات حساسية تجاه درجة الحرارة . اذ تعتبر الحرارة أهم العوامل المؤثرة في مدى

(١) الدراسة الميدانية ، السؤال رقم (٩) من أسئلة الاستبيان.

نجاح أو فشل زراعة الفلفل . ويزرع الفلفل إما بالشتل من منتصف أغسطس الى منتصف سبتمبر ، أو بالبذرة قبل هذا الموعد بشهر تقريبا . ويستغرق نمو الفلفل من بدايته الانبات وحتى الانتاج حوالى ١٠٠ يوما تقريبا .

يتضح مما سبق أن محصول الخيار يعد أكثر محاصيل الخضروات شيوعا داخل الصوب فى محافظة القليوبية . إذ بلغ عدد الصوب المزروعة بالخيار عام ١٩٩٠ (١٩٧ صوبه) تمثل نحو ٤٣٦٪ من اجمالى عدد الصوب الانتاجية بالمحافظة . أما محصول الخضروات الثانى فهو الطماطم التى تزرع داخل ١١٩ صوبه تمثل نحو ٢٦٢٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة . ويأتى فى المرتبة الثالثه الفلفل الذى يزرع داخل ١١٧ صوبه تمثل ٢٥٩٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة . وتمثل المحاصيل الثلاثه السابقه نحو ٩٥٨٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة بينما توزع باقى النسبة (٤٢٪) على مجموعة من الخضروات قليلة الأهمية داخل الصوب أهمها الكنتالوب الذى يزرع فى ١٠ صوب بمركز الخانكة .

ثانيا : الأهمية الاقتصادية للصوب الانتاجية

من الواضح أن انتشار الصوب الانتاجية فى معظم محافظات مصر لم يكن بفرض الحماية من أحد عناصر البيئة بالقدر الأكبر، وإنما كان الهدف أساسا الاستفادة بالانتاجية المرتفعة

داخل الصوب نتيجة لاستخدام بذور مهجنة مخففة لا تصلح زراعتها في المزارع المكشوفة. فتعد جميع عناصر البيئة المصرية أكثر ملائمة لنمو معظم محاصيل الخضروات دون مشكلات تذكر. ولا يعكر صفو ذلك سوى تكون المقيع في بعض أيام الشتاء وخامة في مصر الوسطى والعليا. كذلك تتميز التربة المصرية بالوادي والدلتا بجودتها النسبية وملائمتها لزراعة معظم محاصيل الخضروات كما تتوافر مياه الري اللازمة لزراعة هذه الخضروات على مدار السنة.

لقد كان وما زال الهدف من انتشار الزراعة المحمية في بعض مناطق العالم ذات البيئة غير الملائمة هو الحصول على خضروات يستحيل زراعتها في الظروف العادية. ومن ثم فلا بديل سوى الزراعة المحمية لإنتاج الخضروات في مناطق كثيرة في العـسـرـوـض العليا سواء في وسط وشمال أوروبا وآسيا أو أمريكا الشمالية. ولا بديل أيضا للزراعة المحمية في مناطق كثيرة من العـسـرـوـض الدنيا التي تتميز بشده حرارتها أو بسوء أحوال التربة فيها. فقد ساعدت قوة الظروف المناخية المتمثلة في البرودة الشديدة وتجمد التربة على انتشار الصوب الانتاجية المكيفة (للتدفئة) في معظم دول أوروبا وأمريكا الشمالية. كما ساعدت الحرارة الشديدة والجفاف والتربة الفقيرة على انتشار الصوب المكيفة (للتبريد) في معظم دول الخليج العربي.

أذن من الواضح أنه لا بديل عن هذا النمط من أنماط الزراعة في بعض جهات العالم مهما كانت تكلفته الاقتصادية، وخاصة أن الخضروات تعد أكثر انواع المزروعات عرضة للتلف السريع. وبالطبع

يوجب نقلها لمسافات بعيدة من مناطق الوفرة الى مناطق العجز.
والمحاولات الموجودة حاليا هي مجرد محاولات محدودة جدا كـ نقل
بعض الخضروات الطازجة بالطائرات من مصر الى المملكة العربية
السعودية. وبالطبع ترتفع قيمتها نتيجة استخدام وسيلة مكلفة
كالطائرات حتى لا تتعرض الخضروات للتلف (١).

ولدراسة الأهمية الاقتصادية للصوب الانتاجية في مصر،
ومدى جدواها. ينبغي التعرف على تكاليف انتاج الخضروات داخل
الصوب ومقارنتها بمثيلاتها في المزارع المكشوفة. وحتى تكتمل
الصورة، ينبغي التعرف على انتاجية محاصيل الصوب ومقارنتها
بمثيلاتها في المزارع المكشوفة في وحدة مساحة ثابتة للتعرف على
حجم الانتاج داخل الصوب ومدى قدرته على تعويض تكاليف الانتاج
المرتفعة أو الباهظة اذا صح التعبير. كذلك يجب التعرف على
أهم المشكلات التي تعاني منها الزراعة المحمية، والتي من أخطرها
مشكلة تفشي الآفات الزراعية داخل الصوب.

(١) لاحظ الباحث أثناء وجوده بالمملكة العربية السعودية
للعمل في أوائل الثمانيات أن أسعار الخضروات المزروعة
داخل الصوب أرخص من تلك المستوردة من مناطق خارج المملكة.
وهذا يعني أن تكلفة الخضروات المنقولة من خارج المملكة
أعلى من تكلفة الخضروات المنتجة داخل الصوب. وقد شجع
ذلك على انتشار الصوب بكافة أنواعها في أنحاء المملكة،
وهي جزء من سياسة المملكة للحد من الاستيراد وتنويع
الأنشطة الاقتصادية غير البترولية.

(١) تكاليف إنشاء وتشغيل الموبة الانتاجية:

تتكون الموبة الانتاجية غير المكيفة من هيكل معدنى يتم تركيبه وتغطيته برقائق من البلاستيك الشفاف المعـدد خصيما لهذا الغرض . وداخل الموبة يستلزم الأمر وجود نظام حديث للرى . ويستبعد تماما الرى التقليدى وهو الرى بالغمـر (١) . ويعد الرى بالتنقيط أكثر نظم الرى شيوعا داخل الموبة . ويحتاج نظام الرى بالتنقيط الى معدات خاصة تتمثل فى مضخة المياه ومواسير الرى التى تنشر فى نظام معين داخل الموبة . كما يتطلب الأمر - فى الغالب - وجود مضخة هواة لتهوية الموبة . وتعرف هذه المكونات بالاصـول الثابتة . والجدول التالى يوضح متوسط تكاليف إنشاء موبـه قياسيه (٢) .

-
- (١) من أهم مميزات الزراعة المحمية الاعتماد فى استخدام المياه حيث تروى المحاصيل بنظم رى حديثة تزيد من كفاءة الرى الى اقصى درجه . غير أن للرى بالتنقيط مشكلة (أو آشـار جانبية) تتمثل فى تراكم الاملاح قرب سطح التربه مما يوجب العمل على عمل التربه كل فترة بغمـرها بالمياه .
- (٢) الموبة القياسيه مساحتها ٥٠٠ مترا . وهى شائعة الاستخدام فى مصر وتنتجها بعض شركات الاستثمار .

جدول رقم (٣)

(١)
متوسط تكاليف إنشاء المويه العادية (مساحة ٢٥٠٠) بالجنيه المصري

م	مستلزمات المويه	التكاليف جنيها
١	الهيكل المعدني (٢)	٥٥٠٠
٢	رقائق البلاستيك	١٢٥٠
٣	مستلزمات الري بالتنقيط	٥٠٠
٤	آلة تهوية	٦٠٠
٥	نقل المستلزمات	١٠٠
٦	التركيب	٣٠٠
	جملة التكاليف	٨٢٥٠

يتفح من الجدول أن متوسط سعر المويه التي تبلغ مساحتها ٥٠٠ مترا مربعا يبلغ - حسب أسعار منتصف عام ١٩٩٠ - ٨٢٥٠ جنيها مصريا. ويختلف العمر الافتراضي باختلاف مكونات المويه - فالعمر الافتراضي للهيكل المعدني ومستلزمات الري وآلة التهوية يبلغ ١٥ سنة. أما رقائق البلاستيك فلا يزيد عمرها الافتراضي عن ثلاث سنوات.

- (١) أسعار منتصف ١٩٩٠. وقد تم تجميع الأسعار من أكثر من شركة منتجة.
- (٢) يشتمل الهيكل المعدني على أقواس من المواسير العجينة وألاك ومسامير للتثبيت وبعض المستلزمات الأخرى.

وإذا افترضنا وجود مساحة من الأرض الزراعية تبلغ فدانا
واحدا مقاما عليه ثمانى صوب ، مساحة كل منها ٥٠٠ متسرا ،
فمعنى ذلك أن تكاليف الانشاء تبلغ ٦٦ ألف جنيهها لهذا
اللدان . وعلى افتراض أن العمر الافتراضى للمكونات المعدنية
للموبة يبلغ ١٥ سنة . أما رقائى البلاستيك فيتم تغييرها
خمس مرات على مدى ١٥ سنة ، فإن متوسط تكاليف احتياجات
الموبة من البلاستيك خلال الفترة المذكورة يبلغ ٦٢٥٠ جنيهها .
وهذا معناه أن تكاليف انشاء الموبة خلال ١٥ سنة تساوى
تكاليف انشاء هيكل معدنى واحد وملحقاته مضافا اليه تكاليف
تغيير البلاستيك خمس مرات فتكون تكاليف انشاء الموبة فى
١٥ سنة :

الهيكل المعدنى وملحقاته = ٧٠٠٠ جنيهها

رقائى البلاستيك = ٦٢٥٠ جنيهها (١)

١٣٢٥٠ جنيهها

ويمكننا أن نحسب هذه التكاليف سنويا بقسمة المبلغ المذكور

÷ ١٥ =

١٣٢٥٠ ÷ ١٥ = ٨٨٣٣ (٢) جنيهها سنويا للموبة .

(١) حاصل ضرب تكاليف البلاستيك فى ثلاث سنوات × ٥ (عدد مرات
تغيير البلاستيك) .

(٢) هذه التكاليف لا تتضمن سعر الأرض المقامه عليه الموبة .
ويصعب حساب هذا السعر لاختلاف انواع التربه ومدى جودتها
من مكان لآخر . وبالتالي تختلف الأسعار .

هذا بالإضافة الى مبلغ ٢٥٠ جنيهها سنويا قيمة منشآت أخرى خاصة بالموية (مخازن ومآوى) حسب أسعار ١٩٨٦^(١).

أما عن تكاليف التشغيل فتتضمن أهم بنودها التسيير والتقاوى وأجور العمال .

تسيير الخزروات داخل الموية :

تحتاج التربة العميقة الى مجموعة من الأسمدة تضاف للمحاصيل بكميات مختلفة تبعا لاختلاف نوع المحصول ، سواء كان مزروعا زراعة مكثوفة ، أو محمية . فلا يوجد اختلاف فى نوعية السماد المعطاه للمحصول فى نوعى الزراعة وانما الاختلاف فى الكمية المعطاه . والجدول التالى يوضح مقررات الأسمدة المنصرفة لبعض محاصيل الخضر سواء كانت مكثوفة أو محمية .

(١) تبلغ قيمة تكلفة المنشآت (المخازن والمآوى) التى تحتاجها الموية نحو ٥٠٠٠ جنيهها . وعمرها الافتراضى ٢٠ سنة اذن التكلفة السنوية = $\frac{٥٠٠٠}{٢٠} = ٢٥٠$ جنيهها . انظر : جورج باسلى ، اقتصاديات الزراعة فى البيوت المحمية بحث مقدم الى ندوة الزراعة المحمية ، الجمعية المصرية للهندسة الزراعيه ، كلية الزراعة ، جامعة القاهرة ، يولييه ١٩٨٦ .

جدول رقم (٤)

جدول رقم (٤)

(١) مقررات بعض الخضروات من الأسمدة في العروة الواحدة [موسم ٩٠/٨٩] كيلو جرام للفدان

المحمول	في المزارع المكشوفة						في المزارع المحمية			الفرق في التكاليف %
	كمية السماد حسب النوع			جملة (٣) التكاليف بالجنيه	كمية السماد النوع			جملة التكاليف بالجنيه		
	أزوت ص ١٥	فوسفات ص ١٥	بوتاس ص ٤٨		أزوت ص ١٥	فوسفات ص ١٥	بوتاس ص ٤٨			
الطماطم	٨٠٠	٣٠٠	١٠٠	١٨٠ ص	٢٧٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٤٥	٢٧٠ ص	
الفاصوليا	٧٠٠	١٥٠	٥٠	١٢٩ ص	٨٠٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٢٨	٢٧٠ ص	
الخيار	٣٥٠	١٥٠	٥٠	٨٤ ص	٢٢٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٤٥	١٩٢ ص	
الكنتايلوب	٣٥٠	١٥٠	٥٠	٨٤ ص	٢٣٠	٢٧٠	٢٧٠	٢٤٥	١٩٢ ص	

يوضح الجدول المقررات السمادية التي تصرف للفدان المزروع ببعض محاصيل الخضروات سواء في الزراعة المكشوفة أو المحمية في العروة الواحدة . ومن الواضح أن الخضروات المزروعة في المصوب تحتاج إلى مقررات من الأسمدة أعلى من مثيلاتها المزروعة في المزارع المكشوفة . فعلى سبيل المثال يحتاج فدان الطماطم المكشوفة إلى ٨٠٠ كيلوجراما من الأسمدة الأزوتية ، ٣٠٠ كجم من الفوسفات ١٠٠ كجم من البوتاس . بينما تزيد احتياجات الطماطم داخل المصوب من الأسمدة البوتاسية بالإضافة إلى احتياجاتها المتزايدة من

اللازوتية بدرجة كبيرة . وعلى العكس تقل احتياجاتها من الأسمدة الفوسفاتية عن تلك المزروعة في المزارع المكثوفة . وتبعاً لذلك ترتفع تكاليف تسميد فدان الطماطم داخل الموب لتصل إلى ٢٤٥ جنيه للفدان في العروة الواحدة ، بنسبة زيادة تصل إلى ٢٣٥٪ عن طماطم الزراعة المكثوفة . كذلك ترتفع تكاليف تسميد فدان الفلفل داخل الموب بنسبة زيادة تبلغ ٢٧٦٪ عن فلفل الزراعة المكثوفة . أما الخيار والكنشالوب فإن نسبة الزيادة في تكاليف تسميدهما تزيد ، بل وتتضاعف لتصل إلى ٢١٩٪ لكل منهما . (ش ٢) .

التقاوى والمبيدات المستخدمة في الزراعة المحمية :

تتطلب الزراعة داخل الموب نوعاً خاصاً من التقاوى ، لا يصلح للاستخدام في الزراعة المكثوفة ، أو بمعنى أوضح ، لا يعطى عائداً يغطي أعباءه المرتفعة جداً بالمقارنة بالتقاوى العادية ، والمستخدم في الزراعة المكثوفة . وهي تتميز برخص أسعارها . ونظراً للارتفاع الباهظ في أسعار تقاوى الزراعة المحمية ، فغالباً ما تباع بالبذرة . وقد أكدت الدراسة الميدانية أن سعر بذرة الخيار تتراوح فيما بين عشرين ، ومائة قرشاً . وعلى اعتبار أن عدد النباتات في الموب يبلغ ١٢٥٠ نبتة ، فإن تكاليف تقاوى للموبة المزروعة بالخيار زراعة محمية تتراوح فيما بين —————

٢٠٠٠ ١٠٠٠٠٠ جنيها (١) على مدار العام .

أما الطماطم، فإن متوسط احتياجات المونة من بذورها يتراوح فيما بين ٨ ١٠٠ جرامات معبأة في عبوة يبلغ متوسط سعرها عشرة جنيهات فقط. ولذلك فإن فدان الطماطم داخل الموب يتكلف حوالي ٨٠ جنيها ثمنا للتقاوى في العروة الواحدة. أما فدان الغنفل ليتكلف حوالي ٩٦ جنيها. وتبلغ تكاليف تقاوى فدان الكنتالوب حوالي ١٥٠٠ جنيها على اعتبار أن ثمن البذرة يقدر بحوالي ١٥ قرشا، وتحتاج المونة الى ١٢٥٠ بذرة. والجدول التالى يوضح مقارنة بين تكاليف التقاوى في كل من الزراعة المكثوفة والمعمية لبعض محاصيل الخضروات . جدول رقم (٥)

متوسط تكاليف التقاوى والمبيدات اللازمة للفدان المزروع ببعض الخضروات في العروة الواحدة (أسعار ١٩٠/٨٩) (٢)

المحصول	تكاليف التقاوى للفدان (جنيها)		تكاليف المبيدات للفدان جنيها	
	في الزراعة المكثوفة	في الزراعة المعمية	في الزراعة المكثوفة	في الزراعة المعمية
الطماطم	٧٧ر٦	٨٠	٩٦ر٨	٢٨٥
الغنفل	٧١ر٠	٩٦ (٣)	٩٠ر٠	٢٨٥
الخيار	٥١ر٢	٦٦٦ر٧	٢٥ر٢	٢٨٥

- (١) يرجع اختلاف أسعار البذور - وخاصة بذور الخيار - الى تعدد نوعياتها واختلاف جودتها. فقد اجمع المتخصصون على أن البذور الرخيصة للخيار على سبيل المثال لا تشجع على زراعة المحصول في عروة واحدة على مدار العام. وإنما يزرع في مروتين تفاديا لنقص الانتاج. أما البذور مرتفعة القيمة - وهي بذور مهجنه - فيعتمد عليها في زراعة الخيار الدائم (على مدار العام) الدراسة الميدانية.
- (٢) أسعار تقاوى الزراعة المكثوفة من قسم البحوث والدراعات الاحصائية بوزارة الزراعة (بيانات غير منشورة). أما أسعار تقاوى الزراعة المعمية فقد جمعت من عدة مصادر أهمها الدراسة الميدانية، والاستفسار من بعض مستوردي وموزعي مستلزمات الانتاج الزراعي. وقد راعى الباحث التركيز على أكثر انواع البذور شيوعا داخل الزراعات المعمية (السؤال رقم ٢).
- (٣) يمثل الحد الأدنى لسعر بذرة الخيار.

من الواضح أن بذور الخيار أعلى قيمة من غيرها، مما يزيد من تكلفة ثمن التقاوى اللازمة للفدان المزروع تحت الموب وعموماً فكل أنواع بذور خضروات الزراعة المحمية تستورد من الخارج على شكل عبوات معقمة، تكفى العبوة الواحدة لزراعة موب واحد فقط من الموب القياسية.

أما تكاليف المبيدات فتتميز أيضاً بارتفاعها داخل الموب بالمقارنة الى الزراعة المكشوفة - ويرجع ذلك الى تزايد فرص الإصابة ببعض الأمراض داخل الموبة مثل نيماتودا تعقد الجذور وتبقي الأوراق الرمادية ولذلك يضطر اصحاب الموب الى استخدام بعض المبيدات الوقائية الى جانب المبيدات العلاجية مما يزيد من تكاليف الانتاج كما يوضحها الجدول السابق .

العمالة المستخدمة في الزراعة المحمية:

أكد أحد أسئلة الاستبيان - والخاص بالعمالة اللازمة للموب - أن معدل العمالة المتخصصة فى اعمال الفلاحة هو عامل واحد لكل ثلاث موب . أى أن الفدان المزروع زراعة محمية يحتاج الى حوالى ثلاثة عمال للقيام بالأعمال الزراعية التقليدية، كتسوية الأرض داخل الموبة . وعمل الخطوط، وشتل النباتات ونقلها للموب ورعاية النبات حتى الأشجار. وقد يتم الاستعانة بمزيد من العمالة فى فترات جنى المحصول. ولذلك قد يتضاعف العدد من بداية الجنى الذى يستمر لعدة أشهر اذا كان النبات من نوع العسروه الواحد (على مدار العام) وأكد أحد أسئلة الاستبيان أن متوسط أجر العامل فى المزارع المحمية يتراوح فيما بين ١٠٠، ٢٠٠ جنيه شهرياً .

أما من ناحية العمالة الفنية، فإن وجود مهندس زراعي واحد، يكفي للإشراف على تنفيذ الأعمال الاعتيادية داخل المصوب هذا، وقد لاحظ الباحث وجود مهندس مقيم في مركز الزراعة المحمية في طوخ والتابع لوزارة الزراعة، ويبلغ عدد المصوبات في هذا المركز ٢٩ موبة. كذلك يوجد مهندس زراعي للإشراف على المصوبات التابعة للقطاع العام، وأهمها المصوب التابعة للمدارس الثانوية الزراعية، أو التابعة لكلية الزراعة أو المركز القومي للبحوث أمام صوب القطاع الخاص فأغلبها يكتفى بمجرد الاستشارات الفنية من المهندسين المتخصصين دون الحاجة إلى إقامتهم بالموقع، نظرا لانخفاض أعداد المصوبات في المزرعة الواحدة، والتي تتراوح فيما بين موبة واحدة، وعشرين موبة^(١). والاعتناء الوحيد في ذلك صوب مركزا لخانكة، وجميعها تابعة للقطاع الخاص إذ أن جسم المزرعة يصل إلى أكبر معدل له على مستوى المحافظة، فيزيد عدد المصوبات عن مائة موبة في المزرعة الواحدة.

(١) أثبتت بعض الدراسات أن متوسط تكاليف تشغيل المصوب يتأثر بعددها في المزرعة الواحدة. فإذا كان عدد المصوبات التي يتم تشغيلها هو موبة واحدة فإن التكلفة السنوية للمتر المربع تصل إلى ١٥١٥ جنيها. بينما ينخفض هذا الرقم إلى ٨٤٤ جنيها للمتر المربع في حالة تشغيل ثمان موبات وينخفض أكثر ليصل إلى ٧١٥ جنيها للمتر في حالة تشغيل ١٦ موبة. انظر: جورج باسيلي، مرجع سابق.

يتضح مما سبق ارتفاع تكاليف الانتاج داخل الموب، اذا ما قورنت بالزراعة المكشوفة وتكاليف الانتاج بها. ويرجع ارتفاع تكاليف الزراعة المحمية الى ارتفاع اجور العمال، بالإضافة الى ارتفاع قيمة متطلبات الانتاج والتي تتمثل أساسا في الأصول الثابتة، وتكاليف التسميد، بالإضافة ايضا الى ارتفاع تكاليف مقاومة الآفات بالإضافة الى تكاليف الوقاية ايضا نظرا لزيادته معدلاتها في المزارع المحمية.

وقبل أن نبحث في انتاجية خسروات الموب واقتصادياتها يمكن اختصار تكاليف الانتاج داخل الموب وخارجها في الجدول رقم (٦) بالإضافة الى شكل (٣)

يوضح الجدول متوسط تكاليف انتاج الفدان لبعض محاصيل الخضر في المزارع المكشوفة ومقارنتها بالخضر المزروعة داخل الموب ومن الواضح ارتفاع تكاليف انتاجية الفدان داخل الموب بمقارنتها بالزراعة المكشوفة. فتتكلف العروة الواحدة من الطماطم المزروعة خارج الموب نحو ٩٧١ جنيها للفدان، بينما ترتفع التكاليف ذاتها للطماطم داخل الموب لتصل الى ٢٢٠٤ جنيها بزيادة قدرها نحو ١٢٦٩٪. أما الفلفل فتصل نسبة الزيادة في تكاليف انتاجه داخل الموب عن خارجها الى ١٤٤٪. ولا تقلل النسبة نفسها في الخيار المزروع داخل الموب عن ٢٢٨٩٪.

يتضح مما سبق ارتفاع تكاليف انتاجية الخسروات داخل الموب بالمقارنة بالزراعات المكشوفة. وان اختلفت النسبة من محصول لآخر. وترجع التكلفة المرتفعة أساسا الى ارتفاع تكاليف

انشاء الصوبة وملحقاتها (الأصول الثابتة) والتي يجب أن تؤخذ
فى الاعتبار. كذلك تتطلب البذور المزروعة داخل الصوب - بالإضافة
الى ارتفاع اعمارها - معاملة خاصة سواء من حيث التسميد
أو مكافحة الآفات. ولذلك ترتفع تكلفة التسميد والمبيدات داخل
الصوبة بدرجة ملحوظة. كما تحتاج الزراعة المحمية الى عمالة
فنية مدربة سواء للقيام بالعمليات الزراعية أو للقيام بجمع
المحصول. ولذلك ترتفع تكاليف العمالة فى الزراعة المحمية
بدرجة ملحوظة ايضا (علما بأن الارقام الواردة فى الجدول والخاصة
بالعمالة داخل الصوب لا تتضمن العمالة الموسمية لجنى المحصول
أو الاشراف الفنى من المهندسين المتخصصين،بالإضافة الى عدم
تضمنها لتكاليف الطاقة الكهربائية المستخدمة فى ادارة طلمبات
الرى ،وبعض النثرىات الأخرى التى يعصب حصرها) .

٢) انتاجية الخدان فى المزارع المحمية

على الرغم من ارتفاع تكاليف الانتاج داخل الصوب -
بالمقارنة بالزراعة المكشوفة - وعلى الرغم من ملائمة الظروف
البيئية فى مصر لزراعة معظم المحاصيل الزراعية وخاصة الخضروات
بأنواعها، إلا أن الزراعة المحمية قد بدأت تجد مكانها على خريطة
مصر الزراعيه . بل واحتلت مكانة لا بأس بها فى مدة لا تتجاوز
ست سنوات فقط. ولأمر أن مقتنيات التطور قد جعلت مصر تتجه نحو
البحث عن أفضل السبل لتنمية الاقتصاد القومى. وإذا كانت الزراعة
المصريه حلقة هامة - بل ورئيسية - من حلقات الاقتصاد القومى
المصرى،فإن تطويرها وتحسينها أمر ضرورى. إلا أن من بديهيات

هذا التطوير أو التحسين، الوصول الى الأهداف المرتقبة ألا وهى حسن الانتفاع بالأرض وعدم اهدارها .

والسؤال المطروح الآن هو : هل استطاعت الزراعة المحمية (فى مصر) أن تحقق حسن الانتفاع بالأرض على الرغم من تكلفتها الباهظة ؟ .

للإجابة على هذا التساؤل ينبغى أن نتعرف على انتاجية الغدان المزروع بنظام الزراعة المحمية، ومقارنتها بالانتاجية فى الزراعة المكشوفة . وبالطبع فستنصب الدرامة أساسا حول أشهر محاصيل الصوب الانتاجية - والسائدة ليس فى محافظة القليوبية فقط وإنما فى معظم صوب مصر - وهى الطماطم والخيار والفلفل .

يأتى الخيار فى مقدمة خضروات الصوب المزروعة بمحافظات القليوبية . فيستحوذ على نحو ٤٣٦٪ من اجمالى عدد الصوب بالمحافظة . ويزرع الخيار فى ١٩٧ صوبه من اجمالى ٤٥٢ صوبه هـى كل وتمتلكه محافظة القليوبية لانتاج الخضروات، أما الطماطم فتحتل المرتبة الثانية . وتزرع الطماطم فى ١١٩ صوبه تمثـل ٢٦٢٪ من اجمالى صوب المحافظة . ويأتى الفلفل فى المرتبة الثالثة بنسبة ٢٥٩٪ (١١٧ صوبه) . معنى ذلك أن الخيار هو أشهر خضروات الصوب ليس فى محافظة القليوبية فقط، وإنما فى باقى محافظات مصر التى تهتم بالزراعة داخل الصوب . ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها .

أ) ارتفاع انتاجية الغدان من الخيار داخل الصوب بالمقارنة بخيار الزراعة المكشوفة . فقد أكدت تقارير وزارة الزراعة

أن متوسط انتاجية الفدان من الخيار في الزراعة المكشوفة بمحافظة القليوبية يبلغ نحو ٩ طنا للفدان بينما يرتفع المتوسط ذاته في المزارع المحمية بالمحافظة ليصل الى ٤١ طنا للفدان بنسبة زيادة تبلغ نحو ٣٣٦٪ عن محصول الزراعة المكشوفة (١). وهذا ما يؤكد الجدول التالي:

جدول رقم (٧)

متوسط انتاجية الفدان المزروع خيار في المزارع المكشوفة والمحمية في العروة الواحدة بمحافظة القليوبية لعام ٨٩ / ١٩٩٠ (٢)

م	المركز	متوسط انتاجية الفدان بالطـن	
		في المزارع المكشوفة	في المزارع المحمية
١	بنها	١٠٥	٤٨٨
٢	طوخ	٩٠	٤٢٠
٣	قليوب	١٠٠	—
٤	القناطر الخيرية	٨٣	٣٥٠
٥	الخانكة	٨٧	٤٠٠
٦	شبين القناطر	٨٨	—
٧	كفر شكر	١١٣	—
المحافظة		٩	٤١

- (١) تصل انتاجية الفدان المكشوف من الخيار في الولايات المتحدة الأمريكية الى ١٢٦ طنا. بينما ترتفع الانتاجية داخل فدان الزراعة المحمية لتصل الى ١٠٥ طنا في العروة الواحدة بنسبة زيادة تبلغ ٣٣٣٪ (انظر في احمد حسن، مرجع سبق ذكره، ص ١٧).
- (٢) تم تجميع بيانات الجدول من وزارة الزراعة، ومديرية الزراعة في بنها، والدراسة الميدانية (الموال رقم ١٠).

(ب) يزرع الخيار داخل الموبة في العروات الثلاث (على مدار السنة)، بينما لا يزرع خيار الزراعة المكثوفة سوى في العروة الصيفية فقط. وبالطبع فان لذلك أثره في زيادة الانتاج ومضاعفته. ولكن الأثر الأوضح هو امكانية طرح انتاج الموب من الخيار في الأسواق على مدار السنة، ومن ثم الاستفادة من اختفاء خيار الزراعة المكثوفة في العروتين الشتوية والصيفية المتأخرة (النيلية) في رفع أسعار خيار الموب الى أعلى معدلاتها على مدار السنة. وهذه هي أهم ميزة للخيار الذي يجد سوقا رابحة (رغم ارتفاع أسعاره) في غير موسمه (١).

أما عن الطماطم، (شكل) فتأتى في المرتبة الثانية بين خضروات الموب من محافظة القليوبية. فلا تزرع الا في نحو ٢٦٣٪ من اجمالى موب المحافظة. وعلى الرغم من أهمية الطماطم ومكانتها العريقة في مقدمة الخضروات في مصر (أكثر من ٣٤٪ من جملة المساحة المزروعة بالخضروات في العروات الثلاث على مستوى الجمهورية عام ١٩٩٠/٨٩) الا أنها لا تجد رواجاً للزراعة داخل الموب بشكل يتناسب مع أهميتها النسبية (٢) ويرجع ذلك الى عدة اعتبارات من أهمها:

أ- لا تحقق الطماطم انتاجية مالية داخل الموب بالمقارنة بما يحققه الخيار. فقد وجد ان خيار الموب تتضاعف انتاجية أكثر من أربع مرات بالمقارنة بخيار المزارع المكثوفة. أما الطماطم فلم ترد انتاجية الفدان منها داخل الموب في العروة

(٢٠١) أكد بعض أصحاب الموب على اهتمامهم بزراعة الخيار لارتفاع أسعاره، وخاصة في موسم الشتاء. وأكد البعض الآخر على أنهم يفضلون طرح أكبر كمية من انتاجهم من الخيار في شهر رمضان نظرا لزيادة الطلب عليه وارتفاع أسعاره التي تعمل على حوالى ٢ حنيها للكيلو حرام الواحد فقط. كذلك فقد أكد نفس الأشخاص عزوفهم عن انتاج الطماطم نظرا لانخفاض العائد منها بالمقارنة بكل من الخيار والفلفل (الدراسة الميدانية).

الواحدة عن ٣٠ طنا في محافظة القليوبية، بينما وصل متوسط انتاجية الفدان من طماطم المزارع المكشوفة في العروة الواحدة الى ١٣٨ طنا . ويعنى هذا ان نسبة الزيادة في طماطم الزراعة المحمية لم تزد عن ١١٨ ٪ من انتاجية طماطم الزراعة المكشوفة

جدول رقم (٨)

متوسط انتاجية الفدان المزروع طماطم في المزارع المكشوفة والمحمية في المروة الواحدة بمحافظة القليوبية لعام ١٩٩٠/٨٩

م	المركز	متوسط انتاجية الفدان بالطن	
		في المزارع المكشوفة	في المزارع المحمية
١	بنها	١٥٠٥	٢٦٠٠
٢	طوبخ	١٤٠١	٢٢٠٢
٣	قليوب	-	-
٤	القناطر الخيرية	١٢٠٤	٢٣٠٥
٥	الخانكة	١٣٠٣	٢٢٠٠
٦	شين القناطر	-	-
٧	كفر شكر	-	-
المحافظة		١٣٠٨	٣٠٠١

ب- نظرا لاهمية الطماطم كأهم محاصيل الخضروات في مصر . فإنها تزرع على مدار السنة خلال العروات الثلاثة . وقد شجع على زراعتها على مدار العام ، ملائمة الظروف المناخية لزراعتها في مصر سواء كان ذلك صيفا أو شتاء ، على الرغم من انخفاض انتاجية الفدان خلال العروتيه الشتويه والصيفيه المتأخره (١) نتيجة

(١) وصل متوسط انتاجية الفدان من الطماطم الصيفي في محافظة القليوبية الي ٢٠٧٩ طنا للفدان، بينما لم يزد هذا المتوسط عن ١٠٩١، ١٠٩٢ في العروتين الشتوية والنيلية علي التوالي (وزارة الزراعة ، مرجع سابق) .

بعض الظروف الجوية غير المناسبة، وأنخفاض درجة الحرارة نسبياً .
هذا، وقد نتج عن زراعة الطماطم على مدار العام، انخفاض الحافز
على زراعتها داخل الموبه فلا يوجد موسم من مواسم السنة تخلو
فيه الأسواق من طماطم الزراعة المكشوفة، اللهم الا بعض فترات ما بين
العروات، أو بعض فترات التقلبات الجوية التي تؤثر على الانتاجيه
وبالتالى يقل المعروض فى الأسواق، مما يساعد على ارتفاع أسعار
الطماطم بصورة واضحة .

وتعتبر فترات ما بين العروات هي أفضل الفترات على مدار السنة
ل طرح إنتاج الموب من الطماطم لسد العجز والاستفادة من ارتفاع
الاسعار النسبى لى هذه الفترات . هذا بالإضافة الى فترات التقلبات
الجويه ان وجدت .

ح - تعد الطماطم من الخضروات سهلة الحفظ والتخزين (عجائن و
عصائر) ولذلك يتم تصنيعها خلال فترات الذروه لى الانتـــاج ،
ثم يطرح المنتج للبيع فى فترات انخفاض المعروض من الطماطم
الطارجه . بينما يفضل استخدام معظم الخضروات الاخرى، وأهمها
الخيار فى صورتها الطارجه .

أما الفلفل، فيزرع فى ١١٧ موبه تمثل نحو ٢٥٩٪ من موب الخضروات
بمحافظة القليوبيه . وتتشابه ظروف إنتاج الفلفل داخل وخارج
الموب مع ظروف إنتاج الطماطم . ومن أهم الظروف ما يلى :

أ - يزرع الفلفل لى المزارع المكشوفه فى العروات الثلاثه ، أى
على مدار العام مثل الطماطم . ولذلك فإنتاج العزارع المكشوفه
من الفلفل متوافر فى الأسواق فى معظم شهور السنه . ولا يقل الا لى
فترات ما بين العروات ، خاصة وأن الفلفل من الخضروات التي تتحمل

نسيا ظروف الجو المتقلبه بالمقارنه بكل من الطماطم والخيار .
 ب - لايحقق الفلفل انتاجيه مرتفعه داخل الموب بالمقارنه بما
 يحققه الخيار . فيمل متوسط انتاجية الغدان في المزارع المكشوفه
 بمحافظه القليوبيه الى ٨٥٨ طنا . بينما لايزيد المتوسط ذاته
 داخل الموب عن ٢٣١ طنا للغدان ، بنسبه زياده تصل الى ١٦٢ ٪

جدول رقم (٩)

" متوسط انتاجية الغدان المزروع بالفلفل في المزارع المكشوفه
 والمحمية في العروة الواحده بمحافظه القليوبيه لعام ٩٠/٨٩

م	المركز	متوسط انتاجية الغدان بالطن	
		في المزارع المكشوفه	المحميه
١	بنها	١٠٧٧	٢٤٥١
٢	طوخ	٨٥٤	١٨٥٣
٣	قليوب	—	—
٤	القناطر الخيره	٨٥	٣٠٥
٥	الخانكه	٧٥٩	٢٠٥
٦	شبين القناطر	—	—
٧	كلر شمس	—	—
المحافظه		٨٥٨	٢٣١

ج - تحفظ بعض أنواع الفلفل - وخامة الحريفه منها - على شكل
 عجائن تستخدم على مدار العام .

أما الكنتالوب ، فيزرع في عرصوب فقط بمحافظة القليوبية
ولا يرجع انخفاض عدد صوب الكنتالوب بالمحافظة الي اسباب تتعلق
بظروف إنتاجيته . ولكن تجود زراعة الكنتالوب في الترسبات
الرملية ، ولذلك لا يلحق نجاحا في تربه محافظة القليوبية
الطينية الثقيلة . ويدل علي ذلك ان جميع صوب الكنتالوب
بالمحافظة توجد في مركز الخانكة ، وهو مركز هامشي ، تصود
القمم الشرقي منه التربة الرملية .

ولا تختلف إنتاجيه الفدان داخل الموب كثيرا عن خارجها ، فيبلغ
متوسط إنتاجيه فدان الكنتالوب الموب ٢١ طنا ، بينما يقترب
المتوسط نفسه في الزراعة المكشوفة من ١٥ طنا للفدان .

(٤٠)

٣- اقتصاديات الزراعة المحمية

تتضاعف انتاجيه وحدة المساحة من معظم محاصيل الخضروات عدة مرات في المزارع المحمية بالمقارنة بالانتاجيه في المزارع المكشوفة . الا أن هذه الزيادة في الانتاجيه تتوقف علي عدة عوامل ، أهمها نوع المحصول وعدد مرات زراعته سواء في المزارع المكشوفة او المحمية . فلقد أكدت الدراسة تضاعف انتاجيه محاصيل الخضر داخل الموب بمحافظة القليوبية ، بالمقارنة بالمحاصيل ذاتها في المزارع المكشوفة . فارتفعت انتاجيه فدان الخيار داخل الموب بنسبة ٢٣٦٪ عن مثيلتها في الحقول المكشوفة . أما الطماطم ، فقد بلغت نسبة الزيادة في انتاجيتها داخل الموب نحو ١١٨٪ بالمقارنة بطماطم الحقول المكشوفة .

وأخيرا ، فقد وصلت نسبة الزيادة في انتاجيه فدان الفلفل داخل الموب الي ١٦٢٪ بالمقارنة بفلفل المزارع المكشوفة . ولكن ، علي الرغم من هذه الزيادة الواضحة ، والملموسة في انتاجيه خضروات الموب ، تثار مجموعة من التساؤلات التي تحتاج الي كثير من الايضاح والتفسير . فعلي سبيل المثال فمن أهم هذه التساؤلات ما يدور حول مدى امكانيه تعويض الانتاجية المرتفعة داخل الموب لتكاليف الانتاج الباهظة . كذلك الي حد يمكن الاستفادة ببعض ظروف البيئه المصريه غير العلائمة او المناسبه كمناطق انتاج زراعي داخل الموب . ومن ثم هل يجب اعاده توزيع الموب الانتاجيه علي خريطة مصر الزراعية ؟ .

وسوف يحاول الباحث في هذا الجزء أن يستعرض أهم التقسيمات التي قد تجيب علي بعض هذه التساؤلات أو غيرها . والجدول التالي رقم (١٠) قد يساعد في الاجابة علي التساؤل الأول والخاص بمدى امكانية تعويض تكاليف الانتاج الباهظة داخل الموب الزراعة .

جدول رقم (١٠)

متوسط أسعار الجملة لبعض اصناف الخضروات في شهور السنة المختلفة في مصر (الفترة من ٨٩/٨٩) جنيها للطن (٢)

م	المحصول	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط
١	الطماطم	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠	٤٤٠	٢٢٠	٣٤٠	٣٩٧	٣٩٠	٤٩٥	٥٠٠	٣٠٠	٢٨٠	٣٥٥
٢	الخيار	-	-	-	-	-	-	٤٥٠	٥٠٠	٧٧٥	٧٠٠	-	-	٦٠٦
٣	الغلفل	٦٠٠	٥٥٠	٧٥٠	٩٨٠	٩٠٠	٤٥٥	٣٨٠	٣٨٠	٤٦٠	٤٠٠	٤٢٠	٤٠٠	٥٥٦

يوضح الجدول السابق متوسط سعر الجملة لبعض اصناف الخضف المزروعة في مصر .

وقد اختلفت هذه الاصناف بالذات لانها اكثر انواع الخضف انتشارا داخل الحوب .

ولذلك فإن دراسة أسعارها قد تفيد كثيرا في التعرف علي الجدوى الاقتصادية للزراعة المحمية .

- (١) تم تجميع بيانات الجدول وحساب المتوسط من اعداد متتالية من النشرة الربع سنوية لاسعار المواد الغذائية التي يصدورها الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء .
- (٢) الاسعار الواردة في الجدول ليست اسعار المزروعة ، وانما هي أسعار تجارة الجملة . وهي عبارة عن سعر المزروعة مضافا اليه تكاليف النقل وهامش ربح مناسب بالإضافة الي الضرائب .

١ - الطماطم

تعد الطماطم أحد أصناف الخضروات حفا في مصر من حيث المساحة المزروعة خلال العروات الثلاثة فتصل نسبة المساحة المزروعة طماطم الي جملة المساحة المحصولية للخضروات في مصر الي ٤٠٪ .
ولذلك ليس من المتغرب - بل من الطبيعي - أن تنتشر الطماطم وبأسعار مناسبة طوال العام . وما يحدث من تقلبات في أسعار الطماطم يرجع أساسا الي عدة عوامل منها :

١ - انخفاض كميات الطماطم المطروحة في الاسواق خلال فترات ما بين العروات . وبالتالي ارتفاع الأسعار بصورة واضحة .

ب - اختلاف انتاجية الغدان من عروة لاخرى . ففي محافظة القليوبية علي سبيل المثال تصل انتاجية الغدان من الطماطم الصيفي الي ٢٠٨ طنا . بينما لا تزيد عن ١٠٧ ، ١٠٩ طنا في العروتين الشتوية والصيفية المتأخرة (النيلية) علي التوالي .

ج - حدوث بعض التقلبات المناخية التي تؤثر علي المحصول . فالمقبع في بعض الليالي الباردة ، او الحرارة المرتفعة في بعض أيام الصيف يعدان من أخطر المشكلات المناخية التي قد تتعرض لها الطماطم ، مما يؤثر بالسلب علي الانتاجية ، وبالتالي علي الأسعار . ولذلك تميزت الطماطم - دون غيرها من الخضروات - بتذبذب أسعارها من شهر الي آخر . فعلي سبيل المثال وصل سعر التجزئة لكيلو الطماطم في أغسطس ١٩٨٧م الي حوالي ٢٥ قرشا، وفي

الشهر نفسه من عام ١٩٨٨م ارتفع سعر الكيلو الي حوالي ٨٠ قرشا ،
بينما لم يزد سعر الكيلو في أغسطس ١٩٨٩ عن ٢٨ قرشا (١)

وعلي اعتبار أن متوسط انتاجه فدان الطماطم في العروة
الواحدة في الزراعة المكثولة يبلغ نحو ١١٣ طنا (يرتفع المتوسط
ذاته في محافظة القليوبية الي ١٣٨ طنا للفدان) . وعلي اساس
أن متوسط سعر الجملة لطن الطماطم قد وصل خلال الفترة من ٨٦ الي
١٩٨٩ الي ٣٥٥ جنيها . فان جملة ما يدره فدان الطماطم في العروة
الواحدة يبلغ نحو ٤٠١١ جنيها . وبعد ختم تكاليف الانتاج التي
تبلغ نحو ٩٧١ ، يصبح صافي ايراد فدان الطماطم في العروة
الواحدة نحو ٣٠٣٩ جنيها . هي حصيلة بيع المحمول من المزرعة
مغالبا اليها تكاليف النقل وارباح تاجر الجملة . وهذا يعني ان
حصيلة العروات الثلاثة من الطماطم تبلغ حوالي ٩١١٨ جنيها
(سعر السوق) .

أما في الزراعة المحمية ، فان متوسط انتاجه الفدان في
العروة الواحدة قد بلغ علي مستوى الجمهورية نحو ٣١٧ طنا (٢) في
القليوبية ٣٠١ طنا للفدان) . وتبلغ تكاليف الانتاج في العروة
الواحدة داخل الموب نحو ٢٢٠٤ جنيها للفدان العزروع طماطم .
وبعد ختم تكاليف الانتاج يصبح صافي الايراد (سعر السوق) نحو
٥٤٩٨ جنيها في العروة الواحدة . أي نحو ١٦٤٩٦ جنيها في
العروات الثلاث .

-
- (١) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، النشرة الشهرية
لاسعار المواد الغذائية (اسعار البيع للمستهلك - تجزئه -) .
اعداد مختلفة .
(٢) وزارة الزراعة ، الادارة العامة للشقافة الزراعية ، المحيفة
الزراعية ، العدد ٨ ، أغسطس ١٩٨٥ ، ص ٨ .

وبذلك تبلغ نسبة الزيادة في ايراد الطماطم داخل الموب عن مشيلتها في الزراعة المكثوفة نحو ٨١ ٪ .

٢ - الخيار

يختلف انتاج الخيار في الزراعة المكثوفة عن الطماطم في عدة اوجه اهمها :

أ - الخيار محصول صيفي ، يلزمه جو دافئ لانبات البذور، ونمو النباتات .

ولذلك تصل نسبة المساحة المزروعة بالخيار الصيفي الى نحو ٧٣٧٪ من جملة مساحة الخيار في مصر . أما باقي النسبة ، وهي ٢٦٣٪ فتعثل الخيار الذي يزرع في العروة الميفية المتأخرة (النيلية) . أما العروة الشتوية فلا تناسب زراعة الخيار لحساسيته الشديدة ضد البرودة .

ب - يستخدم الخيار طازجا . بينما تتعدد أوجه استخدام الطماطم وتتعدد طرق حفظها . ولذلك تتميز فترة تواجد الخيار في الاسواق بقمرها الواضح ، نتيجة لاستخدامة المباشر من ناحية ، وقصر انتاجه علي فصل الصيف فقط .

ج - لا تزيد نسبة المساحة المحمولىة للخيار في مصر عن ٧٤٪ ، اي نحو عشر مساحة البطماطم .

لهذه الاسباب مجتمعة . استطاعت زراعة الخيار داخل الموب أن تجد مكانة مرموقة لها بين باقي الخضروات ، ولذلك ليس من

المستغرب أن تبلغ نسبة مساحة الخيار داخل الموب في محافظة القليوبية نحو ٧٤٣٦ . بينما لا تزيد نسبة مساحة الطماطم عن ٢٦٦٣ .

ويبلغ متوسط انتاجية الفدان من الخيار بالمزارع المكشوفة علي مستوى الجمهورية نحو ٧٦ طنا (في القليوبية مرطنا للفدان) هذا ، ويصل سعر الجملة للطن (متوسط الفترة من ٨٦ الي ١٩٨٩) الي ٦٠٦ جنيها . ولذلك يدر الفدان عائدا يقدر بنحو ٤٠٣١ جنيها هي سعر بيع انتاج الفدان (سعر السوق) بعد خصم تكاليف الانتاج التي تبلغ نحو ٥٧٤ جنيها . (يصل العائد في محافظة القليوبية الي ٥١٨٣ جنيها للفدان) .

أما في المزارع المحمية ، فقد أكدت الدراسة الميدانية ارتفاع انتاجية الفدان من الخيار لتصل الي نحو ٤١ مرطنا . يبلغ سعرها نحو ٢٥١٤٩ جنيها . وبعد خصم تكاليف الانتاج التي تقدر بنحو ٢٨٠٧ جنيها للفدان . يصبح صافي الايراد - شاملا تكاليف النقل وارباح تاجر الجملة - نحو ٢٢٣٤١٨ جنيها . وهذا يعني ارتفاع حصيله فدان الخيار داخل الموب بالمقارنة بخيار المزارع المكشوفة بنسبة تصل الي ٤٥٤٢٢ . ويفسر ذلك الاقبال الشديد علي زراعة الخيار داخل الموب .

٣ - الفلفل

تشابه ظروف انتاج الفلفل مع الطماطم ، في كونه يزرع في مصر

علي مدار السنة في الزراعة المكثوفة . كذلك يمكن تخزينه وحفظه في صور مختلفة . ولذلك يقل اقبال أصحاب المزارع المحمية على زراعته . هذا ، وقد بلغت نسبة المساحة المزروعة بالفلفل داخل المزارع المحمية في محافظة القليوبية عام ١٩٨٩/١٩٩٠ نحو ٢٥٨٩ من جملة مساحة الخضروات المعمية بالمحافظة . ويؤكد ذلك انخفاض الاقبال علي زراعة الفلفل داخل الصوب بالمقارنة بالخيار .

ويبلغ متوسط انتاجيه الفدان المكثوف من الفلفل نحو ٢٢ طناً (القليوبية ٨٨) . كما يصل متوسط سعر الجملة للطن الي نحو ٥٥٦ جنيهها . ولذلك يدر الفدان في العروة الواحدة نحو ٨ ٢١٠٢ جنيهها بعد خصم تكاليف الانتاج التي تبلغ نحو ٩٠٠ جنيهها للفدان (القليوبية ٢٩٩٢ جنيهها للفدان) .

أما في المزارع المحمية ، فيفل فدان الفلفل نحو ٢٣ طناً ، يصل سعرها - بعد خصم تكاليف الانتاج البالغة ٢٢٠١٨ جنيهها - للفدان - الي نحو ١٠٦٤١٨ جنيهها . ولذلك فان ارباح الفدان المزروع بالفلفل داخل الصوب تزيد عن فلفل المزارع المكثوفة بنحو ٢٤٣ . وينوه الباحث الي نقطة هامة ، وهي أن أسعار الخضروات داخل الصوب قد تم حسابها علي اساس سعر خضروات المزارع المكثوفة . بينما يستفيد المنتجون بطرح انتاجهم من خضروات الصوب في غير مواسمها ، او حينما يقل المعروض من المزارع المكثوفة نتيجة للظروف المناخية غير المناسبة ، وخاصة الطماطم . ولذلك ترتفع الاسعار ، بل وتتضاعف في بعض الاحيان . فعلي سبيل المثال بينما يتراوح متوسط

سعر كيلو الخيار من المزارع المكشوفة للمستهلك فيما بين ٦٢ - ٩٠ قرشا (متوسط الفترة ٨٦ - ١٩٨٩) نجد أن متوسط سعر كيلو خيار الصوب للمستهلك يتراوح فيما بين ٨٠ - ٢٥٠ قرشا (١) . وعلي هذا الأساس فإن الأرباح المذكورة سابقا للإنتاج داخل الصوب تمثل الحد الأدنى للربح .

.....

يتضح مما سبق أنه من الممكن أن يكون للزراعة المحمية دور كبير في التنمية الزراعية المصرية . وأن تكون عنصرا هاما من عناصر التكثيف الزراعي في مصر ، أو ما يعرف بالتنوع الرأس عن طريق زيادة الإنتاج . ولن يكون للزراعة المحمية هذا الدور الهام إلا إذا أحسن استغلالها باعتبارها نظاما متميزا من أنماط التنمية الزراعية .

ونظرا لأهمية الزراعة المحمية فقد اهتمت الدولة من خلال أجهزتها المختصة بدراسة الجدوى الاقتصادية ، والامول العلمية ، والأشياء المترتبة على تعميم الصوب الانتاجية في الأراضي المصرية . ولذلك فقد قامت وزارة الزراعة منذ عام ١٩٨٤ بإنشاء بعض مراكز الزراعة المحمية الإرشادية . كما أنشئ مركز أبحاث وتدريب الزراعات المحمية ، التابع لوزارة الزراعة ، لتدريب المهتمين

(١) يرجع هذا التناقض في سعر خيار الصوب إلى اختلاف مواسم عرضه في الأسواق . ولذلك يقل السعر ليصل إلى أدنى معدلاته (٨٠ قرشا) حينما يلتزم عرضه بخيار المزارع المكشوفة . ويصل السعر إلى أعلى معدلاته كلما بدأ خيار المزارع المكشوف في الاختفاء من الأسواق ، أي في نهاية موسمه .

بالزراعة المحمية ، ولإعطاء الخبرة والمشورة ، بل والمساعدة في

تنفيذ بعض المشروعات لمن يرغب من الأفراد .

كذلك نوقش موضوع الدراسة المحمية مناقشة مستفيضة في جلسات

مجلس الشعب في عام ١٩٨٧ . بعد أن بدأت أعداد الموب الانتاجية

تزداد يوما بعد يوم بعد أن أصبحت الموب المتهمه الاولى من ارتفاع

أسعار بعض الخضروات في مصر علي مدار العام .

الخاتمة

=====

تعددت الأفكار والآراء حول الزراعة المحمية ، ومدى جدواها الاقتصادية في دولة مثل مصر . وقد تراوحت المواقف المختلفة تجاه هذا النمط الجديد من أنماط الزراعة فيما بين الاستفسار والامتنكار . فهناك من يرى أنه يجب التآني قبل تعميم الزراعة المحمية في مصر ، بل يجب قبل ذلك دراسة جميع عناصرها جيداً ، كالجوى الاقتصادية ، والآثار المترتبة علي تعميمها سواء كانت سلبية او ايجابية . كما أنه هناك من يرى أن وجود الزراعة المحمية يؤثر بالسلب علي الانتاج الزراعي وأسعار المنتجات الزراعية ، اما عن طريق انتشار آفات وأمراض جديدة لم يكن للارض الزراعيه المصريه عهد بها من قبل ، أو عن طريق رفع اسعار منتجات الزراعة التقليدية لتساير اسعار منتجات المزارع المحمية مرتفعه الاسعار املا .

هذا ، وقد استعرض الباحث جميع الآراء والأفكار ، بالإضافة الي قيامه بدراسة ميدانية مكثفة لأحدى المحافظات المصرية للخروج برأى علمي واضح في هذا المجال . ولذلك يرى الباحث ضرورة طرح مجموعة من الآراء والمقترحات يوجزها فيما يلي :-

١ - ان تعميم زراعة معظم الخضروات - ان لم يكن كلها - في مزارع محمية تجريبية لأكثر من موسم زراعي ، تفيد في التعرف

علي متوسط انتاجيه كل نوع من أنواع الخضروات علي حده ، ومن ثم يمكن ترتيب محاصيل الخضروات فيحصر حسب جدواها الاقتصادية . فقد وضح من الدراسة أن محصول كالأخيار يعد من أعلي خضروات المصوب انتاجيه ، ولذلك يقبل علي استزراع الكثير من المستثمرين . اما الطماطم واللفل فيقل الاقبال عليهما للزراعة داخل المصوب لانخفاض العائد منها نسبيا . كذلك يوجد من انواع الخضروات ما لا يصلح للزراعة داخل المصوب ، ليس لاسباب فنيه تتعلق بأطسوب الزراعة ، وانما لأسباب اقتصادية مرفقة . فعلي سبيل المثال تعد زراعة الخس في المصوب الانتاجية القياسية مكلفة للغاية . أما زراعته داخل الانفاق البلاستيكية الصغيرة فتعد من افضل وسائل الحماية لهذا النوع من انواع الخضروات (القميرة الطول) واقلها تكلفة .

٢ - يجب ان يوقف زحف المصوب الانتاجية علي الاراضي القديمة بالوادي والدلتا . فتتعزيز هذه الاراضي أصلا بالانتاجيه المرتفعة . وان كانت تقل عن الانتاجية داخل المصوب - ولذلك يجب نشر وتعميم المصوب في الاراضي غير المنتجة القريبة من اواق الاستهلاك . اما لخفي تكاليف الانتاج نظرا لخص اعار هذه الاراضي ، او للاستفادة بالاراضي القديمة في زراعة محاصيل اخرى . كذلك يمكن القيام بحصر جميع الاراضي البور غير القابلة للزراعة داخل الوادي والدلتا . لتحول الي مزارع محمية . وتتميز هذه الاراضي - بقربها الشديد من مناطق الاستهلاك بالاضافة الي رخص اعارها .

٣ - يمكن الاستفادة بنوع آخر من انواع الحماية في الاراضي القديمة ، وهو الانطاق البلاستيكية ، او حتي رقائق البلاستيك العادية التي تغطي بها النباتات في ليالي الشتاء الباردة تخوفا من حدوث المقيع . وهذا النوع من الحماية ارخص كثيرا من الصوب الانتاجية ، ولا يحتاج الي استثمارات ضخمة ، او عمالة متخصصة ، فمزال الفلاح المصري يقوم بحماية نباتاته في الزراعة التقليدية بأنواع مختلفة من القش في ايام البرد الشديد . ولذلك فالامر ليس بغريب عليه .

٤ - انتاج محاصيل داخل الصوب - للتصدير فقط ، لتدر عائدا اقتصاديا مجزيا .

٥ - تعميم الصوب الانتاجية في المحافظات النائية ذات الظروف البيئية التي لا تشجع علي انتشار الزراعة التقليدية . ومن هذه المحافظات البحر الاحمر ، ومرسي مطروح .

٦ - انشاء مزارع محمية جماعية لشباب الخريجين باختلاف تخصصاتهم . والهدف من التجميع هنا هو خفض تكاليف الانتاج ، فقد لاحظنا انخفاض سعر تكلفة تشييل المتر المربع داخل الصوب بزيادة عددها .

٧ - انشاء مراكز تدريب لشباب الخريجين الراغبين للعمل في هذا المجال ، علي الا يقتصر ذلك التدريب علي شباب الزراعيين فقط ،

وانما يمكن استقطاب جميع التخصصات . وخاصة التي تتميز بوجود
بطاله واضحة . كذلك يجب أن تكون مراكز التدريب ملحقه بمزارع
انتاجية .

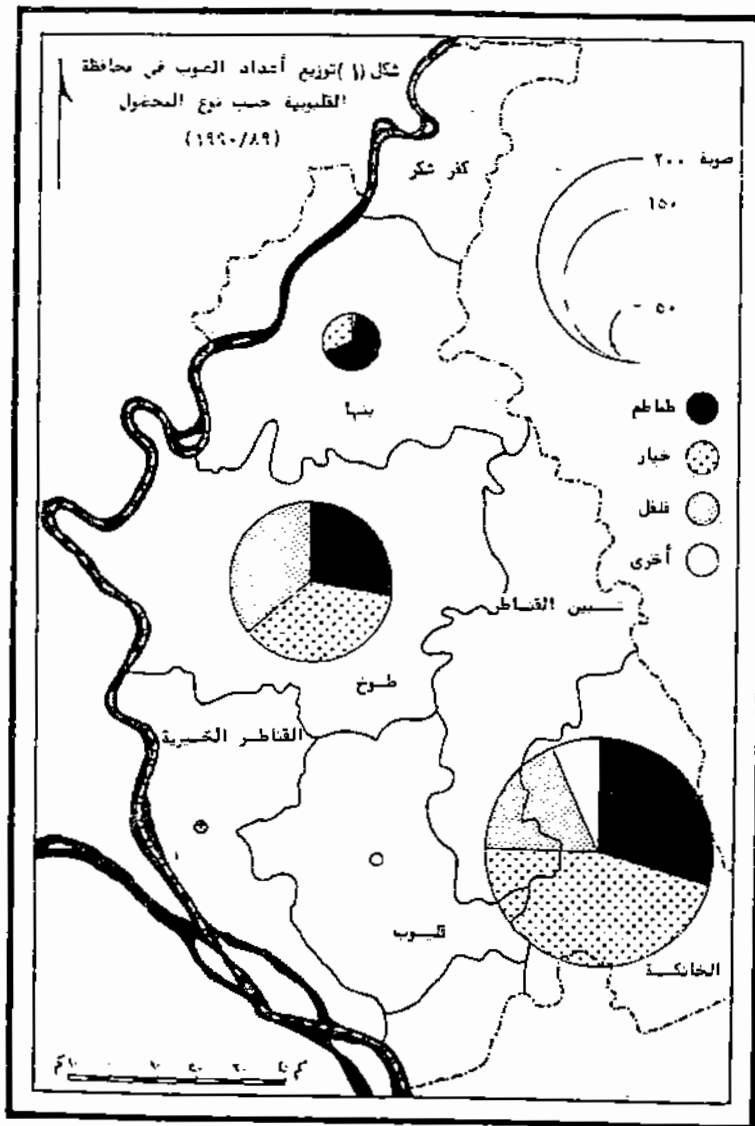
٨ - توفير القروض وشروط ميسرة لمن يرغب في انشاء مزرعة
محمية .

٩ - انشاء مزارع محمية تجريبية بقرض انتاج التقاوى المحلية
لطرفها في الاسواق بأسعار مناسبة لخفض تكاليف الانتاج بوقف
استيراد البذور من الخارج .

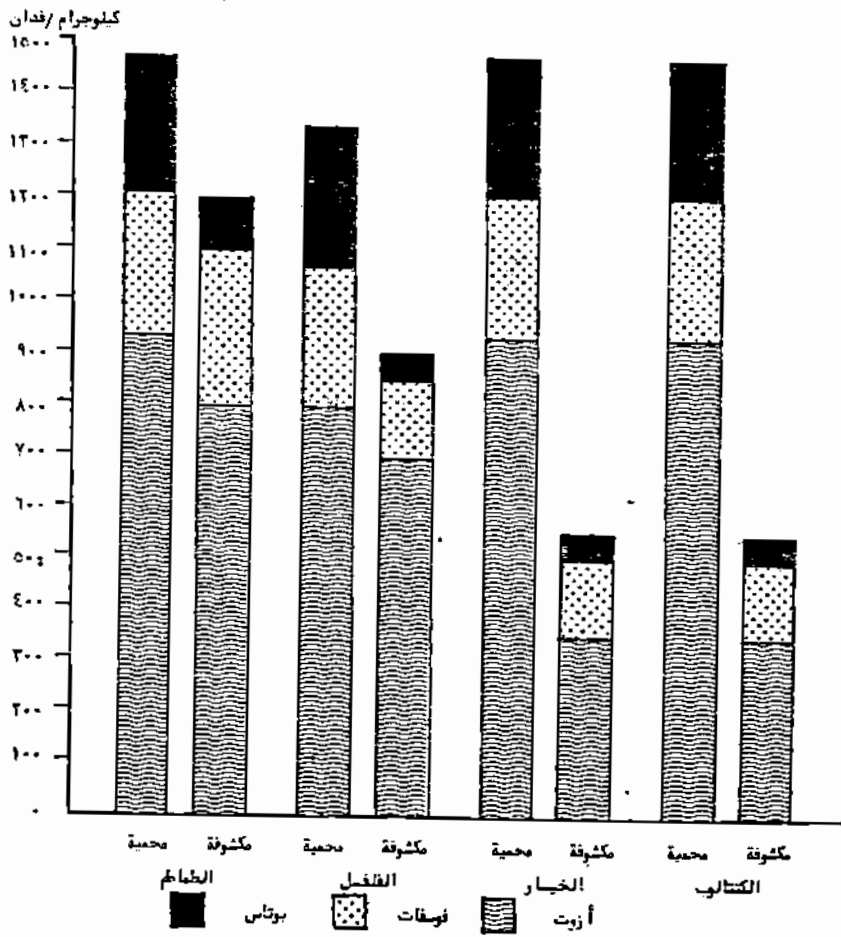
قائمة المصادر والمراجع

- ١ - أحمد عبدالمنعم حسن ، أساسيات انتاج الخضر وتكنولوجيا
الزراعات المكشوفة والمحمية (الموبات) . الدار العربية
للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨ .
- ٢ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، النشرة الشهرية
لأسعار المواد الغذائية (أسعار البيع للمستهلك - تجزئة)
أعداد مختلفة .
- ٣ - _____ ، النشرة ربع السنوية لأسعار المواد
الغذائية (أسعار الجملة) ، أعداد مختلفة .
- ٤ - _____ ، نشرة الري والموارد المائية ، ١٩٨٠ ، مايو
١٩٨٢ م .
- ٥ - جورج باسيلي ، اقتصاديات الزراعة في البيوت المحمية ،
بحث مقدم لندوة الزراعة المحمية ، الجمعية المصرية
للهندسة الزراعية ، كلية الزراعة ، جامعة القاهرة .
- ٦ - زين الدين عبدالمعمود ، المناطق الجافة ، دراسة في تطوير
الارتفاع الريفي بالأرض ، المجلة الجغرافية المصرية ، العدد
الثامن ، ١٩٧٥ .
- ٧ - سعيد أحمد عبده ، انتاج واستهلاك الأسمدة الكيماوية في مصر ،
دراسة جغرافية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، سلسلة
الدراسات الخاصة ، رقم ٥٢ ، لسنة ١٩٩٠ م .

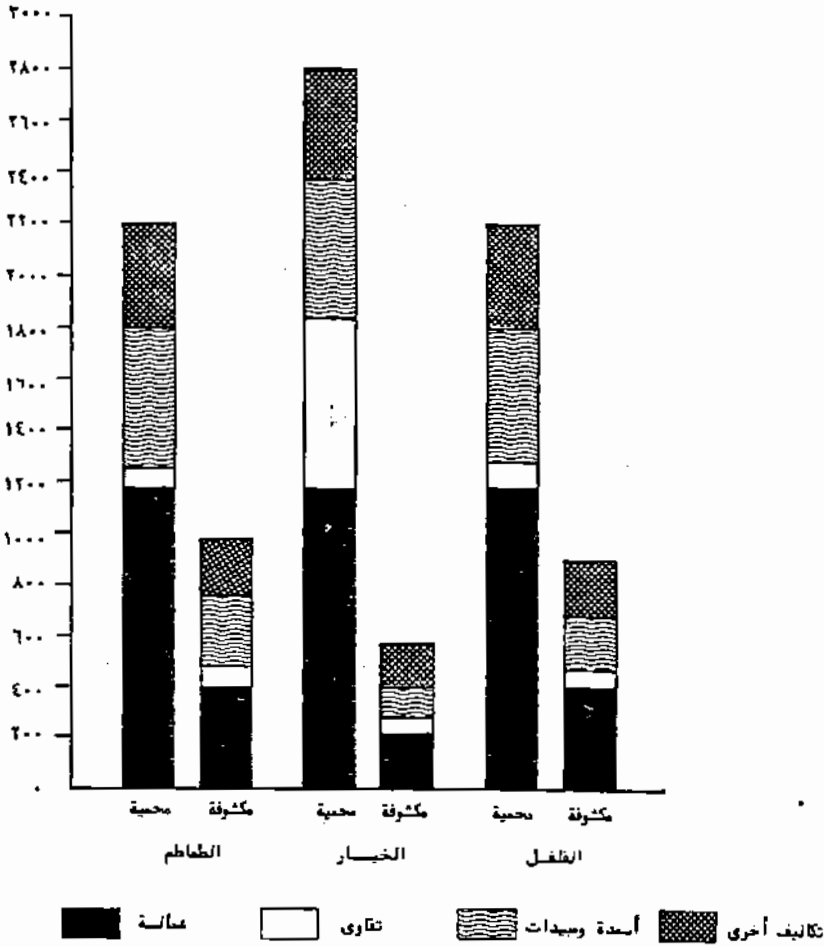
- ٨ - عيون عبدالقادر مطاوع ، سياحة الزراعة المحمية ، وجداولها الاقتصادية من خلال مناقشات ممثلي الامة في مجلس الشعب ، معهد التخطيط القومي ، سبتمبر ١٩٨٧ م .
- ٩ - فؤاد محمد المقار (ترجمة) الزراعة في دولة الامارات العربية المتحدة ، المجلة الجغرافية الكويتية ، قسم الجغرافيا ، جامعة الكويت ، العدد ٥٢ ، لسنة ١٩٨٣ .
- ١٠ - مجدى عبدالحميد محمد ، الزراعة المحمية في المملكة العربية السعودية ، مقال منشور في نشرة الجغرافيا - قسم الجغرافيا ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ، العدد الثالث ، ابريل ١٩٨٣ .
- ١١ - محمد محمود ابراهيم الديب ، الجغرافيا الاقتصادية (جغرافية الزراعة) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- ١٢ - محمد علوى عبدالمنعم ، انتاج الخضر تحت الموب والانفاق البلاستيكية ، دار المطبوعات الجديدة ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .
- ١٣ - مديرية الزراعة بمحافظة القليوبية (بنها) قسم الاحصاء بيانات غير منشورة .
- ١٤ - منظمة الاغذية والزراعة ، مجلة الزراعة والتنمية (سيريز) ، السنة ١٧ ، العدد الثالث ، مايو ويونيه ١٩٨٤ .
- ١٥ - وزارة الزراعة ، الادارة العامة للثقافة الزراعية المحيطة الزراعية ، العدد ٨٨ ، أغسطس ١٩٨٥ .
- ١٦ - _____ ، قسم الدراسات والبحوث الاحصائية ، تقارير غير منشورة ، ١٩٩٠ .



شكل (٣) مقررات بعض الخضروات من الأسمدة في المزارع المحمية والمكشوفة



شكل (٢١) متوسط تكاليف انتاج القدان لبعض الخضروات في المزارع المكشوفة ولحمية بالجنينة





شكل (٤) ثمار الطماطم المزروعة داخل إحدى الصوب - لاحظ كثافة الإنتاج



UNIVERSITY COLLEGE FOR GIRLS
ANNUAL REVIEW

AIN SHAMS UNIVERSITY

ARTS SECTION
VOLUME : 15

1990

PERSONAL REACTIONS TO THE PROJECTS OF LEAR AND STARK
AS EXPRESSED IN DISCOURSE

By

Nadia M. Khorshed
Assistant Professor, Women's College,
Ain Shams University

Introduction

Social acceptability seems to be based on specific conditions which prevail in all societies. The actual requirements vary according to culture and situation. Many of the socially prominent figures attempt to follow the conventions which guide the individuals' behaviour. A project, set for the benefit of the whole group, requires a considerable amount of social participation. The persons constructing vital enterprises, expect appropriate behaviours at various circumstances to reinforce what they choose to carry out for the whole group. Individuals vary in their reactions to useful projects.

There is a universal trust in the essentially constant nature of the majority of the people in all societies. In All The King's Men by Warren and Lear by Bond, Stark and Lear deliberately want to be benevolent to their people and the future generations. States of hostility developed in both situations.

The comparative study of both texts aims at describing the features illustrating similar incidents. The validity of reform motivations are compared. The sincerity of the designers must be accompanied with realistic views of life so that projects acquire

manageable dimensions. Collective social activities should be based on sound decisions so that they can evade disappointing situations. Offensive behaviour has occasional clarification in social encounters. The precise roles chosen by Stark and Lear in serving their societies are compared to the unexpected effects from the unwilling beneficiary societies.

The opening situations in both texts are expressed by conversations which proceed on the basic concept that the actual words and utterances, the speakers use, create the whole fictional world. Discourse conveys the causes and characteristics of the presented incidents. Grice (1975) and Leech (1983) confirm the need for an adequate quantity of information that should be given. The conversation should furnish enough truthful knowledge to communicate the exact setting for the introduction of activities. The textual structure provides information that enables the readers to follow the characters without obscurity. Edmonson (1981), Levinson (1983) and Coulthard and Montgomery (1981) discuss the basic components of discourse and how the participants establish the necessary conditions for the positive accomplishment of communicative speech such as giving new information, stating clear ideas and using a scheme for understanding the performance of each other.

In each situation the readers expect specific kind of details to gain information which is adequate for the scenery and expectations. The initial scheme in Lear is the introduction of the mythical concept of the situation surrounding the building of a wall around the city. The main information about Lear is clearly accessible to the readers. This is supplemented with further knowledge that is given about his daughters. The builders are in unbearable conditions. Most of the information that is given to the readers denote that the situation is not of normal living. The impression is that of disorder and miserable public conditions. The text visualisation details portray people who are deprived of basic normal conditions which are essential for all positive accomplishments. Their city is to become safe by the performance of building the wall around it to keep the enemies out of it.

The introductory situation in All The Kings' Men implies disorder in the speech of the person who insisted on mentioning the name of Stark on the occasion of opening the Memoriam. The speakers describe successive details of events that happened in the past. The semantic denotation of the conversation is that there are information items which must be accessible to the general public. The readers of the text are invited to pay close attention to this knowledge about the context, as it states a

dispute between the first two speakers:

Man. (Rising in audience.) Say it! Can't you even say his name? Damn it -- it was Willie Stark!

p.7

The man's attitude to the specific aspect of mentioning the name conveys a personal meaning which requires observation of the intense feelings of dissatisfaction. The context denotes the introduction of a great public service of free medical treatment to all the persons in the vicinity without any sort of discrimination. All society members are expected to benefit from the hospital's usage of the latest technology. Very efficient personnel and staff are to work at the memoriam. The initial situation gives this specific information about the range of activities offered to society. But at the same time the conversation implies that the participants share background knowledge containing a form of dispute. The situation is further extended to reveal the man's intention of making his information quite explicit to the whole group. He expresses his feelings about the whole situation and his temper conveys a public disapproval which is based on previous knowledge. The listeners completely disregard shared information during this specific occasion. The reader is placed in a difficult situation as he tries to find the reasons for the clear dispute. Obscurity is caused by the deficiency in previous information which is basic

to the understanding of the conversational units. However, the issues of the dispute cause the continual revelation of past events and background information. The discourse is carefully organised to reflect the personal characteristics of all those involved. The implied common knowledge of the situation is based on the general behaviour of specific persons in the group which exhibit typified complexities.

The linguistic behaviour of the man causes confusion in the group who are gathered for the opening of the Memoriam. The Senator tries to preserve order by providing information about the kind of service to be offered by the project that was designed by the late Willie Stark. The existence of inaccessible information behind this great project is experienced. The speakers exploit this situation where the listeners are eager to get access of unknown information and proceed to describe past social events. The discourse implies the fact that there is a basic disagreement among the speakers in relation to the past knowledge that they claim to share. The activities of Willie are described by those who were involved in his election campaigns. Their references to persons and events are carefully constructed to describe only what they believe is necessary to characterise his unique life.

Part I

The analysis of discourse is based on the fact that speech situations are mainly activities of interchanging reactions. Each conversation has a form of expressive units and coherence of its own. Emotional reactions in the contexts are motivated by authentic causes, as the participants attempt to affect each other. The reader of Lear must quickly start to understand the mythical symbols in the text so that he can form judgments about the persons in the speech situations. This is essential at the initial scene so that his tentative inferences concerning the future behaviour of each character can be reliable. The linguistic structure of discourse portrays the features of the speakers' characters. How does every speaker deal with the situations in the logical framework of the whole context denotes his personal characteristics. The reader is made to see Lear in relation to his particular circumstances. The building of the wall is causing a lot of death and misery to the constructing persons while Lear is exaggerating his oppressive measures in his desperate endeavours to build and carry out his project.

Lear. Show me this body.
 Blow on the head.
 Foreman. Axe.
 Lear. What?
 Foreman. An axe, Sir. Fell on him.
 Lear. It's a flogging crime to delay work.(To WARRINGTON.)
 You must deal with this fever. They treat their men
 like cattle. When they finish work they must be kept
 in dry huts. All these huts are wet. You waste men.
 Councillor(making a note). I'll appoint a hut inspector.
 Lear. They dug the wall up again last night.
 Officer. Local farmers.We can't catch them,they scuttle
 back home so fast.
 Lear. Use spring traps.(To FOREMAN.)Who dropped the axe?
 Warrington(To FOREMAN).Be quick!
 Lear. Court martial him.Fetch a firing squad.A drumhead
 trial for sabotage.

pp.2-3

Lear demonstrates a number of personal characteristics that the reader can perceive in his way of dealing with the working group. To make the behaviour of Lear predictable,the context contains various instances of his life which are related to immediate personal circumstances. Lear displays his personal judgment of others,which is premature in nature,and therefore has the quality of being full of errors. His concepts are self-confirming and he fails to see the danger expressed by his daughters when they disagree with his orders.

Lear moves out of the firing squad's way
 Bodice.(loudly).Listen to me.All of you notice I
 disassociate myself from this act.
 Lear. Be quiet,Bodice.You mustn't talk like that
 in front of me.
 Fontanelle.And I agree with what my sister says.

Lear. O my poor children, you're too good for
this world.

p.4

The speeches of Lear give the reader cues to his ideas and concepts of his circumstances. The safety of his people is the central theme of his conversations; and he is careful to reveal the reason for his feelings of being in danger of outside attacks.

Bodice. Small and petty! All these things are in your head. The Duke of Cornwall is not a monster. The duke of North has not sworn to destroy you. I have proof of what I say.

Lear. They're my sworn enemies. I killed the fathers therefor the sons must hate me. And when I killed the fathers I stood on the field among our dead and swore to kill the sons! I'm too old now, they've fooled me. But they won't take my country and dig my bones up when I'm dead. Never.

p.5

Lear clearly draws a form of framework to his activities. The context discloses the reasons for the need for the wall in Lear's concept of safety. Nevertheless, the daughters do not share their father's feelings concerning the potential danger. Bodice and Fontanelle expose the features of their personalities by successive speech acts. They choose to defy their father and do not support the building of the wall during his reign. They marry the sons of his enemies and deprive him of his kingdom. During every conversation, both reveal different aspects of their

personalities. They present their rule of the city as chaotic during the short period they managed to hold the power. Each one does not only try to set the relation between her and her environment but also she tries to portray her concept of her sister as viciously as she could. They both participate in creating the story of their father's madness. But soon a revolution breaks and their co-operation is broken down as they try to save themselves. They accomplish nothing at all and they are killed after their involvement in public work.

The analysis of the two texts reveals a degree of similarity in an incident of losing a son or two daughters. Both situations display the members of the younger generations as having complete personal detachment from the fathers. The son of Willie Stark is committed to playing ball. He becomes publicly known for a short period while he is living with his divorced mother. He is instantly paralysed and later dies from an accident that causes an injury in his neck that cannot be cured. Lear and Stark develop their relationships to co-operate within their respective societies to attain personal involvement in social tasks which they decide for themselves.

Effective social work in All The King's Men and in Lear required change of attitude and behaviour. To guard their

interests both Lear and Stark had to learn to address the members of their environments in different techniques after situations of disappointments and strong emotional involvement. Other participants have to furnish an acceptable reason denoting and introducing the personal help needed. For example in the case of Stark, it is Sadie who tells him how to address the public after he understood why he could not succeed in the local elections.

Sadie. Hell, make 'em laugh. Make 'em cry. Stir 'em up. They aren't alive, most of them and haven't been in twenty years. Hell, their wives have lost their shapes, likker won't set on their stomach, and they lost their religion, so it is up to you to stir 'em up and make 'em feel alive again. For half an hour. They'll love you for it. Well, heat 'em up.

Stark. I've heard that kind of talk.

Sadie. Well, it's no secret. It gets around.

Stark. Maybe I can't talk that way.

Sadie. That's the only way you'll ever be Governor.

p.24

Every person has a unique form of reaction but at the same time he can change his behaviour for social purposes. The occasion of elections depends on cultural circumstances. Stark prepares few topics that he thinks are essential for his listeners. He vaguely forms a stanza that is to define his activities in the vision of his listeners.

Stark. Your will is my strength.
Your hope is my justification.

Your need is my law.
your heart is my own.

p.29

After deciding to succeed in the elections Stark decides to discuss particular topics with his society members. He pursues the issues that are suitable for the occasion only. The structure of the language he uses reveals his thinking and his intentions. His election campaigns do not depend on factual information but on the expression of the people's aspirations and feelings. Stark expresses a form of objectivity to what is happening in his society.

Lear changes his personal characteristics almost completely as a result of the huge amount of suffering he had to bear under the rule of his daughters and the revolution. At last he is willing to interact with all persons who expect him to inform them about life situations. His listeners are numerous though his speech is characterised by imprecision and fragmented knowledge. People continually come to his place and he casually speaks to them but the government does not tolerate this interference with the lives of others because now he is repeatedly encouraging people to live their normal life. Lear is trying to express the feelings of the values of life away from the revolutionary measures and even the building of the wall because he came to

realise its destructive effects on the lives of the peasants and the results of neglecting the cultivation of the land. The listeners are expected to figure for themselves the suitable life conditions. Lear only gives incoherent facts about life and recommendations as to how to attain expectations.

Lear. Stop people listening

Cordelia. I can't. You say what they want to hear.

Lear. If that is true - If only some of them want to hear- I must speak.

Cordelia. Yes, you sound like the voice of my conscience. But if you listened to everything your conscience told you you'd go mad. You'd never get anything done- and there's a lot to do, some of it is very hard.

p.84

Lear is trying to explain to Cordelia and the readers as well the reasons why he has changed his point of view regarding the building of the wall.. He gives his concept of the consequences of neglecting the land on society as he has discovered them lately after personal experience. She is hesitant to accept his interpretation of the effects of the government measures which are not accepted by the majority of individuals. Cordelia has a completely different background. She is not seeking clarification and she is not the person who is to ensure the carrying out of the project of building a wall to keep the enemies out of their city. Both Lear and Cordelia have changed;

their interpretations of the present social situations are completely different. Each selects specific events which enforce his manner of thinking. The wall will be built by Cordelia and her government group which are revolutionaries. They are guided by the assumptions of defence which had moved Lear to begin the project previously. They are meeting most of the reactionary activities which have persisted behind the efforts of collecting workers. Uncertainty of the expected safety and the present intolerable measures give rise to confusion and chaos. During the reign of King Lear, Cordelia was a very weak person. She was the wife of the gravedigger's boy. Cordelia could not defend herself when the soldiers attacked her and her home. Initially she was introduced in the text as a person who kept crying for reasons she herself could not explain or even understand. She kept having fear of an unhappy future that she could not predict.

Wife.(crying).Hold me. Stop me crying.

Boy.(holding her). You must take things easy now. You work too hard.

Wife. Don't say that! It's not true!

Boy. All right, I won't.

Wife. But you don't believe me.

Boy. Yes I do.

Wife. You don't. I can see you don't. Why can't I make you happy?

Boy. I am happy.

p.20

The two analysed texts render the lives of Tiny Duffy and the wife Cordelia in similar accounts of lively events. The specific order of incidents which shape their lives is described according to one apparent pattern of events. The readers do not interpret them identically because they are constructed within the varied contexts of the situations. However the interpretations of the pattern of events reveal a similar succession of characterising events. The semantic component denotes a coherent pattern of behaviour in the activities of each. In most of the occasions the clarifying discourse supplies the readers with genuine causes for the structural events. In relation to family situations Cordelia is the daughter of a priest, who is higher in social standard than the gravedigger boy. She is introduced as intelligent and educated.

Boy. We're supposed to be a bad match. I know her father didn't want us to marry. He's never come to see us. I asked him. I don't like that, it makes you feel bad. He's a priest, he taught her everything. She's very clever, but she can't understand how I live.

p.26

The introduction of Duffy has a number of implied similar concepts. The basic principles which are intentionally communicated are his intelligence, experience and knowledge. This is stated indirectly in Duffy's own speech.

Jack.(To professor, as light is down on Lucy and Tom).
Yes. Lucy knew him too. I'll tell you what he was
back when I first saw him. And if you can
understand that, you will understand what you must
understand. It was back in 1930, and I was in the
back room of Slade's speakeasy with Tiny Duffy who
was city tax assessor, a city hall swell with a
hard straw hat and a diamond ring and lard oozing
sweetly from every pore.

Jack.(Moving to platform,C. where Duffy, in shirt sleeves,
is reading a paper. A table with red-check cloth is
before him.) Who's this guy you waiting for?

Duffy. From the sticks. Name is Stark. Hey Slade, will you
turn that damn thing down? Name of Stark. County
Treasurer up in Mason County. Some hick, I never
laid eyes on him. A guy's bringing him to me to see
about some school bonds they're trying to float up
there. Just to get the benefit of my advice, my
experience.

p.21

The Professor and Jack give a clear description of the
relationship between Stark and Duffy as they are trying to
recollect their past experience. They do not state directly their
intentions of clarifying the ambiguities about the past of both
public figures. Duffy was exploited by Stark who was the
potential statesman. Success in political campaigns was giving
Stark power and popularity. The speakers are trying to recollect
and hypothesise what was going on through their past experience.
A general idea is conveyed about the situation. Duffy was called
tiny which implied his position in Stark's group. From the
discourse we assume that everybody used to follow Stark's orders
and directions.

Professor. All right, and there was Duffy. Don't forget him, Mr. Burden, the crook Stark made his Lieutenant-Governor.

Jack. Sure, he used him. And if you are the scientific realist, you ought to know why. Willie had been wised up and knew what he had to do. He had to use Duffy.

Professor. Oh, I don't object. It was historically necessary to use Duffy. I merely want to keep the record straight.

Jack. Well, to keep the record straight, had you thought of this? That Stark had Duffy because Duffy was another self - the self the Boss could give every insult to and contempt - what one self of Stark did to the other self as a tribute to what Stark wanted to be?

pp.29-30

The observation of Duffy's performance denotes a change in his character, for he becomes the Senator who succeeds Stark. He seems to accept the exploitation of Stark at the beginning of their co-operative work. He wanted to belong to Stark's group. But later he was able to create a role for himself within the framework of campaigning and ruling. In relating some particular details of events, the professor informs the readers that a few years after joining Stark's group Duffy was able to plan for the accomplishment of Stark's hospital.

Professor. That is amateur psychology, Mr. Burden. He wanted Duffy because Duffy was a crook, plain and simple. And it was Duffy, in 1938 when Stark was under impeachment, fixed up the rotten contract with Larsen for the hospital and who -

p.30

The change in Duffy's character is just one event in the coherent structure of the play. He manages to take over the influential post of Senator after the death of Stark. This is similar to the accomplishment that is achieved by Cordelia in society. She becomes the most important figure in the revolutionary government. She is conscious of her obligation to defend the city and therefore performs the project designed and introduced by Lear when he was in power. She performs according to her acquired responsibility even against the expressed will of Lear himself.

Lear. Don't build the wall.

Cordelia. We must.

Lear. Then nothing's changed! A revolution must at least reform.

Cordelia. Everything else is changed!

Lear. Not if you keep the wall! Put it down!

Cordelia. We'd be attacked by our enemies!

Lear. The wall will destroy you. It's already doing it. How can I make you see?

p.84

Her conscious determination is conveyed in a spontaneous speech that is marked by her feelings of personal appreciation towards Lear.

Through structural analysis the reader identifies a similar activity performed by Duffy, who is observed on a platform. He discusses the expectations of his post and his personal relations. In his case as he changes his role in society, he declares his responsibility of building Stark's hospital.

Duffy. (Revealed on platform, addressing the audience.)
- and friends, after all these years, on this memorable occasion, I can still promise you that Willie Stark's great dream will come true. I have built his hospital. I have kept faith with Willie Stark because I loved him -- We all loved Willie --
p.64

Part II

In Coulthard and Montgomery (1981) the description of discourse is divided into the focus and the frame where each serves to specify parts of the analysis. Stubbs (1983) concentrates on the social motivations of discourse and describes various motivations in discourse. To compare the activities of Lear and Stark and the social reactions to their projects, discourse in both situations is the reliable source of data. The context denotes the motives, the exact expressions of ideas and accomplished acts. The description provided by other persons sometimes conveys essential information. The reasoning

process is reflected in the social interactions which contribute to the characterising information by implying personal traits.

Comparison is based on interpretations and inferences from the texts. The speech acts and situations described denote the intention of the main character in each case to carry out a project for the welfare of society. The cues of similarity lie in both the character sketches of Lear and Stark and in events surrounding the projects. The actions are portrayed in both texts by discourse in verbal accounts communicating the present states of affairs which are based on the implied former experience. The verbal description of Stark's hospital accompanied his definite intention of signing the contract for constructing it.

Stark. Slaves down in the Legislature, and sons-of-bitches up here. (Stark sits at desk, brooding a moment.) Damn it, nobody understands me, not even you. (After a pause.) I'm gonna build the biggest and best hospital money can buy. And any man or woman or child, in sickness or in pain, can walk through those doors, and know that all man can do will be done to cure sickness and ease pain. Free. Not as a charity, but as a right. And I don't care if he votes for me or not. Hear me?

p.32

The reconstruction of environmental characteristics can imply an identifying aspect in the effects of this project and the wall

suggested by Lear. The projection of the benefits that other persons are to gain is the focus of the two emotionally loaded expressions describing the projects. The texts do not contain all the details but only a selection of events conveying the processes, as well as incorporating implications of connected reactions. Lear defines his motives as he clarifies some of his actions which seem irresponsible and need supplementary interpretation.

Lear. I started this wall when I was young. I stopped my enemies in the field, but there were always more of them. How could we ever be free? So I built this wall to keep our enemies out. My people will live behind this wall when I'm dead. You may be governed by fools but you'll always live in peace. My wall will make you free.

p.3

The interpretation of the excerpts reveals similarities in the goals to be attained by the projects. Because of the differences in the type of social life, they are trying to give their societies future safety from sickness in one case and from aggression in the other. The analogy denotes similar abilities of defining their goals and identifying the needed measures. Both are confronted with a series of problems from other persons who cannot perceive or attach the same values to the work needed. Death comes at the end as an immediate action following the assassination. It takes place in a situation where they are

witnesses and as a result of an intentional act of shooting to kill in each case.

Discourse reveals the personal characteristics of Lear. The situation of building the wall clarifies his concepts of life situations in his environment. The significant change in his life takes place when he is dethroned. He expects contradictory measures as he expresses unexpected ideas in his new situation. He is informed about his wall and the war in fragmentary details that roughly denote a lack of stability which signifies a coming reorganisation. Past information about the way people reacted to the building of the wall is given by the gravedigger's boy

Lear. I could have a new life here. I could forget all the things that frighten me - the years I've wasted, my enemies, my anger, my mistakes. I've been too trusting, too lenient! I'm tormented by regrets - I must forget it all, throw it away! Yes! - let me live here and work for you.

Boy. Good. You'll be a real help to me when you've settled in. I'll be able to clear some more fields. You needn't worry about the soldiers. They are too busy looking for the king to worry about you. Did you know they're pulling his wall down?

Lear. The wall?

Boy. Up and down, up and down. The king was mad. He took all the men from this village. But I hid. They'd worked with their hands all their lives but when they started on the wall their hands bled for a week.

Lear. No.

Boy. You died of work or they shot you for not working. There was a disease -

Lear. They tried to stop that.

Boy. - 'wall death'. Their feet used to swell in the mud. The stink of it even when you were asleep! Living in a grave! He should come here - I'd go back to my old job and dig a grave for him! We used to dig his wall up at nights, when they were working near here.

p.25

Lear's past knowledge of the situation around his wall is changed according to the new information he gets from the boy. His ideas concerning the effects of the wall as the shield for human life and safety which was previously held is replaced by the newly acquired meaning denoting the destructive processes which accompany its construction.

The comparison of the units of events in the lives of Lear and Stark denotes that both portray a past life of a prominent figure. The recognised analogy is identified by the details of life conditions which led to their social relations in a probable succession of situations. The direction of activities coincides in the eagerness to preserve human life in a society that does not recognise the amount of emotional involvement in the project. The people surrounding the project do not feel the great necessity for it in each case. The process of building the wall is met with defying individuals. The construction of the hospital is faced with continual hardships by the impeachment group. The impression Stark gives of his project clashes with Tiny's intentions of choosing the contractor and Jack's digging of past

information about public figures.

Duffy. Boss, with Mr.Larsen this would be slick --(Pwng Stark's shoulder.) Boss, I know you know. And Boss -- (Delighted with himself.) --it'll be slick. Boss, I got a surprise for you! (Gesturing U.L.Larsen appears,composed and watchful. Stark stares at him an instant, dumbfounded, as Duffy continues.) Yeah, Boss, I knew you'd want to see Mr.Larsen. I just knew you'd want to talk a little turkey with Mr.Larsen,I knew --

Stark. (Moving on Duffy, but speaking in a low, grating, controlled voice.) Say it again and I'll strangle you. Larsen won't touch my hospital -- Larsen or nobody like him. And you--you hyena-headed,feist-faced, belly-dragging son of a slack-gutted she-wolf--(with anguished look at Larsen, Duffy flees. Stark turns on Larsen.) And as for you Gummy--(Larsen completely calm and cold confronts him, rolling a cigarette between a thumb and forefinger.)

Larsen. Yes,Governor,it is all a matter of timing. The timing was bad. You are not ready to do business with me.

p.31

The lexical structure of the quotation reveals Stark's choice of words as well as his personal relation to Duffy who becomes the senator after Stark's death. The units of the text denote the power of Stark over his group. The speech shows other facts as well. Duffy is the recipient of all these successive insults and he runs away from the room when Stark gets very angry. The quotation illustrates the impression of Stark's characteristic trait of expressing his feelings towards others and giving his judgment of their characters. The portrayal of Stark is also

supplemented by the speeches of his friends as they relate how they participated in the sequence of events. Thus the information defining Stark's qualities are furnished from different persons, who keep remembering actions from past time.

The comparison of Lear to Stark can connect between the status of Lear in his surrounding group and towards his successors to that of Stark. The coincidence lies in the recognition of his ability to direct the whole group depending on his own extraordinary competence. Speech acts accomplish the relations between him and his daughters who are to succeed him in power over the kingdom. The fundamental weakness of Bodice and Fontanelle is expressed by Lear.

Lear. Work! Get your men to work! get them on the wall!
(Workers, soldiers and foremen go out. They take the two bodies with them).
I knew it would come to this! I knew you were malicious!
I built my wall against you as well as my other enemies!
You talk of marriage? You have murdered your family.
There will be no more children. Your husbands are
impotent. That's not an empty insult. You wrote? My
spies know more than that! You will get nothing from
this crime. You have prevented lusts. They won't be
satisfied. It is perverted to want your pleasure where
it makes others suffer. I pity the men who share your
beds. I've watched you scheme and plan - They'll lie by
you when you dream! Where will your ambition end? You
will throw old men from their coffins, break children's
legs, pull the hair from old women's heads, make young
men walk the streets in beggary and cold while their

wives grow empty and despair - I am ashamed of my tears!
You have done this to me. The people will judge between
you and me.

p.7

Lear is addressing his daughters and the units of speech are similar to those chosen by Stark to insult Duffy for getting Larsen to construct the hospital and thus be in charge of the project. The recognised connection relates the experience of the prominent figures and the continuity of the situations they establish. Information about Larsen is similar to that about North and Cornwall. Thus the reaction to a suggestion of the benefits that might come to his group by Larsen's works is completely refused by Stark. Similarly Lear refuses to accept the idea that his kingdom might benefit by the efforts of North and Cornwall when they marry his daughters and thus enter into his family. The implied concepts of these persons are based on incomplete information. Their direct speech does not reveal fundamental characteristics but only serves to add some connecting units to the sequence of activities.

There is a form of parallelism between the life of Stark and that of Lear which is based on the information inferred from the analysed texts. Bond and Warren created fiction characters which can be related to each other through imaginative events and speech acts. The concept of a prominent figure is initially drawn

as mainly sensitive to social problems and intentionally taking measures towards an unexpected improvement of existing conditions. Grice(1975) describes situational implications which can be inferred from various speeches. The comparison of the experience and life events of both denotes several destructive actions which disturb their peace and personal situations. The changes in the attitude of Lear and Stark are apparent evidence of the effects of human reactions when persons become aware of varied destructive factors on their achievements.

Part III

This analysis specifies the similarities in the two texts as they are used in the construction of the explicit contexts. Although many similar incidents distinguish the rational progression of the content, the structure in each case is rendered unique by the differences in the technique of exposition. The quotations exemplify the perceptual semantic components as analogous actions which are interpreted in relation to their contexts to facilitate inferences from speech events.

Therefore the illustrated correlations are concentrated on the incidents and activities which serve to function as focusing the content on human attitudes. The discourse construction displays rational succession of events in unique situations. Lyons(1979) differentiates between regular components and standard components of texts. The research does not assume implied simplicity of texture but it denotes features of subject matter. The notion of similar incidents in varied contexts describes the framework in each case by specifying how they are being used to organise relevant constituents of definable situations. A partially common framework of incidents is used to denote contextual features similar in the semantic components only. The lexical components of the descriptive constituents are suitable to the propositional meaning of the discourse. Figurative expressions and sentence structures convey typical attitudes with their components. The background situations are specifying aspects of each which are recognised as the typical causes of events. The environment incidents construct discourse implications which require specific processes of responsive activities. Grammatical constituents enhance the explicitness of both texts. The sentences are intentionally constructed to denote the subject-matter explicitly in almost all situations. Direct speech constitutes the majority of the sentences, which conveys the speakers' behaviour directly.

All The King's Men makes use of the exposition form of a person recollecting successive incidents back in the past that he shared with Willie Stark. There is a certain projection of the present before the movement towards past incidents. The actions narrated in the past are placed amidst a group of living persons who are present at the opening of the hospital. After giving a sketchy idea about Stark's past, the context implies a substantial change in his behaviour. The speech of the surrounding group is portrayed as effectively bringing about the change that would lead to his death. Originally he came from a small county where he acted as a very conscientious member of society and was happily living within this provincial environment with his wife and son. The background reflects pure human honesty. This scenery is evoked later amidst the expression of the central theme of energetic campaigning where Stark changes almost completely to reach the popularity of city prominent figures. The group around him is not the family relations but business personnel who serve his new job which is appropriate to the huge city construction. The inferred contrast in Stark's attitudes towards his family convey his contradictory thinking. He urges his friend to dig for any condemning past event on the judge that he likes. He insists on building the best type of hospital to give his society the best medical facilities free to

every person. Meanwhile, he uses every possible way to force Dr. Adam to work at the hospital knowing that the doctor would not easily accept to co-operate with any project of his. He has learned to be very convincing and can fascinate a crowd with his passionate speech. But he does not have a normal family life after his wife took his son and left their home. A sense of loneliness is implied in his awareness of the fact that he has to take all the decisions by himself. A strong sense of responsibility defines his leadership of the campaigning group. His views of life and realistic situations imply his acceptance of all forms of differences in the huge environment with which he is related after his political career succeeded and he attained influence and power.

Lear begins with an inexplicable situation symbolising the great suffering of the society. This initial structure prefigures the complete reversal of the whole regime. The speech situations reflect the incomprehensible problems which are not accepted by the society around the wall. Lear is the only person who is convinced with the benefits of the wall to the city. Everybody else even his daughters express their uncertainty and doubt. The radical reversal in Lear's ideas are reached after his experience amidst the painful darkness of his blindness. The solitude in prison obviously is an effective experience. He refuses to run

away from prison when he gets a chance. Groping in the darkness of great suffering, Lear begins to love all members of society and speaks of the essence of life. His decision to live on the farm is a preliminary action to be followed by all those who will come and listen to his wise and expressive speeches. Meanwhile he does not accept to relate himself with the ruling society of the revolution whose members he had known before. He does not pacify the aggressive power which follows him to this secluded place. Lear is more influential in his maturity because his views of life support the preservation and safety for all existing members. The presentation of his relationship towards all his visitors reflects his deep concern for all. The theme is stressed by stylistic features denoting his complete refusal to deny any person his sincere counselling. He comes to symbolise human experience, as he teaches the love of life while the ruling group lacks the safety conditions. With all their forces they cannot convince him or control his activities.

The situation of complete helplessness is implied in the governmental resolution to remove Lear by force from his village. His hope of mixing with people is ended, when they are resolved to imprison him again. Lear's established practice of speech among eager listeners has to end. In his despair, he is killed by

overnment officials.

The biographical style is constructed around the idea of building the wall and its effects on the personal and society levels.

The use of speech to influence groups of people can be described in relation to the ideas expressed by Leech(1983) and Brown and Yule(1983). Speech is an action of sending messages using words which are chosen by the speaker from the repertoire of his own memory to affect a change in the listener's information about specific ideas. Personal impression, communicated with speech, can convince the listener with the speaker's point of view. Language units add personal identifying shades of meaning to influence the listener. These usages of the spoken expressions of ideas are exploited by both Lear and Stark to achieve their intended ends. Both achieve power and social influence by using their skill in convincing their listeners, who come to them by their own free will.

The analysis of the texts proves that both have some forms of perspectives they want to convey. These messages are frequently intended to convey a beneficial idea to the listeners by the intentional act of speaking. Lear is giving his wise

advice concerning the ways of peaceful living. Stark in his election campaigns is drawing flowery pictures of the future that he promises to bring about. The medium of spoken language is used in expressive utterances. The speaker's selection of linguistic units is related to the situations in which the encoding and the decoding of the ideas are taking place. The speaker's feelings are frequently used to place the focus on a certain item of the utterance. The emphasis to be conveyed by the utterances has to be encoded into intonation contours which can specify the focus in speech. Linguistic functions enable the speaker to emphasise any aspect of the situation according to his own choice from the potentials of the context. Occasionally, Lear makes use of specific associations to his experience in the past. Meanwhile, Stark expresses his inferences from associating his concept of social life with the aspirations of his contemporaries. He affects his fans with his decisive statements.

The generative aspects of discourse are used by the speakers to communicate clearly not only ideas but also all forms of relations. Lear assumes the role of the sage in his society as he expresses his deep concern for the strangers who come to listen to his speeches and walk along their own life situations. The government representatives do not find this situation neutral

to their efforts to build the wall around their territory. The speaker's past experience always affects his usage of the language. The listener in decoding every linguistic message is also guided by past comprehension of various communication factors.

The wide popularity of Stark is based on his ability to use the tools of the language to influence and convince large groups of people. His efforts to persuade the voters are based on his intelligent understanding of their basic interests. Stark understands the public general knowledge and in addressing his voters; he is always relating his personal effort to the groups' service. His selection of a public perspective is exemplified in insisting to provide the best medical care for everybody and free as an insurance against unexpected injuries and illnesses. Stark impresses his audiences as a reliable representative of their aspirations. His observation of the individual experiences of his associates illustrates his exceptional competence. His expressions are specifically informative; even the names he gives to his assistants are comprehensible. The use of slang words conveys a message to the reader of the text. The characteristics of the context as one whole are based on Stark's behaviour, and that of the other main characters but not with the same criterion of judgment. His personal relationships are expressed in more

detail than those of the other persons in the context. His death is brought about by social values that he did not anticipate.

Conclusion

The analysis of the speech segments given by Stark denotes that his choice of expressions formulates a favourable environment for his ideas to be inferred within. This is also achieved by Lear amidst the listeners who walk to his home far from the city and are made to accept his advice by the atmosphere of free choices that he suggests. Both leaders depend on the construction of contextual messages that are part of their personal dreams of happy social situations coming true. The words chosen to convey these messages are simple and clear. The listeners are given the suggestions which denote the possibility of achievements by implications. The novelty of expressive form adds to the implied meaning because the listener will always direct the new message towards his own stream of rationalisation. As a way to attain power, language is carefully manipulated. The repetition of the effective structures renders the utterances exceptionally communicative.

Choosing the suitable time to speak to people is another basic issue. The particular choice of situation is as important as the particular choice of linguistic structures in exercising influence by convictions. This is possible when the speaker chooses practical messages. Then he can perceive the effects immediately. Therefore we can state that both Lear and Stark make use of an aspired social reality to attain social popularity. Their main tool is the construction of new and effective linguistic constructions that lead the listeners to believe their own inferences about the possibility of better social situations. A favourable situation is created where the feelings of love and understanding are formed between Lear and the villagers. Stark is able to attract a large crowd of fans who are always attending his speeches.

Lear denounces his project which was the reason for the hatred of the people towards him. He dies symbolically trying to remove parts of its structure. Stark dies asking "why", denoting his failure to comprehend the deplorable situation of his assassination and his willingness to understand linguistic messages.

Bibliography

- Bond, E. Lear, New York: Hill and Wang, 1972.
- Brown, P. and Yule, G. Discourse Analysis, London: Cambridge University Press, 1983.
- Coulthard, M. and Montgomery, M. (Eds.) Studies in Discourse Analysis, London: Routledge and Kegan Paul, 1981.
- Edmonson, W. Spoken Discourse: A Model for Analysis, London: Longman, 1981.
- Frazier, L. The Study of Linguistic Complexity, In A. Davison and G.M. Green (Eds.) Linguistic Complexity and Text Comprehension, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates, 1980, pp193-222.
- Green, G.M. Pragmatics and Natural Language Understanding, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates, 1989.
- Grice, H.P. Logic and Conversation, In P. Cole and J. Morgan (Eds.) Syntax and Semantics 3: Speech Acts, New York: Academic Press, 1975.
- Harre, R. Persuasion and Manipulation, In T.A. Van Dijk (Ed.) Discourse and Communication, Berlin: Walter de Gruyter, 1985, pp126-140.
- Jong, I.J.F. Narrators and Focalizers, Amsterdam: B.R. Gruner Publishers Co., 1987.
- Leech, G. Principles of Pragmatics, London: Longman, 1983.
- Levinson, S. Pragmatics, London: Cambridge University Press, 1983.
- Lyons, J. Semantics, London: Cambridge University Press, 1977.
- Richards, J.C. and Schmidt, R.W. Conversational Analysis, In J.C. Richards and R.W. Schmidt (Eds.) Language and Communication, London: Longman, 1983, pp 117-156.
- Scharine, R. The Plays of Edward Bond, London: Associated University Press, 1976.

Snipes, K. Robert Penn Warren, London: Fredric Ungar Publishing Co., 1983.

Stubbs, M. Discourse Analysis: The Sociolinguistic Analysis of Natural Language, Oxford: Basil Blackwell, 1983.

Warren, R.P. All The King's Men, New York: Dramatists Play Service Inc., 1960.

ESSENTIAL DIDACTIC AND REALISTIC COMPONENTS
OF "CHARLOTTE'S WEB"

By

Nadia M. Khorshed
Assistant Professor, Women's College,
Ain Shams University

Introduction

The purpose of this research is to demonstrate the interaction between the fictional characters and the reader of Charlotte's Web. The text is a sample of the twentieth century children literature which is a genre of primary interest. Within an analytical framework, the fictional situations are interpreted so as to reveal typical behaviour patterns which provide reasons for determining the speech acts. Charlotte's Web has become one of the most popular children's stories since its first publication in 1952 till the present.

Part I is an attempt to describe how the text is organised by identifying the sequence of thematic structures. Typical speech acts are selected to convey true information about the particular daily events of the American farm life. In part II the analysis of discourse is concentrated on the description of selections of speech patterns and narrative structures. Their organisation into clear didactic patterns is carefully constructed to achieve comprehensive communication of information. In part III the author's selections of incidents,

situations and speakers are analysed from the perspective of their effects on the child reader. The language contact through the text is to result in changes in the information repertoire of the reader by providing facts about the lives of persons, animals and insects living on farms.

Finally, the research illustrates how White's particular didactic and entertainment motives attain success by means of expressive linguistic structures.

The popular children's story Charlotte's Web has an effective pattern of ideas which is formulated to convey scientific information and images of the life of contemporary peasants' societies. In a flow of successive images the child Fern is introduced speaking directly to her mother. The dialogue sets the personality of the young girl as being very sensitive to the preservation of life. Green (1989) demonstrates that mutual understanding of the referent depends on the shared knowledge of the speaker and the listener. This initial situation reveals the writer's knowledge of what the child reader already knows and what the text has to supply. The reader knows the animals of a peasant's farm and likes to listen to exciting activities which end with saving the lives of various animals.

Part I

A comprehensive discourse within a family household is initially placed to attract the attention of the young reader of the story. Fern, who is the main human character, initiates the action by her direct question "Where's Papa going with that axe?". Searle and Vanderveken (1985) specify illocutionary points as the points that direct the subsidiary actions towards the direction of future course of action. The illocutionary point in the first situation is directed towards the idea of a child's comprehension of concepts around her. Fern continues her figuring out of the situation by asking again after a short while "You mean kill it? Just because it's smaller than the others?". The inference of the child is that of relating its own situation to that of the referent of the utterances which is a small pig newly born on their farm.

The emotional situation of Fern is excited and she runs as fast as she could to her father, whose first words are "Fern, you will have to learn to control yourself.". The simultaneous description of the situation clarifies the implications in the context. The dimensions of the vast differences in the point of

view of the child, Fern, and her parents is large, because she identifies herself with the small pig, as she is the youngest member of her family. Life experience guides the parents attitude towards the exceptionally small pig, for they realise that it will be a source of trouble which they do not need.

The structure is intentionally organised to clarify this natural phenomenon so as to invite the young reader to identify his place in relation to the activities in the story. In dealing with similar situations usually children group together and the reader, therefore, is expected to sympathise with Fern. The suspense of the situation is caused by the incomprehensive situation. The idea that a young animal is to be killed just because its size is very small makes Fern angry and moves her to do all she can to save the animal. She manages to rescue the pig and gets it in her own hands.

The concept of joy and happiness is introduced as being caused by saving a life. This is a semantic component that is to be found in the successive segments of structure. The individual whether child or animal thinks of himself and the immediate environment around him. Comprehensive values become more clear to Fern when she is away from human society. Fern's mother finds

that the child spends most of her time in the farm near the animals where she can watch them and especially the saved pig. Therefore a gap is set between the girl and her society. She is drawn gradually to the world in the barn and soon she learns to understand the animal language. She acquires a certain universal competence through her private experience. This phenomenon is introduced to convey the informing abilities of the animals and insects in the barn. The feelings of sympathy and friendship grow between Fern and the inhabitants of the farm regardless of their sizes and species.

The uncle's barn is a private place where Fern has a type of cosmic society which is inhabited by many animals and insects. The exploration of the situation denotes the great imaginative abilities of the child. Fern does not stay at the focus of the activities but she assumes a peripheral role of a bystander. At the farm she is watching lively endeavours done by a number of creatures to preserve their existence and that of others if possible. A proper name is given to the pig which is Wilbur; and his close friends are the spider Charlotte and Templeton the rat. The other inhabitants of the barn that do not have proper names, such as the goose, the sheep and the horses. They do not really contribute to the activities in the structure of incidents. Daily living experiences are portrayed to set the normal order of

events in the situation. Green and Olsen (1988) describe adapted materials for children comprehension. A universal language is introduced in the speech of the spider to Wilbur which is a form of a friendly gesture to set a useful relationship. All the inhabitants of the barn can participate in the animal language with the exception of Fern who is capable to understand only but not to speak.

The reader's perception of reality is focused on the experiences of living creatures. Charlotte describes her life style as pleasantly as she can:

I am not entirely happy about my diet of flies and bugs, but it's the way I'm made. A spider has to pick up a living somehow or other, and I happen to be a trapper. I just naturally build a web and trap flies and other insects.

p.43

The narrator intervenes to direct the reader to the coming incidents where the intelligent trapper will use her nature to save the endangered life of the pig:

Underneath her rather bold and cruel exterior, she had a kind heart, and she was to prove loyal and true to the very end.

p.44

The amount of knowledge that the author places in the text

affects all the aspects of the language used even the phonological structure of tones that the reader is to make as he reads aloud. The syntactic structures clarify the context to a maximum state as the child is not expected to figure for himself difficult ideas. As is explained in Sacks, Schegloff and Jefferson (1974) the place of an information in the whole text is important to the listener of a discourse as the order of information giving is essential. The lexical components of the text are chosen on the basis of their suitability to the situation in the context and the expected child repertoire of information. Lexical sets denote referents which have been mentioned previously in the text as well as to items in the immediate surrounding of children. This is because known objects help in the comprehension of linguistic structures which make use of them in the introduction of new ideas. Lakoff (1973) demonstrates how the speaker, or writer, is limited by his role in relation to the listener or reader and by the effects of the genre he uses. The linguistic structure clearly and directly denotes the selected referents.

The context of Charlotte's Web may be described as a world of living and significant behaviour which is adapted to perform functions of information and entertainment. The reader's inferences augment the writer's knowledge and assumptions to

reach an effective new enlightening situation. The fictional structures which are formed for children's literature draw their units from the language of adults in form and patterns. The main differences lie in the placement of the foregrounded issues. The background units are chosen for contrastive reasons. In Charlotte's Web the author, White, places into focus the information concerning the life style of both the spider and the pig as well as the importance of sincerity and friendship in all situations. The values of giving assistance and sharing information are among those implied by the text by successive illustrations of contextual importance.

The analysis of the text denotes that an important aim of the structure is to provide the reader with specified information essential to the basic common knowledge which is needed by every person in modern society. By an interesting selection of incidents and species the story is made appropriate to the child's sensitive taste. The author's intentions are clearly didactic and the structure is communicatively reliable. The pig Wilbur is pictured as suffering from extreme lack of company and friendship to arouse the ideas concerning the importance of evading selfish loneliness. The distressed situation is perceived by the attentive spider Charlotte. It is a form of distress that

is experienced by almost all children at the present time due to many reasons. The author exploits his knowledge of child psychology and places focus on this painful and experienced incident. White portrays the psychologically isolated and pathetic Wilbur as suffering from the awareness that he is unable to interact with others. The author's information of child's sensibilities is used as a means to introduce his suggestions of the rewards of the friendly and strong feelings of love.

The choice of what to include in the story is an essential step in the constructive activities. White exploits the child's concept of nutrition. His meals are placed in front of him three times a day by a grown up person and this is not done for the other creatures which need regular food daily. Wilbur's discourse with Charlotte provides new information, concerning how the animals and insects have to suffer to get their meals. It reveals to the reader essential background knowledge which he needs to know. The conversation between the animal and the insect furnishes information which is supposed by the author to be new to the reader. Discourse achieves didactic effects when the reader comes to share the particular information in the structure.

'First,' said Charlotte, 'I dive at him.' She plunged headfirst towards the fly. As she dropped, a tiny

silken thread unwound from her rear end.

'Next, I wrap him up.' She grabbed the fly, threw a few jets of silk round it, and rolled it over, wrapping it so that it couldn't move. Wilbur watched in horror. He could hardly believe what he was seeing, and although he detasted flies he was sorry for this one.

'There!' said Charlotte. 'Now I knock him out, so he'll be more comfortable.' She bit the fly. 'He can't feel a thing now,' she remarked. 'He'll make a perfect breakfast for me.'

'You mean you eat flies?' gasped Wilbur.

'Certainly. Flies, bugs, grasshoppers, choice beetles, moths, butterflies, tasty cockroaches, gnats, midgets, daddy-long-legs, centipedes, mosquitoes, crickets - anything that is careless enough to get caught in my web. I have to live, don't I?'

'Why, yes, of course,' said Wilbur. 'Do they taste good?'

'Delicious. Of course, I don't really eat them. I drink them- drink their blood. I love blood,' said Charlotte, and her pleasant thin voice grew even thinner and more pleasant.

pp.42-43

The author makes use of the context of situation to convey by means of both speech and action the diet of the spider. The step by step portrayal of the activities of trapping are demonstrated clearly for the reader's comprehension, thus the text is successfully delivering a piece of information which is needed by every child. The expression of Wilbur's feelings implies the reader's feelings towards the situation of realising the vicious diet of the spider. The speaker Wilbur is inviting the reader to a form of participation in the expressive action. Speech acts

demonstrating the feeding of the spider are concretised by the description of the trapping activities step by step. Charlotte's utterances portray the actions in the form of an achievement that is now in action and here in place. Thus the text is used to communicate the lesson on the nutrition by a technique that is easy to comprehend and remember.

Searle (1969) explores the fact that conversational items are formed to serve the attainment of specific intentions of the speakers. White is making use of the conversational style to furnish his reader with the information he thinks is needed by the majority of children. The expansion of the child's scope of knowledge is evident in most of the structural components of the story. The situation inside Uncle Zuckerman's barn is a suitable place to learn about the ~~life style~~ of farm animals.

For this information to pass from the author to the reader it has to be conveyed by expressive forms. White makes use of the techniques of speech acts and activities. Charlotte describes how she eats and demonstrates this by actually doing the act of trapping a fly in front of Wilbur who is shocked as he "watched in horror". The conversation develops to denote a comparison between the style of feeding a pig and the efforts exerted by a

trapper. This is ended by the convincing argument stating the useful environmental effects of eating harmful insects. The realistic details reveal to the child-reader unexpected information:

"You have meals brought to you in a pail. Nobody feeds me. I have to get my own living. I live by my wits. I have to be sharp and clever, lest I go hungry. I have to think things out, catch what I can, take what comes. And it just so happens, my friend, that what comes is flies and insects and bugs. And furthermore", said Charlotte, shaking one of her legs, "do you realize that if I didn't catch bugs and eat them, bugs would increase and multiply and get so numerous that they'd destroy the earth, wipe out everything?"

p.43

The question form at the end of Charlotte's speech is carefully organised so as to be directed towards the reader as well as Wilbur so that each reader would think of the importance of spiders to human life. The clause structures "destroy the earth, wipe out everything" denote a form of "collective destruction" that the author knows is hated by everyone and would succeed in convincing as well as informing all his readers.

Lakoff (1971) describes how the writer bases his ideas on his own concept of the reader's general knowledge. The analysed text demonstrates a selection of everyday life experience of the

pig, Wilbur. Since many of the readers would not know the daily routine of a pig's life for various reasons, the author describes Wilbur's activities and his expected feelings as well. The comprehensive capacity of the child compels the author to use pictures to denote the shape of some animals and things such as the web, which the reader may not be acquainted with. Therefore the book includes pictures of the pig, rat, spider, lamb, goose and the egg sac of the spider. Distances and motion may not be clear to a child, therefore some pictures illustrate relevant activities that the author thinks are essential to the child's understanding of the context. A barn picture shows the door, the place and size of the spider's web in relation to the ceiling and the pig standing on the ground where the near sighted spider can not see him clearly. Other portraits illustrate the writings on the web: "some pig" and "terrific". Both are drawn to clarify the author's concepts of the situations. Wilbur's attempts to jump are pictured to show how impossible for him to construct a web no matter how he tries even with his tale tied to a cord. The dangerous swinging of the children is drawn precisely to denote the children's grasp on the rope as they rejoice in flying back and forth. The rat's hiding of the unhatched egg shows the efforts of Templeton to add the bad egg to his stock of unwanted items which he makes use of later in unpredicted situations. These pictures illustrate characterising mannerisms of the

inhabitants of the barn. However, there are drawings which show the social life of the persons living on the farm. The Fair is pictured in a lively form where the games are placed in focus and the children are drawn near a huge round swinging machine. The receiving of the prize is portrayed in an effective illustration of the general feeling of happiness that encompasses all who care for Wilbur. The prize is a symbol of the unifying effects of collective efforts. Group work is a cultural value that is explained for the child, so that he may be able to participate with his friends in future activities and disregard the egocentric tendencies that frequently affect children behaviour.

White constructs patterns of relationships among persons, children, animals and insects to convey his ideas to his readers. The birth of Wilbur is during spring so as to denote the time of the year when new generations of animals are usually born. Wilbur is a "Spring pig" that is born in the barn of a farmer's family. "I'll let you raise it on a bottle, like a baby". This decision that is taken by Mr Arable means that Fern, his daughter, has to take good care of the tiny pig. One of the first lessons that Fern, and the reader as well, has to learn is that pigs cannot be raised inside a home like the cat or the family dog.

At two weeks of age, he was moved outdoors. It was apple-blossom time, and the days were getting warmer. Mr Arable fixed a small yard specially for Wilbur under the apple tree, and gave him a large wooden box full of straw, with a doorway cut in it so he could walk in and out as he pleased.

"Won't he be cold at night?" asked Fern.

p.13

The events of Wilbur's life interact with a selection of behavioural events of other creatures. The escape incident is vividly rendered by speech acts conveying the communicative activities of the animals and birds living in the same place. As soon as Wilbur escapes from the fence, the goose and the spaniel become very actively engaged in the action of events. While "Every animal stirred its head and became excited to know that one of its friends had got free and was no longer penned up or tied fast.", Wilbur runs and plays. The complexity of the movements behind him causes his perplexity. Then he gets tired of the escape efforts because he has to evade being caught. At last he ends his free wandering and chooses to return to his place. The author exploits this situation to clarify to his reader the feelings such animal might experience by both indirect and direct speech. Wilbur's comments denote that even freedom has to be related to a certain time in life.

He felt peaceful and happy and sleepy. This had been a tiring afternoon. It was still only about four o'clock

but Wilbur was ready for bed. "I'm really too young to go out into the world alone," he thought as he lay down.

p.28

The reader is given a chance to identify his own situation with that of Wilbur and realize that a sheltered life style is what he needs during his youth. Making use of the need for love and friendship which is felt by every child, the author expresses the natural feelings of loneliness which affect Wilbur to the extent that he stops eating his food for a whole day. The need for sociable friendships is conveyed in simple structures : "Wilbur didn't want food , he wanted love. He wanted a friend - someone who would play with him." The text relates to the pig a behaviour that is typical of all children so that the reader can easily experience the emotions in the context.

A plan is set at the barn and changes Wilbur's life completely. It begins by the introduction of the motherly attitude of the caring Charlotte. The name suggests that she is feminine and her initial speech to Wilbur denotes her sincere interest in his situation: "Do you want a friend, Wilbur?" it said. "I'll be a friend to you. I've watched you all day and I like you." The animal-insect speech is an appropriate frame for the introduction of didactic information units of biology.

"You have awfully hairy legs, Charlotte," said Wilbur, as the spider busily worked at her task.

"My legs are hairy for a good reason," replied Charlotte. "Furthermore, each leg of mine has seven sections - the coxa, the trochanter, the femur, the patella, the tibia, the metatarsus, and the tarsus."

Wilbur sat bolt upright. "You're kidding," he said.

"No, I'm not, either."

"Say those names again, I didn't catch them the first time."

"Coxa, trochanter, femur, patella, tibia, metatarsus, and tarsus."

"Goodness!" said Wilbur, looking down at his own chubby legs. "I don't think my legs have seven sections."

"Well," said Charlotte, "you and I lead different lives. You don't have to spin a web. That takes real leg-work."

p.58

Charlotte gives scientific data that is composed of the latin names of every part of her leg, as easily as if she recollects them out of her general knowledge. She relates the structure of her legs to the type of activities she has to perform using them. Her knowledge is contrasted with Wilbur's statement that he "thinks" and not knows that he does not have similar legs. The author's choice of verb denotes his precise description and data.

Another member of a different species is selected by White to be portrayed for his reader through the dialogues in the context. This is the rat which he calls Templeton. The interaction between the pig and the rat reveals patterns of

mannerisms in the form of relationships. It is a sampling technique where the author chooses to describe only the activities which reveal characteristic qualities. The speech acts represent the typical actions in the life style of each speaker. The narrator furnishes the text with notions which belong to the particular context of the situation:

"Will you play with me, Templeton?" asked Wilbur.
"Play?" said Templeton, twirling his whiskers. "Play? I hardly know the meaning of the word."
"Well," said Wilbur, "it means to have fun, to frolic, to run and skip and make merry."
"I never do those things if I can avoid them," replied the rat, sourly. "I prefer to spend my time eating, gnawing, spying, and hiding. I am a glutton but not merrymaker. Right now I am on my way to your trough to eat your breakfast, since you haven't got sense enough to eat it yourself." And Templeton, the rat, crept stealthily along the wall and disappeared into a private tunnel that he had dug between the door and the trough in Wilbur's yard. Templeton was a crafty rat, and he had things pretty much his own way. The tunnel was an example of his skill and cunning. The tunnel enabled him to get from the barn to his hiding-place under the pig trough without coming out into the open. He had tunnels and runways all over Mr Zuckerman's farm and could get from one place to another without being seen. Usually he slept during the daytime and was abroad only after dark.

p.33

The action in the barn is described through the interaction of two speakers at a time so that the behaviour which is illustrated can be clear to the reader. Direct speech is conveyed with present tense verbs while the narrator describes the

situations using the simple past tense.

The analysis of the sentence structure in discourse and narration denotes the use of the question form to introduce new information in the text. Some of the questions require answers and others are basically the means of inviting the reader to think about the ideas discussed and thus figure out the information for himself. The distribution of the interrogative form in discourse is illustrated mainly in structures which denote a form of transition from one topic to another:

"That crazy rat!" thought Wilbur. "Why does he have to stay up all night, grinding his claspers and destroying people's property? Why can't he go to sleep, like any decent animal?"

The second time Wilbur woke, he heard the goose turning on her nest and chuckling to herself.

"What time is it?" whispered Wilbur to the goose.

"Probably-obably-obably about half past eleven," said the goose.

"Why aren't you asleep, Wilbur?"

"Too many things on my mind," said Wilbur.

"Well," said the goose, "That's not my trouble. I have nothing at all on my mind, but I've too many things under my behind. Have you ever tried to sleep while sitting on eight eggs?"

"No," replied Wilbur. "I suppose it is uncomfortable. How long does it take a goose egg to hatch?"

"Approximately-oximately thirty days, all told," answered the goose.

"but I cheat a little. On warm afternoons, I just pull a little straw over the eggs and go out for a walk."

pp.36-37

The excerpt first draws the attention of the reader by a question form to the piece of information about the life style of the rat which is given a few pages earlier in the text. Then a shift in the topic is achieved by the introduction of the goose's movements of "turning and chuckling" which are to grasp the reader's attention and direct it to the goose. In focus, the mode of the goose's behaviour is stressed. The question form is used to present information about the number of days needed for the eggs to hatch. This is given with an interesting mannerism component and an information segment about the fact that the mother goose can leave her place on hot days for a short time and no harm can come to the hatching eggs.

Part II

The text portrays to the reader successive events which are described from the point of view of the person or animal who experiences them. The reader benefits from following the incidents as they are described by the author. A distance of the fictional dimension lies between him and the activities. The text conveys the aspect of similarity between fiction and real events, thus the interested reader intentionally involves himself with the causes and results of all textual incidents. At the same time

he has the ability to detach himself from any situation he wants to evade. The author's selection of events determines the factors of every situation in the text. White carefully pictures a selection of farm life items which can evoke personal involvement. The didactic aims intensify the logical form of the activities and clarify any ambiguous concepts in the semantic structure. Discourse is characterised by original descriptions of familiar incidents which are related to the experiences of the speakers. Expressive speech acts are understood as illustrative by means of explanatory comments and these are based on the particular information which is based on past experience. The author takes use of familiar situations and adds to them the new information which he wants to give to his reader. The connotations in the analysed text are stressed by their relations to personal experiences in collective activities such as watching a young animal grow, winning a prize in competitions and participating in collective games. The textual illustration compel the reader to experience the action from both his own past and the focus intensifying the exposition.

For a moment after this announcement, the Arables and the Zuckermans were unable to speak or move. Then Avery picked up a handful of straw and threw it high in the air and gave a loud yell. The straw fluttered down like confetti into Fern's hair. Mr Zuckerman hugged Mrs Zuckerman. Mr Arable kissed Mrs Arable. Avery kissed Wilbur. Lurvy shook hand with everybody. Fern hugged

her mother. Avery hugged Fern. Mrs Arable hugged Mrs Zuckerman.

pp.145-147

The analysis of the text defines some social and biological ideas which the author intends to convey to every reader. The interesting and persuasive style is to set a relationship between the writer and his readers who accept the textual influence. Discourse units describe the situations of the speakers; and at the same time, implications are drawn from their mental concepts. Grice (1975) categorises the implications which are always in movement from linguistic structures to recipients. The textual form of Charlotte's Web implies moral and didactic concepts that influence the reader because they are drawn from normal life situations. The aim of saving a life is a moral implication in Fern's and Charlotte's efforts. The greatness of the efforts exerted for this aim persuades the reader that it is for his own interests that he should follow their ideal in future situations. The success and happiness they achieve is manipulated by the author to give psychological effects that carry persuasive forces. The reader accepts the ideational development of the incidents and thus he infers similar concepts about similar life situations. An active form of competence is gained from this experience of comprehending the text as the reader realises that he personally gained general and specific knowledge by means of

very interesting reflections of animal life situations. Though the utterances are not probable, the dialogue is so expressive that speech units seem to reveal the expected animal and insect reasoning procedures. Because there is rational participation from the reader to figure out what really happens in the text, his own inferences manipulate the incidents as they take place one after the other.

Levinson (1983) defines discourse segments and their succession in turn taking and development of discussed ideas. The humanising effects of giving animals human traits connect them to human situations and serve to invite implications concerning the problems to be solved. Emotional causes of finding a happy ending to a sad situation is manipulated through the analysed story of the humble pig Wilbur.

The information structure has didactic features which are set to define scientific facts. The effective utterances do not violate the maxims described by Grice (1975). The statements conveying scientific facts of life concerning the species described are all precise, and they provide information that is in proportion to the situations where they are used. The biological knowledge is not too little or too much. The dialogue

is so organised that Charlotte's life style is portrayed as wisely lead by a responsible character, therefore the information she gives to Wilbur, and the reader as well, is not rejected by the recipient. An interaction of ideas is constructed by the interference of the reader's inferences; and thus the pragmatic effects of the construction are stressed, and the moral implications are comprehended.

"But no - with men it's rush, rush, rush, every minute. I'm glade I'm a sedentary spider."

"What does sedentary mean?" asked Wilbur.

"Means I sit still a good part of time and don't go wandering all over creation. I know a good thing when I see it, and my web is a good thing. I stay put and wait for what comes. Gives me a chance to think."

p.63

The text is appealing to the emotions of the reader to contemplate on the vital comparison of life situations. The constant motion is different from the immobile situation which provides suitable environment for thinking. The reader's attention is directed towards the conditions which are necessary for useful thinking. The dialogue displays the author's concept of quiet rational thinking where the logical structure of the utterances combines his persuasive goals with present day life situations. The explicit use of the movement activities unifies the reader's world with that of the text, thus an effective

analogy is attained. Prince in Cole (1981) differentiates between shared knowledge and that which is given by the text. In the illustration the idea of clear thinking in a silent static environment is common knowledge but the reference to it serves to remind the reader of background information that is relevant.

The analysis of a discourse segment is based on the fact that it represents one unit in the whole structure of the text. Its part in the order of events is chosen by the author to give the maximum denotative function of its constituent elements. Moreover, discourse is also characterised as the expression of attitudes to various situations. At the same time, it represents the intentions and the beliefs of all those who are involved. The effects of the sustained semantic components are mainly found in the reader's interpretations of the conveyed meanings. The spider's usage of the language by writing words in its web is discussed from different points of view.

"Have you heard about the words that appeared in the spider's web?" asked Mrs Arable nervously.

"Yes," replied the doctor.

"Well, do you understand it?" asked Mrs Arable.

"Understand what?"

"Do you understand how there could be any writing in a spider's web?"

"Oh, no," said Dr Dorian. "I don't understand it. But for the matter I don't understand how a spider learned to spin a web in the first place. When the words appeared, everyone said they were a miracle. But no

body pointed out the web itself is a miracle."
"What's miraculous about a spider's web?" said Mrs Arable. "I don't see why you say a web is a miracle - it's just a web."
"Ever try to spin one?" asked Dr Dorian.
Mrs Arable shifted uneasily in her chair. "No," she replied. "But I can crochet a doily and I can knit a sock."
"Sure," said the doctor. "But somebody taught you, didn't they?"
"My mother taught me."
"Well, who taught a spider? A young spider knows how to spin a web without any instructions from anybody. Don't you regard that as a miracle?"

pp.106 - 107

The question, that is placed at the end of the convincing rational expressions of one sustained idea, invites the reader to follow the discourse development and eventually accept the idea that is given in successive simple components. The speakers represent social accepted figures, the doctor and the careful mother.

Part III

Searle and Vanderveken (1985) define the functions of speech acts in usage. They assert that mainly there are five types of illocutionary usages of any linguistic structure in the act of speech. Therefore discourse is carried out within limited

boundaries in any context. Discourse segments can "assert" and show the state of items in the situation discussed. They may be used to "direct" that is to convince persons to carry out an act desired by the speaker. The third is to "declare" by using speech to cause various new situations in the context, and to "commit" is the fourth which is to decide to do action. The last type is the "expressive" which is the revelation of inner emotions. This theory is implemented by specifying the direction of any speech unit according to the components of the utterances. An important condition is that the usage of any word is based on its significance. The linguistically significant words have special semantic relations with the life conditions of the speakers, such as the "time and place, the position of the speaker and the hearer, their relative abilities and statuses, what is or is not in their interests" (p.65). The logical description is made complete by the specification of the "strength degree" of force and what they call the "sincerity conditions" of the illocutionary acts.

The application of the logical theory to the analysis of some illocutions in White's discourse is useful to demonstrate the functions of usage. The assertion of the initial situation where the family of Mr Arable got the spring pig is conveyed by illocutionary acts from the "word to the world" as the dialogue

described the existing situation at their home to the reader. Mr Zuckerman's farm is portrayed in the narrator's voice which selects the features that denote the shape, the smell and the contents as well as the general atmosphere. Wilbur's initial dialogue is the expression of his boredom and that is immediately answered by the goose's suggestion to escape from the barn, which he does.

"You don't have to stay in that dirty - little dirty - little dirty - little yard," said the goose, who talked rather fast. "One of the boards is loose. Push on it, push - push - push on it, and come on out!"

"What?" said Wilbur. "Say it slower!"

"At - at - at, at the risk of repeating myself," said the goose, "I suggest that you come on out. It's wonderful out here."

"Did you say a board was loose?"

p.21

The escape is rendered very lively and interesting by the use of discourse units which demonstrate all five functions of illocutionary acts. Wilbur's speech 'asserts' his present situation and thus shows the reader the recent state of affairs. The goose's advice to break through the loose board and go out to the open meadow is very convincing to Wilbur and therefore it can be a 'declaration'. Mr Zuckerman's speech to Lurvy is a form of 'directive' and this is followed by his illocutionary act of stating his own activities in the situation which can be

categorised as a 'comitative' act. The fifth function is realised by Wilbur's own words after the great efforts he had to exercise to hold his freedom. "This is really awful" is 'expressive' of his emotions to the whole situation. The escape and chasing activities encompass almost all the persons and animals in the farm.

The dialogue form is made use of in the discussions of the representative facts of Wilbur's life situations. Various details of his circumstances are selected to reflect his emotions as well as his activities. Conveying information about forms of animal life is a role that is distinctively effective in children stories. The reader of the text, like the listener to the conversational tones of the speaker, is expected to form his own concepts of the fiction characters. The narrator's intrusion to complete the description of the situation is a direct technique that is used by White to give background knowledge which is related to those who are involved in the context. The account of what happens is partly created by the narrator's function as an observant speaker who sincerely gives the reader essential information through general impressions of familiar actions.

Then they pulled into the Fair Grounds, they could hear music and see the Ferris wheel turning in the sky.

They could smell the dust of the race track where the sprinkling cart had moistened it; and they could smell hamburgers frying and see balloons aloft. They could hear sheep blattering in their pens.

p.126

The speaker's attitude towards the reader is an essential component of the logical structure of the utterances. Ideational expressions are always following logical procedures which are necessary for the denotations of new and scientific information. The narrator of the analysed text displays forms of strong commitment and sincerity in his portrayal of facts as coloured by the psychological states that he can figure out. The reader is given assertions concerning the beliefs of the spider then these are followed by her expressions relating her intentions. The rat's nature of successive desires is exploited by the intelligent spider. Templeton apparently illustrates the expected behaviour and this is put to a beneficial procedure that is logically constructed by Charlotte.

"I hope you brought a good one", Charlotte said. "It is the last word I shall ever Write."

"Here," said Templeton, unrolling the paper.

"What does it say?" asked Charlotte. "You'll have to read it for me."

"It says humble," replied the rat.

"Humble?" said Charlotte. " 'Humble' has two meanings. It means 'not proud' and it means 'near the ground'. That's Wilbur all over. He's not proud and he's near the ground".

"Well, I hope you're satisfied," sneered the rat. "I'm not going to spend all my time fetching and carrying. I came to this Fair to enjoy myself, not to deliver papers."

"You've been very helpful," Charlotte said. "Run along, if you want to see more of the Fair."

pp.134 - 135

The definition of the word 'humble' is set in the direct speech of the spider to present exact notions in the usage. Charlotte's commitment is explicit in her intentional attitudes during her life time to the end. This is passed over to Wilbur who is learning from her; and after her death, he is committed to the preservation of her younger generation. The situation implies the effective performance of collective activities and the values of such success.

The act of capturing the interest of the listener or the reader as discussed by Lyons (1977) is centred around the usage of linguistic and non-linguistic means in logical expressions. The referents constitute the centre of investigation because the various ways of referring to objects imply a form of background knowledge to be present at the time of speech. The author's selection of items in the barn presupposes that his reader can realize the referents which he is putting in the portrayal of Mr Zuckerman's farm. These referents do not always have to be concrete objects. White describes the shape, the size, the smell

and the interior items as he manipulates the logical trend towards an appealing situation. This is stressed by the expression of eternal existence from the point of view of the narrator.

The barn was very large. It was very old. It smelled of hay and it smelled of manure. It smelled of the perspiration of tired horses and the wonderful sweet breath of patient cows. It often had a peaceful smell - as though nothing bad could happen ever again in the world. It smelled of grain and harness dressing and of axle grease and of rubber boots and of new rope.

p.18

The linguistic construction of the sentences is composed of clear units which are composed of one syllable or two syllables words in most cases. The portrayal of the barn is essential because it is the setting and background for most of the interaction between Wilbur and the spider Charlotte. The barn becomes "Wilbur's new home" as the context makes clear the fact that the life style of a pig necessitates the existence of a fixed place for him which is the barn cellar for being "warm and comfortable".

The logical frame work of the plan for saving the life of a loved friend is based on the perceptive abilities of Charlotte. She constructs the details of her plan on her spinning gift, for

she can produce unique structures by her web which can attract the attention of Mr Zuckerman and fool him as well.

Finally, one morning towards the middle of July, the idea came. "Why, how perfectly simple!" she said to herself. "The way to save Wilbur's life is to play a trick on Zuckerman. If I can fool a bug," thought Charlotte, "I can surely fool a man."

Wilbur walked into his yard just at that moment.

"What are you thinking about, Charlotte?" he asked.

"I was just thinking," said the spider, "that people are very gullible."

"What does 'gullible' mean?"

"Easy to fool," said Charlotte.

"That's a mercy," replied Wilbur, and he lay down in the shade of his fence and went fast asleep. The spider, however, stayed wide awake, gazing affectionately at him and making plans for his future.

p.69

The act of thinking on the part of Charlotte leads to the saving of Wilbur's life. This is portrayed in the text by an additional lesson of clarifying the meaning of a word for the reader which is 'gullible'. Speech segments in Charlotte's utterance form a comparison between her abilities and that of Mr Zuckerman. She is sure she can fool him by a trick and this assumption is logically based on the fact that she fools a lot of bugs which are not known to be gullible like the human beings.

The excerpt illustrates a feature of style that is

frequently used by White in the analysed text. The introduction of a new idea such as the plan is initially introduced by the narrator to describe and particularise the situation. This is followed by a discourse where the participants take turns using short sentences in relatively utterances. When the exposition of the idea is completed the narrator again is introduced to terminate the situation. The internal structures of the sentences, composed by the narrator to denote identifying structures, are compound because they make use of descriptive clauses. The function of relating the successive segments of the structure is performed by using the technique of topic and comment succession, which is suitable to the internal construction of details. The topics are components of the semantic units and therefore follow the overall logical procedure which binds the particular sets of descriptive details. The author's intentional teaching, of the values concerning the love of life, is conveyed through situations of relational concepts.

The reader's interpretation of the friendly relationship between Wilbur and Charlotte is based on two factors, one is the situation which is described in the text and the other is his own background knowledge concerning similar situations. The author's selection of illustrative incidents is always supplemented by connecting units from the reader's imagination related to various

patterns of activities which suit almost any situation. The implications are drawn from the context then added to the hypothetical picture of the textual reality that the reader constructs for himself, because he is always providing the literary structure with the unmentioned units essential to his own concept of the situation. The abstract realisation of the figures in their contextual life is coloured by the reader's emotional state. Thus Wilbur and Charlotte as well as the others gain in character sketches by the added traits which are provided by each reader from his own recollection of past incidents. Frequently these additions are favourable; and in the situation of Wilbur, he is portrayed to gain the sympathetic love and care of everyone. Charlotte is sure to receive favourable traits from the reader's imagination for her incessant efforts to be giving information, care and love to a friend who is not even one of her species of insects. Her reasoning denotes her exceptional gifts which gains sentimental acceptance from the reader who builds huge expectations on her character sketch in the text. Thus when she exhibits intellectual skills of reading and writing English, the reader accepts this imaginative incident as part of the abstract capacities he puts on her from his own immediate environment. The wisdom in Charlotte's speech stimulates the reader's imaginative abilities. Wilbur gains the reader's

sympathetic feelings while the rat Templeton is not favoured. He receives the reader's abstract image of a character that is guilty of extreme selfishness but not aggressive. The reader is given a character sketch which is full of gaps that he is to fill in the reconstruction of the hypothetical figure of Templeton.

Then the oldest sheep spoke up. "I agree that there should be something new written in the web if Wilbur's life is to be saved. And if Charlotte needs help in finding words, I think she can get it from our friend Templeton. The rat visits the dump regularly and has access to old magazines. He can tear out bits of advertisements and bring them up here to the barn cellar, so that Charlotte can have something to copy." "Good idea," said Charlotte. "But I'm not sure Templeton will be willing to help. You know how he is - always looking out for himself, never thinking of the other fellow." "I bet I can get him to help," said the old sheep. "I'll appeal to his baser instincts, of which he has plenty. Here he comes now. Everybody keep quiet while I put the matter up to him!"

p.89

The selfish personality of Templeton is representative of a villain that can be manipulated, which renders the story more interesting to the child reading it.

Discourse is organised to give successive information units concerning the group efforts 'in the difficult act of saving' a life. The reader is placed in a situation of continual

expectation of surprises. As long as the threatening situation exists, the reader is made to anticipate more tricks and his expectations are gradually reorganised to accompany every change in the imaginary direction of incidents.

The concept of time in the text follows the natural order of successive seasons of the year. This adds an aspect of coherence, as the time begins in spring when the spring pig is born and continues by the direct reference to the time of the year as related to the significant incidents. The first incident that is related to the end of summer is the return to school which normally occupies the mind of all children. The author is primarily writing to them.

Everybody heard the song of the crickets. Avery and Fern Arable heard it as they walked the dusty road. They knew that the school would soon begin again. The young geese heard it and knew that they would never be little goslings again. Charlotte heard it and knew that she hadn't much time left. 'Mrs Zuckerman, at work in the kitchen, heard the crickets, and a sadness came over her, too. 'Another summer gone,' she sighed. Lurvy, at work building a crate for Wilbur, heard the song and knew it was time to dig potatoes. "Summer is over and gone," repeated the crickets.

p.110

The experiences of every person, animal, and insect are different from those of the others but the act of knowing is connecting them and so does the time of the year. The lexical structure of the quoted passage illustrates the repetition of the verb 'knew' which implies an instinct that is found in all. The textual implication denotes a common perception that is related to nature and its normal flow of seasons. White mixes the situation in the farm with ~~units~~ of real life experiences for creating a comprehensible text. This is suitable for leading to imaginary concepts that can fill the gaps of the structural units and completely involve the reader. In a situation that seems familiar the problem solving practice is impressive and guides the reader to inferences depending on his past experience.

The analysed text concentrates most of the referential units within the scope of common places and incidents with the exception of Charlotte's trick. This makes the process of understanding the text easier to the reader and leads to the a positive attitude towards the whole context. The reader's inferences from the text are interpreted into a different organisation of incidents which is composed of his own concepts of the details. The mental scheme follows the author's framework; and the interaction between the receptive faculties of the child and the discourse structure is concluded with the surprising

ending which denotes a long and happy life for Wilbur. The author successfully constructs his story using a sequence of one event after another which contributes to the ultimate popularity of this work.

Conclusion

The textual structure of Charlotte's Web can be characterised by numerous moral implications which are conveyed by discourse units and the narrator's descriptions. The book became very popular during the past few years as the statistics prove that it sold six million copies, Ellledge (1984). Children find it interesting and pleasant because it contains a mixed image of almost all the figures and the concepts they know: children, parents, 'successful tricks, loneliness, danger of undeserved death, friendship, selfishness, farm life, collective co-operation and competition. An important component is the truthful information that is given concerning the biological structure of the body of the spider which White quoted from the book 'American Spiders'. The author wrote the life style of the farm animals from his own personal knowledge as he perceived it.

The incident of saving the life of Wilbur is based on giving a model of an accepted plan which depends on a number of common knowledge units. The spider thinks and writes while Wilbur tries to seem similar to the descriptions given to him. The contextual incidents are selected from the child's repertoire of information. The narrator conveys the author's concept of the context and the discourse provides the characters' points of view. The reader is led to imagine a fictional world by his own inferences from the successive situations. The linguistic expressions of various emotions are easily interpreted as they are common such as the loneliness of Wilbur and his sadness for having no friends. The happy feelings of winning at the Fair are part of what every reader looks for in any competitive effort.

This research describes the features of style which formulate the implied pragmatic structure. Descriptive units of structure as well as speech acts define the actions of the persons and animals in the context. The concept of animal speech is directly exemplified to add a dimension of realising impossible events through inferential techniques which depend on the reader's scope of imagination. Some illocutionary acts are investigated according to the implications in the discourse segments.

The text presents a contemporary dream of free life away from the routine of school and compulsory duties. Its didactic components provide new information.

Bibliography

Atkinson, M. Explanations In The Study Of Child Language Development. London: Cambridge University Press, 1982.

Brown, P. and Yule, G. Discourse Analysis. London: Cambridge University Press, 1983.

Elledge, S. White: A Biography. New York: W.W. Norton and Company, 1984.

Frey, C. and Griffith, J. The Literary Heritage Of Childhood. New York: Greenwood Press, 1987.

Green, G.M. and Olsen, M.S. Preferences for Comprehension of Original and Readability Adapted Materials. In A. Davison and G. Gree (eds.) Linguistic Complexity and Text Comprehension. New Jersey: Lawrence Erlbaum, 1988.

Green, G.M. Pragmatics and Natural Language Understanding. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates, 1989.

Grice, H.P. Logic and Conversation. In P. Cole and J. Morgan (eds.) Syntax and Semantics 3: Speech Acts. New York: Academic Press, 1975.

Lakoff, G. Presuppositions and Relative Well-formedness. In D. Stienberge and L. Jakobovits (eds.) Semantics, An Interdisciplinary Reader. London: Cambridge University Press, 1971.

Lakoff, G. The Logic of Politeness: Or Minding your P's and Q's
In C. Corum, T.C. Smith-Stark, and A. Weiser (eds.) Papers from
Ninth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society
Chicago: Chicago Linguistic Society, 1973.

Leech, G. Principles of Pragmatics. London: Longman, 1983.

Levinson, S. Pragmatics. London: Cambridge University Press, 1983.

Lyons, J. Semantics. London: Cambridge University Press, 1977.

Prince, E.F. Toward A Taxonomy of Given - New Information.
P. Cole (ed.) Radical Pragmatics. New York: Academic Press, 1980.

Searle, J.R. Speech Acts. London: Cambridge University Press,
1969.

Searle, J.R. and Vanderveken, D. Foundations of Illocutionary
Logic. London: Cambridge University Press, 1985.

Sacks, H., Schegloff, E.A., and Jefferson, G. A simplest Systematic
for the Organization of Turn-taking in Conversation. Language
50, pp 676-735, 1974.

White, E.B. Charlotte's Web. London: Penguin Group, 1952.

